

مجلد صالح الدقر

تلفون ۲۲۹۷۷

فنية ccvv

 v.2

الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد .

1- الخفاء العام . . .

965
J61A
V.2

~~31 May 69~~

~~ONE~~

~~SEP 1 1964~~

~~-1 Feb 64~~

~~FEB 1 1965~~

~~5 May 65~~

~~-1 Jun 64~~

~~1 Oct 64~~

~~12 APR 1974~~



عبد الرحمن بن محمد البخيدالى

منازل الجزائر العاصمة

يشتمل على ايجاز واف مفصل لتاريخ اقطار الجزائر في جميع اطواره وحركاته السياسية والاجتماعية والعلمية والدينية والادبية والفنية والاقتصادية والعمرانية والصناعية مع تراجم العبقريين وارباب القرائح من مشاهير الجزائريين منذ اقدم العصور الى الآن .

الجزء الثانى

يحتوى على خريطتين تاريخيتين وخمس لوحات مصورة

ماكان فى هذه الدنيا بنو زمن
الا وعندى من اخبارهم طرف
المعري

الطبعة الاولى

المطبعة العربية - الجزائر

١٩٥٥ - ١٣٧٥ هـ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جميع الانبياء والمرسلين وعلى
الصحابة والتابعين ، وتابع التابعين لهم باحسان الى يوم الدين
اما بعد ، فلقد عام قراء الجزء الاول من كتابنا هذا

تاريخ الجزائر العام

انه قد احتوى على تاريخ هذا القطر الجزائري الكريم من الشمال الافريقي الذي هو
واسطة عقد المغرب العربي منذ العصر الحجري القديم فيما قبل التاريخ ، ثم منذ
وجد التاريخ وانتظمه في سلمه ورصفه في ديوانه الى قرب نهاية القرون الوسطى ، اي
منتهى دولة الموحدين سنة ٥٦٦٨هـ - ١٢٦٩م

وها أنا اليوم بفضل الله وعونه أقدم للقراء الكرام هواة التاريخ ورواد العلم
والمعرفة الجزء الثاني من تاريخنا هذا كاملا غير منقوص ولا معقوص ، متمشيا
فيه على نسق ما عهده القراء منى في الجزء الاول من وضوح في التعبير ، وسهولة
في الاسلوب واطراد في الفصول ، وانتظام في العرض ؛ واستيعاب في الجمع ، واحكام
في الوضع ، وصراحة في الحكم ، متحاشيا كل انحياز وامتياز ؛ مستمدا العون
والتوفيق من الباري جل جلاله ، انه هو العليم الخبير ذو القوة المتين ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم

المؤلف

الجزائر } ١٦ جادى الاولى ١٣٧٥ هـ
ربض العين الزرقاء } ٣١ ديسمبر ١٩٥٥ م

الدولة الحفصية

٦٢٧-٩٤٣ هـ

١٢٢٩-١٥٣٦ م

نشأتها

لقد مر بنا في الجزء الاول ان دولة الموحدين استمرت قباضة على صولجان الملك ووحدة الشمال الافريقي طيلة مدة قرن ونصف ؛ ولقد اكتسب المغرب الاسلامي يومئذ بوحدة هذه بأسا وقوة تمكن بهما من نشر نفوذه السياسى على بلاد الاندلس وخضع له كل من دول ضفاف هذا البحر الابيض المتوسط وأممها شرقا وغربا ، ولم يزل الموحدون فى اوج عزهم وشاهق سلطانهم الى ان تصدع شملهم فى «وقعة العقاب» بالاندلس ٦٠٩ هـ (١٢١٢ م) فاضطرب يومئذ جبل الدولة وأذنت ايامها بالذهاب ، فخرج عنها ولاية النواحي وظهر العصيان من رؤساء العشائر فاستبدوا بالادارة ونما فيهم الشعور بالقوة الفردية على حين ضعف الدولة فتفككت حينئذ وحدة الشمال الافريقي واشرقت فيها ثلاث امارات اوقل هي ثلاث دول اسلامية مغربية متزاحمة على جذب طرف حبله متنازعة نشر نفوذها على هذا القطر والاستحواذ عليه ؛ فكلها تحاول الاستقلال به وبسط نفوذها وسلطانها عليه ؛ ولتكافؤ القوات - او ضعفها ؟ - لم يخلص بتمامه الى اى دولة من هذه الدول الثلاث ، واخيرا توزعت - مرغمة - فيما بينها ؛ فكان شرقيه لبنى ابي حفص وغربيه لبنى مرين وواسطة عقده - الجزائر - لبنى زيان من بنى عبد الواد ؛ ووقعت الجزائر مرارا فى قبضة الحفصيين وبنى مرين ايضا وامتد نفوذهم اليها ونشروا سلطانهم على نواح منها برهة من الدهر ، فمن هم هؤلاء الحفصيون .. ؟

يتسب هؤلاء الحفصيون الى رجل هو من خاصة ابن تومرت واحد مر يديه العشرة السابقين الى مبايعته ونصرته في غربته الذين قامت على كواهاهم اركان دولة الموحدين فأحكموا قواعدها وشيدوا اركانها ؛ ذلكم هو ابو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي - نسبة الى قبيلة هنتاتمة من المصامدة بالمغرب الاقصى - برهن ابو حفص هذا على كفاءته ومقدرته السياسية والادارية في جميع الاعمال والولايات التي تولاهم الدولة الموحدين بالمغرب الاقصى والاندلس فاستحق عن جدارة ما تبواه من المقام السامي والاصطفاء بهذه الدولة ، وضل بمكانه هذا الى وفاته سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م) فتقلت الولاية في عقبه الى ان تولى عرش الموحدين الخليفة محمد الناصر بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فعقد على ولاية تونس لابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص يوم ١٠ شوال ٦٠٣ هـ (١٠ ماي ١٢٠٧ م) ، وكان ابو محمد هذا متزوجا بعممة الخليفة ، فاستمر في ولايته على تونس الى وفاته سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) فورثه في امارته هذه ولده عبد الرحمن مستبدا بها الى ان افضت امارتها الى ابي زكرياء يحيى بن الشيخ ابي محمد بن عبد الواحد بن ابي حفص سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ م) وكان ملكا عادلا عالما عاملا اديبا ، فاعلن استقلاله عن دولة الموحدين رافضا لدعوتهم واستبد بأعمال تونس والقيروان ، وخضعت له الجزائر وبويع له بكثير من بلاد الاندلس واستصرخ به آخرون ؛ ثم تداول بعده بنوه ملك المغربين : الاوسط والادنى

نظامها الحكومي

كان بحكم استقرار رؤساء هذه الدولة في حاضرة تونس ان اتخذ ملوكها هذه المدينة عاصمة لمملكتهم المغربية ؛ وحكومتها مستقلة تماما تحت رعاية ملكها المتلقب اولا بالامير ثم بالخليفة استثنائا بهذا اللقب عن ملوك دولة بنى عبد المؤمن الموحدية ، ثم تواضع ملوك هذه الدولة امام قداسة لقب الخلافة فاتخذوا اسم «السلطان» (١) شارة لهم . وولاية الملك فيهم غالبا تكون بالعهد من السلطان السابق ، وتارة تكون بالغلبة والقهر ؛ وتمتاز صكوك الاوامر السلطانية وما يصدر عن اذن الملك من رسائل ومناشير بوضع «العلامة» في اعلا الكتاب بالقلم الغليظ بعد البسملة ، وهى « الحمد لله والشكر لله » ، كما قد توضع ايضا في ختام بعض الرسوم ، ولكنابة هذه العلامة موظف خاص بالقصر وقد تضاف الى « القهرمان » وهو صاحب اشغال السلطان والمكلف ايضا بضبط الحسابات وحصر الذخيرة وتموين القصر وجميع ما يحتاج اليه السلطان في نفسه من رزق وعطاء الخ وتجتمع جميع مصالح الحكومة واعمالها الادارية في ثلاث وزارات : الجيش ، القضاء ، المال ، والجيش عندهم مختلط من العرب والبربر وغيرهم وفيه من الافرنج ايضا ؛ وقد بلغ عدد الفرسان ايام ابى زكرياء الاول الى سبعين الف فارس ؛ ولم يكن اهتمام هذه الدولة بانشاء الاساطيل وتجهيزها بالشكبة والسلاح بأقل من اهتمام غيرها من الدول المعاصرة لها يومئذ ، وكان مركز الاسطول الحفصى بالجزائر ميناء بونة - عنابة - وبالساحل التونسى ايضا . واما ديوان الاموال فانه منوط بصاحب الاشغال ، ولصاحب هذه الحطة النظر في مالية الدولة من دخل وخرج وهو المسؤول عن استخلاص الاموال والمحاسبة باسم الحكومة وله التفويض التام والسيطرة المطلقة على جميع من دونه مرتبة من ولاة

(١) ان اول من تلقب من ملوك الاسلام بهذا اللقب هو السلطان محمود بن سبكتكين صاحب غزنة ، لقبه به الخليفة العباسى القادر بالله ٣٨١-٤٢٢ هـ (٩٩١-١٠٣٠ م)

المراتب الادارية ، ويشترط فيه ان يكون من عصابة الموحدين الاولين ، ولقد بلغت ثروة خزينة الحكومة ايام ابي زكرياء يحيى الاول نحو التسعة عشر مليون ديناراً (١) وهو ما يقدر بما ينيف على اربعة وثلاثين مليار فرنك ، وليس هذا المبلغ بالهين اذا قيس بضيق المملكة وبما كانت عليه خزائن الدول المعاصرة يومئذ ؛ واغلب موارد الخزينة الحفصية من الزكاة والخراج والجبايات ؛ واكثر عملتها الدولة وتقودها مضروبة بالمدن الجزائرية كجاية وقسنطينة والجزائر وتنس ؛ وهي متنوعة الى ذهب وفضة ، والى فلوس نحاسية احدثها السلطان ابو زكرياء الاول ، وكان لا يحصل على راسة القلم في الدولة الا من يحسن الانشاء العربي ويجيد صناعة الكتابة والترسيل مع شرط الامانة وكنمان الاسرار ، ولم يشترطوا النسب في صاحب هذه الخطة كعادتهم في سائر الولايات والمناصب الرئيسية لقلة او فقد الاكفاء فبهم بسبب رطانة السنتهم وما يغلب عليهم من العجمة وتخلف المملكة ، وجميع اعمال الدولة كانت تدون باللسان العربي المبين ، وهو ما حمل حكومة جمهورية (بيزا) الايطالية على وضع نص المعاهدة التجارية التي قدمتها للدولة الحفصية سنة ٦٦٤هـ (١٢٦٥م) باللغة العربية ويخص ؛ رئيس الشرطة من بين موظفي الحكومة بلقب «الحاكم» ؛ وهناك «المحتسب» المكلف باصلاح الهيئة الاجتماعية والمسؤول عن الاسواق والمتاجر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛

وكان مما امتازت به دولة الحفصيين ان وجد بها منصب وزير الرأي والمشورة ، وهو الملقب لديهم ؛ «شيخ الموحدين» المشرف على جميع شؤون الدولة مما قل اوجل ؛ واخيرا اسندت هذه الخطة الى «الحاجب» كما جعلت له وزارة الحرب ايضا ؛ وبذلك اصبحت خطة «الحجابية» هي اكبر المناصب

الحكومية في هذه الدولة . (١) وكان نظام الاقطاع يومئذ معمولاً به عند كثير من الدول الاسلامية كما هو في غيرها ايضاً ؛ فانه كثيراً ما اضطرت الحكومة الحفصية عسكرياً الى اقطاع بعض جهات من ممتلكاتها الى بعض القبائل العربية المناصرة ، ثم انه لافرق بين هذه الدولة وبين غيرها ممن تقدمها من دول المغرب الاسلامي ، فهي تسير حسب سابقتها مستمسكة في سياستها العمومية بسنة الموحدين حتى كاد ان لا يوجد ، هنالك فرق بين الحكومتين اذا استثنينا بعض الفروق الطفيفة

حدود الجزائر الحفصية

الجزائر الحفصية هي عبارة اليوم عن مقاطعتي الجزائر وقسنطينة مع جزء من مقاطعة وهران ؛ وهي تنقسم الى اربع ولايات : ولاية بونة - عنابة - ، وولاية بجاية ، وولاية قسنطينة ، وولاية الزاب وقاعدته مدينة بسكرة وتارة مقررة من بلاد الحفصة ، ويمتد خط الجنوب الى ما وراء بلاد وارجلن - واركلة - ، وكثيراً ما راينا اختلاف عمال هذه الولايات الجزائرية على الحكومة المركزية حيث قاموا بعدة وقائع حرية حاولوا بها اخذ البيعة لانفسهم والاستبداد بالملك فتداخلت الحدود واختلفت الخطوط والنخوم المرسومة لمملكة الجزائر الحفصية

(١) قال ابن خلدون : ومعنى الحجابة - في دولتنا بالمغرب - الاستقلال بالدولة والوساطة بين السلطان وبين اهل دولته لا يشاركه في ذلك احد . ج ٧ ص ٤١٨ فهو بمنزلة كبير الامناء في الدولة العربية اليوم

كيف كان استيلاء الحفصيين على الجزائر

كان اول ما وقع من التراب الجزائري بيد الحفصيين ولاية قسنطينة وبجاية فاستسلم اهلها الى السلطان ابي زكرياء الحفصي سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ م) فأسربنو حفص عمال هاتين المقاطعتين وذهبوا بهم الى تونس ؛ ثم في سنة ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م) كان استيلاؤهم على ولاية الجزائر ونواحي شلف والبطحاء - البسيط الذي بين مدينة غيليزان وسهل وادي شلف - وما الى ذلك من الجهات الغربية الزناتية؛ وقد جعل التصرف في هذه الجهات لاقارب السلطان الحفصي وبنى عمه ؛ وفي سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦١ م) جهز السلطان المستنصر اخا عمر بن ابي زكرياء الاول للقضاء على سلطة الفقيه ابي على الملباني المتسلط يومئذ على عمل «مليانة» فتقدم عمر المذكور صحبة «مغبدون بن فرندة» النصراني الى مليانة ونصبا عليها المجانيق وضيقا عليها الحصار فأعطت المدينة مقادتها لبنى حفص واستسلمت لهم يوم عيد الفطر - ٢٩ اوط - من التاريخ فعقد السلطان آن ذاك لاختيه عمر على ولاية بجاية مكافأة له على انتصاره وتغلبه هذا ، ولكن عمر استعفى اخلا من هذه التولية فاعفاه

فتح ولاية تلمسان

لقد كان لمبايعة خليفة الموحدين على السعيد من بنى عبد المؤمن بمراكش اضطراب كبير ادى الى نقض البيعة وشق العصا في كثير من ارجاء المغرب ، فكانت هذه فرصة لخروج ولاية النواحي عن الخليفة ونبذ طاعته ، وكان من بينهم عبد الله بن زكرياء الهزرجي صاحب تلمسان ، فنشأ عن ذلك بينه وبين يغمراس (١) الزياني المتحيز يومئذ لبنى عبد المؤمن خلاف ونزاع كبير افضى الى تسلط يغمراس على تلمسان

(١) ضبطه ابن خلدون في مواضع من تاريخه بالحركات مرة : بفتح الباء والغين وسكون الميم بعدها راء مفتوحة ثم الف بعدها سين مفتوحة فنون ساكنة ؛ ومرة بكسر الغين والسين

وبينما الحال على ذلك اذ وفد على السلطان ابي زكرياء الحفصى نخبة من رؤساء بنى توجين ومغراوة مستصرخين به ضد يغمراسن ؛ ولقد كان لبنى توجين ملك مايين قلعة «سعيدة» غربا الى «المدينة» شرقا وكانت لهم قلعة بنى سلامة (١) ومنداس (٢) ووانشريس . فتخذ ابو زكرياء ذلك وسيلة ووصلة للقضاء على عرش الموحدين المحتضرومن والاهم من رؤساء النواحي وولات الجهات ، فنزل في شوال ٦٣٩هـ (أفريل ١٢٤٢م) بمليانة ، ومنها راسل يغمراسن في الاذعان لطاعة الدولة الحفصية فأبى ؛ ويومئذ احاطت جيوش الحفصيين بلمسان فضيقت حصارها وبالغت في التنكيل باهلها فخرج يغمراسن من باب العقبة لرد عادية بنى حفص فانهزم ونجاهو بنفسه الى الصحراء ، وسقطت لمسان بيد الحفصيين آخر المجرم ٦٤٠هـ (جوليت ١٢٤٢م) ودخلها يومئذ ابو زكرياء فرد عنها عادية جندة وكف أيديهم عن النهب والسلب

المباينة بالخلافة

منذ نهاية القرن السادس الهجرى - اواخر الثانى عشر الميلادى - والعالم الاسلامى بالشرق والمغرب كله يتمخض في قلق واضطراب مترقبا ماعسى ان يحدث او يقع من التحولات السياسية العامة الناتجة عن اتحادامم النصرانية في حروبها الصليبية التى كادت ان تعصف بالـ عالم الاسلامى اجمع ؛ وما كان كذلك من اتحاد قبائل التتر برئاسة جنكيز خان وشروعها في الزحف على غرب بلاد آسيا وجنوبها واحتلالها لبلاد الصين سنة ٦١٦هـ (١٢١٩م) ؛ وتصعد الاسر القابضة على زمام

(١) هى على سته كيلوميترا الى الجنوب الغربى من مدينة فرندة من مقاطعة وهران وفيها تفرغ مؤرخنا العظيم عبد الرحمن بن خلدون للعلم والدرس فسكن بقصر ابي بكر بن عريف اريم سنوات وهناك شرع في وضع تاريخه الكبير فأكمل به مقدمته العجيبة ،

(٢) غربى آيارت وجنوب مدينة غيليزان - بين وانشريس وجبل كزول الواقع على عشرة كيلومترات بالجنوب الغربى من مدينة آيارت الحالية

بقية الباقية من بعض المدين الإسلامية؛ والامبراطورية الساجوقية يومئذ قد انقرضت من بلاد فارس ، ومثلها الدولة الغزنوية أيضا بعد قضائها على الدولة الجديدة القائمة بأفغانستان الشرقية فاسقطتها من شاهق عزها حوالى سنة ٥٤٥هـ (١١٥٠م)؛ وانقراض عائلة زنكى فى الموصل ، وملوك مصر والشام يومئذ فى شقاق وتناحر وافتراق؛ وفى بغداد من الخلاف الطائفى والمذهبى القائم بين اهل السنة والشيعة، بل وبين مذاهب اهل السنة انفسهم كالخلاف والجدل الواقع ايضا بين الحنابلة والحنفية قد بلغ اشداه ... وعم ذلك سائر طبقات الشعب العراقى وارث مدينيات العالم ...! فدعا ذلك كله الى بسط نفوذ الاجنبى ونشر سلطانه على الشرق الاسلامى ، وفعلوا اكتسح التتر معالم الحضارة الاسلامية وحطم عواصم المدينية الشرقية ، وكان ذلك الفتك الذريع بالانسانية الذى لم يسجل التاريخ فيما عهدناه حوادث افضع منها منذ تحدث عن البشر الى يوم الناس هذا - اذا استثنينا حوادث (اتيلا) ونهاية الاندلس الاسلامية ! ... وسقطت بغداد قلب العالم الاسلامى النابض بيد التتر سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) وذهبت بذهابها تلك المدينية الزاهرة المشرقة ، وسقطت الخلافة العباسية بسقوطها

وفى المغرب الاسلامى كذلك فان ساططان الامويين بالاندلس قد انهيار منذ سنة ٤٢٢هـ (١٠٣١م) وتشتت وحدتهم السياسية فتوزعها ملوك الطوائف بينهم ، فقام بكل ناحية منها امير المؤمنين ومنبر !... فاشتد حينئذ الشعور الاسلامى العام فأعلن حاجته الاكيدة الى زعيم دينى ورئيس سياسى تجتمع لديه جميع السلطات المدنية والعسكرية ، وكان من المقدران وجدت دولة الحفصيين يومئذ صلبة العسا ، قوية الاساطين ، وثيقة الاركان ، فتأكدت مبايعتها على الناس ، فأطاعها اهل سبتة وفاس وطنجة وسجلماسة - تافيلالت - ؛ ومكناسة بعدما قتل اهلها عامل الموحدىن عليها سنة ٦٤٣هـ (١٢٤٥م) وبعث اهل مكة ببيعتهم الى الساططان المنتصر سنة ٦٥٧هـ (١٢٥٩م) وهى بانشاء عبد الحق بن سبعين فقرئت على الناس ، وبايع بنو مرين تقيه ريشما استوثق

الامر لسلطانهم يعقوب المريني فبنذوا عهد الحفصيين ؛ ودخل اهل مدينة شيلة وغيرها من بلاد الاندلس في دعوة الحفصيين ايضا فاحترق حينئذ صيتهم البلاد وخشيتهم امم اوربا فباتت تخطب ودهم وابرمت في ذلك معاهدات سلام بينها وبين القصر الحفصى ، منها معاهدة «فريديريك» امبراطور الالمان لمدة عشر سنوات ومعاهدة «اوهان سطوفان» ملك صقلية وهلم جرا ويومئذ تلقب السلطان ابو عبد الله محمد بن السلطان ابي زكرياء يحيى الاول بأمر المؤمنين ، وتسمى بالمستنصر بالله الواصل .

نرخص يغمراسن وانتصاره

لا يعزب عن القارئ الكريم ما قدمنا من حال انهزام يغمراسن الزياني عن تلمسان ايام غزو الحفصيين لها سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) وما كان من فرارها منها والتجائه الى الصحراء الخ وبعدما تأكد يغمراسن من اطباق الكثير من سادة العالم الاسلامي ودوله شرقا وغربا على مبايعة ملك الحفصيين بالخلافة اعتصم بالدهاء والتدبير في الانتصار فبعث بوالدته - سوط النساء - الى ابي زكرياء الحفصى لتقديم مراسيم البيعة نيابة عنه فاقبلها ابو زكرياء راضيا عن ولدها ، فاغتتمت الوالدة يومئذ هذه الفرصة وقدمت للسلطان اقتراحا يتضمن طلب العفو عن يغمراسن والمساخطة له بالعودة الى رئاسة قومه من بني عبد الواد تحت طاعة الخليفة ، فأمرضى لها ابو زكرياء ذلك كله ، واذن في عودة يغمراسن الى امارته على شروط بينهما وتمت عقدة المبايعة على ذلك وعاد يغمراسن الى تلمسان واخذ يتصرف في اهلها واموالها التي كانت تقدر بمائة الف دينار سنويا ؛ وكان السلطان الحفصى ادرك ما يكتنه يغمراسن في صدره من الحقد والضغينة على ملك الحفصيين ، فأقطع القطائع حول تلمسان واحداث امارات في بني توجين ومغراوة وجاء بني سليم الى نواحي بونة - عناية - فأسكنهم بها الى ارض الجريد واغدق عليهم من الاموال ما غمرهم به وجعلهم حاجزا بينه وبين خصمائه ومنافسيه فكانوا ردة

المملكة وحصنها الحصين

وما لبث ابو زكرياء بعد ذلك الا قليلا حتى فاجأه اجله وهو بمحلته في بونة فتوفي ليلة الجمعة ١٢ جمادى الثانية ٦٤٧ هـ (٢٢ سبتمبر ١٢٤٩ م) ودفن من الغد بجامع بونة . وكان يغمرا سن قد عاد بعد الى تلمسان بموجب نصوص المعاهدة التي عقدها مع الملك الراحل ؛ ولم يبرح قومه ان اجتمعوا حوله واخذوا معه في الانقضاض على المدن الجزائرية وغزوها وفتحوها مدينة مدينة ، واقتحموا مليانة سنة ٦٦٨ هـ (١٢٦٩ م) ، ثم وقعت بلدة المدية بايديهم سنة ٦٨٧ هـ (١٢٨٨ م) ، وهكذا اخذ الزبانيون في امتلاك القطر الجزائري تدريجيا حتى استولوا عليه باسره كما سنذكره فيما يأتي من تاريخهم

اضطرابات وفتن

كان مما اشاعه الناس يومئذ ان الخليفة المستنصر الحفصي عازم على الفتك بابن عمه ابي القاسم بن ابي زيد لما بلغه عنه من رفض بيعته والخروج عن الطاعة ؛ وباغت الاشاعة هذه الى ابي القاسم فخشي على نفسه ، فخرج من تونس سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) الى نواحي قسنطينة ملتجئا بشبل بن موسى بن محمد رئيس الدواودة - اشباع بن بن غانية واعدا الموحدين والحفصيين - وهناك بايعه هؤلاء القوم وبرزوا معه لغزو البلاد الجزائرية فأخذوا بها اضطرابا كبيرا واضراراً عظيمة اضررت بالجميع واشتد يومئذ غضب السلطان على ابي القاسم ، فأرعد وابرق وبیت قتله ، فارتاع لذلك ابو القاسم وتراجع الى تلمسان متواريا ومنها ركب بمرسى هنين الى الاندلس ، ثم التحق بالمغرب الاقصى فأقام بتينمليل حيث مصدر دعوة الموحدين ، ثم عاد الى تلمسان فتوفي بها

مقاومة العصاة المنشقين

كانت حوادث ابي القاسم بن ابي زيد وحركة الدواودة من رياح ، سببا في خروج السلطان المستنصر الاول بنفسه من تونس سنة ٦٦٤ هـ (١٢٦٥ م) على رأس جيشه العظيم ونزوله بأماكن الفتنة ومواطن الثورة بالقطر الجزائري ، وقضائه على المنشقين بها ، واستمر السلطان متقلبا في البلاد مستقصيا بذور الفتنة ومناجم الخلاف حتى نزل على الدواودة ففر رئيسهم شبل بن موسى وخرج بقومه الى القفر فاحتل السلطان يومئذ بلادهم ونزل بمدينة «المسيلة» - المحمدية - آخر مواطن رياح ، وهناك وفد عليه محمد بن عبد القوي امير بني توحين مجدداً لطاعته ، فآخذه السلطان واقطعه مدينة «مقرة» و «اوماش» من اعمال الزاب الجزائري ، واستمر المستنصر في زحفه على الدواودة الى ان ظفر بهم بمدينة «نقاوس» - بالقاف المعقودة - فبدد شملهم وانتهت اسلابهم ، وقبض السلطان على رؤوس الفتنة فضربت اعناقهم ونقلت الى بسكرة فنصبت بها ، واما الاشلاء فانها تركت حيث قتلوا فنصبت كذلك متفرقة بالامكنة التي بويج فيها ابو القاسم بن ابي زيد الثائر بنواحي نقاوس والمسيلة وغيرها ؛ واغذ السلطان سيرة فاجتاح بقية النواحي المشاقة ، فمنحه القوم اكتافهم مجتازين «وادي شدي» - جدي - فطاردهم الجيوش الحفصية الى ان تجاوزت بهم مفاوز الصحراء ثم عادت مع السلطان الى تونس

انتفاض مدينة الجزائر وفتحها

جاهر اهل مدينة الجزائر بنبد طاعتهم ايام ان ظهر ضعف الحفصيين امام حملة زناته عليهم حوالى سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧٠ م) ولقد حاول الجزائريون بذلك الاستبداد بحكم بلادهم والتوصل الى تأسيس مملكة جزائرية بحتة ؛ فهاجمهم يومئذ عامل بجاية «ابو هلال الهنتاتي» واطال حصار مدينة الجزائر نحو سنة ثم عاد منهزما الى مركزه ؛ وبقيت الجزائر في هذه الفترة مستقلة حرة الى ان غزتها

جيوش بنى حنص سنة ٦٧٤هـ (١٢٧٥م) بقيادة ابى الحسن بن ياسين ومناصرة
حامية بجاية، وخرج معها الاسطول الحفصى فانحصرت الجزائر من جميع جهاتها
ودخلتها الجيوش الحفصية مشخنة فى اهلها قتلا ونهباً وسلباً ، فاستسلمت المدينة
حينئذ واذعنت لطاعة الحفصيين : واخذت مشيختها ورؤساؤها فغلوا واسروا ثم
نوقلوا الى تونس مصفدين فاعتقلوا هنالك بالقصبة الى وفاة المستنصر سنة ٦٧٥هـ
(١٢٧٧م) فغفا عنهم ولداه الواثق يومئذ

مبايعة الجزائر لابی اسحاق الاول

كان ابو اسحاق ابراهيم بن ابى زكرياء يحيى الاول مقيماً بمدينة تلمسان ،
ولما توفى اخوه المستنصر نهض مطالباً بملك اخيه مناقضاً للواثق الذى اخذ البيعة
لنفسه بعد وفاة والده ؛ وكان اول من بايعه على الملك مضيفه يغمراسن بن زبان
صاحب تلمسان ؛ وصادف ان كان اهل بجاية منشقين على والى الاشغال عندهم
فقتلوه واستدعوا ابا اسحاق يحثونه على ولاية العرش ، فانقل اليهم أبو اسحاق
ودخل بجاية آخر شهر ذى القعدة سنة ٦٧٧هـ (افريل ١٢٧٩م) فاجتمع عليه
اهلها وبايعوه بالملك ؛ فغزا بهم قسنطينة فامتنعت عليه ، وهنالك بعث الواثق جيوشه
لمقاتلة عمه هذا ، وما كادت الجيوش تتصل بالزاب الجزائرى حتى تقدمت بنفسها
الى ابى اسحاق فبايعته بالملك وكتبت فى ذلك وثيقة بعثت بها الى الواثق بتونس ، فتنازل
مكرها عن العرش وخلف نفسه غرة ربيع الاول ٦٧٨هـ (١٢ جوليط ١٢٧٩م) ،
فيكانت الجزائر بذلك هى اول من بايع السلطان ابا اسحاق واول من اعترف
له بحقه على العرش

ظهور ابن ابى حمارة الدعى

هو رجل من اهل المسيلة ، وكان مسكن آباءه ببجاية فنشأ بها ، واسمه احمد
بن مرزوق ، ولقد سولت له نفسه يوما ان يدعى -ائما وزورا- انه من بيت الملك

وانه من ابناء الواثق الحفصي ، وكان هنالك من الموالي من ايداه في دعواه هذه ونهضوا معه ضد ابي اسحاق ابراهيم الاول فدخل الناس في طاعته وتغاب على السلطان بهائه ومكره فامتلك نواحي طرابلس واحتل تونس واتخذ لنفسه لقب «المعتمد على الله» ، وخرج ابو اسحاق من تونس مع ولده ابي زكرياء طريدا آخر شوال ٦٨١ هـ (جانفي ١٢٨٣ م) محاولا الالتجاء الى قسنطينة فمنعه عنها واليها خشية خروج الامر من يده ، فتوجه السلطان الطريد الى ولده ابي فارس امير بجاية ، فاعترضه ومنعه من النزول عليه وصرفه الى مكان آخر واجبره بالنازل له عن العرش ؛ وجاء ابن ابي عمارة غازيا بجاية فحمل عليها في صفر سنة ٦٨٢ هـ [ماي ١٢٨٣ م] وقتل ابا فارس في اخوته ، فانتقل السلطان الطريد ابو اسحاق يومئذ من اعمال بجاية مع ولده ابي زكرياء متوجها الى تلمسان ، واحتل ابن ابي عمارة المدينة واخذ البيعة لنفسه ، وبعث بمن ادرك ابا اسحاق بجبل بني غبرين فرده مأسورا الى بجاية وهنالك قتل السلطان صبرا في اخر شهر ربيع الاول سنة ٦٨٢ هـ [جوان ١٢٨٣ م] ونجا ولده ابو زكرياء الى تلمسان ؛ ثم بعد حين انكشف حال ابن ابي عمارة واقتضح للناس تزويره وتحققوا تدجيله وانه دعى في بيت الملك فتألبوا ضده ونقضوا بيعته فقتلوه سنة ٦٨٣ هـ [١٢٨٤ م] وتولى الملك يومئذ المستنصر الثاني

انفصال الجزائر عن الحكومة المركزية

كان هنالك شخصيتان متافستان بالقصر الحفصي وهما الحاجب ابو الحسن بن سيد الناس وابو عبد الله الفزازي ؛ فكلاهما كان يزاحم صاحبه في نيل الخسوة والمنزلة والمقام الرفيع عند السلطان ، ولقد لاحظا الحاجب المذكور انه منهوطة الجانب مهتضم المقام عند السلطان بجانب صاحبه الفزازي ، فأضمر للمستنصر حسيكته وأبطن له غلا ، وكان من المقدر يومئذ ان يوجد ابو زكرياء يحيى بن ابراهيم - عم المستنصر - بتلمسان مطالبا بعرش والده ، فالتحق به ابو الحسن فبايعه واخذ

له البيعة من الناس واقام له ابنة الملك وشعار السلطنة وخرج معه في جمع حاشد الى اعمال قسنطينة فطافوا بتلك الولاية ، وكان اذ ذاك اهل بجاية في اضطراب ونزاع فلما رأوا ابا زكرياء بادروا الى تقديم بيعتهم اليه فاحتل ابو زكرياء يومئذ بجاية سنة ٦٨٤ هـ [١٢٨٥م] وبايعه اهل مدينة الجزائر والزاب ، فرسخ يومئذ قدم ابي زكرياء بمملكة الجزائر فأورثها بنيه ، واصبحت المملكة الحفصية محزاة الى جزئين ، قسم شرقي وعاصمته تونس ، وقسم غربي بالمغرب الاوسط تنزع عنه حاضرتا قسنطينة وبجاية ، وهكذا استمر الامر بالقطر الجزائري الى سنة ٦٩٤ هـ [١٢٩٤م] - وعند ابن خلدون ان ذلك وقع سنة ٧٠٧ هـ - . حيث انتقض اهل مدينة الجزائر على عاملهم فأطروده واستبدوا بولايتهم جاعلين امرهم بيد «ابن علان» فمكث هذا اربعة عشر سنة حاميا للمدينة واحوازها إلى العهد الزياني ، وضلت البقية من القطر الجزائري ما بين مدوحزر بين ملوك الحفصيين وامراء الجزائر وولاتها الى ان دعا ابو بكر خالد بن يحيى الحفصي الى نفسه سنة ٧١١ هـ [١٣١١م] وتلقب بالمتوكل على الله ، فخالف عليه والى بجاية عبد الرحمن بن خلوف فقتل السلطان غدرا في السنة التالية واحتل ابو بكر بجاية واذعنت تونس لطاعة ابن اللحياني وعادت الدولة الى انقسامها ثانيا ، وهكذا الى سنة ٧١٨ هـ [١٣١٨م] فجاز ابو بكر ولاية تونس واعاد وحدة الدولة الى نصابها وجمع بين القطرين الشقيقين : تونس والجزائر اعتداه الافرنج على مدينة الجزائر

بينما الامر ما ذكرنا في الجزائر اذ فاجأها الافرنج بحملة بحرية عنيفة سنة ٦٨٦ هـ [١٢٨٧م] يقودها «روحى دولوريا» فحطموا مدينة «القالبة» واتهبوا اموالها وتركوها كجوف حمار ... ثم اعدوا عليها الكرة سنة ٦٨٩ هـ (١٢٩٠م) وحاصروا معها في هذه المرة مدينة بونة ايضا ، واسروا اهلها ، فاستبسل الجيش الحفصي وشمر عن ساق الحرب فاندحر الافرنج عن الجزائر

امارة بنى مزنى (١) بسكرة

كانت امارة الزاب الى هذا العهد لبنى رومان ، وهى من اغنى امارات الجزائر واضخمها لذلك العهد وتمتد حدودها من المسيلة ونقاوس شمالا الى واركلة - وارجلن - ووادى ريغ جنوبا ، ومن «الدوسن» غربا الى بادس شرقا؛ وتبعد مدينة بادس هذه عن بسكرة بنحو ثلاثين ومائة كيلومترا وتقرب من (خقة سيدى ناجى) بنحو العشر كيلومترات ؛

استمر بنورمان على ولايتهم هذه الى عصر السلطان ابى اسحاق ابراهيم الاول فاتزعا منهم وجعلها للفضل بن على جد بنى مزنى ، حيث قام بنصرته وتأيد دعوته، فشكر له السلطان موقفه هذا وولاه إمارة الزاب هذه سنة ٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م) ثم كانت فى عقبه ؛ وحسنت سيرة بنى مزنى واحسنوا التدبير فعاشوا وعاش الناس معهم فى ارغد عيش ، وهم تارة مقيمون بسكرة وتارة بمقرة من بلاد الحفصة ، وكان طبيعيا ان ينشأ عن ذلك من ذوى الاخلاق السافلة والامراض النفسانية الحبيثة حسد وضغينة فاوغروا صدر السلطان على بنى مزنى واضرموا غيظه ، فاضطرب لذلك شأن امراء هذا البيت وانتقضت أمورهم فتذبذبوا فى سيرهم وسلوكهم السياسى ، واصبحوا تارة بجانب الحفصيين ، تارة مع بنى زيان ، واحيانا نجدهم منقادين لبنى مرين ملوك المغرب الاقصى ، وكثيرا ما اشتبه عليهم الامر فنراهم فى ان واحد يبايعون اميرا ويتقضون عليه فى نفس الوقت وهكذا ذهب بنو مزنى فى تيار من عاصفة الاهواء السياسية المختلفة التى ادت بهم الى الاضمحلال ، فغزاهم السلطان ابو فارس عزوز الحفصى واقتحم مدينة بسكرة يوم السبت ١٧ جمادى الثانية ٨٠٤ هـ (٢٢ جانفى ١٤٠٢ م) وقضى على هذه الاسرة بعدما امضت فى حكم الزاب ما ينيف على قرن وربع ، وكان من اشهر رجالها: الفضل بن على وابنه المنصور وولده يوسف ، وعلى ، وحسن ، وأحمد ،

حزب السنية وابن مزني

كان بمدينة « طولقة » من عمل بسكرة رجل من عرب رباح اسمه « سعادة » وهو من بطن « مسلم » او « رحمان » اشتهر بين قومه وعشيرته بالعلم والصلاح اخذا على نفسه القيام بالحسبة - يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؛ فاجتمع عليه الناس وكثر حوله الاتباع والتحق به بعض رؤساء العرب من الدواودة كشيخ بني محمد بن مسعود ؛ واولاد سباع ، واولاد ادريس ، ورجالات العطف وغيرهم في كثير من اتباعهم ومرؤوسهم من المستضعفين ، وكلهم عاهد « سعادة » على التزام طريقته والاخذ بمبدأه فتشكلت يومئذ حوله هالة من الخاصة والعامة اشتهروا باسم « السنية » او « السقية » كما كان يدعوهم هو ، فلما استكملت هذه الجماعة قوتها واشتدت شوكتها اخذت في شن الغارات على العصاة المجاريين وقطاع الطرق المعتدين ، وكان شيخهم هذا متشددا على الولاة والحكام كثير المؤاخذه لهم على ما يأتونه من حيف او جور؛ واقد بلغ عامل الزاب يوما وهو يومئذ المنصور بن فضل بن مزني - ان زعيم السنية هذا ينكر عليه اعماله وخاصة وقع الظلمات والمكس على الرعية ، فطوى على عداوته احشاء صدره وعزم على الفتك به لولا تصلب حزب السنية في وجه العامل وصدده عن مرادة ، وكان ذلك مما زاد في انتشار صيت الشيخ سعادة وانتصار الناس له فبايعوه على اقامة السنة او الموت دونه ، فاشتد من ذلك غضب ابن مزني على السنية واذنهم بالحرب مستنفرا حلفاءه من رؤساء العشائر وولاة الحفصيين ، ومستنصر بالامير خالد بن ابي زكرياء الحفصي والى بجاية ، فجاءته الجنود من كل صوب ، واوعز الى اهل طولقة بالقبض على الزعيم سعادة فامتنع عنهم ، واخذ في تأسيس رباطه بتلك الانحاء على غرار منهج عبدالله بن ياسين في انشاء دولة المرابطين او ابن تومرت في انشاء دولة الموحدين ؛ فكان ذلك حصنه المنيع الذي التجأ اليه اتباعه ريثما تكاملت قواهم فزحفوا على مدينة بسكرة واحرقوا بها وحاصروها سنة ٣٠٣ هـ (١٣٠٣ م) وقطعوا اذليلها وشددوا في تضيقهم على اهلها وبذلوا

غاية جهدهم لفتحها فاستعصت عليهم ثم اعادوا غزوها فخابوا ورجعوا عنها مرتين، ويومئذ ٧٠٥ هـ (١٣٠٥ م) اقل سعادة بقومه الى مشاتهم ، فمكثوا في رباطهم بزاب طولقة ريثما تهبأت لهم الاسباب فغزوا مدينة «مليلي» احدى مدن بسكرة ، فاستصرخ اهلها بابن مزني فانجدتهم عساكرة المخيمة هناك ، واشتد اوار الحرب بين طائفة السنية وجنود الامير ، فاسفرت الواقعة عن قتل الزعيم سعادة وحمل رأسه الى ابن مزني ، فاستشاط لذلك غضب اتباعه فاندفعوا في حملة عنيفة بقيادة ابي يحيى بن احمد شيخ اولاد محرز - من الدواودة - الى عاصمة الزاب - بسكرة - فشنوا غارتهم عليها وقطعوا نخليها وحملوا وطيس الحرب فعظمت الفتنة واشتد القتال ، فكان فيمن وجد قتيلا بحومة الوشي على بن منصور بن مزني ٧١٣ هـ (١٣١٣ م) واخذ بعض رؤساء قومه فاسروا وفيهم من احرق بالنار وسكنت الحرب مدة تمكن فيها السنية من نشر مبادئهم الاصلاحية تحت اشراف رئيسهم الديني الشيخ ابي عبد الله محمد بن الازرق المقرئ ؛

استمر امر السنية على ذلك وهم يترقبون الفرص ويرصدون الخلس ، الى ان جاءهم المدد من ناحية «ريغ» فاعادوا حصار بسكرة سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م) تحت امرأة على بن احمد شيخ اولاد محمد - من الدواودة - واطالوا حصار عاصمة الزاب اشهرا واخيرا عجزوا عن اقتحامها فرجعوا الى مراكزهم ؛ ونزل الشيخ ابن الازرق مدينة بسكرة باستدعاء من صاحبها يوسف بن مزني - تفريقا لامر السنية - وعرض عليه قضاءها فاجابه الى ذلك ؛ وانسحب يومئذ حزب السنية من الميدان وانتشر عقدة ولم يبق له ذر الا عند من يتخذة كوسيلة للتوصل به عند العامة الى قبض الصدقات والزكاة والنذر باسم القيام بتغيير المنكر . وان «برج سعادة» المعروف الى اليوم قرب مدينة طولقة هو مكان الرباط الذي اسسه الزعيم «سعادة» وذلك لقول ابن خلدون : واوعز - اي ابن مزني - الى اهل طولقة بالقبض على سعادة فخرج منها وابتنى بأحائها زاوية ونزل بها هو واصحابه واقام المرباط سعادة بزوايته ومن زاب

طلوقة....، ولقد بقى من عقب سعادة على عهد ابن خلدون بالزاوية المذكورة بنون وحفدة يوجب لهم ابن مزني الرعاية وتعرف لهم اعراب الفلاة من رياح حقا في اجازة من يجيزونه من اهل السابلة [١]

الجزائر بين الحفصيين والمرينيين

ذهبت دولة الموحيدين العظيمة التي كانت تعرف كيف تسوس رعاياها العرب المنهالكين على الرئاسة وتركت بعدها اضطرابا عظيما بين تلك القبائل العربية المتشوفة الى مناصب الحكم المتفرقة يومئذ تارة هنا وتارة هناك تجرى وراء كل ناعق ترى فيه نيل مرادها والحصول على اغراضها ، فطوراً نراها تسير في ركاب الحفصيين ، وطوراً نجدها منجازه الى بني مرين ، وتارة تكون في جانب الزيانيين ، كل ذلك تفعله لغاية واحدة هي الحصول على الرئاسة ، والغاية عندهم تبرر الوسيلة ، فكانت حملات الاعراب هذه شديدة على الحفصيين ، وتعددت يومئذ الوقائع الثورية وانتشرت الفوضى وعمت الفتن لا في الجزائر فحسب بل بالمغرب الاسلامي كله ، وعجز الحفصيون عن رد عادية هؤلاء الاعراب فضاخوا بهم ذرعا فاضطروا الى الاستنجاد بدولة بني مرين ، فجاءت هذه حامية للدولة المستجدة فاحتلت اولاتلمسان سنة ٦٩٩هـ (١٣٠٠م) بدون ان تحفظ للحفصيين حرمة ، بل لم يكتف بذلك السلطان ابو يحيى المريني فحاصر ايضا بجاية سنة ٧٠١هـ (١٣٠١م) .

ثم في سنة ٥٧٢٨ هـ (١٣٢٧م) حدث من الفتن مما اضطرب لها بال السلطان الحفصى حيث ظهر في اسرته من يذاعه في الحكم مطالباً بالعرش ، مستصراً عليه بنى عبد الواد الزيانين ملوك تلمسان ، فاستصرخ الملك الحفصى يومئذ بالسلطان ابى سعيد المرينى على ان يقاسمه ولاية تلمسان - ان انتصر على اهلها - فكان الامر كذلك واقتسمت اوطان بنى عبد الواد بين بنى حفص وبنى مرين وتم ذلك بينهما سنة ٥٧٣٠ هـ (١٣٢٩م)

واخذت حينئذ مطامع المرينيين تسمع وأنظارهم تشوف الى حيازة المغرب الاوسط - الجزائر - ، وما كادت تمضى خمس سنوات حتى تحرك السلطان ابو الحسن المرينى من عاصمة فاس ، قاصدا غزو الجزائر ، فاقتحم تلمسان عنوة يوم ٢٧ رمضان ٧٣٧ هـ (٣٠ افريل ١٣٣٧م) وقد اربى يومئذ عدد القتلى على ثمانين الف قتيل ، ومنذ ذلك اخذ شأن المرينيين يرتفع ويعلو بالمغرب الاوسط ونفوذهم يتشع شبعا فشيئا حتى عم سلطانهم القطر المغربى كله وذلك فى مدة لا تزيد على عشر سنوات ، وحكموا تونس ايضا مدة عامين ونصف ثم عادت الى اصحابها الحفصيين ، واستعاد الفضل بن يحيى الحفصى مدينة بجاية وقسنطينة فاحتلها يوم الجمعة غرة المحرم سنة ٧٤٩ هـ [فاتح افريل ١٣٤٨م] ؛ وسقطت ولاية تلمسان بيد ابى عنان المرينى فاحتلها سنة ٧٥٣ هـ [١٣٥٢م] وبلغ الى المدينة ، ثم بعد سنتين فتحت لهم بجاية ثم قسنطينة وبونة سنة ٧٥٨ هـ [١٣٥٦م]

وفى شوال ٧٦١ هـ [اوط ١٣٦٠م] ازمع الحفصيون واجمعوا على استرجاع ملكهم الضائع بالمغرب الاوسط ، فانزل ابو عبد الله الحفصى مدينة بجاية فامتعت عليه فداب على المكافحة وثابر على متابعة الفتح بتكرار دشن الغارات عليها حتى فتحها فى رمضان ٧٦٥ هـ [جوان ١٣٦٤م] ، وبعد شهرين نازل مدينه تدلس - دلس - فاقتكها من يد الزيانين ، ثم استعادها السلطان ابو حمو الثانى كما سنذكره فيما يلى من تاريخ الدولة الزيانية وانزل بها حاميته وعقد السلم مع ابى

عبد الله الحفصى واصهر اليها في ابنته ، ثم عاد الحفصيون فاحتلوا تلمسان مرة اخرى واستعادوا اليهم ملك بسكرة وقسنطينة وبايعهم اهل المدينة ومليانة وتنس ، وهكذا اضحت الجزائر تنتقل بين ايدي ملوك المغرب الاسلامى يتهافون عايتها تهافت الفراش على السراج ولم يكن لها في هذه الاونة استقلال بالحكم الا برهة قليلة من الزمن قام فيها بعض ولاة العواصم المستبدين فتظاهروا فيها بمظهر الملك ؛ وظلت كذلك الى ان تمحض حكمها لبني عبد الواد الزيانيين

حركة السلطان الى بسكرة

لقد بلغت النخوة والته بهامل الزاب احمد بن مزني الى ان استشرت نفسه الى الامتناع من اداء واجب الخراج للدولة ورفض طاعتها محتميا بالاعراب القاطنين بضواحي الزاب والتلول ، وخاصة منهم الداودة الذين طالما اسخطوا الحكومة عليهم بأعمالهم العدائية ومواقفهم السلبية ، فتحرك السلطان ابو العباس احمد الاول الى قاعدة الزاب - بسكرة - سنة ٧٨٦هـ (١٣٨٤م) فجاءها في جيش عظيم حتى ازدحم الناس بالجند وضاقوا بهم ذرعا ، وضرب عليها الحصار وكانت هنالك مقتلة عظيمة دامت اياما خضع لها ابن مزني وادعن لسلطان الحفصيين فكفت عنه ايدي الجند وانكفأ عنه ابو العباس في قومه الى تونس

تنازع امراء بني ابي حفص على ولاية قسنطينة وبجاية

كانت ولاية قسنطينة لابي بكر بن ابي العباس احمد الحفصي ، فنازعه عليها ابن عمه الامير ابو عبد الله محمد بن ابي زكرياء صاحب بونة - عنابة - وحاصرها سنة ٧٩٦هـ [١٣٩٤م] فاتصر السلطان ابو فارس الحفصي لاخيه ابي بكر ووقع بابن عمه صاحب بونة ، فذهب يومئذ ابو عبد الله ملتجئا الى فاس مستصرخا سلطانها المريني ومكث هنالك الى ان عقد له سلطان مريد على جيش عظيم زحف به على بجاية سنة ٨١٠هـ [١٤٠٧م] فاتصر على صاحبها ابي يحيى فعزله وولى مكانه ولده المنصور ثم ارتحل عنها الى تونس منتقما من سلطانها ابي فارس ؛ فخالق السلطان المذكور الى بجاية فأقصى عن حكمها المنصور وجعل ولايتها لابن اخيه احمد بن ابي بكر ، ثم انبرى لمقاتلة ابي عبد الله فظفر به فقتله وبعث برأسه الى من نصبه على باب فاس اغاضة لمؤيدة وناصره سلطان بني مريد ، وتقدم الى تلمسان فاحتلها سنة ٨١٢هـ [١٤٠٩م] ثم كانت هدنة وصالح تبودلت فيه الهدايا والتحف بين ملوك الحفصيين وبني مريد

ولما انتصب السلطان ابو عمرو عثمان على عرش تونس مكان اخيه المنتصر المتوفى سنة ٨٣٩ هـ [١٤٣٥ م] قام في وجهه صاحب بجاية وهو يومئذ على بن عبد العزيز . فامتنع عن مبايعته مدعيا انه احق بالملك من عمه ، وقد شايعه على ذلك فقيه بجاية منصور بن على بن عثمان ؛ فنشأت عن ذلك حروب وخطوب انهزم فيها صاحب بجاية وامتلكتها السلطان ابو عمرو في جمادى الثانية سنة ٨٤٣ هـ [نوفمبر ١٤٣٩ م] فولى عليها ابن عمه عبد المؤمن بن احمد الاول

مشاركة الجزائر في هزم الصليبيين

كان لانهزام النصارى عن انطاكية واستيلاء سلطان مصر الملك بيبرس البندقدارى على بلاد سورية امتعاض شديد وغيط عظيم اورثهم شجوا وشجنا ، فقامت لديهم قيامة الاحزان وارسلوا الى البابا «كليمنضوس الرابع» يطلبون منه المساعدة والمعاونة على القتال باسم الصليب - كذبوا زورا - ؛ فأرسل هو بدوره منشورا الى جميع ملوك اوربا يستنفرهم ويستنفرهم الى ايقاد حرب صليبية ثامنة لاختدأهم من المسلمين ، فكان اول من لبى نداء البابا ملك فرنسا لويس التاسع St Louis واخذ في تجهيز العساكر والاساطيل لذلك ، وبعد استشارة اصحابه ووقوع المداورات بينهم في تعيين البلاد التى تقصدها الحملة الصليبية وقع الاتفاق على مهاجمة تونس بدعوى ان اهل المغرب طامتعوا على بحرية فرنسا وغيرها ؛ فسارت الحملة بقيادة الملك لويس المذكور ونزلت بأقراض مدينة قرطاجنة من الساحل التونسى ، وكان عدد جيش الصليبيين زهاء ستة آلاف فارس وثلاثين الفا من الرجال ، وبلغت اساطيلهم ثلاثمائة قطعة ما بين كبار وصغار ، فنادى حينئذ السلطان الحفصى ابو عبد الله محمد المستنصر الاول فى الناس بالاستعداد والنفير العام ، وارسل الى جميع الممالك التابعة له - ومنها الجزائر - يطلب المدد ، فوافته الامداد من كل ناحية ، وجاءه ابو هلال عياد صاحب بجاية فى جموعه وسرح اليه محمد بن عبد القوى عسكر بني توجين لنظر ابنه زيان ، وجاءت جموع العرب وهوارة وولها صة - سكان بسيط بونمة -

وسدويكش وهم سكان مواطن صنهاجة بالبسائط الواقعة بين قسنطينة وبجاية - وامده ايضا ملوك المغرب من زناتة واحتدمت الحرب في منتصف المحرم ٦٦٩ هـ (٥ سبتمبر ١٢٧٠م) ونشب هناك بين الفريقين قتال عنيف مات فيه عدد عظيم من الطرفين وغدا ملك فرانسوا قتيلا ، قيل انه مات حتف أنفه ، وقيل انه اصابه سهم غرب فقتله ، وقيل اصابه مرض الوباء ، ويقال ايضا وهو بعيد ان السلطان بعث اليه مع ابن جرام الدلاصي بسيف مسموم كان فيه مهلكه [١] فانسحب الصليبيون يومئذ عن تونس منهزمين وكفى الله المؤمنين القتال

مقاومة القرصنة الاروية

لقد بلغ من عتو قراصنة الغرب واصوصه ان اصبحوا يجوبون هذا البحر ويعترضون مراكب المسلمين فيه فيتخطفون الناس من اهل المغرب ويبيعونهم باسواق اوروبا ببيع السوائم ، فكشرا ماحدثنا التاريخ عن بحارة اوروبيين كانوا يستغلون حركتهم التجارية لارتكاب القرصنة ؛ فان المؤرخ المسيحي «دوماس لاطري» يقول ان في سنة ٥٩٦ هـ (١٢٠٠م) هجمت سفيتان من بيزا على مراكب اسلامية واسرت ركابها وانتهكت اعراض النساء ووضعت يدها على ما صادفته من عروض ومتاع ؛ ويكفي ان نعيد للأذهان كما يقول المؤلف المذكور : آلاف المزارعين والملاكين العرب الذين اختطفوا في قباس عام ٦٨٣ هـ (١٢٨٤م) وجربة عام ٧٠٩ هـ (١٣١٠م) وطرابلس عام ٧٥٦ هـ (١٣٥٥م) ثم بيعوا في اسواق الرقيق باوروبا

وبان اول من انبرى لمقاومة هذه القرصنة الاروية ورد عاديها عن سواحل المسلمين بالمغرب اهل بجاية فانهم قد كالوا لهؤلاء القراصنة كيلا بكيل ، فاتخذوا مثلهم الاساطيل للغزو وأخذوا في الهجوم على سواحل الافرنج مثل جنوة والبندقية وسواحل ايطاليا واسبانيا ، فغنموا واسروا ، وكثر يومئذ عدد

(١) راجع ابن خلدون ج ٦ ص ٢٩٠ ٢٩٤ والخبار السنية ص ٢٦٧-٢٧٠ ط مصر ١٣١٧ هـ

الاسرى في بجاية حتى اشتد لغطهم وصخبهم بالمدينة من أثر اجترار السلاسل والاغلال ؛ ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل ولم تعدم الانسانية بحمد الله رجالا عاملين على المحافظة على شرفها والسموبها الى مقامها الجديرة به في هذه الحياة ؛ فلقد كان لعملية القرصنة هذه استياء عظيم في قلوب الافارقة المسلمين فعملوا على عقد معاهدات بينهم وبين دول هذا البحر من الغربيين ؛ وحرصوا على توفير الضمانات وفرض التعويضات على الخسائر التي تلحق رعايا الطرفين من جراء اعتداء القراصنة ؛ فتعهدت جميع الدول التي ابرمت تلك الوثائق بالعمل المشترك لاستئصال القرصنة ، ولقد نصت معاهدة (صيو) في فصلها التاسع عشر على انه اذا ما اضطر الموحدون الى تجهيز مركب لمطاردة احد القراصنة الجنوبيين فان جمهورية جنوة يجب عليها اذ ذاك ان تجهز بدورها مركبا للمساهمة في هذه المطاردة ، وقد ادى الامر بالطرفين - استئصالا لارباح القرصنة العفنة - الى تحضير بيع الغنائم والاسرى وتسريح هؤلاء عاجلا بدون فداء ، بل قرر الجانبان معا اتلاف مصادرة اموال القراصنة الذين يهاجمون رعايا الدول المتحالفة ، ولكن بالرغم عن كل ذلك ظلت كل من اوربا وافريقية تعجان بالاسرى المسلمين والمسيحيين ، ولقدوازن المؤرخ «لاطرى» وقابل في كتابه المذكور بين فظائع القرصنة المسيحية وفظائع القرصنة الاسلامية ، فلاحظ ان المسيحيين يتحملون قسطا وافرا من النهب والتدمير الذي ارتكب باسم القرصنة البحرية والذي نسب الى المغاربة وحدهم (١) ؛ وما كان من حق المؤرخ المذكور ان ينسب هذا العمل الشنيع الى الاديان او يسميه بها ، فالقرصنة ليست هي في شيء من الدين ، فلا هي مسيحية ولا اسلامية ، وانما هي تطاول على الغير حسبا في الاثرة والغلبة ، وقد تكون دفاعا وذبا عن الحمى وحيثذ تلحق بباب الجهاد والحرب ولكل منهما حدود وقوانين

الاسلام والنصرانية بالمغرب

جاء في المعاهدة التي ابرمها السلطان المستنصر الحفصي سنة ٦٦٨هـ (١٢٧٠م) مع ملك فرانسافليب الجريء، وشارل دوق انجو، وتيبو ملك نافار، ن للرهبان والقساوسة المسيحيين الاقامة بالمملكة الحفصية تحت رعاية الدولة الاسلامية، ولهم اتخاذ الكنائس والاديرة لاقامة شعائرهم الدينية وطقوسهم التقليدية والقاء المواعظ الخ... كما لو انهم كانوا في ديارهم وبين اظهر قورهم، واعطيت لهم الارض الكافية لذلك؛ فتكاثر يومئذ عدد النصارى ببجاية وغيرها من بلاد الجزائر وتونس وطرابلس، وانتشرت معابدهم بها، وذلك غاية في التسامح وفي التاريخ المذكور سقطت جزيرة «ميورقة» بيد «يعقوب» الاول ملك «اراغون» فذهب اليها الراهب الفرنسي «ريموندلول» فوجدها صالحة لبث تعاليم المسيحية ونشر مبادئ مذهبه «الفرانسيسكي» (١) فابتنى بهاديرا لاجتماع الطائفة به واتخذ مركزاً للتبشير بعقيدته، وفيه اخذ في درس اللغة العربية ليستعين بها على تنصير المسلمين بالمغرب، ولقد بلغ هذا الراهب من الجراءة والحماسة الى ان اتى بجنته في تونس عاصمة المملكة الحفصية وطفق يطعن في الاسلام ويستنقص رسوله الكريم فهم بقتله المسلمون لولا ان ادركته عناية السلطان الحفصي فاتشله من ايدي الرعية وانقذه من الردى وابقاه اسيراً بتونس مدة، ثم اطلق السلطان كبله وفك اسره فارتحل يومئذ الى مدينة الجزائر، ومنها انتقل الى بجاية واستمر يعمل بها على خطته المعهودة في نشر دعوته التبشيرية معلنا عداوته للاسلام فقتل هنالك يوم ١٧ ربيع الاول ٧١٥هـ (٢١ جوان ١٣١٥م)

(١) اسمه القديس الايطالى «فرانسوا داسيز» المولود سنة ١١٨٢ والمتوفى سنة ١٢٢٦م

وبان تأسيس مذهبه هذا سنة ١٢٠٩م

المعتقدات والمذاهب الدينية

ما برح المسلمون في مشارق الارض ومغاربها ينظرون الى علماء الاسلام وائمة مذاهبه والمجتهدين منهم واختلاف اقوالهم وآرائهم في احكامهم وشرائعهم الا كنظرهم الى مذهب واحد وامام واحد، من غير نكير ولا تعصب ولا تحيز ولا اعتراض؛ فليس عندهم ترجيح لهذا عن ذاك ولا تفاضل بين امام وامام او مذهب دون مذهب فالكل على هدى من ربهم ورحمة، والشرعية بينهم كالبحر من اى الجوانب اغترفت منه فهو واحد، وان ما ورد عن هؤلاء الاعلام من الاختلاف في الفتوى وبعض الفروع انما كان عن اجتهاد وجد ودأب منهم رضي الله عنهم في خدمة هذا الدين الحنيف رحمة بالمسلمين، وقد كان سفیان الثوري رحمه الله تعالى يقول: لا تقولوا اختلف العلماء في كذا وقولوا قد وسع العلماء على الامة بكذا؛ اذ كلهم يعرفون من معين واحد سماوى كله خير وبركة، واستمر الحال على ذلك الى ان حدث تقليد اهل المذاهب في القرن الرابع الهجرى وابتدا الجدل.

وبينا المسلمون على ذلك في تقليدهم هذا مطمئنين خاشعين الى ربهم اذ فوجئوا بحادثة وقعت بمصر ايام دولة المماليك البحرية، اختلف فيها الملك الظاهر «بيبرس» العلائى البندقدارى ٦٥٨-٦٧٦ هـ ١٢٦٠-١٢٧٧ م وشيخ الاسلام الوزير تقي الدين بن بنت الاعز، فذهب كل منهما غير مذهب صاحبه، واغتنم حسدة الشيخ و منافسوه فرصة هذا الخلاف المستحدث فزينوا للسلطان قول الحنفية في المسألة اعتراضا على الشيخ تقي الدين الذى كان يرى رأى الشافعية فيها، وكان يومئذ لا يلى القضاء ولا يقدم للحكم بين الناس في مصر الا الشافعية. اتباعا لما كان عليه الايوبيون من قبل، فتوسع السلطان الظاهر يومئذ ٦٦٥-١٢٦٦ م في ديوان القضاء وجعله لاربعة فقهاء من اهل المذاهب الاربعة: شافعي وحنفي ومالكي وحنبلي، وافتى فقهاء الامصار بوجوب تقليد اصحاب هذه المذاهب خاصة وتحريم ما عداها، واقامت لاهلها الخوانق والزوايا والربط، وحسبت

باسمها الاوقاف وعودى من تمذهب بغيرها وانكر عليه . ولم يول قاض ولا قبلت شهادة احد ولا قدم للخطابة او التدريس او الامامة بالمساجد احد ما لم يكن مقلدا لاحد هذه المذاهب الاربعة (١) ولا ادرى ما حجتهم في ايجابهم تقليد البعض من ائمة المذاهب دون البعض ، وكلهم عالم وكلهم مجتهد؟ ... ولعل الائمة الذين رغبوا عن اقوالهم وعن مسائلهم الاجتهادية الشرعية هم اعلم بتلك المسائل او - ببعضها - من غيرهم ؟ ... ومن يدري ؟

.... وكان ما ارادوا وانصرف الناس يومئذ الى تقليد الائمة الاربعة واجتهدوا في استنباط الاحكام واستخراج النصوص الفقهية وتفريع المسائل الشرعية على مقتضى قواعد المذاهب الاربعة ، وتحول اليها طلاب الوظائف والمتطلعون الى نيل الحلا وحيازة المناصب البارزة في الدولة (٢) وكان من المصادفة ان ظهر وقتئذ بمصر رجل زعم انه ولد الخليفة الظاهر بن الناصر العباسي ، وانه نجا بنفسه من مذبحة المغول ببغداد ، وبعد ان ثبت نسبه لدى حكومة مصر رسميا بايعه السلطان بالخلافة - تبركا - ولقبه « بالمستنصر بالله » او « الحاكم بأمر الله » ، فتوهم البعض من سكان الامصار والممالك الاسلامية ان ما اشتهر بمصر من وجوب الاقتصار على تقليد هذه المذاهب الاربعة خاصة انما كان صادرا عن اذن الخليفة العباسي المقيم يومئذ هناك ، فامتثلوا واطاعوا لدولة المماليك واقتصروا منذ ذلك العهد في اخذ

[١] خطط المقرئى ج ٢ ص ٣٤٤ ط بولاق ١٢٧٠هـ . ولقطة العجلان ص ٢٣٤ ط استانبول

١٢٩٦هـ

[٢] كان الشيخ محمد بن الدهان البغدادي المتوفى سنة ٥٩٠هـ ١١٩٤م حنبليا فتشفع ، ثم تحنف حين طلب الخليفة نحويا يعلم ولده النحو ، ثم عاد الى مذهب الشافعية حين شغرت وظيفة التدريس بالنظامية وكان من شرط صاحبها ان يكون المدرس بها شافعيًا ، ولم يكن عهدئذ احد اعلم منه بالفقه والنحو ؛ وكان الامام ابو حيان الاندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ ١٣٤٤م ظاهريا ثم تشفع حين انتقاله الى المشرق ، فتسولى تدريس التفسير بالمنصورية والاقراء بالجامع الاقر بالقاهرة ، وكان يقول : محال ان يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه .

احكامهم الشرعية عن فقهاء هذه المذاهب خاصة والغاء كل ما عداها ، ولم يشذ في ذلك سوى الزيدية باليمن ، والشيعة بفارس والعراق ، والاباضية بعمان والمغرب فتمسك كل من هؤلاء بمذهبه ، وما شذ هؤلاء الطوائف الثلاث عن الامثال لهذا الامر الا لكونهم لا يرون صحة امامة العباسيين ولا يعترفون بخلافهم . ومنذ يومئذ انفردت المذاهب الاربعة بالانتشار والتمسك في البلاد واخذ غيرها في الاندثار والتقلص تدريجيا الى ان اصبحت الامر على ما هو عليه الحال الى الآن (١)

(١) يذكر علماء الاحصاء ان اكثر المذاهب ذيوها وانتشارا في العالم الاسلامي اليوم هو مذهب ابي حنيفة ، فانه الغالب على بلاد الهند وان اتباعه هناك يقدرون بنحو ٤٨ مليون مسلم ، ويكثر مقلدوه ايضا في بلاد العراق والشام والافغان والتركستان — الشرقية والغربية — والقوقاز ، وهو الغالب ايضا على الانراك والالبانيين ، وسكان البلقان والاتحاد السوفيتي ، وفي البرازيل بأمريكا الجنوبية نحو خمسة والعشرين الف مسلم حنفي ، ويقدر الجميع بنحو ١١٨ مليوناً حنفيًا . وبليه في الديوع والانتشار مذهب الشافعية ، فهو الغالب على القطر المصري — ما عدا الصعيد فأت أهله مالكية — وعلى بلاد فلسطين وبلاد الاكراد وأرمينية ، واكثر السنية من اهل فارس شافعية — وفيهم الحنفية — (والاغلبية عندهم شيعة) وجميع مسلمي جزيرة سرنديب - سيلان - جزائر الفيليبين وجاوة وما جاورها من الجزر كلها شافعية ، وكذلك اهل الهند الصينية واستراليا واهل عسير والسنينون في اليمن وحضرموت - عدا عدن - فان فيها بعض الحنفيين ، كما انه يغلب ايضا على أهل الحجاز مع مذهب الحنابلة ، ويتبعه نحو الربع من مسلمي الشام ، ويكثر اتباعه بالعراق - اعني بعد المذهب الحنفي - ويتبعه في الهند نحو المليون مسلم ، وفي تركيا نحو المليون ونصف شافعية كما انه يوجد بقلة في جهات اخرى ، ويقدر المجموع بنحو ٧٣ مليون .

وبليه في نسبة عدد الاتباع المذهب المالكي فانه الغالب على اهل المغرب الاسلامي وارض الصعيد والسودان والكويت وقطر والبحرين ، وله اتباع ومقلدون في العراق والحجاز وفلسطين واكثر اهل السنة في الاحساء مالكية وحنابلة ، ويقدر مجموع المالكية بنحو ثلاثين مليون .

اما الحنابلة فانهم اظهر ما يكون بنجد والحجاز بجانب المذهب الشافعي كما هم فلسطين ايضا ، ونحو الربع من اهل السنة بالشام حنابلة ، ولهذا المذهب اتباع قليلون بقطر والبحرين من النازحين الى هذه البلاد من نجد ، ويقدر عدد اتباع المذهب الحنابي اليوم بنحو مائة الف مسلم . وفي الجزائر اليوم بجانب المالكية نحو الاربعين الف اباضي ، وباضافة ما بجزيرة من اباضيه وهم ٢٠٠٠٠ نسمة ، وما بعمان ٥٩٧٦٠٠ نسمة ، وما ببجل نفوسة بالقطر الطرابلسي ٤٨٠٠٠ نسمة ، كان مجموع عدد الاباضية زهاء ٧٠٥٦٠٠ نسمة .

وانظر ما قدمنا من كلامنا حول حركة المذاهب الاسلامية وتطورها بالجزائر في الجزء الاول صفحة ١٧٧-٢٠١-٢١٩-٢٥٧-٢٦٤-٢٩٤-٣٢٧-٣٥٠-٣٨١

وان هذا العمل وان كان فيه نوع من جمع كلمة المسلمين وتوحيد اتجاههم وصد لتلاعب المغرضين وارباب الدعاوى العريضة فان فيه ايضا تضيقا لسعة الفقه الاسلامي وتحجيرا للافكار الحرة وقتلا للنشاط والبحث العلمي وتعطيلا للشرعية بحمل الاكفاء من الناس على ترك الاجتهاد في تفهم الكتاب والسنة واستنباط الاحكام على ما توجه مقتضيات الحياة وعلى ما يقتضيه تقدم العلم وترقى العقل البشرى واتساع مداركهم ومدارجه وما يتجدد مع الزمن من حوادث ونوازل، وفيه كذلك تسفيه لآراء المتقدمين وطعن في جميع ما ذهبوا اليه من آراء كان لا يراها اصحاب المذاهب الاربعة، في حين انهم كلهم كانوا لا يرون فيما عالجوه من شؤون المجتمع وما بذلوه من وسع في الذب عن حقيقة الدين وما انفقوه من جهود جبارة في استنباط الاحكام والاستدلال عليها بصحيح الكتاب والسنة وتدوينها لخدمة دين الاسلام الخالد الذي لا يسعم كل ما عرف من مذاهبهم - جميعها - الى اليوم فكيف يسعم الاقتصار على هذه الاربعة فقط !.... وفي ذلك ايضا من الجلود المميت للقرائح، والتضييع للعلم بالغاء ما احتفظ به الاوائل من اثر صحيح او اجتهاد صائب، ورحم الله شيخ الاسلام زكرياء الانصاري حيث قال : « اياكم ان تبادروا الى الانكار على قول مجتهد او تخطئته الا بعد احاطتكم بأدلة الشريعة كلها ومعرفتكم بجميع لغات العرب التي احتوت عليها الشريعة ومعرفتكم بمعانيها وطرقها ، فاذا احطتكم بها كما ذكرنا ولم تجدوا ذلك الامر الذي انكرتموه فحيثنذ لكم الانكار والخير لكم ، واني لكم بذلك » ؟ !..... وبالفعل انعدم يومئذ الاجتهاد واغلق باب المغرب الاسلامي كما ذكره العز بن عبد السلام ٦٦٠هـ - ١٢٦١م - وقل انصاره بالمشرق ايضا .

ولو راجعنا رجال هذه المذاهب الاربعة انفسهم واستشرناهم فيما احدث

المحدثون حول مذاهبهم لما وجدنا فيهم واحدا - رحمهم الله تعالى - يرى هذا التحجير او قل التضيق !... فهذا امام دار الهجرة مالك بن انس نراه ينهى الخليفة ابا جعفر المنصور عما وجه اليه عزيمته من حمل الناس على مذهبه قائلا: « لا تفعل ذلك يا امير المؤمنين ، فان الناس قد سبقت اليهم اقاويل ، وسمعوا احاديث ، ورووا روايات ، واخذ كل قوم بما سبق اليهم ، ودانوا الله تعالى به ، فدع الناس وما اختار اهل كل بلد منهم لانفسهم » ، وكذلك نجد الامام هذا نفسه يؤكد في دفع الخليفة هرون الرشيد عما هم به هو الآخر ايضا من تعليق كتاب الموطأ في الكعبة وحمل الناس على ما فيه ، فقال « يا امير المؤمنين لا تفعل فان اختلاف العلماء رحمة من الله على هذه الامة فكل يتبع ما صح لديه عنده ، وكل على هدى ، وكل يريد الله ، وان اصحاب رسول الله اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلاد وكل مصيب » فقال لما الرشيد : وفقك الله يا ابا عبد الله !... ولقد صح عن الشافعي ايضا انه نهى الناس عن التقييد حتى بمذهبه ، وهكذا كان منهاج جميع ائمة السلف رحمهم الله تعالى ، فلم يبلغنا عن احد منهم انه امر اصحابه بالتزام مذهب او الاقتصار على مذهب واحد معين ، بل المنقول والمقرر عنهم جميعهم انهم كانوا يحثون اصحابهم على الاجتهاد في اخذ الاحكام من مصدر الشريعة المطهرة ، وكانوا يرون ان التقصير في هذا معصية واشراف على خطر عظيم ، ذلك لان الحوادث والوقائع في المعاملات لا تتناهى فلا بد اذا من الاجتهاد او الاخذ بجميع مذاهب الاسلام على الاقل ، نعم انهم كانوا يعملون بقتوى بعضهم بعضا ولكن كلهم لسان واحد يقول : اذا صح الحديث فذاك مذهبي ، فما معنى اذا هذا التضيق !؟... اللهم الا ان يقال ان ذلك كان موقتا وفي ظروف مخصوصة منعنا لتسرب التعاليم الدخيلة في الاسلام فمسلم .

ويتصل بهذا ما يرجع الى مباحث اصول الدين وتشعب الجدل الديني في العقائد واختلاف ارباب الفرق والطوائف الاسلامية في المعتقدات وتضارب

انظار ائمة مذاهب علم الكلام واهل الاعتزال كما هو السائد يومئذ بالمشرق ، فان ذلك كله لم يكن منه شيء بالمغرب ، وخاصة في الجزائر فانها بريئة من ذلك ، والناس فيها على عقيدة مذهب السنة والجماعة حسب اصول مذهب الاشعري وتعاليمه التي جاء بها ابن تومرت من المشرق الى هذه الديار ، الا ما كان من جماعة الاباضية فان عقيدتهم ترمي الى الخارجية (١)

وما كان اتحاد الناس هنا بالجزائر والمغرب قاطبة في عقيدتهم الاشعرية وبعدهم عن الآراء الاخرى الا لتمسكهم بمذهب مالك ، وفي ذلك يقول عياض : « وقد نظرنا طويلا في اخبار الفقهاء وقرانا ما صنف في اخبارهم الى يومنا هذا ، فلم نرمذهبا من المذاهب غير -يعنى المالكي- اسلم منه ، فان فيهم الجهمية -والرافضة- والخوارج -والمرجئة- والشيعا -الا مذهب مالك فانا ما سمعنا ان احدا ممن قلد مذهبه قال بشيء من البدع » (٢)

وفي هذا العصر ايضا اخذت الطرق الصوفية تنتشر باشتهار رجالها المؤسسين في المشرق والمغرب ، كالقادرية المنسوبة الى الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفي سنة ٥٦١هـ - ١١٦٦م والشاذلية المنسوبة الى الشيخ ابي الحسن الشاذلي المتوفي سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م ، والنقشبندية المنسوبة الى الشيخ خواجه بهاء الدين نقشبند المتوفي سنة ٧٩١هـ - ١٣٨٩م والى هذه الطرق الثلاثة يرجع سند جل طرق المتصوفة المنتشرة اليوم بالمغرب الاسلامي وغيره ، وكان يومئذ حدوث وظيفة او قل منصب شيخ المشايخ بمصر ، احداثها السلطان صلاح الدين الايوبي ، غير ان الجزائر بقيت نازحة عن الفكرة الطرقية هذه ولم تتأثر بها بهذه الصفة التي هي عليها اليوم الا منذ العهد التركي العثماني فقط .

(١) انظر الجزء الاول من الكتاب ص ١٧٨ و ٢٠١ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص

١٨٠ ط مصر ١٣١٧هـ

(٢) مقدمة كتاب المدارك ص ١٩ ط باليرمو ١٩١٠م

اجل انه لم تكن ارض الجزائر منعزلة تماما او خلوا عن الفكرة الصوفية وطريق القوم ، الا ان علماء الشريعة بها كانوا بالمرصاد لاصحاب الشطحات والخرافات المبتدعة فلم يجروا يوماً على ادعاء الطريق ما لم يكن حقا هو على قدم الجنيد واضرابه ، واليك صورة مصغرة عن موقف علماء الجزائر تجاه هذه الطبقة من الناس :

روى الغبريني في عنوانه عن عالم بجاية الشيخ ابي الحسن عبيد الله الازدي المتوفي بها سنة ٦٩١هـ-١٢٩٢م قال انه كان متنزها عن مقالة المتلبسين وشعوذة المشعوذين غير مسامح في شيء مما يخالف ظاهر الشريعة ولا عامل على شطحات المتصوفة ، ولقد مضى بمسجده ابوا الحسن الفقير (١) المعروف بالطيار مع صاحب له من الفقراء ، ودخلوا عليه في وقت يحيا فيه المسجد ، فجلسوا من غير تحية فأمرهم بالتحية فقال له الطيار « ولذكر الله اكبر » وامتنع من الركوع ووقع بينه وبينهم في هذا كلام ، ولما ظهر منهم التوقف مع هذا المقال وعدم النزوع عن هذه الحال وقع العمل على نفيهم الى المغرب واخراجهم من البلد ؛ والنفي في حق هؤلاء وامثالهم قليل وانما الواجب ان يعاملوا بأسوء التمثيل ، وهؤلاء جملة اغبياء لا علم ولا عمل ولا تصوف ولا فهم وهم مع ذلك يجهلون الناس ويعتقدون ان مبناهم على اساس [٢]

(١) هو لقب عام لاتباع طرق المتصوفة عندنا بالجزائر

(٢) عنوان الدراية ص ٦٣

الثقافة والحضارة والعمران

لم تجد هذه الدولة في خططها التمدنية عن ما قدمناه في تاريخ دولة الموحدين وكيف تجدد عنها وقد درجت من مهدها وتفرعت من ايكثها وتغذت بلبانها... فان معالم حضارة الحفصيين قائمة الى اليوم وآثارهم مشاهدة باقية بدار سلطانهم ومركز حكمهم - تونس - الى الآن؛ فهذه قلاع ومناور وثكنات، وهذه معاهد وقصور ومرسئات، وتلك مساجد ومدارس ودور كتب واسواق وحمامات، وهي كلها تمتاز بطابعها الحفصي وشكلها الانداسي الجميل المرتكز في تخطيطه على فن المعمار الصنهاجي وبنيات بني الاغلب.

والملحوظ على هذه الدولة انها قليلة الآثار بالجزائر وانها قصرت عنايتها العمرانية بعاصمتها ملكها - تونس - دون بقية مملكتها المتسعة بالجزائر اللهم الا شيء تافه يسير كضبعة فرفار التي احدثها بالزاب الغربي السلطان ابو العباس احمد الاول ٧٧٢هـ - ١٣٧٠م وتوسيع قصبة قسنطينة وجامعها الكبير سنة ٨١٦هـ - ١٤١٣م على عهد يحيى المنتخب، وتأسيس مسجد واركله - وارجلان - بالجنوب الجزائري المرسوم على مأذنته اسم الامير ابي زكرياء الاول فقط، ولا اعلم لهذه الدولة من آثار لها بالجزائر باقية غير هذه ولعل عذرهما في ذلك هو انصراف الحكومة يومئذ الى اخمد الفتن والثورات بالمغربين - الاوسط والادنى - واشتغال ولاية الامر بانقسام المملكة بين الجزائر وتونس واهتمامهم برد عادية المزارعين لهم من بنى مرين ومنافسيهم من بني زيان وشيوخ العرب ورؤساء القبائل البربرية الخ... وايا ما كان فان فضل بني ابي حفص على فن المعمار لا ينكر.

اما عن الاقتصاد فان الجزائر كانت مزدهرة بما فيها من اسواق قائمة وتجارة رائجة في انواع الحبوب والتمور والماشية والصوف، وخاصة بمدينة قسنطينة وبجاية وسطيف وميلة والقلعة وارض الزاب، وسير القوافل كان يومئذ منظماً ما بين الجزائر والسودان، وكذلك المواصلات بحرا ما بين المملكة

الحفصية والولايات الاطالية كطائونية وصقلية وجنوة ؛ فانه كان لهذه الدول الغربية معاهدات وعلاقات تجارية مع الجزائر وتونس وكانت لها محطات ومستودعات لتبادل التجارة منبهة بكامل سواحل الشمال الافريقي كمركز بونة وبجاية، فمن هذه كانت تستورد حاجياتها الضرورية من حبوب وزيت وسمك وصوف ومرجان وانواع البسط والجلد الخ .. وذلك ما كانت الجزائر ولا تزال تغله الى الآن، وان المملكة الحفصية كانت بدورها كذلك تستورد من الخارج انواع الزجاج والمصوغ وادوات الحديد الصناعية الخ . . فازداد بذلك ثراء الرعية ، وبلغت ثروة اسرة القائد نبيل عشرين قنطارا ذهبيا ناضبا ومثلها من قيمة الجواهر والعقار والاثاث ...!

وفي الميدان العلمي نرى التعليم يومئذ منتشر بالكتاتيب والمساجد التي هي معاهد الاسلام العلمية منذ وضع الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم حجر مسجد الاسلام بالمدينة من اول يوم الى الآن، ويكفي ان نعلم ان ما ذكره ابن خلدون في مقدمته الحافلة من انواع جميع العلوم والمعارف والفنون والصناعات انما كانت كلها تدرس بالمساجد ، ولقد تلقاها هو نفسه في المساجد، وكان رحمه الله يتطوع بنفسه لنثقيف طلبة العلم بالتدريس في مساجد الجزائر كما يؤخذ من سيرته في بجاية بمسجد القصبة على عهد ولايته الحجابية لامراء هذه الدولة، تالك هي المساجد التي هدمها وخربها الاستعمار واخلى بقيتها من المدرسين ...! وان حركة التأليف كانت مطردة بالجزائر كما تشهد بذلك كتب التراجم وفهارس العلماء ، فان مقدمة ابن خلدون وضعها مؤلفها بالجزائر بقلعة بني سلامة بالجنوب الغربي قرب مدينة «فرندة» من مقاطعة وهران سنة ٧٧٦هـ (١٣٧٤م)، وان كلام الامام عبد الرحمن الثعالبي واحمد المغراوي واحمد بن بونس القسنطيني وابي العباس احمد بن اديس البجائي وحزمة بن محمد البجائي ومحمد ابن احمد الوانوغوي ومحمد بن عبد القوي البجائي وبنته رقية ومحمد البقاوسي ومنصور بن محمد المتناني وناصر بن احمد بن مزني واسرة

المشذالى فى آخرين من العبقرين النبغاء الذين لا يقلون عن هؤلاء ثقافة وعلماء وادباء
كلهم انجبتهم الجزائر الحفصية ، واذا كان ابو على المسيلى المعروف بأبى حامد الصغير
حين يشار اليه بالتفرد فى العلم يقول : ادركت ببجاية ما ينيف على تسعين مفتيا
ما منهم من يعرف الحسن بن على المسيلى من يكون ، فما ظنك بالادباء والنساج
والمحدثين وغيرهم (١)

ويحدثنا الغبريني فى عنوانه بشيء من التفصيل عن كتب الدراسة والفنون التى
كانت تدرس عهدئذ بالجزائر ، فهو يذكر لنا من دواوين امهات الفقه موطأ الامام
مالك والتهذيب للبرادعي والجلاب والتلقين للقاضى عبد الوهاب البغدادى -
ومختصر بن ابي زيد ورسالته الشهيرة - والمدونة وكتاب عبد الله بن عبد الحكم -
والتفريع لابن الجلاب - والتبصرة للخمى - وكتب ابن العربى والمازرى والقاضى عياض -
ولم يكن يومئذ يعرف بالجزائر او غيرها من بلاد المغرب مختصر خليل حتى
جاء به محمد بن الفتوح التلمساني سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢ م) فاقبل عليه الناس وعنوا
به وتناولوه بالشرح والتدريس مكتفين به عن بقية دواوين الفقه المالكي وامهاته
وفي الاصلين كتاب الارشاد لامام الحرمين والمستصفي للغزالي - والمعالم -
وكتاب الباقلاني وابن فورك - والسنن للشافعي - وكتاب أليث بن سعد البصري -
وجامع الخيرات لسفيان بن عيينة

وفي التفسير كتاب الكشف للزخشري واحكام القرآن لابى الحسن على بن
محمد الطبرى - والكشف والبيان عن تفسير القرآن لابى اسحاق احمد الثعلبي
والتحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل لابى العباس المهدوى -
والوجيز فى شرح كتاب الله العزيز لابن عطية المحاربى الفرناطى

وفي الحديث كل الصحاح - ما عدا ابن ماجة فانه لم يذكره الغبريني فى
برنامجهم - وكتاب التمهيد لابن عبد البر القرطبى ، والمنتقى للباجسى ،

والمختار الجامع بين المنتقى والاستذكار للقاضي ابي عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني ومسند احمد بن حنبل

واما علوم اللغة والادب فانها كانت تدرس بالجزائر في كتاب سيوية والايضاح لابي على الفارسي - والجل للزجاجي - والعقد الفريد لابن عبد ربه - وزهر الاداب للحصري - والقانون لابي موسى الجزولي - والمفصل للزحشرى - وادب الكتاب لابي محمد بن قتيبة - وامالى القالى - وديوان الحماسة لابي تمام وشعره وشعر المتنبي وابي العلاء ومقامات الحريري - ومقصورة ابن دريد

واما التصوف فانه كان يدرس في كتاب قوت القلوب لابي طالب المكي - والرسالة المنسوبة للقشيري - وكتب ابي الفرج بن الجوزي - ورسالة فضل مكة لابي سعيد الحسن بن ابي الحسن البصري

واما عن صناعة الطب فانها كانت - كما يقول الغبريني - اشد الصنائع ضياعا في بلادنا ذلك لانها يتعرضها الغث والسمين ولا يقع بينهما التمييز الا عند القليل من الناس؛ وهو يذكر لنا من كتب الطب المتداولة بينهم كتاب القانون لابن سينا وارجوزته المشهورة في الطب ، وكان ممن برع في هذه الصناعة واشتهر امره يومئذ بالجزائر الطبيب ابن اندراس فانه كان ماهرا في علمه باحثا محيدا تصدر لاقراء العربية والطب ببجاية وكانت دروسه ومحالسه العلمية حافلة بأذكاء الطلبة واعيان العلماء ويجرى فيها من الابحاث الدقيقة ما يعز وجوده في بطون الكتب ، وكان ابن اندراس هذا على راس الاطباء المختصين بقصر الامارة في بجاية وبها وضع ارجوزته في الادوية ، ثم استدعاه المستنصر الحفصي الى تونس فسلكه في طبقة اطبائه المختصين به (١)

ولم يذكر لنا الغبريني عن كتب الفلسفة والمعقول شيئا سوى علم المنطق فانه ذكر بأنه كان يدرس عندهم على طريقة الفارابي وابن سينا وغيرهما من الاقدمين والمحدثين والمتوسطين ، وذكر من كتب المعقول المتداولة بينهم كتاب النجاة والاشارات والتنبيهات وكلها لابن سينا. والذي يبدو من كلام المقرئ في ازهار الرياض وابن خلدون في مقدمته انه لم يكن ببلاد المغرب يومئذ تحقق تام وتمكن من ناصية فنون الفلسفة والعلوم العقلية ؛ بحيث اننا لا نكاد نجد من آثارها ورسومها بالجزائر في هذا العصر الا قليلا عند امثال القاضى محمد بن ابراهيم الاصولي واضرابه، ذلك ان اهلها مع قلتهم كانوا مضطهدين من قبل علماء النقل الجامدين المتزمتين (١)

ويحدثنا التاريخ عن فخامة مكتبة الدولة الحفصية بما لم يعهد مثله يومئذ عند اى حكومة من الدول المعاصرة بالمغرب - وخاصة في اوربا - فان عدد كتب المكتبة الدولية بلغ الى ست وثلاثين الف مجلد ؛ (٢) بينما كانت مكتبة باريس في مفتتح القرن الرابع عشر المبلادى لا تزيد على بضع عشرات من الكتب ، ومثلها كذلك مكتبة «اوكسفور» Oxford من بلاد الانكليز فانها عهدئذ عبارة عن صندوق واحد فيه بضع مجلدات مجعولة تحت رحمة رئيس رهبان كنيسة مريم

ورغم كل ما ذكرنا من تقدم الحضارة وتوفر اسباب الثقافة والمدنية في هذا العصر فقد سجل التاريخ عجز دولة الحفصيين عن وقاية المغرب من سقوطه من قمة مجده الشامخ التى تبوأها ايام دولة الموحيدين ، ولكل امة اجل

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٣٤ وازهار الرياض ج ٣ ص ٢٦

(٢) مما يذكره التاريخ بكل اسي ان هذه الكتب التى جمعها ابو زكرياء الاول تفرقت وبيعت سوق الكتبيين بتونس أيام حركة اللحياني الى قابس اوائل سنة ٧١٧هـ ١٣١٧م ؛ ولقد كان «ن حسن الجند ان عوضها الامراء بعده بمكتبات شتى

انهيار الجزائر الحفصية

لم تزل الدولة الحفصية حاكمة على القطر الجزائري الى ان دهمها الشقاء ونخر عظمها الخلاف والافتراق وظهر في الولاة والرؤساء حب الترف والاسراف والانهماك في الشهوات، فذهبت هيبتهم من الصدور وخلت عن توقيرهم النفوس، فاستطاع بالدولة سماع سوء وخفت نشاطها السياسي، وشعر الاجانب بضعفها فارتاح لها اهل الحروب الصليبية فهاجمها لويس التاسع ملك فرنسا ومات هنالك بتونس كما تقدم؛ وهاجمها ايضا كارلوس صاحب صقلية؛ وذهب اليه يومئذ بالاسبان الذين انتصروا يومئذ على المسلمين بالانداس الى غزو القطر الجزائري فاحتلوا المرسى الكبير بوهران سنة ٩١٠هـ (١٥٠٤م) وزحفوا نحو تلمسان ومستغانم وتنداس - دلس - وبجاية واستولوا على قلعة مرسى «الجزائر» فهدموا منها منارها الذي انشأه المسلمون لمراقبة العدو منه وبنوا مكانه حصن «البنين» وقد كان ذلك سنة ٩١٦هـ (١٥١٠م) بقيادة «الكونت دونافار»؛ ويومئذ خرج الى الجزائر الحفصى المقيم بقسنطينة متواريا الى قلعة بنى عباس فاستقر بها الى ان ظهر الاتراك العثمانيون بتونس فقاومهم السلطان الحفصى الحسن بن محمد مستعينا عليهم بالاسبان؛ فتحولوا عنه الى مدينة «جيجل» بالجزائر ففتحوها سنة ٩١٩هـ (١٥١٣م). وكانت ولاية بونة لاحد بن الحسن الحفصى فنزل عنها للاسبان جزاء حمايتهم ودفاعهم عن تونس ضد الاتراك. وبقي هو مقيما بها الى ان بويع له بالملك مكان ابيه سنة ٩٤٣هـ (١٥٣٦م) فانتقل يومئذ الى تونس، وكان ذلك آخر العهد بالدولة الحفصية في الجزائر

وتمكن البرتغاليون يومئذ من احتلال بعض المراكز الهامة من الشمال الافريقى فأقاموا فيه محارس وحصونا، واضحت الاراضى الداخلية نهبا متنازعا بين بداء الاعراب والقبائل البربرية - او قل المغربية - المستقلة التى كانت تأبى الخضوع والطاعة لنظام الدول الوطنية الحاكمة، فضلت متحاربة متنافرة تفسح للاجنبى

فرصة النصر والظفر ؛ وكان ذلك كله سببا مباشرا في تدهور الدولة الحفصية واضمحلال سلطانها وتضعف كيائها ، فسقطت نهائيا بيد الاتراك الفاتحين يوم ٢٥ جمادى الاولى سنة ٩٨١هـ (٢٤ سبتمبر ١٥٧٣م) واسر آخر ملوكها محمد بن الحسن فنقل من تونس الى استانبول وبقي هنالك الى وفاته بها ، وباتتقاله انقرضت دولة الحفصيين من المغرب بعد ما حكمت ٣٥٤ سنة قضت منها بالجزائر ٣١٥ سنة

ولاية الجزائر وزعمائها

كان من اشهر ولاية الجزائر - فاتحة عهد الدولة الحفصية - الامير ابو زكرياء . سبي الاول ، حيث ولاه والده ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص ولاية بجاية ، وجعل وزارته ليحيى بن صالح بن ابراهيم ، ومشورته لابن ابي مهدي ، وجبايته لعبد الحق بن ياسين ، وعقد للعباس بن منديل على بلاده مغراوة بشلف وكانت حاضرتها مليانة ، ومنحه بها شبه استقلال وتصرف داخلي ، فاتخذ العباس ذلك ذريعة لاطهار ابنته الملك وشارة السلطان . وكان يومئذ عبد القوي بن العباس بن منكوش على ولاية توجين

ولما فتح السلطان ابوزكرياء الاول مقاطعتي قسنطينة سنة ٦٢٨هـ (١٢٣٠م) اقطعها لبنى النعمان - هم من قبيلة هنتاتة بالمغرب الاقصى - ام يزالوا ولاية بها الى ان نكبوا على يد السلطان المستنصر سنة ٦٥١هـ - ١٢٥٣م فتولاها يومئذ ابن كلداسن - من مشيخة الموحدين - فأقام هو بتونس وانا بعباس بن موسى بن عيسى الكومي المعروف بابن الوزير ، فمكث هذا بقسنطينة الى ان عين من طرف المستنصر محافظا بها

ولما استبد ابو علي الملياني بعاصمة مغراوة - مليانة - سنة ٦٥٩هـ - ١٢٦١م هز له السلطان المستنصر الاول اخاه الامير عمر فأخضعه ، وفي عودة الامير من غزاته هذه وافاه - وهو بطريقه - الى تونس - عقد الولاية على بجاية جزاء بطولته

وموقفه الحربى ضد السائر الملىانى المستبد بمغراوة ؛ فامتنع عمر من قبول هذه الولاية واستعفى اخاه السلطان منها فأعفاه وولى عليها يومئذ ابا هلال عياد بن سعيد الهنتاتى ، فمكث بها الى وفاته بقرية بنى ورار سنة ٦٧٣-١٢٧٤ م ، فخلفه عليها ولده محمد ، فخشى السلطان استبداده فأشرك معه فى العمل ابا العلاء ادريس بن عبد الملك الغافقى وجعله على اشغال بحاية ، وكان ذلك بسعى من اخيه كاتب الدولة ابن الجبير ؛ فوجد محمد بن هلال فى ذلك مضايقة له ، فعمل على التخلص من ابي العلاء بقتله فى ذى القعدة ٦٧٧ هـ-مارس ١٢٧٩ م

ويقول الغبريني انه لما انفصل جيش بحاية مع جيش افريقية لحصار مليانة ، وبقيت البلاد شاغرة عاث المفسدون فى الخارج وافسدوه وامتدت الايدى ووقع هرج عظيم ، فقام بأمر الناس قاضى بحاية وامام جامعها الاعظم الشيخ ابو العباس احمد بن محمد بن الغماز الانصارى ووقف خير موقف وحفر الحفير على البلاد وشيد ما احتاج الى التشييد من الاسوار وظهر من عقله وفضله ونبله وجده واجتهاده ما حمد به امره وجل به قدره (١) فعد بذلك من زعماء الجزائر ورؤسائها العاملين ؛ اما قسنطينة فقد كان على راس قيادة جيوشها فى التاريخ-ايام الوائق (٦٧٥-٥٧٨) ١٢٧٧-٧٩ م- عبد العزيز بن عيسى بن داود الهنتاتى

وفى سنة ٦٧٩ هـ-١٢٨٠ م ولى السلطان ابراهيم الاول ولده الاكبر ابا فارس عبد العزيز على بحاية ، وجعل حجابته لمحمد بن ابى بكر بن خلدون جد المؤرخ الاقرب ، ولم تكد تمر ثلاثة اشهر وثلاثة عشر يوما على حجابة ابن خلدون هذا حتى قتل على يد ابن ابي عمارة الداعى . وفى سنة ٦٨١ هـ-١٢٨٢ م قتل عامل قسنطينة ابو بكر بن الوزير اقتصاصا منه بسبب خلم طاعته وثورته ضد الحفصيين ، وكان قتله على يد عبد العزيز الهنتاتى قائد الجيوش الاعلى بقسنطينة ؛ وجعل مكانه ابو محمد بن بوفيان الهرغى

وفي سنة ٦٨٤هـ - ١٢٨٥م عاد يحيى بن ابراهيم لامتلاك بجاية بمساعدة
الدواودة ، فانتصر في حركته هذه واستقل بمملكة الجزائر وكان بذلك اول من
قسم المملكة الحفصية الى شطرين : غربية وشرقية ؛ واتخذ لنفسه لقب « المنتخب
لاحياء دين الله » وجعل حجابته لابي الحسن بن سيد الناس الاشبيلي فلما توفي
الحاجب المذكور ٦٩٠-١٢٩١م خلفه ابو القاسم بن ابي حى الاندلسي ؛ وفي سنة
٦٩٨هـ - ١٢٩٨م عهد المنتخب لابنه خالد بولاية عهده وولاه على قسنطينة ؛ وكانت
اقامة المنتخب تارة بقسنطينة وتارة ببجاية ، ولم يزل كذلك الى ان وافاه اجله ببجاية
سنة ٧٠٠هـ - ١٣٠٠م . وبعد وفاته انتقل ولده خالد الى بجاية فاستوزر بها يحيى
ابن ابي الاعلام ، وجعل القيام بشؤون دولته لابي عبد الرحمن بن غمر ، وولى
قسنطينة على بن الامير الهمداني صهر الحاجب بن ابي حى ؛ وفي سنة ٧٠٥هـ -
١٣٠٥م عزل الحاجب المذكور بتهمة موالاته لابي عصيد خضم الامير خالد
وتولى مكانه ابو عبد الرحمن يعقوب بن غمر السلمي ؛ وبومئذ غير ابن الامير
سياسته تعصبا لصهرة وحول وجهته نحو ابي عصيد فدعا له ونادى باسمه ملكا ،
فنهض الامير خالد الى قسنطينة فقتل عاملها المذكور واستعاد قسنطينة اطاعته

ولما انتقل الامير ابو البقاء خالد بن يحيى الى تونس سنة ٧٠٩هـ - ١٣٠٩م عقد
لعبد الرحمن بن المزوار يعقوب بن خلوف الصنهاجي على بجاية تحت رعاية واشراف
الحاجب ابن غمر ، وبسعي من الحاجب المذكور عقد لاخته ابى بكر بن يحيى
على قسنطينة وكان قد ولد ونشأ بها ؛ ولما صار الامر الى السلطان ابى بكر
هذا الملقب (المتوكل على الله) وانتقل من قسنطينة الى تونس سنة ٧١٨هـ -
١٣١٨م استقل الحاجب بن غمر بولاية قسنطينة وما والاها من التراب
الجزائري الى ان توفي بعد ذلك بسنة ، فولى السلطان بومئذ اعمال الجزائر لبنيه ؛
فجعل ولاية قسنطينة لابي عبد الله محمد المزداد والناسي بها ؛ وبجاية لابي زكريا
يحيى ؛ وبوننة - غابطة - للفضل ؛ وبعث معهم الحجاب والوزراء والقادة ؛

ثم تولى على اعمال قسنطينة الامير ابو العباس احمد بن السلطان ابي يحيى ابي بكر ٧٣٥هـ - ١٣٣٤م وكان على حجابته ابو القاسم بن عبومن مشيخة الموحدين وفي سنة ٧٤٠هـ - ١٣٣٩م هلك محمد بن السلطان ابي يحيى ابي بكر عامل قسنطينة . فتولى مكانه ولده ابو زيد عبد الرحمن تحت كفالة مولاها نيل . ولما هلك ابوزكرياء والي بجاية نجل السلطان سنة ٧٤٦هـ - ١٣٤٥م قدم البجائيون مكانه ابنه محمداً ، وكان حاجبه فارح الملعوجي بن سيد الناس ، واستمر ابو زيد ومحمد على ولايتهما هذه الى يوم استيلاء ابي الحسن المريني على المملكة الحفصية سنة ٧٤٨هـ - ١٣٤٦م فشردا امراء بني ابي حفص ، ونقل محمداً الى ندرومة وعبد الرحمن واخوته الى وجدة . وابقى صهره الفضل ببونة .

وفي سنة ٧٥٦هـ - ١٣٥٥م نهض ابو زيد عبد الرحمن بن محمد من عمله بقسنطينة فدخل بونة مستنصرا عمه الفضل واجلب على تونس تاركا ولايته لاخته ابي العباس احمد . ثم بعد سنة وقعت ولاية قسنطينة بيد المرينيين فقبضوا عليه ونقلوه الى سبتة .

وفي سنة ٧٦٢هـ - ١٣٦٠م اقطع ابو العباس امير بجاية ولد اخيه ابا عبدالله محمدا اعمال بونة ، واشتهر من رؤساء الحند ببجاية يومئذ القائد البشير وفي رمضان سنة ٧٦٥هـ - جوان ١٣٦٤م احتل الامير محمد بجاية وافتكها بمعاونة بني مرين من يدعمه ابي اسحاق ابراهيم ؛ واستدعى لحجابه مفضرة المغرب الاسلامي عبد الرحمن بن خلدون وكان عبد الرحمن هذا يومئذ صحبة السلطان ابي سالم المريني بفاس . فبعث بأخيه يحيى كنائب عنه ومحاظ على الرسم الى ان عاد اخوه عبد الرحمن بن خلدون من الاندلس فاستقل بحمل اعباء الملك وتدير السياسة ببجاية ، وباشر بنفسه التدريس والخطابة بجامع قصبتهما نحو سنتين الى ان سعى به خصومه ومنافسوه الى السلطان ابي العباس احمد فخرج ابن خلدون من بجاية الى بسكرة بعد ما عاش في كنف الجزائر وتحت رعاية ملوكها الحفصيين

نحو سنتين ، ولما انتقل السلطان الى تونس ٧٧٢هـ - ١٢٧٠م استحب معه اخاه ابا زكرياء ونقله من ولاية بونمة الى منصب الحجابة بتونس ، وجعل مكانه ولده محمدا ومن هنا بعث السلطان بولديه محمد و ابراهيم الى الجزائر فجعل الاول على بجاية والثاني على قسنطينة ، وارسل معهما القادة والحجاب .

وفي سنة ٧٧٣ هـ - ١٣٧١ م عقد السلطان على قسنطينة للقائد بشير ، وبعد وفاته سنة ٧٧٩ - ١٣٧٧ م جعل السلطان هذه الولاية لولده ابي اسحاق ابراهيم مستقلا بها ، وقد كان بها من قبل تحت وصاية القائد نبيل لمكان صغره . ولما توفي الامير محمد صاحب بجاية سنة ٧٨٥ هـ - ١٣٨٣ م خلفه في منصبه ولده احمد اما اخوه ابراهيم صاحب قسنطينة فانه توفي بعد اخيه بثاني سنوات فخلفه في ولايته كاتبه ابراهيم بن يوسف الغماري ٧٩٣ هـ - ١٣٩١ م

وبعد ان استولى السلطان عزوز الحفصي على قسنطينة واحتلها في رمضان ٧٩٨ هـ جوان ١٣٩٦ م قدم لقيادة الجند بها قائده نبلا ، وجعل على قصبتها الشيخ قاسم بن احمد بن تافراكين التينملي ، وولى اخاه زكرياء على بونة ثم نازل بعد ذلك نواحي لوراس فضل الطريق هو وجنده وكاد ان يهلك .

وفي سنة ٨١٠هـ - ١٤٠٧م انتصر المرينيون للامير محمد الحفصي المنهزم اليهم فأمدوه بالاسلحة والعتاد الحربي ، حتى اشتد ساعده وعظم باسه فتقوى بذلك على فتح بجاية ، وعقد لابنه المنصور عليها ، فنهض السلطان عزوز لمقاومة الامير محمد الى ان ظفر به فقتله في المحرم ٨١٢ هـ - ماي ١٤٠٩ م واسر ولده المنصور وجعل ولاية بجاية لابي البقاء خالده ، ثم عزل ابو البقاء هذا بالمعتمد بن السلطان ابي فارس سنة ٨٢٤ هـ - ١٤٢١ م ثم عزل كذلك المعتمد سنة ٨٣٤ هـ - ١٤٣٠م وتولى مكانه القائد ابو نعيم رضوان مملوك السلطان .

وفي هذه السنة قتل الذواودة قائد قسنطينة جاء الخير في معركة كانت بينهم فعقد السلطان ابو فارس لمملوكه محمود عليها ، فدخلها في ثاني عشر رجب

ثامن افريل- من سنته هذه ؛ وفي سنة ٨٣٧هـ-١٤٣٣م ولى السلطان محمد المنتصر على قسنطينة أخا ابا عمر عثمان وجعل ولاية بجاية لعمه ابي الحسن على بن عزوز ابي فارس . وفي سنة ٨٤٠ هـ - ١٤٣٦ م تنازع والي قسنطينة عثمان اخ المنتصر مع عمه علي بن عزوز صاحب بجاية على الملك فتحاربا وكان النصر بينهما سجالا واخيرا تغلب عثمان على عمه ودخل بجاية فى جمادى الثانية ٨٤٣ هـ - نوفمبر ١٤٣٩م فولى عليها ابن عمه عبد المؤمن بن احمد فاغتيل هذا اوائل سنة ٨٤٦ هـ ١٤٤٢م وخلفه اخوه ابو محمد عبد الملك ؛ كما تولاها كذلك محمد ابن فرج سنة خمسين . ثم فى سنة ٨٥٦ هـ - ١٤٥٢ م اعتقل عبد الملك بن احمد بتونس وتولى مكانه احد موالي السلطان ، فأصبحت الجزائر يومئذ بيد الموالي ، وفى هذه السنة كانت ولاية بسكرة للقائد ابي زيد عبد الرحمن الكلاعي .

واشتهر من رؤساء تبسة فى سنة ٧٥٣ هـ - ١٣٥٢ م محمد بن عبدون ، ومن رؤساء عرب رياح المقيمين بضواحي قسنطينة وبجاية حوالي سنة ٧٨٨ هـ ١٣٨٦ م يعقوب بن علي بن احمد ؛ وفى سنة ٨٥٩ هـ - ١٤٥٥ م عقد السلطان لولده عبد العزيز على بجاية واطاف اليه كذلك ولاية قسنطينة واعمال بسكرة وتقرت ، وفى سنة ٨٦٧ هـ - ١٤٦٢ م عقد السلطان حفيدة محمد المنصور بن محمد المسعود على ولاية قسنطينة وجعل بين يديه مزوارا القائد ابا علي منصور الصبان ، والقائد بشيرا على المدينة .

وكانت رئاسة الزاب لبني مزني ، اشتهر منهم الفضل بن علي وولده المنصور وابنه يوسف وعلي وحسن وأحمد ؛ ورئاسة بني تليلان المعروفين باسم اولاد ثابت المقيمين بجبلهم المطل على القل شمال ميلة وقسنطينة للحسن بن ابراهيم بن ابي بكر ابن ثابت ، وآخرهم على ورئاسة قبائل سدويكش بالبسائط الواقعة بين قسنطينة وبجاية هي لاولاد سواق ثم كانت لبني سيلين ، وكان من اشهر الرؤساء فى اولاد سواق علي بن علاوة بن سواق ، ثم ابنأؤه : طاحمة فيحيى

فمنديل الذي عزله السلطان ابو بكر وادال من بني علاوة بني عمهم اولاد يوسف بن حو بن سواق . وممن اشتهر من رؤساء احياء سدويكش القاطنين بجبل بابور وما اليه من نواحي بجاية : صخر بن موسى ، اختصه السلطان ابو يحيى بهذه الرئاسة وكانت له مقامات في خدمته وعرف بالوفاء لابنه الامير ابي حفص ، فلم يزل معه الى ان اوقع بنو مري بن بناحية قابس فقطعه السلطان ابو الحسن المريني من خلاف ثم هلك ، فيخلقه حينئذ ابنه عبد الله وكان له شأن في خدمة صاحب بجاية الى ان هلك اعوام الثمانين فخلقه ابنه محمد [١]

وكانت رئاسة وادي ريغ ، بالجنوب الجزائري ، للدواودة ، اشتهر منهم عبید الله بن يوسف بن عبد الله ، ثم ابنائه داود فيوسف فمسعود ، ثم الحسن بن مسعود ثم ابنه احمد الذي تولى رئاسة قومه على عهد ابن خلدون ؛ وحاضرتهم يومئذ مدينة تمرت . وكان يوسف بن حسن ايضا من بيت مشيختها فامتنع يوما من اداء جبايته للسلطان ابي عمر وعثمان سنة ٨٥٣ هـ - ١٤٤٩ م فاقبح عليه السلطان المدينة واسره في بنيه واهله وذويه . ورئاسة تماسين ، من وادي ريغ كذلك كانت لبني ابراهيم الريفين ، ورئاسة وارقلة لابني بكر بن موسى بن سليمان من بني ابي غبول - فخذ من بني وكير احدى بطون بني واركلة - اما رئاسة ولهاسة ببسيط بونمة هي لعسكر بن بطن من بني عريف ، ورئاسته لواته بنواحي بجاية كانت لولد راجح بن صواب اللواتي ، ومشیخة قبيلة بني ايراتن الزواوية كانت لبني عبد الصمد ، وقد ترأست فيهم امرأة تدعى شمس ، كان لها عشرة بنين . ويبدو ان آخر ولاية الحفصيين بالجزائر هو الامير احمد بن الحسن ، ولي اعمال بونمة ايام والده السلطان الحسن بن محمد الى ان نبذ التونسيون عهد والده وابعوا ولده المذكور مكانه سنة ٨٤٣ هـ - ١٥٣٦ م كما تقدم الالمام الى ذلك . اما عن رئاسة البحر وقيادة الاسطول الحفصي فاني لم اقف على تسمية رجال هذا السلك سوى اسم زيدون بن فرحون مع انه كان لهذا الاسطول حركة مستمرة بهذا البحر

ملوك الدولة الحفصية

تاريخ التولية

١٢٢٩ هـ ١٢٢٧ م	ابوزكرياء يحيى (الاول)
١٢٤٩ هـ ١٢٤٧ م	ابوعبد الله محمد (الاول) المنتصر
١٢٧٧ هـ ١٢٧٥ م	ابوزكرياء يحيى (الثاني) الواثق
١٢٧٩ هـ ١٢٧٨ م	ابواسحاق ابراهيم (الاول)
١٢٧٣ هـ ١٢٧١ م	احمد بن مرزوق بن ابي عمارة (الدعى)
١٢٨٤ هـ ١٢٨٣ م	ابوحفص عمر (الاول) المستنصر
١٢٨٤ هـ ١٢٨٣ م	ابوزكرياء يحيى المنتخب لاحياء دين الله
١٢٩٥ هـ ١٢٩٤ م	ابوعبد الله (ابوعصيدة) محمد (الثاني) المنتصر
١٢٩٥ م ٦٩٩	ابوالبقاء خالد الناصر (الاول) - ببجاية، ثم انفرد بالحكم -
١٣٠٩ هـ ٧٠٩	ابوبكر (الاول) الشهيد - ببجاية، ثم انفرد بالحكم -
١٣٠٩ هـ ٧٠٩	ابوالبقاء (الاول) الناصر
١٣١١ هـ ٧١١	ابوبكر (الثاني) المتوكل - بقسنطينة وبجاية -
١٣١٧ هـ ٧١٧	ابويحيى زكرياء اللحياني
١٣١٧ هـ ٧١٧	ابوضربة محمد (الثالث) المستنصر
١٣١٨ هـ ٧١٨	ابويحيى ابوبكر (الثاني) المتوكل
١٣٤٦ هـ ٧٤٧	ابوحفص عمر (الثاني)
١٣٤٨ هـ ٧٤٩	ابوالعباس احمد (الاول) الفضل - بقسنطينة وبجاية -
١٣٤٨ هـ ٧٤٩	ابوزيد عبد الرحمن - بقسنطينة -
١٣٤٨ هـ ٧٤٩	ابوعبد الله محمد المنصور - ببجاية -
١٣٤٩ هـ ٧٥٠	ابوالعباس احمد (الاول) المتوكل - نهائيا -

تاريخ التولية

١٣٥٠ هـ ٥٧٥١ م	ابو اسحاق ابراهيم (الثاني) المستنصر
١٣٦٠ هـ ٥٧٦١ م	ابو عبد الله محمد المنصور - ببجاية -
١٣٦٨ هـ ٥٧٧٠ م	ابو البقاء خالد (الثاني)
١٣٧٠ هـ ٥٧٧٢ م	ابو العباس احمد (الثاني) المستنصر
١٣٩٣ هـ ٥٧٩٦ م	ابو فارس عبد العزيز - عزوز - (المتوكل)
١٤٣٤ هـ ٥٨٣٨ م	ابو عبد الله محمد (الرابع) المنتصر
١٤٣٥ هـ ٥٨٣٩ م	ابو عمرو عثمان
١٤٨٨ هـ ٥٨٩٣ م	ابو زكرياء يحيى (الثالث)
١٤٩٣ هـ ٥٨٩٩ م	ابو عبد الله محمد (الخامس) المتوكل
١٥٢٥ هـ ٥٩٣٢ م	ابو عبد الله محمد الحسن - بن محمد الخامس -
١٥٤١ هـ ٥٩٤٨ م	ابو العباس احمد (الثالث) بن الحسن

مشاهير الجزائريين

يحيى بن عبد المعطى

٥٦٢٨هـ - ١٢٣١م

هو ابو الحسن زين الدين ابوزكرياء يحيى بن عبد المعطى بن عبد النور الجزائري الزواوى، منتمى اصله من قبيلة (آفراوسن) بزواوة؛ ترجم له ابن خلكان ترجمة حافلة، وقال انه : كان احداً ثمة عصره، مبرزاً في علوم العربية شاعراً محسناً كثير الحفظ، وكان من جملة محفوظاته كتاب الصحاح للجوهري، ولد ابن معطى بالجزائر سنة ٥٦٤هـ - ١١٦٩م واخذ العلم عن مشائخ بلده وتفقه بالمذهب المالكي على الشيخ ابي موسى الجزولي، ثم انتقل الى المشرق فتشفع ثم تحنف، فكان في ذلك مثل ابن مالك وابي حيان حين خرجا من المغرب، ولم يأت اولئك ببعد، فقد راينا كثيراً ممن غير مذهبه من العلماء الاعلام وانتقل الى مذهب آخر، كالشيخ محمد بن الدهان النحوي كما تقدمت الاشارة اليه، والخطيب البغدادي الحافظ المشهور فانه كان حنبلياً ثم تشفع، وابن فارس صاحب المجمل في اللغة، كان شافعيّاً ثم انتقل الى مذهب مالك، وابن دقيق العيد كان مالكيّاً ثم تحول الى مذهب الشافعية. في آخرين كثيرين

سكن الشيخ ابن معطى دمشق فسمع بها من ابن عساكر، واقرأ بها النحو فانتفع به خلق كثير، وولاه الملك المعظم مصالح الجامع، ثم ان الملك الكامل بمصر رغب اليه في الانتقال الى القاهرة فانتقل الشيخ الى بلاد الكنانة وتصدر هنالك لاملأ الادب العربي وتدرسه بجامعة العتيق فالتف يومئذ حوله الطلبة واحتفلوا لدروسه واقبل عليه الناس يعظمونه ويكبرون علمه وادبه فأخذوا عنه علماً كثيراً وادباً جماً، واجرى له الملك على ذلك جراية، فأكب المترجم على

التدريس والتأليف فتخرج عنه عدد عظيم . وكان مما وضعه من التأليف الفيتة في النحو المشهورة باسم الدرّة الالفيه في علم العربية وهي التي اشار اليها ابن مالك النحوى في دباحة خلاصته واثني عليه فيها ؛ وهي منظومة من بحر ين بعضها من السريع وبعضها من الرجز ، طالعها :

يقول راجى ربه الغفور يحيى بن معطى بن عبد النور

وهي مطبوعة بمصر ، وللعلماء عليها شروح كثيرة اشهرها شرح الشريشى ؛ وله كتاب الفصول ، وكتاب العقود والقوانين في النحو ، وحواش على اصول ابن السراج في النحو ، وشرح على كتاب الجمل للزجاجى في النحو ، وشرح لايسات سيبويه نظما ، كما نظم الجهمرة لابن دريد في اللغة ونظم كتابا في العروض ، وله قصيدة في القراءات السبع وديوان خطب ، وكتاب المثلث ، وعنى اخيرا بنظم كتاب الصحاح للجوهري فتوفى ولم يكمله ، ويروى له من الشعر قوله عن نفسه متواضعا :

قالوا تلقب زين الدين فهو له نعت جميل به قد زين الامنا

فقلت لا تعذلوه ان ذا لقب وقف على كل بحس والدليل انا ...!

ولم يزل الشيخ على حاله وخطته العلمية موفور الكرامة الى ان وافاه اجله فتوفى رحمه الله بالقاهرة سلخ ذى القعدة سنة ٦٢٨هـ - ٢٩ سبتمبر ١٢٣١م ودفن من الغد على شفير الحندق قرب تربة الامام الشافعى رضى الله عنه

عبد الرحمن بن السطاح

١٢٣١ هـ - ١٢٢٩ هـ

هو ابو زيد وابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن ابي بكر المعروف بابن السطاح
 اصله من مدينة الجزائر وسكن بجاية ثم انتقل في طلب العلم الى الاندلس فدخل
 اشبيلية واخذ بها عن ابي الحسن بن زرقون و ابي بكر بن طاحمة النحوي و ابي
 عبد الرحمن بن علي بن طرفة ؛ ومنها انتقل الى مرسية فاتصل بها بابن القاسم
 الطرسوني فأخذ عنه مقامات الحريري وكتبها اخرى في الادب و علم الاحكام ،
 وهنالك اذن له المشائخ في التعليم فجلس بها للاقراء سنة ١٢١٨ هـ - ١٢٢١ م وكان
 يشتغل فيها بعقد الشروط و تحرير الصكوك وله في ذلك القدم الراسخة والباع
 الطويل فتقدم بذلك على ارباب هذا الشأن في الاندلس ، ثم عاد الى بجاية سنة
 ١٢٢٣ هـ - ١٢٢٦ م فانقطع بها لتدريس العلم محترفا مهنة التوثيق ، فأخذ عنه جماعة
 منهم ابو عبد الله السدقي ، وابو عبد الله بن الطراز. ثم كانت وفاته رحمه الله سنة
 ١٢٣١ هـ - ١٢٢٩ م

احمد بن هلال العروضي

١٢٤٢ هـ - ١٢٤٠ هـ

الاديب الكبير واللغوي الحجة ابو العباس احمد بن هلال العروضي ، من اهل
 مدينة الجزائر ف فيها نشأ وبها تعام وقرأ ثم انتقل الى بجاية فاجتهد في تحصيل
 فنون الشعر والقوافي وتخصص في فن العروض حتى اشتهر به فدعى بالعروضي ،
 وارتحل الى الاندلس فسكن مرسية وعنه اخذ اهلها العروض ومكث بها الى وفاته
 رحمه الله سنة ١٢٤٠ هـ - ١٢٤٢ م

عبد الله بن السكات

٦٤١ هـ - ١٢٤٣ م

هو الامام القاضي ابو محمد عبد الله بن حجاج بن عبد الله بن يوسف المعروف بابن السكات من اشهر بيوتات مدينة الجزائر العريقة في المجد الحائز على رئاسة العلم ايضا بها ، كان والده من قضاة العدل بهذه المدينة .

ولد مترجما بالجزائر في شهر صفر سنة ٥٦٢ هـ - ديسمبر ١١٦٦ م وبها نشأ وتعلم وكان من اشهر مشائخه بها والده والشيخ ابو عبد الله بن الحسن الجزائري : انتقل المترجم الى الاندلس فلقى بمالقة ابا الحجاج بن الشيخ فسمع منه كتاب الاحكام لعبد الحق الاشيلي وغيره من مؤلفات الاندلسيين الفقهية والادبية . واخذ ايضا عن الامام ابن العربي ، وله رواية عن ابي موسى الجزولي . ثم انتقل الى بجاية فتولى قضاءها بعد تأخير ابي عبد الله محمد بن ابراهيم الاصولي المتوفي سنة ٦١٢ هـ - ١٢١٦ م والمترجم له في الجزء الاول من كتابنا هذا صفحة ٣٩٦ وطالت مدته في القضاء وعلى طول مدته في هذه الولاية فإنه لم يتناول من مرتبه شيئا لطعامه وانما كان ينفقه في الصدقة وصلته اهل البر ، وما كان يطعم الا من شيء كان يتناول من عقار له ببلدة الجزائر ورثه عن ابيه ، وكان مشهورا بالعلم والفضل والعفاف عادلا في احكامه مشاورا لاهل العلم فاخذ عنه اناس ؛ وتوفي رحمه الله يوم التاسع والعشرين من شهر جمادى الاولى سنة ٦٤١ هـ - ١٥ نوفمبر ١٢٤٣ م وترك خمسة اولاد كل منهم ساد وحاز المراتب العليا وأفاد .

محمد بن منداس

١٢٤٣هـ - ١٢٤٥م

هو ابو عبد الله محمد بن قاسم بن منداس ، اصله من بلدة آشير ، وولد بمدينة الجزائر فاتح جمادى الاولى سنة ٥٥٧ هـ - ١٨ افريل ١١٦٢م وفيها نشأ وترعرع وتأدب؛ اخذ عن الشيخ ابي محمد بن عبد الله وعلي بن عتيق، وعن نخبة من ذوى الفضل ، ولما ورد الشيخ ابو موسى الجزولي على مدينة الجزائر سنة ٥٨٠ هـ ١١٨٤م لازمه الشيخ ابن منداس واخذ عنه علوم اللغة والادب . كما انه لقي في رحلته الى قابس الشيخ ابا القاسم بن مركان آخر من روى عن ابي عبد الله المازرى ؛ ثم عاد ابن منداس الى بلدة الجزائر مجتهدا في نشر فنون من العلم وخاصة علوم الحديث فكان ممن اخذ عنه ابو عبد الله بن الابار ، وكانت وفاته رحمه الله فاتح شهر المحرم ٦٤٣ هـ - ٢٩ ماي ١٢٤٥م .

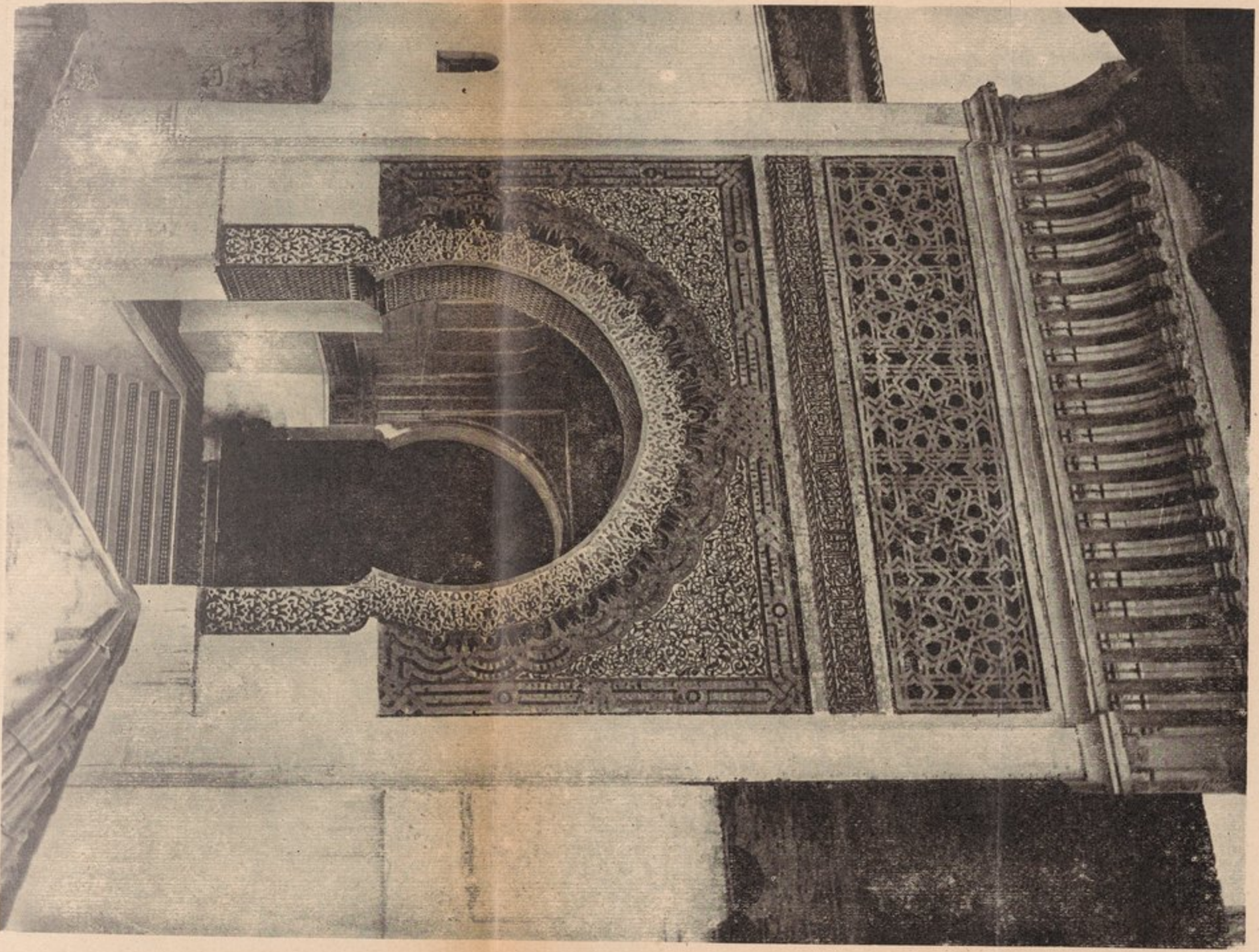
محمد بن الحسن القلعي

٦٧٣ هـ - ١٢٧٤ م

هو عميد اهل الادب وزعيمهم بالجزائر وفحل من فحول الشعراء وامراء البيان وجهابذة العلماء المحققين الراسخين في العلم : العلامة الشيخ ابو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي . نسبة الى قلعة بني حماد (١) التي كان جده ميمون قاضيا بها .

نشأ المترجم بمدينة الجزائر فقرأ على جلة علمائها كالشيخ ابي عبد الله بن منداس الآنف الذكر وغيره ومنها انتقل الى بجاية فاجتهد في تحصيل العلم والادب بها واستوطن هنالك فتخرج على يد اساتذتها الكبار منهم الشيخ ابو الحسن الحرالي، والفقيه ابو الحسن بن ابي نصر ، والفقيه ابو بكر بن محرز ، والفقيه ابو المطرف بن عميرة وابو زيد بن السطاح في آخرين من نخبة الادباء والعلماء

(١) برع الشيخ في فنون كثيرة من العلم وخاصة الادب فانه كان آية في تجربته غزير المادة فيه تقرأ عليه جميع امهات كتب الادب والشعر فيقوم على جمعها احسن قيام ، وكان يحضر محاسن الكثير من فضلاء الطلبة ونبهاهم ، وكثيرا ما كانت تعرض عليه المسائل العويصة والمشاكل المختلفة في التفسير والحديث وغريب الشعر وغيره فيتصدى لشرحها وتحليلها بكيفية عجيبة مما لا يكاد يوجد عند غيره من العلماء بل ولا في نواذر الكتب ايضا ؛ ومن تلامذته المشهورين ابو العباس احمد الغبريني مؤلف «عنوان الدراية» فقد لازمه اكثر من عشر سنين واستفاد منه علما كثيرا وادبا جمّا وسطر اعترافه بفضل شيخه هذا في عنوانه فقال : وهو افضل من لقيت في علم العربية لزمت عليه القراءة ما ينيف على عشرة اعوام واستمتعت به كثيرا



باب مسجد سنی - تهرآن

واستفدت منها كثيرا ، قرأت عليه الايضاح من فاتحتها الى خاتمته ، وقرات عليه جملة من الامالي وزهر الاداب ومن المقامات وقصائد متخيرات من شعر حبيب ومن شعر المتنبي وحضرت قراءة المفصل ؛ وكان رحمه الله محبا في التعليل ؛ وله من التأليف كتاب سماه بالموضح في علم النحو ، وحدق العيون في تنقيح القانون - لعله قانون ابى موسى الجزولى ؟ - ونشر الحنفى في مشكلات ابى على ؛ هو على الايضاح . وكان يؤثره على غيره من الكتب //

وكان قدس الله روحه سخى الدمع سريع العبارة . فيه فضل وسخاء ومروءة وانتزاء ، وكانت يده ويد الطلبة في كتبه سواء لا مزية له عليهم ، بارع الخط جيد الشعر مكثرا منه يسلك فيه طريق ابى تمام حبيب بن اوس ، وكان صديقه الاديب ابو عبد الله محمد بن احمد الاريسى المعروف بالجزائرى شيخ كتبة الديوان ببجاية يسلك في شعره سلوك المتنبي ، وكانا يتراسلان بحيد المنشور وبديع المنظوم . فمن شعر المترجم القلعى قوله في طالع قصيدة في مدح الحضرة النبوية :

امن اجل ان بانوا فؤادك مغرم	وقلبك خفاق ودمعك يسجم
وما ذاك الا ان جسمك منجد	وقلبك مع من سار في الركب منهم
ومن قائل في نظمها متعجبا	وجسم بلا قلب فكيف رايتم ؟ ..
ولا عجب ان فارق الجسم قلبه	فحيث ثوى المحبوب يثوى المقيم
وما ضرهم لو ودعوا يوم او دعوا	فؤادى بتذكار الصبا يضرم
عساهم كما ابدوا صدودا وجفوة	يعودون للوصل الذى كنت اعلم
وانى لادعو الله دعوة مذب	عسى انظر البيت العتيق والشم
فيا طول شوقى للنسبى وصحبه	ويا شد ما يلقى الفؤاد ويكتم

وتحتوى هذه المقطوعة على ثمانية عشر بيتا . وله موشحات حسنة ؛ ولقد شرع بنفسه في جمع شعره وتدوينه عام ثلاثين وستمائة هجرية وعاش بعد ذلك ثلاثا واربعين سنة فلو تم له تدوين شعره كله لكان في مجلدات كثيرة ؛ ويقول

الغبريني انه كان منه بأيدى الناس كثير (١) وتوفي رحمه الله ببجاية سنة
١٢٧٣هـ - ١٢٧٤م

ومن شعر صديقه الاريسي الجزائرى المذكور قوله فى طالع مقطوعة يتحنن
فيها الى ارض الحجاز

ادرها فقد هبت نسيمه دارين	ونم بسر الروض نشر الرياحين
وقام خطيب الورق يدعو هزيله	وغنى فأغنى عن ضروب التلاحين
وذكر ايام الصبابة والصبأ	ولذة عيش كان لى غير ممنون
فشار كمين الوجد من مستقره	وبحت بسرين جنبى مخزون

وكلاهما شاعر فحل مكثر ولهما فى مختلف اغراض الشعر وفنونهما كل
ما هو حسن جيد ، وكلاهما يعدان من كبار ادباء الجزائر فى اواسط القرن
السابع الهجرى رحمهما الله

ابوزيان ناصر بن مزني

٨٢٣هـ - ١٤٢٠م

العالم المقرئ، والمؤرخ الفقيه الشيخ ناصر بن احمد بن يوسف بن منصور بن فضل بن علي بن احمد بن حسين بن عبد المعطي بن الحسين بن مزني الفزاري البسكري، يكنى بابي زيان وابي علي ولد ببسكرة في المحرم سنة ٧٨١هـ - افريل ١٣٧٩م من اسرة كريمة هي منتهى راسة الزاب ومعد آماله ، اذ كانت اماره ببسكرة وارض الحفصة بيدها منذ تولاها جده الفضل بن علي (١)

اشتغل المترجم بالعلم اولا في بلده فأخذ القراءات عن ابي الحسن علي بن عبد الرحمن التوزري ، وكان يعظمه جدا ؛ واخذ الفقه عن الامام بن عرفة وابي فارس عبد العزيز بن يحيى الغساني البرحي ، ومحمد بن علي ابراهيم الخطيب ، وعيسى بن احمد الغبريني وسمع عليه الصحيح

انتقل ابن مزني هذا الى مصر سنة ٣٠٨هـ - ١٤٠٠م فحج في هذه السنة ونكب في كثير من ماله وكتبه في جملة ما اصاب ركب المغاربة من النهب يومئذ ؛ واتفق ان نكبت اسرته في هذه السنة ايضا ببسكرة فعزل والده عن الامارة ونزل السلطان الحفصي ببسكرة فحطم بيت ابن مزني ، فاستقر لذلك المترجم بالقاهرة وكان بها يومئذ صديق آباءه العلامة الامام عبد الرحمن بن خلدون فعطف عليه وسعى له لدى من بيده الامر حتى نزل بالشيخونية ، وبها سمع صحيح البخاري على التقي الدجوي ، ولازم الشيخ ابن حجر مدة طويلة فاستفاد كل منهما من علم صاحبه ؛ ولا ابن مزني هذا عناية خاصة واهتمام كبير بالتاريخ واخبار الرواة ، جماعة لذلك ضابطا له كثيرا منه وقد شرع في جمع تاريخ كبير للرواة لم يجمع احد مثله ، ولم يقدر له تبيضه فقد اصيب في بصره سنة ٨٢٢هـ ١٤١٩م

وانتقل من الشيخونية الى البروقية وطالت علمته وعاجلته المنية فتوفي رحمه الله يوم ٢٠ شعبان ٨٢٣ هـ - ٣٠ اوط ١٤٢٠ م ولم يكمله ، يقول ابن حجر انه لو اتم كتابه المذكور في التاريخ لكان مائة مجلد ! فانه جمع منه في مسوداته ما لا يعد ولا يدخل تحت الحد ؛ ومات ففترقت مسودته شذر مذر ، ولعل اكثرها عمل بطائن مجلدات ! . وذكره المقرئ في عقوده فقال ان صاحب الترجمة كان يتردد اليه ، وقال رحمه الله ما ذا فقدنا من فوائد غرضه الله الجنة

احمد بن ابي القاسم الحلوف

٨٩٩ هـ - ١٤٩٤ م

هو شهاب الدين ابو العباس احمد بن ابي القاسم محمد بن عبد الرحمن بن الحلوف الحميري ، انتقلت اسرته من مدينة فاس الى الجزائر فسكنت مدينة قسنطينة ، وبها كان مولد مترجمنا في ثالث المحرم سنة ٨٢٩ هـ (منتصف نوفمبر ١٤٢٥ م) وذهب به والده صيبا الى مكة فجاور هناك اربع سنين ثم انتقل به الى بيت المقدس وبها حفظ ولده القرآن الكريم وكتب اجته في فنون مختلفة وبما ان الولد كان متضلعا من فنون الادب والفقه فأخذ ولده بدراسة ما عنده من العلم ، ثم تركه يمتزج بمشيخة المشرق ، فاتصل المترجم بأبي القاسم النويري ولازمه فأخذ عنه الفقه وعلوم اللغة والاصول وغيرها وانتفع به ، كما انه اخذ روايته في القراءات وعلوم القرآن عن الشهاب بن رسلان والعز القسدي وماهر وغيرهم ، ثم انتقل الى القاهرة ؛ والظاهر ان ذلك كان بعد وفاة والده بالقدس الشريف ٨٥٩ هـ - ١٤٥٥ م وهناك اجتمع بالعز عبد السلام البغدادي فاخذ عنه النحو والصرف والمنطق ؛ وكان ممن اخذ عنه العربية ببلاد المغرب احمد السلاوي ويقول عنه : انه احفظ من لقيه بها

واستقر مترجمنا بالمغرب مشتهرا بين اعيان علمائه بالادب والعلوم الغزير متعاطيا لنظم الشعر الرقيق الفحل ، فاستكتبه المولى المسعود بن عثمان حفيد ابي فارس الحنصلي ، وقدم الى القاهرة غير ما مرة ومنها رحلته اليها بمناسبة حجه سنة ٨٧٧ هـ ١٤٧٢ م فاجتمع فيها بالامام السخاوي وجبرت بينهما محاورات ادبية ذكرها السخاوي في تاريخه «الضوء اللامع» وقال في وصفه : ولقيته مودعا له وهو حسن الشكالة والابهة ظاهر النعمة ، طلق العبارة بليغا بارعا في الادب ومتعلقاته ويذكر بطرف وميل الى البزة وما يلائمها ، كتب عنه غير واحد بالقاهرة والاسكندرية ومما كتب عنه من نظم ما ضمن فيما قول ابن الاحمر صاحب الاندلس :

افاتكة اللحظ التي سلبت نسكي	على اي حال كان لا بد لي منك
فاما بذل وهو اليق باللهوى	واما بعز وهو اليق بالملك

فقال محمد

اماط الهوى عن واضحي برقع النسك	فوجدت من اهواه عن هوة الشرك
فقلت وقد افنت لحاظك بالفتك	افاتكة اللحظ التي سلبت نسكي

على اي حال كان لا بد لي منك

يمينا بنجم القرط منك اذا هوى	وخال على عرش ووجنتك استوى
لئن لم تفي لا بد للقلب ما نوى	فاما بذل وهو اليق باللهوى

واما بعز وهو اليق بالملك

ولا شهرة مترجمنا بجودة الشعر والكتابة عرف بين أدياء عصره بذى الصنائع ، فهو حقا من امراء الشعر المتفنين وفحول الادب العربي البارعين طويل النفس ضليع في فن القريض ، له ديوان شعر خاص بمدح الحضرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام توجبه بمقدمة حافلة تدل على رسوخ قدمه وتمكنه من ناصية اختصاصه وتعلقه الشديد بالجناب النبوى الشريف ؛ ولقد والله

ابدع في منظومه ومنشوره ايما ابداع وجاء بما لم يوفق اليه غيره من ائمة هذا الشأن كالבוصري واضرابه من شعراء المديح، فان قصائدها كلها عيون وكلها تندفق سلاسة وطبعا، وان اقصر قصيدة فيه لا تقل عن مئات الابيات .

والشعر في هذا الغرض كما لا يخفى هو من اصعب الاغراض على الشعراء، وذلك لعلو مقامه الشريف صلى الله عليه وسلم وتسامي منزلته التي لا تداني ولا ترام وكل مدح او اطراء في جنبه عليه الصلاة والسلام يعد تقصيرا، ولذلك تجنبه فحول الشعراء المتقدمين كابي تمام والبحري والمتنبي وغيرهم من صاغة القريض ورواض القوافي والله در ابن الفارض حيث يقول :

وعلى تفنن واصفي بمدحهم يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وديوانه هذا بحمد الله هو مما ازدانت به مكتبتنا المتواضعة ، وهو بخط جميل في ست واربعين ومائتي صفحة من القطع الكبير ؛ وذكر لي ان له ديوانا مطبوعا ببغروت سنة ١٨٧٣م ولا ادري اهو نفس المخطوط الذي ذكرناه ام غيره حيث لم اقف عليه، واكثر اشعاره رحمه الله في مدح السلطان ابي عمرو عثمان بن ابي عبد الله الحفصي فله فيه القصائد الرنانة الشائقة .

اما تأليفه من غير الديوان المذكور فله في العروض : تحرير الميزان لتصحيح الاوزان ، وبديعية ميمية سماها مواهب البديع في علم البديع ؛ ولم عليها شرح حسن ، ورجز في تصريف الاسماء والافعال سماه جامع الاقوال في صيغ الافعال، وله في علم الفرائض كتاب عمدة الفاض ؛ كما يوجد له بمكتبة باريس وبرلين ولندن وبطرسبورج ديوان مخطوط مرتب على حروف الهجاء، وله موشح مستعمل في مكتبة برلين ؛ وكانت وفاته رحمه الله بتونس سنة ٨٩٩ هـ - ١٤٩٤ م ودفن هناك بقرية سيدي محرز بن خلف رضي الله عنه .

جدول تاريخي

٦٢٧ - ٩٤٣ هـ (١٢٢٩ - ١٥٣٦ م)

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
١٢٢٩ هـ ٦٢٧	تأسيس الدولة الحفصية
١٢٣٠ هـ ٦٢٨	اذعان مقاطعتي قسنطينة وبجاية للدولة الحفصية
١٢٣٨ هـ ٦٣٦	نجاح الحفصيين في فتح اعمال الجزائر الغربية
١٢٤٢ هـ ٦٤٠	الاستيلاء الحفصي على تلمسان
١٢٤٥ هـ ٦٤٣	المبايعة بالخلافة
١٢٤٩ هـ ٦٤٧	وفاة السلطان ابي زكرياء الاول ببونة ودفنه بجانب الشيخ ابي مروان ثم نقله الى قسنطينة حيث مدفنه الآن
٩٢٦٢ هـ ٦٦١	حوادث ابي القاسم بن ابي زيد الحفصي بالجزائر
١٢٦٥ هـ ٦٦٤	حركة السلطان المستنصر الاول الى قمم المنشقين بالجزائر
١٢٦٩ هـ ٦٦٨	تمكن يغمراسن بن زيان من استرجاع مملكته الغربية
١٢٧٠ هـ ٦٦٩	مشاركة الجزائريين في دفع عادية الصليبيين عن المغرب ؛ وانتقاض اهل مدينة الجزائر وفتحها
١٢٧٩ هـ ٦٧٧	ولاية ابي اسحاق الاول على بجاية ثم على عرش الملك بمبايعة الجزائريين
١٢٩٣ هـ ٦٩٢	ولادة السلطان ابي بكر الثاني بقسنطينة
١٢٧٩ هـ ٦٧٨	ولاية بني مزني امارة الزاب الجزائري
١٢٨٣ هـ ٦٨١	ظهور الزعيم ابن ابي عمارة الجزائري وقتله
١١٨٥ هـ ٦٨٤	انفصال القطر الجزائري واستقلاله عن السلطة المركزية

أهم الحوادث

تاريخ الحوادث

اعتداء الافرنج على الساحل الجزائري	١٢٨٧ هـ ١٢٨٦ م
ابتداء النزاع بين الحفصيين وبنى مرين على الجزائر	١٢٩٩ هـ ١٢٩٩ م
نشوب الخلاف بين طائفة «السنية» وامير الزاب : ابن مزني	١٣٠٣ هـ ١٣٠٣ م
ابطال وضع التاج عند ملوك هذه الدولة	١٣١٧ هـ ١٣١٧ م
ولادة السلطان ابي العباس احمد الثاني بقسنطينة	١٣٢٨ هـ ١٣٢٩ م
احتلال السلطان ابي الحسن المريني لتلمسان	١٣٣٧ هـ ١٣٣٧ م
استعادة الحكومة المركزية لمملكة الجزائر	١٣٦٠ هـ ١٣٦١ م
عصيان ابن مزني - امير الزاب - وحركة السلطان اليه	١٣٤٨ هـ ١٣٤٨ م
تنازع امراء بنى ابي حفص على ولاية قسنطينة وبحاية	١٣٩٤ هـ ١٣٩٤ م
القضاء على امارة بنى مزني ببسكرة	١٤٠٢ هـ ١٤٠٢ م
ظهور القرصنة الاسبانية بالسواحل الجزائرية	١٥٠٤ هـ ١٥٠٤ م
اقامة الاسبان لحصن «البنون» بشعر مدينة الجزائر	١٥١٠ هـ ١٥١٠ م
ظهور الاتراك العثمانيين بالميدان	١٥١٣ هـ ١٥١٣ م
سقوط الجزائر الحفصية	١٥٣٦ هـ ١٥٣٦ م

الدولة المرينية

٦٦٨-٧٩٦ هـ

١٢٦٩-١٣٩٣ م

بنو مرين ؟ ...

المرينيون هم فخذ من بطون القبيلة البربرية العظيمة زناتة؛ كانت مساكنهم ومواطنهم وراء تلمسان جنوبا الى نواحي سجلماسة - تافيلالت - وبصحراء فيقيق الى ارجاء الاغواط؛ وهم قوم مرهوب جانبهم، شديد باسهم، كثير جمعهم يظاهون في مجتمعهم امّة العرب والفرس واليونان، وان الذين تولوا الملك منهم فرعان يتسبان الى جرثومة واحدة: بنو وزير قبيل بني عبد الحق، وبنو واطاس. ولقد ابلى قبيل بني مرين هذا في نصرة الموحدين على خصومهم بني صنهاجة وغيرهم - ثم كانت بينهما ضغائن وحزازات منشأها التزاحم على الملك والتنافس على الرئاسة، ولم يزل هؤلاء المرينيين يشيرون على حين ضعف دولة الموحدين قتنا وغارات بأرجاء المغرب الاقصى حتى اقتحموا تله سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) واستمروا في سيرهم الى الامام متصرين الى ان فتح اميرهم ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق مدينة مراكش يوم عاشوراء سنة ٦٦٨ هـ (٩ سبتمبر ١٢٦٩ م) فقضى بذلك على عرش الموحدين.

نظامها الحكومي

الدولة المرينية مغربية في كل شيء، وهي لذلك لم تكن لتختلف أو تتخلف في خططها السياسية بل وفي جميع نظمها الادارية والقضائية والمالية والحرية عن من تقدمها من دول الاسلام بالمغرب الا قليلا (١) فالعاصمة فاس والسلطان هو دائما مصدر السلطة العليا، ويلقب بأمر المسلمين تأدبا وتمييزا له عن لقب الخليفة بالمشرق، وفيهم من تلقب بأمر المؤمنين واولهم ابو عنان، والحاجب عندهم يدعونه «المزوار» وهو المقدم على الجنادرية العاملين في المحافظة على الامن العام، ولما ايضا الاختصاص بالوقوف لدى باب السلطان وحمل الناس على التزام مراتبهم، ولاعمال الجبايات ديوان تحت ادارة متصرف من بني مرين اليه يرجع تصحيح الحسابات والمحاسبة على جميع دخل الحكومة وخرجها وهو المسؤول عن ذلك كله، وليس هناك من يتعقبه او يراجعه في عمله الا السلطان نفسه او الوزير الذي يعتبر الرئيس الحربي الاعلى؛ وللدولة عملة مضروبة باسم ملولها. وخطة لكتابتها منقسمة عندهم الى قسمين: قسم خاص باسرار الدولة وتسيير سياستها الداخلية والخارجية وقسم للمسائل العمومية والمكاتبات والمناشير، وكثيرا ما تولى هذه الخطة ادباء من الاندلس بخلاف القضاء فانه دائما مقصور على المغاربة وذلك ما يدلنا على شدة عناية ابناء البلاد بالفقه دون الادب، وقد تكون هناك نظرة خاصة بنظام الحكم؟...

اما نظام الحرب والجيش فيانه كان حسب ما يبدو من تواريخ المغرب والاندلس في ذلك العصر ان لكل ثمانية من الجند ناظرا يعقد له عقدة ولكل خمسة ناظر عريف يعقد له بند، وعلى كل خمسة عرفاء نقيب يعقد له لواء، وعلى كل خمسة نقيب قائد يعقد له علم، وعلى كل خمسة من القواد امير يعقد له راية وفي العسكر المريني كثير من مرتزقة الافرنج والعييد، كما انه كان لهذه الدولة اسطول ضخمة عظمت شوكتها بهذا البحر، وخاصة على عهد السلطان ابي الحسن

المريني فانه خرج من تونس الى المغرب في ستائة سفينة ، وذلك ما جعل المؤرخ الفرنسي « اندرى جولييان » يصف هذا الملك بانه كان من اقوى الملوك واعظم السلاطين على الاطلاق في القرن الرابع عشر

وللجند شعار يحملونه في المعترك والحرب وهو راية صغيرة من كتان ابيض ، وفي ذهابهم الى القتال يتقدمهم غالبا منشد يتغنى بتلحين خاص وانغام موسيقية منسجمة تدعى عندهم بـ « تاصوكايت » وهى خاصة بوقت البروز للقتال والسير الى الحرب ، وبين يديه طبل يضرب عليه منشدا اشعار الفخر والحماسة ؛ وهو تقريبا صنيع ما تفعله جنود الدول المعاصرة اليوم في خروجها للوغى ؛ وليس هناك ما يمتاز به هذه الدولة في صفة قتالها ومجالاتها العدو في الحرب عن دول المغرب يومئذ سوى انها سبقتهم الى استعمال البارود وهندام النفط القاذف بحصى الحديد وقوس الزيار ، وهى قوس عظيمة النزع توقر على احد عشر بغلا

حدود الجزائر المرينية

ان الحدود الجزائرية في ذلك العصر هى عينها المعروفة اليوم بحدودها الثلاثة : الشمالية والجنوبية والغربية ؛ الا ان الحد الشرقى منها فانه كان تارة يمتد الى تونس وتارة لا يتعدى حدود اعمال قسنطينة وبجاية (انظر الخريطة صفحة ٢٧)

المرينيون وبنو عبدالواد

لم تكن دولة بنى مرين الناشئة لترضى بمجاورة قبيل بنى عبدالواد المنافس وذلك لتحقيقها بالمكانة التى يتبوأها هذا القبيل في ميدان السياسة والحرب بالمغرب الاوسط ؛ فنشأت عن ذلك عداوة بين القبيلتين واحقاد كان مبعثها المنافسة على رآسة زناتة والتشوف الى السلطان المطلق على المغرب الاسلامى ، ومن ذلك لم تر الجزائر طيلة هذه المجاورة الحتمية مسالمة قط ...!

الزحف على مملكة تلمسان

ولما اشرفت سفينة العراك والحرب بالاندلس على شفا المنحدر والغرق، وانكشف
 لملوك بنى مرين ان ساعة انهزام دولة الاسلام هناك قد حانت او كادت، وكان شعور
 الدولة المرينية بالمسؤولية العظمى الملقاة على كاهلها يومئذ قد تضاعفت بحكم انها سيدة
 العدوتين وانها وارثة عرش الموحدين الذين طالما خضعت لعرشهم الاندلس بما فيها
 من رعايا وملوك، وشريف وصعلوك، فساءها ان تقع الكارثة بالاندلس على مرأى
 ومسمع منها بدون ان تكون قد اتخذت لهذه الحال المتوقعة عدتها، او تحتاط لها
 على الاقل لكيلا تتهم بين الامم بالاهمال وعدم الصلاحية للملك، فاهتمت وقتئذ
 بالعمل على مزيد الاقتراب من الساحل الشرقى باتخاذ عاصمة ثانية لها بالمغرب
 الاوسط ليتيسر لها الدفاع عن ارض الاندلس، فحاولت فتح الجزائر من ناحيتها
 الغربية، ويممت تلمسان فهاجمتها عدة مرات فانهمزمت وكانت الغلبة دائما لحليفة
 ملوكها بنى زيان، وذلك ماجعل السلطان ابا يوسف يعقوب المرينى يتوعددهم
 بضرب الحصار الشديد عليهم والقضاء على امارتهم بها، وفعلا نشبت الحرب بين
 ابي يحيى المرينى ويغمراس الزباني بأحواز وجدة سنة ٦٤٧هـ - ١٢٥٠م وكانت
 الوقائع هائلة انهزم فيها يغمراسن هزيمة شنعاء؛ وهذه اول حرب نظامية كانت
 بين بنى زيان وبنى مرين

ثم تجددت المعارك بينهم بوادى تلاغ فى منتصف المجرم ٦٦٦هـ (اكتوبر
 ١٢٦٧م) وقد قارب السلطان ابو يوسف الفتح لولا ان هنالك عزيمة ظهرت
 من جانب الزبانيين فصابروا على المقاومة والدفاع عن حرهم فمال يومئذ
 ابو يوسف الى الصلح وعاد الى فاس

ثم انه فى منتصف رجب سنة ٦٧٠هـ (فيفري ١٢٧٢م) كانت بينهما وقعة وادى
 ايسلى الآتى تفصيلها، فحصرت تلمسان مدة ثلاثة اشهر وثلاثة ايام وانطلقت بها
 ايدى الجيش المرينى فعاث فيها الجند بما شاء... ثم كفى السلطان ايديهم عنها وسعى

في جمع الشمل ومصالحة يغمراسن امير بنى عبد الواد وتم ذلك بينهم سنة ٦٧٣هـ (١٢٧٤م) فسر لذلك سلطان مرين واطهر سروره بما تصدق به من مال كثير شكراً لله عز وجل على ذلك، ثم انه في هذه السنة نفسها غزا سجلماسة - تافيلالت - فاقتحمها يوم الجمعة ٣ ربيع الاول (٦ سبتمبر) وقتل بها سادة بنى عبد الواد وامر بصلبهم على اسوار المدينة وفيهم قائدها عبد الملك العبد الوادى ، ثم عاد السلطان الى مراكش ؛ وهذا ما حمل يغمراسن على نقض الصلح ومحاربة بنى مرين في وقعة الملعب المشهورة بأحواز تلمسان سنة ٦٨٠هـ (١٢٨١م) التى ادت الى حصار تلمسان ايضا وانهمز بنى عبد الواد ثم كانت هدنة بين السلطان يعقوب المرينى وعثمان بن يغمراسن الزياني سنة ٦٨٤هـ (١٢٨٥م)

وفي ربيع الثانى سنة ٦٨٩هـ (ماى ١٢٩٠م) عزم السلطان يوسف بن يعقوب المرينى على المسير الى غزو تلمسان وفتحها بسبب ايواء صاحبها لبعض الثوار على دولة مرين ، ولقد حاول من قبل استسلام هؤلاء الثوار المشاغبيين من يد بنى زيان فلم يسمحوا له بذلك؛ وحينئذ تقدم بنو مرين لحصار تلمسان ونصبوا عليها المجانيق واطلقت ايدى الجند فيها فعبثوا بها واخذوها بالنهب والتخريب ثم اقلعوا عنها ؛ وان كل ما كان بعد ذلك من عداوة او ضغينة بين بنى مرين وبنى زيان او واقعة حرية انما كان منشؤها هذه الحادثة

وفي سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٤م) استصرخ ثابت بن منديل رئيس مغراوة بالسلطان يوسف بن يعقوب المرينى مستشفعا به لدى ملك تلمسان عثمان بن يغمراسن فى رد هجماته وكف عادية قومه عنه ؛ فأرسل يوسف بشفاعته فى ذلك الى عثمان فرفضها ؛ ويومئذ خرج يوسف لغزو تلمسان سنة ٦٩٥هـ (١٢٩٥م) انتقاما لشرفه ومر فى طريقه على مدينة وجدة فحطم اسوارها وحاصر ندرومة اربعين يوما فامتنعت عنه ثم عاد الى مركزه

وفي السنة بعدها هاجم سلطان مرين اعمال تلمسان مشددا عليها الخناق ثم

نصب عليها قوس الزيار في رجب سنة ٦٩٧ هـ (افريل ١٢٩٨ م) وانهاالت عليها جنوده فخضعت له يومئذ مدينة ندرومة، وهنين، ووهران، ومزگران؛ وفتحت مازونة ومستغانم وبرشك وونشريس ومليانة والمدينة وتنس وشرشال؛ واذعن ابن علان صاحب مدينة الجزائر لسلطان مرين فيجاء مبايعا؛ ومن ثمة اخذ ظل حكومة بنى زيان يتقلص عن مملكة الجزائر، واخذت البلاد الجزائرية تسقط شيئا فشيئا بيد دولة مرين الى ان امتلكت جميعها سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م) واصبح المغرب الاوسط يدين بطاعته اليها ما عدا مدينة تلمسان فانها - في هذه المرة - لوحدها احتفظت بمركزها السياسى واستقلالها الداخلى .

ويلاحظ انه قد كان لهذه الوقائع والحروب اثر كبير في قفر جهات عديدة ونواح كثيرة من بلاد المغرب وخاصة اصقاع انفا - الدار البيضاء - واقطارها، فأخذ حينئذ السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة ٦٧٦ هـ (١٢٧٧ م) في نقل عدد وافر من سكان الجزائر اليها، وكان اغلبهم من البربر؛ واتخذ منهم رعاة لشيء الدولة وساسة لابلها، ومنذ اشتهرت هذه الطائفة الجزائرية المنتقلة باسم «الشاوية» وتأكد يومئذ امتزاج الشعب الجزائري بأهل المغرب الاقصى وازداد بذلك ارتباطا وثيقا

وقعة وادي ابلى

ليس هنالك من شيء يحمل على معادات بنى مرين لبنى عبد الواد الزينيين سوى المزاحمة على الملك وحب الرأسة والاستئثار بها؛ ومن اجل ذلك مد يغمراسن يده اولا للموحدين وربط صلته بهم تفخيما لدولته وتشجيذا لشوخته وارهابا لمنافسيه

ويومئذ حشد السلطان ابويوسف يعقوب المرينى جنوده وخرج بنفسه محفوفا بجيشه العظيم غازيا تلمسان غرة صفر ٦٦٩ هـ (سبتمبر ١٢٨٠ م) وما كاد يتصل بتراب الجزائر ويقرب من تلمسان حتى وافاه سفير السلطان ابن الاحمر يستصرخه لنصر الاسلام وحماية المسلمين ودفع عادية العدو عنهم بالانداس، فحال ذلك بينه

وبين المسير الى تلمسان ، وجمع مشيخة الدولة وارباب الشورى يستشيرهم في الامر ، فاتفقت كلمتهم جميعا على تقديم انجاد الاندلس وحمايتها فعدل السلطان يومئذ عن خطته المرسومة ، وراسل صاحب تلمسان في الصالح فامتنع واكد متابعة الحرب ؛ فالتحمت المعارك الشديدة بينه وبين بنى مرين بوادى ايسلى من بسائط وجدة وعلى مقربة منها ، وذلك فى منتصف رجب ٦٧٠ هـ (١٢٧٢م) فانهمز الزيانيون فى هذه الواقعة شر هزيمة وفر يغمراسن عن محلته واضرمت فيها النيران وقتل ولده فارس ، واخذ السلطان ابويوسف فى استقصاء وتبعية اثر يغمراسن فى البلاد الى ان حال بينهما الظلام فأتى السلطان مدينة وجدة وامر بهدمها ففقت آثارها

وقعة وادى تافنة

ولما حل المرينيون بالاندلس وامتلكوا شطرا منها اخذت عقارب الحسد تدب فى قلوب ملوك الاندلس من بنى الاحمر وانتشر بينهم داء الاثرة فعمد سلطانهم الى يغمراسن الزياني طالبا مودته وصداقته وواصله بهدايا اندلسية فخمة واموال عظيمة على ان يشغل عنه ملوك بنى مرين بمشاغبتهم واحداث مشاكل لهم بالمغرب ؛ وما كاد يشيع خبر اتصال اهل الاندلس بيغمراسن حتى بادر السلطان ابويوسف المرينى الى طلب الصلح من صاحب تلمسان وكاتبه فى ذلك سنة ٦٧٨ هـ (١٢٨٠م) فتعصب يغمراسن لفكرته متصلبا فى عداوته ، فرابأته مرين مدة ثلاثة اشهر ثم اعادت سعيها فى طلب الصلح ، فامتنع بنو زيان كذلك ولم يقبلوا فى ذلك قولاً لبني مرين فتحرك هؤلاء يومئذ للقتال وكان الميدان بينهم وادى تافنة ، فانتصرت مرين على بنى عبد الواد وانتهبت محلة يغمراسن فتشتت امواله وهدمت قبابه

تأسيس حاضرة المنصورة

لقد كان حصار السلطان ابى يعقوب المرينى لمدينة تلمسان من اضعف واشد ما عرفه التاريخ فى حصار مدينة، وقد طال الحصار ثمان سنين وثلاثة اشهر واياما ، مات فيها نحو العشرين ومائة الف شخص ، واكل الناس يومئذ الحيف والكلاب والقطط والفيران واشلاء الموتى ، وبلغ ثمن الفأر عشرة دراهم (١)

وفى تلك الاثناء شرع السلطان ابو يعقوب المرينى فى اقامة بناء وأنشاء حاضرة المنصورة على نحو اربع كيلومترات غربى تلمسان ، وكان ذلك فى فصل الشتاء من سنة ٦٩٨ هـ (١٢٩٩م) جعلها السلطان معتصما لجنده المعسكر والمحاصر لعاصمة بنى زيان ، وسماها «المحلة المنصورة» او تلمسان الجديدة ، وكان فيما انشىء بها يومئذ قصر الملك حيال الجامع الذى تخلف منه اليوم جزء او قل هو طلل من انقاض منارته القائمة على بابه ، ويقال انه كان بأعلاها تقايفج من الذهب الخالص يقدر ثمنها بسبعمائة دينار ، وكان حول القصر سور يفصله عن سكنى الرعية ، وحول ذلك السور ابنتت المنازل والقصور الانيقة والحمامات العمومية والفنادق والاسواق واجريت الميلاء بالبساتين وانشئت بها دور الاسعاف الخ... ثم احيطت المنصورة هذه بسور انشأته الحكومة المرينية سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢) لحماية من الطوارىء فاصبحت بعد ذلك من اعمر الامصار الجزائرية وابدعها جمالا، قال ابن مرزوق الخطيب: «منصورة تلمسان التى لم ير الراؤون مثلهما ، ولا وصف الواصفون مثل وصفها ، واما قصرها ومسكن الامام بها فقد رايت كثيرا ممن دخلها من المتجولين ممن راي مباني العراق ومباني مصر والشام والمباني القديمة فى الاندلس ومراكش اجمعوا كلهم على ان الذى اجتمع فيه لم يجتمع فى غيره، وبحق ما قالوه، واما دار الفتح والبستنة وما اتصل بهما والمشور فما اظن المعمور اشتمل على مثلها فاجحا الله من خيرهما»

وهو يعنى بذلك بنى عبد الواد حينما خربوها وحطموا قصورها ودمروها سنة ٧٠٧ هـ (١٣٠٧ م) انتقاما لانفسهم من بنى مرين وطمسا لمعالم الهوان والذل بأرضهم

معركة مرسى الرؤوس

ولما طال الحصار بتلمسان واشتدت وطأتها على اهلها بنى عبد الواد ٦٩٨ هـ [١٢٩٩ م] استجاش السلطان عثمان بن يغمراسن الزياني بصهرة ابى زكرياء الحفصى صاحب بجاية ، فبعث هذا بالنجدة اليه يقودها اخوه يحيى ، وما كادت الحامية تبلغ غايتها حتى اعترضتها جيوش مرين بجبل الزاب فاستلحموا هنالك وكانت الدبرة على حامية بجاية ؛ ولوفرة ما تساقط هنالك من القتلى والجرحى سميت هذه الملحمة بمعركة مرسى الرؤوس ؛ وارتاح لها امراء المملكة الحفصية الشرقية - تونس - فاستنصروا بنى مرين واستظهروا بهم على حصار بجاية ، وكان ذلك سببا فى تنكر سلطان بنى زيان للاسرة المالكة الحفصية فرفض دعوتهم واسقط ذكرهم من المنابر . وفى ذلك الاثناء كان سقوط مدينة المدينة بيد بنى مرين فاحتلوها وبنوا فيها حصنا استمر هنالك قائما الى عهد الاحتلال الفرنسى

تنازل بنى مرين عن ولاية تلمسان

كان اغتيال السلطان ابى يعقوب يوسف المرينى سنة ٧٠٦ هـ [١٣٠٦ م] سببا مباشرا فى افراج مرين عن تلمسان وانفكاك الحصار عن اهلها؛ ففرقت يومئذ جنودهم واختلفت كلمتهم بموت ملكهم ابى يعقوب ، وتنازع على العرش المرينى كل من ولده واخيه وحفيده ابى ثابت عامر بن عبد الله ؛ واستند الحفيد هذا الى بنى زيان مستظهرا بهم على مزاحمه ، فجالفهم على تنازل مرين وتخليها عن المملكة التلمسانية ان هو انتصر على خصميه وجلس على العرش ؛ فكان الامر كذلك ، وبيع ابوناث هذا بتلمسان الجديدة المنصورة فتخلى يومئذ لبنى زيان عن امارتهم

وذهب يوم ١٥ شوال ٧٠٧ هـ [٩ أفريل ١٣٠٧ م] غازيا عرب رياح المقيمين بقلعة
ابن طوبل والجزائر ففضى وطره منهم ثم عاد الى قاعدة فاس

نقض الصلح

وفي سنة ٧١٤ هـ [١٣١٤ م] نقض السلطان ابوسعيد عثمان المريني الصلح المنعقد بين
امارة تلمسان وحكومة فاس ، واغار على عاصمة الزيانيين فاكتسح اقطارها وبلغ
الملعب ، فانتهكت حرمت اهل تلك النواحي واقتحمت بعض المعاقل ، ثم عاد
السلطان الى فاس ، واستمر بعد ذلك الزحف المريني على تلمسان ست دفعات

تحالف بني مرين والحفصيين ضد تلمسان

استغاث السلطان الحفصي بابي سعيد المريني على رد غارة بني زيان عن
الجزائر الحفصية سنة ٧٣٠ هـ (١٣٢٩ م) فتظاهرت الدولتان يومئذ وتحالفتا ضد
بني عبد الواد واحكما هذا التظاهر بالتصاهر ، ومات ابوسعيد دون بلوغ امنيته
فخلفه ولده السلطان ابوالحسن وبعث من حينه الى ابى تاشفين ملك تلمسان
ينافح عن مملكة اصهاره الحفصيين ، ويأمره بالتخلي عن كل ما وصلت اليه يده من
ملك الحفصيين . وينهاه كذلك عن الاستمرار فى الزحف ؛ فرفض كل ذلك
ابوتاشفين واستمر سائرا على خطته ، وحينئذ تظاهروا المرينيون وبناؤى حفص ضده
وتوحدت القوات العسكرية فاكتنفته احدى الدولتين من الشرق والاخرى من
الغرب وهجمت الاساطيل المرينية سواحل الجزائر وحملت الجنود على تلمسان
فتجاوزتها الى تسالة - قرب سيدي بلعباس - ونزلت هنالك فى شعبان ٧٣٢ هـ (أفريل
١٣٣٢ م) وبذلك استعادت الدولة الحفصية ملكها المسلوب بالجزائر ما عدا مدينة
تلمسان فانها بقيت محافظة على استقلالها

الوثوب على عمالي الجزائر ووهران

اجمع السلطان ابوالحسن المريني على اقتحام الاعمال الجزائرية فبرز اليها سنة ٧٣٥هـ (١٣٣٤م) وبعد ان حاصر وجدة واستولى عليها تقدم الى ندرومة وهنين - فرضة تلمسان - فبايعته هنالك البطون والقبائل خاضعة، ثم تقدم الى وهران فاحتلها سنة ٧٣٦هـ (١٣٣٥م) وخضعت لسلطانه تلك الاصقاع بأجمعها وتبعثها في ذلك عمالة الجزائر مدينة مدينة سوى تلمسان

القضاء على امارة بنى زيان

وبعد ما انتهى السلطان ابوالحسن عملية الفتح بالجزائر التفت الى مدينة تلمسان حيث بقيت منجزة الى بنى عبد الواد فتجهز اليها سنة ٧٣٧هـ (١٣٣٦م) عازما على فتحها، فخذق حولها وضرب عليها الحصار وسكن المنصورة بعد ما ادخل عليها بعض الاصلاحات الضرورية واحاطها يومئذ بسور محكم ثم اوقد نار الحرب على بنى عبد الواد فتعددت المعارك بينهم وكان الحرب فيها سجالا فصر لها ابوالحسن حتى انتصر في النهاية واقتحم تلمسان يوم الاربعاء ٢٨ رمضان من سنته (٣٠ افريل ١٣٣٧م) وقضى بذلك على امارة بنى زيان

فتح لاعمال الشرقية

اضطرب جبل الدولة الحفصية اثر موت ملكها ابي يحيى المتوكل ٧٤٧هـ (١٣٤٦م) فنشأت عن ذاك فن ومشاكل وخاصة حول تولى الملك، فنشط لذلك امراء البيت الحفصي واخذ كل في جذب طرف جبل الرئاسة اليه يسعى في تحصيلها بكل وسيلة؛ وفيهم من ذهب مغريا دولة مرين بالانقضاء على دولة الحفصيين واطهر في ذلك رغبة شديدة والحاخا، وكان السلطان ابوالحسن المريني يتحين لها الفرص من قبل لو لا مكان السلطان ابي يحيى من ولايته وصهره . فتجهز يومئذ ابوالحسن لهذا

الفتح بجهازه وجاء محتشدا فاقترح وهران في صفر ٧٤٨ هـ (ماي ١٣٤٧ م) وبنا فيها برج الاحمر ، وامر بانشاء برج المرسى ايضا ؛ واحتل مدينة الجزائر فعمل على تشريد الثعالب من بسيط متيجة الى المغرب الاقصى ونزل ولاية قسنطينة وبجاية فعزل عنهما ولاية الحنصيين وولى عليهما قبيلة من بني مرين ، ثم تقدم الى تونس فاحتلها في موكب عظيم يوم الاربعاء ٨ جمادى الثانية - سبتمبر - يقول ابن خلدون : انه لم ير يوم مثله فيما علقناه . وفر عنها اذ ذاك سلطانها ابو حفص الثاني فيمن اجتمع اليه من اولاد مهلهل فلاحقت بهم جنود ابي الحسن فأوقعت بهم وتردى ابو حفص قتيلا ؛ وفي هذا اليوم تم لبني مرين - كما تم للموحدين قبلهم - الاستيلاء على المغرب الاسلامي بأقطار الثلاثة : المغرب الاقصى والجزائر وتونس

ثورة بني عبد الواد

اخفقت سياسة بني مرين مع العرب في المملكة التونسية واساء بعض العمال في سلوكهم ومعاملاتهم للرعية ، فثار الناس على السلطة المحلية واثاروا ضدها نغم الفتنة واصلتوا سيف المقاومة فانهزمت مرين سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) بنواحي القيروان وبالاثر اجتمع بنو عبد الواد بظاهر تونس وبايعوا ابا سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان ، وتحالفوا مع مغراوة وتوجين ، وارتحلوا نحو الجزائر في خمسمائة فارس ولحق بهم في الطريق من مغراوة ضعف ذلك ، وهم في سيرهم هذا آخذين في مقابلة رؤساء بني مرين واستمروا على ذلك منتصرين حتى دخلوا تلمسان يوم ٢٢ جمادى الثانية ٧٤٩ هـ (١٧ سبتمبر ١٣٤٨ م) فالحقوا القبض على عامل المرينيين بها المستبد ابي سعيد عثمان بن يحيى بن محمد بن جرار العبد الوادي فأودعوه السجن الى ان مات . وفي اثناء ذلك استولى على بن راشد من آل ثابت بن منديل المغراوي على ما كان لسلفه من الملك بوطن شلف ،

وغلب على مليانة وتنس وبرشك وشرشال واتزى اعياص الملك بمواطنهم . ولم يبق يومئذ بيد مرين في الجزائر سوى مدينة وهران ووشريس ، واتفق ان كان حاضرا بأحواز تلمسان يومئذ ابو عنان بن السلطان ابي الحسن المريني فأظهر استبداده بالحكم متوقعا انتصار والده عليها فخاب ، واخاف ريعيا مظنته

عودة الجزائر لبنى عبد الواد

عاد السلطان ابو الحسن المريني من تونس بعد الاستيلاء في شوال سنة ٧٥٠ هـ [ديسمبر ١٣٤٩ م] في ستائة سفينة يريد الجزائر ، وكانت يومئذ زواجر ورياح وعواصف بحرية فغرقت مراكب السلطان المريني ما بين سواحل داس وبجاية وكان فيمن هلك من حاشية السلطان ودائرته الخاصة نحو الاربعمئة عالم ، ولم يكن لينجو من هذا الموت الزؤام سوى ابي الحسن في شردمة قليلة من رجال بلاطه دفعت بهم الرياح فأوقعتهم بمرقا الجزائر فكان هذا الحادث اكبر كارثة اصابت بها الدولة المرينية في اسطولها ؛ ويومئذ اتهم بنو عبد الواد هذه الفرصة واستعدوا في شهر ربيع الاول ٧٥١ هـ - ماي ١٣٥٠ م لاسترجاع مملكتهم وامارتهم الجزائرية فتجهزوا تحت راية زعيمهم ابي ثابت الزياني فخضعت لطاعتهم يومئذ نواحي منداس والسرسو ويطري وحمزة ، ثم قفلوا الى تلمسان فدخلوها في شهر رجب - سبتمبر - فنهض يومئذ ابو الحسن مع ولده الناصر مقاتلا بنى عبد الواد وكان هؤلاء قد حالفوا قبيلة مغراوة العتيدة ، فتصر ابو الحسن اولا على اهل المدينة ومليانة ونواحيها ، ثم كانت عليه الدبرة فقهره ابو ثابت الزياني ، كما انهزم ولده الناصر ايضا امام علي بن راشد رئيس مغراوة ، وكانت الوقعة الكبرى بينهم بسهولة شلف يوم الاربعاء ١٠ شعبان [١٣ اكتوبر] فقتل الناصر المريني وفر والده السلطان الى جبل العمور ثم اصحر من هنالك الى سجلماسة وانتصر بنو عبد الواد وخلصت لهم ارض الجزائر وجاس على عرشها يومئذ ٧٥٢ م (١٣٥١ م) السلطان ابو ثابت الزياني

استيلاء السلطان أبي عنان على أعمال تلمسان

توفي السلطان ابو الحسن المريني سنة ٧٥٢هـ (١٣٥١م) فخلفه ولده ابو عنان فارس ، وان اول ما تقدم اليه من الاعمال وبارسه ان غزا يومئذ تلمسان ، وكان ذلك في السنة الثانية من ولايته ، فبرز لمقاومتها السلطان ابوسعيد عثمان الزياني وكان اللقاء بين الفريقين في سهل «انكاد» في شهر جمادى الاول (جوان) انهزم فيها بنو عبد الواد واسر ملكهم عثمان ثم قتل ، فنهض اخوه ابو ثابت بمغراوة في نواحي شلف ، واشتد سعيه الحرب بينه وبين الوزير فارس بن ميمون المريني فانكسر ابو ثابت وذهب منهزما نحو بجاية وهناك القى القبض عليه واحتل المرينيون مدينة الجزائر في شهر رجب - اوط - ثم حل سلطانهم بالمدينة فأطرد منها ولاية بني عبد الواد وعملهم وقتل هنالك طائفة من وزرائهم ورؤسائهم ثم عاد بالزعيم ابي ثابت الى تلمسان فقتله بها

تملك بجاية

وفد ابو عبد الله الحفصي امير بجاية صجبة وزيرة الحاجب فارح على السلطان ابي عنان وهو يومئذ بالمدينة في شعبان ٧٥٣هـ (سبتمبر ١٣٥٢م) وكان موجب هذه الوفادة : الاستعانة ببني مرين على اهالي بجاية في تمردهم على السلطان وامتناعهم من دفع الجباية ، فاستمع السلطان شكواه هذه واوعز اليه بالواسطة من زين له التنازل عن ولاية بجاية على ان يعوضه السلطان عنها غيرها ما شاء من بلاد المغرب ؛ فكان الامر كذلك ونزل ابو عبد الله عن ولايته فعقد له السلطان ابو عنان على مكناسة الزيتون وصارت بجاية لعمر بن علي الوطاسي

انقراض بجاية ، وفتح قسنطينة وبونة

اغتاض اهل بجاية من استلاء السلطان المريني عليهم وساءهم منه ايضا سلوكه السياسى معهم ، فبيتوا على الثورة ، واتفق ان قدم عليهم الحاجب فارح في مأمورية له من طرف اميره الحفصى ، فاجتمع به اهل بجاية واثمروا بحاكمها الوطاسى فقتلوه في ذى الحجة ٧٥٣هـ (جانفي ١٣٥٣م) وكانت هنالك غارة شعواء بين الفريقين ، فقبض سلطان مرين على ابي عبد الله الحفصى بتهمة المداخلة مع وزيره فارح ، واعتقل معه طائفة من اشراف بجاية وسادتها ممن كان ملتزما بابيه ؛ ثم لحق اهل بجاية ندم على ما فرط منهم فخشوا بوادر ابي عنان وفتكه فانقلبوا على الحاجب فارح فاغتالوه في جماعته وبعثوا براسه الى السلطان ابي عنان ؛ فعقد يومئذ لحاجبه ابي عبد الله محمد بن ابي عمرو على بجاية فجاءها في كتابه مفتتح سنة ٧٥٤هـ (فيفري ١٣٥٣م) فضبط شؤون الحكومة بها واصلاح من امرها واخذ الفتن القائمة يومئذ بأحوازها وقبض على رؤوس الفتن وموقديها من اهل بجاية فاعتقلهم وشردهم الى اقصى المغرب وكان عددهم يناهز المائتين

وفي العشرين من رجب ٧٥٨هـ (١٠ جويلط ١٣٥٧م) نازل الوزير فارس بن ميمون مدينة قسنطينة ثم لحق به السلطان ابو عنان في جم غفير من الجند فاحتلها يوم ثاني عشر شعبان - فاتح اوط - واطرد منها اميرها ابا العباس احمد بن محمد بن ابي بكر الحفصى ، وتولى عليها يومئذ المنصور بن الحاج خلوف اليباني من رجال الشورى بدولة مرين فنزل بقصبتها في شعبان من هذه السنة ؛ وفي هذه الاثناء كان استيلاء مرين ايضا على بونة - عنابة -

الجزائر بين بني عبد الواد وبني مرين

انتصر محمد الحاجب المريني فتغلب على امير قسنطينة سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤م) وبقى يتقلب في وظائف مختلفة بأعمال هذه الولاية، فدخل ميلّة وباع الى المسيلة؛ ثم امتلك سلطان مرين بعدها بجاية وبونة الخ... وفي سنة ٧٦٠ هـ (١٣٥٩م) انتصر السلطان ابوحمو الزياني على بني مرين فانتزع منهم تلمسان؛ وفي السنة بعدها حمل السلطان ابوسالم المريني على تلمسان انتقاما من سلطانها الزياني لايوائه الزرد الى عامل درعة وقاتل اخ السلطان، فاحتشد لتلمسان في حملة شديدة في شهر رجب - ماي - واقتحمها يوم ٦ شعبان - ٢٣ جوان - فقاومه ملكها ابوحمو الثاني وابعده عنها يوم ٨ رمضان - ٢٣ جولييت -

وفي سنة ٧٧١ هـ (١٣٦٩م) وفد على السلطان عبد العزيز المريني طائفة من خواص اهل مدينة الجزائر ونواحيها يشكون اليه حيف دولة بني زيان وشططها في رسم المغرب؛ فكانت هذه فرصة سانحة لرحف عبد العزيز الى تلمسان واحتلالها يوم عاشوراء ٧٧٢ هـ (اوط ١٣٧٠م) واستولى بذلك على ملك بني زيان، وانتزع من العرب اقطاعاتهم وفرق يومئذ عماله في بلاد المغرب الاوسط بوهران ومليانة والجزائر والمدينة ووانشريس الخ..... واقام السلطان المريني بتلمسان الى ان ادركه حينئذ ووافاه تمام بها سنة ٧٧٤ هـ [١٣٧٢م] فبويع آن ذاك ولده محمد الثاني بفاس؛ ومكث ابو سعيد عثمان بن جرار واليا على تلمسان من قبل مرين الى ان اقتحم عليه المدينة السلطان ابوحمو الثاني في شهر جمادى الاولى سنة ٧٧٦ هـ [نقمبر ١٣٧٤م] فخرج منها يومئذ ابو سعيد وعادت الجزائر الى بني عبد الواد

انقسام بني مرين وتملك بني عبد الواد

كان استبداد عبد الرحمن المريني بملك مدينة مراكش وجلوسه على عرشها سنة ٧٧٦هـ [١٣٧٤م] وخروجه عن طاعة ابن عمه سلطان فاس ابي العباس احمد بن سالم سببا في استقلال بني عبد الواد بملك تلمسان ، وذلك لاتصار سلطانهم ابي حمو لصاحب مراكش ، وفي منتصف السنة هذه غلب صاحب فاس على ابن عمه فدخل عليه مراكش ثم التحق بتلمسان منتقما من صاحبها فانهزم ابو حمو سنة ٧٨٥هـ [١٣٨٣م] وهدمت يومئذ اسوار المدينة وقصور الملك بها وقد كانت بحيث لا يعبر عن حسنها ... وبعث ابو العباس بولده فاحتل مدينة مليانة والجزائر ودلس ثم استرجع ابو حمو مدينة تلمسان في السنة التالية ، فعمد يومئذ ابو العباس الى الحيلة والدهاء فأوحى الى ابي تاشفين الزياني بغدر والده وقتله ليتملك ، فزين الشيطان لهذا الشقي تنفيذ هذه المؤامرة الشنيعة فمات والده شهيد الغدر والخيانة واقام ابو تاشفين بتلمسان الى سنة ٧٩٥هـ [١٣٩٢م] فامتلكها يومئذ ابو العباس سنة واحدة ثم مات فخلفه والده عبد العزيز الثاني ، وهو الذي اطلق وثاق السلطان ابي زيان من السجن واعاد اليه اماره تلمسان ، فانفردت بملكها يومئذ هذه الاسرة الزيانية من بني عبد الواد واستمرت تحكم بها الى الفتح التركي العثماني

المذاهب والمعتقدات

كان انتصار بنى مرين الزيانيين على المصامدة الموحدين فرصة لفقهاء المالكية ، فعملوا على اعادة ريعان المذهب المالكي ونصرت به بالمغرب بعد ان قضى عليه الموحدون واستبدلوه بالمذهب الظاهري او ما سموه اجتهدا ؛ فتأسست يومئذ المدارس الحكومية وانتشر التعليم مجانا بها ، واقبل عليها الطلبة يغرفون من معينها ، ولقد نجحت الحكومة بعملها هذا يومئذ في القضاء على بعض الشخصيات والاسر النبيلة المتطلعة الى الرئاسة باسم التصوف وخدمة العلم فقضت على ما اثنى من طرف هؤلاء من الزوايا والربط ؛ ونشأ عن هذا التزاحم بين مدارس الحكومة وزوايا المتصوفة ما كان فيه خير للعلم والدين فكان لكل من هاتين الناحيتين فضل كبير على المجتمع المغربي من حيث خدمة الفقه المالكي بالخصوص ، فنبغ فيه فطاحل من رجال الشريعة والقانون وان لم يأخذوه بتنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب في المشرق ، ذلك كما يقول ابن خلدون اتسغلب البداوة على اهل المغرب ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لاهل العراق فكانوا الى اهل الحجاز اميل لمناسبة البداوة ، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضا عندهم (١)

ومن نبغاء الفقه بالمغرب يومئذ : عيسى التتادلى الفاسى ، فانه كتب المدونة من حفظه بعد ما استأصلها الموحدون واحرقوها كما املاها ابو الحسن على بن عشرين على طلبة العلم من حفظه ايضا ، وقوبلت هذه النسخة على اصول المدونة فلم تختلف عنها الا بواو او فاء ...

واطردت يومئذ حركة التاليف في الفقه وتوسع الفقهاء في الفروع استنباطا وتخريجا على مقتضى قواعد المذهب المالكي . اما العقائد فانها لم تحد يوما قيد انملة عن ما تركها عليه ابن تومرت منذ جاء من المشرق بمذهب الامام الاشعري

فخامة بلاط بنى مرين

يذكر المؤرخون انه كان للسلطان ابى الحسن المرينى تعلق شديد بالحرمين الشريفين وانه اهدى للحرم الملكى فى موسم الحج لسنة ٥٧٣٨هـ (١٣٣٨م) مصحفاً سنياً خطه بيمينه متقن الوراقه مهذب الصنعة ، جمع له نبغاء الفنون الجميلة فصنعوا له وعاء مزخرفاً من آبنوس مطعماً بالعاج والصندل مغشى بصفائح من ذهب مرصعة بالجواهر والياقوت ، واتخذوا له اصونمة الجلد المحكمة مرقومة بخطوط ذهبية يعلوها غلاف من الحرير والديباج الرفيع وبعث مع وفد الحاج عدداً وافراً من المال لشراء ضياع وحقول بالمشرق وتجبسها وقفا على القراء

خرج هذا الوفد السلطانى من تلمسان وركب البحر من مرسى هنين مصحوباً بهدايا اخرى فخمة ضاحكة ارسل بها السلطان الى صاحب مصر الملك الناصر محمد بن قلاوون . وكان من جملة محتويات هذه الهدية الملكية [٨٢٥] حجراً من ياقوت، و[١٢٨] من زمرد ، ومثلها زبرجدا ، و[٣٦٤] قطعة من المجوهرات النفيسة ؛ وحلل كثيرة منها [١٣] مذهبة ، ومن الانان [٢٠] مذهبة ايضا ، ومن الخالدى [٤٦] ، ومن القنوع المذهبة [٢٦] ، ومن المحررات المختمة [٨٠٠] ، ومن الرصان [٢٠] شقة ، ومن الاكسية الحريرية [١٨] ، ومن المشققات [١٥٠] ، ومن احارم الصوف المحررة [٢٠] ، ومن شقق الملف الرفيع [١٦] ، ومن الفضالى المتنوعة والفرش والمخاد المنبوقمة والحلل [٨٠٠] ، ومن اوجه واحسن الالحف المذهبة [٢٠] ، وحائطان حلة وحنابل [١١٢] كلها من حرير ، وفرش جلد مطرزة بالذهب والفضة ، و[١٠] سيوف محلات بالذهب منضدة بالجواهر ، واغمدتها كذلك مرصعة ، و[١٠] سروج بركاب من ذهب ، ومثلها عشرة مطروزة بالفضة ، ومهاميز من ذهب ، وثلاث ركب فضة وستة مزججة ومذهبة ايضا ، ومضمتان من ذهب وخوذة حديد بذهب مكلل بالجواهر ، و[١٠] من لزمات الفضة ، و[١٠] علامات مغشاة بالذهب ، ومثلها رايات مذهبة و[١٠] امثلة

مرقومة ، و [٣٠] جلد اشرك ، و [٤٠٠] درقة لمطية منها مئتان بنهود الذهب وثمانمائة بنهود الفضة ؛ وخباء قبة كبيرة من مائة بنية لها اربعة ابواب ، وقبة اخرى مضربة من ست وثلاثين بنية مبطنة بحلة مذهبة ، وهي من حرير ابيض ومرابطها من حرير ملون وعمودها من عاج وآبنوس واكبارها من فضة مذهبة ؛ ومن البزات الاحرار المنتقات [٣٤] بزة ، ومن عتاق الحيل العرب [٣٣٥] حصانا ، ومن البغال [١٢٠] ذكورا واناثا ، و [٧٠٠] حمل ، و [٣٢] بازا . مما كان يقدر يومئذ جميعه بمائة الف دينار . وكان اتصال هذا الوفد بالديار المصرية في اليوم الثاني من رمضان ٧٣٨ هـ (٢٤ مارس ١٣٣٨ م) فتلقيه مهندهما السلطان الناصر بحفاوة واجلال مما جعل هذا اليوم في التاريخ من ايام مصر المشهوده ، وحملت الهدايا على ثلاثين قطارا من بغال النقل - عدا الجمال - وكفانا هذا حجة ودليلا في سياق الاستشهاد على فيخامة بلاط الدولة المرينية وضحامة سلطاتها وكافاً للملك الناصر عن هذه الهدية الملكية الفخمة العظيمة بما يقاربها من التحف النفسية والاشياء الثمينة ، وفيها ما يستغرب جنسه وشكله فازدادت العلاقات الودية بذلك بين ملوك المشرق والمغرب تأكيداً كما ازداد التضامن والارتباط الاسلامي بينهم ميثاقاً وعهداً (١) ومما يعد كذلك من رفاهة هذه الدولة وتقدمها في الميدان الفني ما وجد بقصر السلطان ابي عنان من ذلك النموذج العجيب الفريد الذي يمثل شكل قلعة جبل الفتح - جبل طارق - بجميع ما احتوى عليه هذا الجبل من الابراج والحصون وغير ذلك من مظاهره العمرانية واسواره الخ.... فلا غرو اذا كان يومئذ هذا البلاط يفوق غيره من قصور قرطبة وبغداد والقاهرة ، وهذا معنى قول ابن خلدون : ان الحاضرة الاندلسية انتقلت بالاندلس الى ملوك المغرب من الموحدين وزناته

(١) انظر تفاصيل هذه الهدايا والعلاقات الودية والسفارات السياسية التي كانت تقع بين ملوك المشرق والمغرب في تاريخ ابن خلدون ج ٥ ص ٤٢٠ و ٤٤٠ و ٤٧٩ و ٥٠١ وفي التعريف بابن خلدون ص ٣٤١ و ٣٤٥ ط القاهرة ١٣٧٠ هـ وكتاب الاستقصاء ج ١ ص ١٧٤ و ج ٢ ص ٤٠ - ٤١ وكتاب الروضتين لابي شامة ج ٢ ص ١٧٣ ط مصر ١٢٨٨ هـ

الثقافة والحضارة والعمران

انقضى القرن الثامن الهجرى بالمغرب وله عراك وفتن وحروب واضطرابات سياسية مختلفة اثارها النزوات السياسية والعصبية القبلية بين بنى مرين ومجاورهم من بنى عبدالوادر والحفصيين، ولذلك لم نكد نظفر بأثار عمرانية باقية تذكر لهذه الدولة بالجزائر سوى ما سجله التاريخ من التخريب والتدمير والنسف لما شيدته يد الحضارة الاسلامية بهذه الديار من قبل

واذا حاولنا تحليل هذه الظاهرة المنجلية يومئذ في سكان المغرب، فانتا لانكاد نجد لها تعليلا معقولا او حالا مطابقا للواقع سوى فقر بعض النواحي النائية عن الحضارة ومواطن الرفاهية بالمغرب. مما جعل اهلها يزدحمون على الاماكن الحضرية ومواقع الخير

ورغم ذلك كله فانها لا تزال بعض معالم المدنية من آثار هذه الدولة ماثلة للعيان قائمة بالمغرب الاقصى والجزائر؛ ممتازة برشاقتها وشكلها الاندلسي البديع؛ فمنها بفاس المدرسة العنانية ومدرسة العطارين ومدرسة الصغارين ومدرسة الصهريرج والمدرسة المصباحية الخ ومنها بالجزائر وهي قليلة جدا كما ذكرنا لا تكاد تذكر بالنسبة الى عظمة هذه الدولة وفخامة سلطانها واتساع عمرانها - : المسجد الجامع المتصل بضريح الشيخ ابي مدين شعيب بن الحسين الاندلسي بضاحية العباد في تلمسان، وكذلك المدرسة المجاورة له، وكلاهما من منشآت السلطان ابي الحسن المريني سنة ٧٤٨هـ (١٣٤٧م) وكلاهما آيتة في فن المعمار والزخرفة والنقش؛ اما الضريح نفسه فهو من بقايا ما انشأه خليفة الموحدين محمد الناصر بن المنصور بالجزائر؛ ومنها البرج الاحمر وبرج المرسي بوهران الذان انشأهما ابو الحسن ايضا في تلك السنة، والمسجد الجامع بمستغانم ٧٤٢هـ (١٣٤٠)؛ ويذكران بالجامع الاعظم في الجزائر جناحاه هو من زيادات ابي الحسن. وذلكم الجامع الجميل مسجد سيدي الحلوى بتلمسان فانه مما اخرجته يد الفن المغربي

على عهد السلطان ابي عنان ٧٥٤هـ (١٣٥٣م) وكذلك ما اتصل به من البناء هو مما انشئ في ذلك العصر ، كما يذكر ان الجامع الكبير بقسنطينة هو ايضا من آثار ابي عنان. وتدلنا الابحاث التاريخية على ان الجامع الجديد مركز ديوان الافتاء الحنفى اليوم بالجزائر المؤسس سنة ١٠٧٠هـ (١٦٦٠م) انما بنى على انقاض المدرسة العنانية ؛ وانه كان يعرف من قبل بجامع زاوية سيدى ابي عنان او جامع المدرسة العنانية ؟ ... ولا ادرى ما العلاقة في ذلك ؟ وكذلك قصبة بلدة المدينة فانها انشئت سنة ٧٠٤هـ (١٣٠٤م) على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المرينى ، ولا تزال الى اليوم بقايا من اطلال مدينة المنصورة التى أقامها هذا السلطان نفسه غربى تلمسان سنة ٦٩٨هـ (١٢٩٩م) تشهد بمنتهى ما بلغه فن المعمار المغربى الجزائرى من الابداع والاتقان في ميدان الزخرفة والنقش واحكام البناء ، قال ابن مرزوق الخطيب « منصوره تلمسان التى لم ير الراؤون مثلها ، ولا وصف الواصفون مثل وصفها... (١) اما عن سير الحياة الاقتصادية والحركة التجارية ؛ فقد كادت المنتوجات المغربية ان تنحصر يومئذ في صناعة الجلد ونسج الصوف والحرير المزركش ، ولقد اشتهرت معامل الصوف المغربية في العالم حتى اشتق لها في لغة اوروبا اسم Merinos - ميرينوس - وهو خاص بالنوع الجيد من الصوف ، وهى كما لا يخفى نسبة الى المرينيين ، وكذلك صناعة الجلد اشتهرت في اورويا بنسبتها الى المغرب Maroquinerie ولا تزال تعرف بهذا الاسم الى الآن .

واذا اردنا ان ننظر الى خصوصية الاقليم الجزائرى في ذلك فانه يكفيننا ان نعلم ما حكاه ابن خلدوى عن الحياة العامة في مدينة المنصورة التى هى قرب تلمسان ونجعله كنموذج مصغر نطلع به على سير الحركة الاقتصادية بالجزائر في ذلك العصر ، قال :

واختط بمكان فسطاط المعسكر قصرا لسكناه واتخذ به مسجدا للصلاة وادار عليها السور وامر الناس بالبناء فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحبة والقصور الانيقة واتخذوا البساتين واجروا المياه ثم امر بادارة السور سياجا على ذلك سنة اثنتين وسبعين وصيرها مصرا فكانت من اعظم الامصار والمدن واحفائها اتساع خطتها وكثرة عمران ونفاق اسواق واحتفال ببناء وتشيد منعة ، وامر باتخاذ الحمامات والمارستان وابتنى مسجدا جامعاً وشيد له مأذنة رفيعة فكان من احفد مساجد الامصار واعظمها وسماها المنصورة واستبحر عمرانها ونفقت اسواقها ورحل اليها التجار بالبضائع من الآفاق فكانت احدى مدائن الغرب (١)

اما عن سير الحركة العلمية ونظام التعليم ، فإنه يكفي ان قد عرف هذا العصر عند المؤرخين بعصر انشاء المدارس والمعاهد وترسيم العلماء والمدرسين بها ، غير اننا نرى القوم يومئذ تغلب عليهم علوم الشريعة والدين ، ولاحظ لهم في غيرها من الفنون العقلية الا قليلا مما جاءهم عن علماء اندلسيين او مشارقة ، وذلك لان العلوم الفلسفية نشأت هنا على ايدي افراد متفرقين حركتهم الرغبة اليها فهم متفرون لا تربطهم محالس ، وهم فوق ذلك تحت رقابة من علماء الرسوم المتزمتين وتكاد تلح سير الحياة العلمية ببرامجها وفي جميع مظاهرها بالمغرب يومئذ فيما سطره ابن خلدون عن نظام التعليم وطريقة المغاربة في ذلك حيث قال :

«وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي ادركنا يجهلون طرق التعليم وافادته ويحضرون المتعلم في اول تعليمه المسائل المقلقة من العلم يطالبونه باحضار ذهنه في حلها ، ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه ، ويكلفونه رعى ذلك وتحصيله ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها وقبل ان يستعد لفهمها ، فان قبول العلم والاستعدادات لفهمها تنشأ تدريجيا ، ويكون المتعلم اول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة الا في الاقل وعلى سبيل التقريب

والاجمال وبالامثال الحسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذى فوقه حتى تتم الملكة فى الاستعداد ثم فى التحصيل ، ويحيط هو بمسائل الفن ؛ واذا القيت عليه الغايات فى البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعى وبعيد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم فى نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى فى هجرانه وانما اتى ذلك من سوء التعليم»

«وكادت ان تنقرض وتتقطع صناعة التعليم هذه بالمغرب لولا ان ارتحل الى المشرق من افريقية - يعنى تونس - القاضى ابوا القاسم بن زيتون لعهد اواسط المائة السابعة ، فأدرك تلميذ الامام ابن الخطيب - الفخر الرازى - فأخذ عنهم ولقن تعليمهم وحذق فى العقليات والنقليات ورجع الى تونس بعلم كثير وتعليم حسن... ثم ارتحل من زواوة فى آخر المائة السابعة ابو على ناصر الدين المشدالى وادرك تلميذ ابى عمرو بن الحاحب واخذ عنهم ولقن تعليمهم وقرا مع شهاب الدين القرافى فى مجالس واحدة وحذق فى العقليات والنقليات ورجع الى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد ونزل بجاية واتصل بسند تعليمه فى طلبتها ، وربما انتقل الى تلمسان عمران المشدالى من تلميذه واوطنها وبث طريقته فيها ، وتلميذه لهذا العهد ببجاية وتلمسان قليل اواقل من القليل ؛ وبقيت فاس وسائر اقطار المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان ، ولم يتصل بسند التعليم فيهم فعرس عليهم حصول الملكة والحذق فى العلوم»

وفى بيان سلوك الطلبة فى تعلمهم وخطتهم المتبعة المرسومة فى تلقى العلم يقول :
« انك تجد طالب العلم منهم - المغاربة - بعد ذهاب الكثير من اعمارهم فى ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاضون ، وعنايتهم بالحفظ اكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف فى العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من يرى نفسه منهم انه قد حصل تجد ملكته قاصرة فى علمه ان فاض

او ناظر او علم ، وما اتاهم القصور الا من قبل التعايم وانقطاع سنده ، والا فحفظهم ابلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم انه المقصود من الملكية العلمية ، وليس كذلك؛ ومما يشهد بذلك في المغرب ان المدة المعينة لسكنى طلبية العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة ، وهى بتونس خمس سنين ، وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هى اقل ما يتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكية العلمية او اليأس من تحصيلها فطال امدها في المغرب لهذه المدة لاجل عسرها من قلة الجودة في التعليم خاصة لامما سوى ذلك . وان ايسر الطرق للحصول على هذه الملكية العلمية والحدق في العلوم هو فتح اللسان بالمحاوراة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذى يقرب شأنها ويحصل مرامها »

ورغم هذا الانتواء والتعقيد في طرق التحصيل يومئذ فانه نبغ بالجزائر في هذا العصر علماء فطاحل اشتهروا بالزعامة في العلم والرئاسة في الدين كـ **كيت** العقباني والمشدالي وابن مرزوق والعبدري وابن قنفذ القسنطيني وشقرون الوهراني شيخ الحافظ الذهبي وغيرهم من اعيان علماء الجزائر

ولقد اشتهر ملوك هذه الدولة المرينية بنصرة العلم والاخذ بيد العلماء فان محالهم كانت لا تخلوا من طائفة كبيرة منهم وفيهم من كان لا يستغنى عنهم حضرا وسفرا كالسلطان ابي الحسن وولده ابي عنان مثلا ؛ وخزائنهم مملوءة بمختلف المؤلفات النفيسة في شتى انواع الفنون ولم يكن ليشغلهم عن جلب الكتب الى المدارس والمساجد وتوزيعها على المعاهد العلمية شيء ، بل وحتى في اخرج المواقف واشدها فان عنايتهم دائما وابدا مصروفة الى العلم ، فها انت ترى السلطان ابا يوسف يعقوب المريني كيف اشترط على ملك الاسبان «سانشو الرابع» في معاهدة الصلح التي عقدها معه : ان يعيد اليه جميع المخطوطات العربية التي حازها ايام استيلائه على قرطبة واشبيلية ، فبعث اليه سانشو المذكور بثلاثة عشر حملا من الكتب ، فرقها ابو يوسف ووزعها بين خزائن مساجد المغرب ؛ وكان رحمه الله يعد ذلك

في نفسه انتصارا عظيما ما يفتخر به وانه لا يقل عن انتصاراته العظيمة في الحروب والغزوات

ويعود ابن خلدون فيحدثنا عن سير التعليم الابتدائي بالمغرب ايضا فيقول بعد تقديم الكلام على اختلاف مناهجه وطرقه وتنوع اساليبه عند الامم : « ... فأما اهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط ، واخذهم اثناء المدارس بالرسوم ومسائله واختلاف حماة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب الى ان يحذق فيه او ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة ، وهذا مذهب اهل الاوصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر امم المغرب في ولدانهم الى ان يجاوزوا حد البلوغ الى الشبية وكذا في الكبير اذا رجع مدارس القرآن بعد طائفة من عمرة ، فهم لذلك اقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم »

« واما اهل افريقية - تونس - فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسه قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها ، الا ان عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان اياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءته اكثر مما سواه ، وعنايتهم بالخط تبع ذلك ، وبالجملة فطريقهم في تعليم القرآن اقرب الى طريقة اهل الاندلس لان سند طريقته في ذلك متصل بمشيخة الاندلس الذين اجازوا عند تغلب النصارى على شرق الاندلس واستقروا بتونس وغنهم اخذ ولدانهم بعد ذلك » ويذكر لنا ابن خلدون نتيجة ملاحظته الدقيقة في خصوصية نظام التعليم هذا بتونس والمغرب فيقول :

« فأما اهل افريقية والمغرب فأفادهم الاقتصار على القرآن القصور عن ملكة اللسان جملة ؛ وذلك ان القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما ان البشر مصروفون عن الاتيان بمثله ، فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على اساليبه

والاحتذاء بها وليس لهم ملكة في غير اساليبها فلا يحصل اصحابها ملكة في اللسان العربي وحظه الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام ، وربما كان اهل افريقية في ذلك اخف من اهل المغرب لما يخالطون في تعليمهم القرآن بعبارات العلوم في قوانينها كما قلناه فيقتدرون على شيء من التصرف ومحاذاة المثل بالمثل ، الا ان ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة لما ان اكثر محفوظهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة»

وكما يحدثنا مؤرخنا العظيم عن حالة الخط العربي بالمغرب وسقوط صناعة نسخ الكتب يومئذ بتدهور الخط وانحاطه فيقول آسفا :

« صارت الخطوط بافريقية والمغربين مائلة الى الرداءة بعيدة عن الجودة ، وصارت الكتب اذا اتسخت فلا فائدة تحصل لمتصفحها منها الا بالعناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الاشكال الخطية عن الجودة حتى لا تكاد تقرأ الا بعد عسر ، ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول »

اما عن صناعة الطب وفنون الحكمة فانها نقصت كذلك في هذا العصر لوقوف العمران وتناقصه؛ واما الغناء وفن الموسيقى فقد بقيت منه صباة كما يقول ابن خلدون تناقلت عن بلاد الاندلس بعد ذهاب غزارتها الى بلاد العدو بافريقية والمغرب ، وانقسم على امصارها على تراجع عمرانها وتناقص دولها (١) والمعروف عن اهل الاندلس انهم اخذوا فن الغناء وورثوه عن زرباب غلام الموصليين فاليه يرجع سند فن الغناء وموسيقى اهل العواصم من الحضر باقطار المغرب الثلاثة

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٠٥ و ٢١٠-٢١١ و ٢٤٠ و ٢٧٥-٢٧٧-٢٧٨ ط بولاق ١٢٧٤ هـ

انهيار الجزائر المرينية

امضت دولة مرين كل ايامها بالجزائر في عراق ومقاتلة ضد مزاحمها من بني ابي حفص وبني عبد الواد ، بله ما كان يتجاذبها من حوادث الثوار بالمغرب الاقصى والاندلس ومحاربتها المتواصلة في رد هجوم القشاليين والبرتغال والايطاليين عن بوغاز جبل طارق وسواحل المغرب الخ.... فظهر يومئذ عجزها على القبض بادارة المغرب الاسلامي كله

ولما افضى امر الدولة الى السلطان ابي سالم ابراهيم بن ابي الحسن نفص يده من شرق مملكة الجزائر وكتب في ذلك الى المنصور بن خلوف ليسلمها الى ابي العباس الحفصي؛ فتسلمها بنو ابي حفص في رمضان سنة ٧٦١هـ (جوليت ١٣٦٠م) وبقي غرب الجزائر متصلا بالمملكة المرينية الى ان انتصب السلطان ابو زيان بن ابي حمو الثاني على عرش تلمسان سنة ٧٩٦هـ (١٣٩٣م) فقطع دعوة المرينيين عنها كما المعنا الى ذلك فيما تقدم ، وكما سنوضحه فيما يلي ان شاء الله من تاريخ دولة بني زيان

ويومئذ انجازت دولة مرين الى المغرب الاقصى الى ان صار ملكها الى ابي سعيد عثمان فأخذ البرتغاليون يومئذ في بسط نفوذهم ونشر سلطتهم على الشواطئ المغربية بدافع التنافس والتزاحم بينهم وبين الاسبان في سبيل الوصول الى الهند فسقطت بعض الموانئ المغربية بيد الاجانب واحتلت معظم المراتي، واهمها ، وساءت يومئذ سياسة السلطان عبد الحق بن ابي سعيد فاقسم الوزراء النفوذ بينهم والسلطة وتسلط اليهود على الادارة العليا فجازوا اسمى مناصب الدولة فكان هارون وزبرا وشاويل حاكما بفاس ، فسقطت بذلك هيبة السلطان من نفوس الرعية ووهت العلائق بينهما وتضعضت دعائم الملك فانحل تماسكها وعم الاضطراب والفشل سائر اعضاء الدولة ورجالها المسؤولين فنارت الرعية ساخطة على السلطان عبد الحق فقتلته وقتلت معه ولاتما اليهود ٨٦٩هـ (١٤٦٥م) وبقتله انتهى دور اسرة بني عبد الحق ، وانتصب مكانها بنو ووطاس وهم من بني مرين ايضا ،

فبقى الامر فيهم الى ان تغلب عليهم ابو عبد الله محمد الشيخ القائم بأمر الله السعدي فاحتل مدينة فاس سنة ٩٦١هـ (١٥٥٤م) فانقرضت يومئذ دولة بني مرين بالمغرب الاقصى وحلت محالها الدولة السعدية، وذلك لثلاث وتسعين ومائتي سنة قضتها هذه الدولة في حكم المغرب الاسلامي، امضت منها بالجزائر ١٢٤ سنة، وباشرت الحكم فيها بنفسها نحو ربع قرن ثم تركتها لبنى عبد الواد فحكموها طيلة بقية هذه المدة تحت امرها وطاعتها الى ان انقرضوا بها

ولاة الجزائر وزعمائها

اشتهر من ولاة الجزائر على عهد المرينيين يحيى بن سليمان العسكري عقد له السلطان ابو الحسن على فتح القطر الجزائري فصار اليه سنة ٧٣٦هـ (١٣٣٥م) وفتح امصاره حتى انتهى الى بلدة المدية؛ وكما عقد هذا السلطان لولديه عبد الله على مدينة الجزائر وابى عنان على تلمسان وسائر المغرب الاوسط، فتولى ذلك ابو عنان سنة ٧٤٧هـ (١٣٤٦م) وكانت اليه جبايته، كما تولى نفس هذه الولاية محمد المهدي على عهد والده ابى عنان ايضا؛ ولما ظهر انتصار بنى زيان على المرينيين وخرج ابو عنان من تلمسان سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٨م) ترك على ولايتها عثمان بن يحيى بن جرار فدعا لنفسه اشهرها الى ان دخل عليه بنو عبد الواد فاستأمن فأمنوه بعد ما عزلوه ومات من سنته، وكثيرا ما تولى مشيخة بنى عبد الواد هذه الولاية تحت طاعة بنى مزين. واشتهر من ولاة الثعالبية بميتجة ابو الحملات بن عايد بن ثابت بن محمد بن سباع الثعالبى هلك فى طاعون سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٨م) فخلقه ابراهيم بن نصر بن حنيش بن ابى حميد ثابت، ولما هلك ايام ابى عنان تولى مكانه ابنه سالم. وعقد السلطان ابو عنان للحاجب محمد بن ابى عمرو على بجاية وسائر اعمالها وعلى حرب الموحدىن بقسنطينة. وقد جمع له من قبل ما بين الحجابة والقيادة والعلامة والسفارة وديوان الجند والحساب والقهرمة وسائر القاب وظائف الدولة، وحتى خصوصيات الدار، فصار ابن ابى عمرو والى بجاية

سنة ٧٥٤هـ (١٣٥٣م) وتولى زمامها الى وفاته في المحرم ٧٥٦هـ [جانقي ١٣٥٥م]
 فتولى بعده الوزير عبد الله بن علي بن سعيد اليباني : ثم عزل واعتقل ، فتولى
 مكانه القائد يحيى بن ميمون بن امصمود فتغلب عليه الحفصيون واعتقلوه
 بتونس سنة ٧٦٠هـ - ١٣٥٩م كما تولى علي بجاية ايضا كل من محمد بن النوار
 - وهو من طبقة الوزراء - وعمر بن علي بن الوزير بن ابي وطاس ؛ وابي
 عبد الله محمد بن الامير ابي زكرياء ولالة ابو عنان اقليم بجاية ليدفع عنه حملة
 ملوك تونس يومئذ ، كما انه ولي علي قسنطينة يوم أن فتحها ٧٥٨هـ [١٣٥٧م]
 المنصور بن الحاج خلع اليباني المريني ، ثم امره بالنزول عنها سنة ٧٦١هـ
 - ١٣٥٩م وتركها للامير ابي العباس الحفصي ؛ وكان علي ولاية بونة الفضل بن
 يحيى فنار ضد الحكومة المركزية سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٨م) وغلب علي قسنطينة وبجاية ؛ وكان
 علي ولاية دلس يحياتن بن عمر شيخ بني ونكاسن المرسمين ، وعلي ولاية
 الجزائر ابن علان ، وجعلت جبايتها للمسعود بن ابراهيم اليرناني من طبقة
 الوزراء ؛ وكان علي اعمال قسنطينة محمد بن العباس ، وعلي ولاية بسكرة يوسف
 بن مزني وهو صاحب زمام رياح ، ورأسه مليانة كانت لعلي بن حسون بن ابي
 علي الهساطي - او اليناطي ؟... - وهو احد قادة السلطان ومواليه ، اجتمع به ابن
 خلدون في دار حكمه بمليانة سنة ٧٧٤هـ (١٣٧٢م) ؛

وكانت رأسه قبائل احياء العطاف في اولاد يعقوب ، ورأسه بني عامر لصغير
 بن علي ، ورأسه كومية لابراهيم بن عبد الملك الولهاصي نسبة الى قبيلة ولهاصة
 بساحل التافنا فاستبد بهذه الولاية برهة واطرها علي بن مرين وبني عبد الواد
 نارا تلضي الى ان قضى عليه بنو عبد الواد فكان حاله مثل ابي سعيد عثمان بن
 جرار حين ولالة ابو عنان تلمسان

وكانت رأسه سدويكش - البسائط الواقعة بين قسنطينة وبجاية - لبنى علاوة بن سواق، واشهرهم مهنا بن تازير بن طلحة بن علي بن علاوة بن سواق؛ فقتله بنوعمه اولاد يوسف بن حمو بن سواق، وحينئذ تراس عليهم عدوان بن عبد العزيز بن زروق بن علي بن علاوة، ثم هلك فافترق بعده امرهم. وبقيت رأسه سدويكش لاولاد يوسف المذكور؛ قال ابن خلدون « ويرادف اولاد سواق في الرأس على بعض احياء سدويكش بنو سكين. ومواطنهم جوار لواته بجبل بابوروما اليه من نواحي بجاية، ورأسهم في بني موسى بن ثاير ادر كسنا ابنه صخر بن موسى » (١)

وكان علي رأسه بنى يزيد بسهل حمزة موسى بن ابي الفضل، وعلي رأسه وانشرس نصر بن عمر بن عثمان، وكانت رأسه مسراته بالقلعة المطلية على البطحاء من نواحي سيق غربي نهر مينة، لبنى عبد العزيز، ثم انتقلت الى بنى عمهم بنى اسحاق؛ وكانت رأسه قبيلة ونيفن الهوارية مما يلي نيسة لاولاد سليم بن عبد الواحد بن عسكر بن محمد بن بكرة، وكانت قبلهم لسارية

وكان علي ولاية وهران القائد عبوس بن سعيد من صنائع بنى مرين، واقطع ابو عنان وزيره ابا يعقوب ونزمار بن عريف سهل «السرسو» وقلعة ابن سلامة ومواطن من بلاد توجين - ما بين قلعة سعيدة غربا الى المدينة شرقا -

واما عن امراء البحر فانه لم يحضرني الآن من اسمائهم سوى القائد ابي عبد الله محمد الاحمر

ملوك الدولة المرينية

بنو عبد الحق :

تاريخ التولية

٥٥٩٢ هـ ١١٩٦ م	ابو محمد عبد الحق بن ابي خالد محيو
٥٦١٤ هـ ١٢١٧ م	ابو سعيد عثمان بن عبد الحق (ادغال)
٥٦٣٧ هـ ١٢٣٩ م	محمد (الاول) بن عبد الحق
٥٦٤٢ هـ ١٢٤٤ م	ابو يحيى ابوبكر بن عبد الحق
٥٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م	ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق
٥٦٨٥ هـ ١٢٨٦ م	ابو يعقوب يوسف بن يعقوب ، الناصر لدين الله
٥٧٠٦ هـ ١٣٠٧ م	ابو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف
٥٧٠٨ هـ ١٣٠٨ م	ابو الربيع سليمان بن ابي عامر
٥٧١٠ هـ ١٣١٠ م	ابو سعيد عثمان (الثاني) بن يعقوب
٥٧٣٢ هـ ١٣٣١ م	ابو الحسن علي بن عثمان
٥٧٤٩ هـ ١٣٤٨ م	ابو عنان فارس المتوكل بن علي
٥٧٥٩ هـ ١٣٥٨ م	ابوزيان محمد بن فارس ابي عنان - ولي ثم عزل في الحال -
٥٧٥٩ هـ ١٣٥٨ م	محمد السعيد بن ابي عنان
٥٧٦٠ هـ ١٣٥٩ م	ابو سالم ابراهيم بن علي
٥٧٦٢ هـ ١٣٦١ م	ابو عامر تاشفين بن علي
٥٧٦٣ هـ ١٣٦١ م	عبد الحليم بن ابي علي عمر - انفرد بسجلها سنة منذ ربيع الاول -
٥٧٦٣ هـ ١٣٦٢ م	ابوزيان محمد (الثاني) المنتصر بن ابي عبد الرحمن
٥٧٦٨ هـ ١٣٦٦ م	ابو فارس عبد العزيز المستنصر بن علي
٥٧٧٤ هـ ١٣٧٢ م	ابوزيان محمد (الثالث) السعيد بن عبد العزيز

١٣٧٤ هـ ٥٧٧٦ م	ابوالعباس احمد المستنصر بن ابراهيم
١٣٨٤ هـ ٥٧٨٦ م	موسى بن ابي عنان
١٣٨٦ هـ ٥٧٨٨ م	ابوزيان محمد (الرابع) المنتصر بالله بن احمد
١٣٨٦ هـ ٥٧٨٨ م	ابوزيان محمد (الخامس) الواثق بالله بن ابي الفضل
١٣٨٧ هـ ٥٧٨٩ م	المستنصر - للمرة الثانية -
١٣٩٣ هـ ٥٧٩٦ م	ابوفارس احمد
١٣٩٦ هـ ٥٧٩٩ م	عبد العزيز بن احمد
١٣٩٧ هـ ٥٨٠٠ م	عبد الله بن احمد
١٣٩٨ هـ ٥٨٠١ م	ابوسعيد عثمان (الثاني) بن احمد
١٤٢٧ هـ ٥٨٣١ م	ابومالك عبد الواحد بن موسى
١٤٢٨ هـ ٥٨٣١ م	ابومحمد عبد الحق بن ابي سعيد عثمان (الثاني)

بنو ووطاس:

١٤٢٨ هـ ٥٨٣١ م	ابوزكرياء يحيى بن زيان الوطاسي
١٤٤٨ هـ ٥٨٥٢ م	علي بن ابي الحجاج يوسف بن منصور
١٤٥٨ هـ ٥٨٦٣ م	محمد (الاول) - ابوزكرياء يحيى بن يحيى
١٤٧٠ هـ ٥٨٧٥ م	محمد (الثاني) الشيخ البرتقالي بن محمد (الاول)
١٥٢٤ هـ ٥٩٣١ م	احمد بن محمد (الثاني)
١٥٥٠ هـ ٥٩٥٧ م	محمد بن احمد

مشاهير الجزائريين

ابو الحسن علي الخزاعي التلمساني

٥٧٨٩ هـ - ١٣٨٧ م

هو الكاتب الكبير والاديب الشاعر المؤرخ العلامة الشيخ ابو الحسن علي بن محمد بن احمد بن موسى بن مسعود الخزاعي التلمساني، ينتمي الى اسرة هي من اعيان الاسر الاندلسية المنقلة الى الجزائر، المشهورة هنالك بالرئاسة في السياسة والعلم والقضاء، كان والده فقيها كاتباً بارعاً فحظي عند ملوك وامراء تلمسان وجمع بين خطتي السيف والقلم فاشتهر بلقب ذي الوزارتين، انجب ولداً علياً - صاحب الترجمة - بتلمسان سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) فنشأ مقتنيا خطة آباءه واجداده النبلاء جادا في تحصيل العلم والادب، وكان من مشائخه ابن مرزوق الخطيب، والقاضي البلفيقي

برز رحمه الله في الادب والفقه والحساب والتاريخ؛ واشتهر بالايثار وكرم الاخلاق وحسن السيرة، فتنافس في مصاحبته ملوك المغربين: الاوسط والاقصى، فكتب اولا العلامة للسلطان ابي سالم ابراهيم المريني، ثم كتب في بلاط بني زيان بتلمسان واخيرا استقر في بلاط بني مرين كاتباً للاشغال فحاز لديهم رئاسة قلم الدولة ونال من الخضوة ما يستحقه امثاله النبغاء من العلماء عند الملوك وله من الشعر قوله لما كبا بموسى بن ابي عنان المريني فرسه بالشماعين اثر صلاة الجمعة

مولاي لا ذنب للشقرء ان عثرت	ومن يلها لعمري فهو ظالمها
وهالها ما اعترها من مهابتكم	من اجل ذلك لم تثبت قوائمها
ولم تنزل عادة الفرسان مذكوا	تكبو الجياد ولم تنبو عزائمها
وفي النبي رسول الله اسوتنا	اعلا النبيين مقدارا وخاتمها

كتاب به فرس ابقى بسقطته في جنبه خدشة تبدو مراسمها
حتى لصلى صلاة جالسا ثبتت لنا بها سنة لاحت معالمها
صلى عليه الاله دائما ابدا ازكى صلاة تحييها نواسمها

ولم اقف على تأليف له رحمه الله سوى ذلك الكتاب العجيب الذي انفرد به بين علماء
الاسلام بتدوين تاريخ الحضارة الاسلامية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
واعنى به كتاب «تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية» وهو لعمرى كتاب نفيس
فريد في باب مستوعب لموضوعه، لم يترك فيه خطة او وظيفة او رتبة او صناعة
او حرفة او اى عمل من اعمال المجتمع الاسلامى في ميدان المصالح الادارية
عسكرية كانت او مدنية، او شرعية او علمية، الخ... الا واثبت اصلها في الاسلام
ودليلها من السنة وعمل الخلفاء الراشدين فيها مع التعرض الى ذكر اول من
باشر تلك الاعمال بنفسه من الصحابة او كان ممن ولاه رسول الله عليها؛ فكان
الخزاعي بذلك من اسبق العلماء الى تدوين تاريخ المدينة الاسلامية وتفصيل الحالة
الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في صدر الاسلام فجاء عمله هذا مفخرة من
مفاخر الجزائر التي يحق لها ان تباهى بها وتتطاول...

وكان تاريخ وضعه لهذا الكتاب الجليل سنة ٧٨٦هـ (١٣٨٤م) اى قبل وفاته
بثلاث سنوات، الفه برسم السلطان المتوكل على الله ابنى فارس المرنى، وكان من
حسن الاتفاق ان عثر الشيخ عبد الحى الكتانى على نسخة مخطوطة منه بخزانة
جامع الزيتونة المعمور في تونس تحت عدد ٧٥٧٢ فادمجها في كتابه الجامع
«التراتب الادارية...» المطبوع في جزئين برباط الفتح سنة ١٣٤٦هـ وكانت
 وفاة الخزاعي بمدينة فاس بعد عصر يوم الاحد الخامس من ذى القعدة سنة
 ٧٨٩هـ (١٧ نوفمبر ١٣٨٧م) ودفن غداة يوم الاثنين تغمده الله برحمته

ابن مرزوق الخطيب

١٣٧٩ هـ - ٧٨١ هـ

هو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر بن مرزوق التلمساني الشهير بلقب الخطيب والجد والرئيس كان رحمه الله آية في فنون العلم والادب والسياسة والدين ومن ابرز الشخصيات الجزائرية التي عرفها العالم في القرن الثامن الهجري ولاسيما بالمغرب والاندلس ومصر والشام ؛ كان موطن اسرته بعجيسة بزاب افريقية ، فانتقلت الى تلمسان صحبة الشيخ ابي مدين شعيب بن الحسين الاشبيلي في اواخر القرن السادس الهجري ، نزلت ضاحية العباد وسكنت هناك ملتزمة خدمة ضريح الشيخ وسدانة رباطه الى ان علا شأنها بعد ذلك وارتفع كعبها بالعلم فنه ذكر الكثير من ابنائها وكان من بينهم مترجما ابو عبيد الله محمد بن مرزوق

ولد رحمه الله بتلمسان سنة ٧٨١ هـ - ١٣١٠ م وبها نشأ وتربي وحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ العلوم حتى اذا بلغ الثامنة عشرة من عمره ارتحل مع والده الى الحجاز فحج وزار وجاور وهناك اجتمع بالمشيخة فأخذ عن كثيرين من اهل الحجاز وغيرهم من قصاص تلك البقاع المطهرة ، ثم سافر منفردا بنفسه عن والده فدخل بلاد الشام ومصر فسمع وروى عن عدد عظيم من علماء المشرق هنالك كما اخذ عن علماء بجاية وفاس وتونس فكان عدد شيوخه يفوق الالفين ، وقد اودعهم كلهم فهرسته المسماة «عجالة المستوفز المستجاز» في ذكر من سمع من المشايخ دون من اجاز ، من ائمة المغرب والشام والحجاز ، « فبرز قدس الله روحه في علوم متنوعة كثيرة وخاصة منها الحديث الشريف فانه اشتهر به اكثر من غيره ، والف فيه اكثر من سواه ؛ وقد كتب من محبسه في احدى نكباته التي نكب بها : انه لا يوجد اليوم من يسند احاديث الصحاح قراءة وسماعا من باب الاسكندرية الى البرين والاندلس غيره ؛ كما انه ذكر في احدى رسائله التي كتبها من السجن

ايضا سنة ٧٦٢هـ - ١٣٦٠م انه خطب على ثمانية واربعين منبرا في بلاد الاسلام شرقا وغربا واندلسا

وبعد ان ملا وطابه بالعلم امره والده بالعودة الى بلده لتأسيس عمه محمد بن مرزوق خطيب جامع السلطان ابي الحسن بالعباد ، فانكفا راجعا الى وطنه ، وصادف ان كان يومئذ السلطان ابو الحسن المريني محاصرا لتلمسان سنة ٧٣٣هـ - ١٣٣٢م فنزل الشاب العالم على عمه ولم يلبث عمه هذا ان توفي الى رحمة الله فاقامه السلطان مقام عمه المرحوم ، فابان الشاب الخطيب يومئذ عن علم واسع وادب جم ، وسياسة فائقة وحصافة نادرة وحكمة باهرة ، منقطع النظير في ذلك بين اقرانه من العلماء فاستخلصه السلطان لنفسه واصطفاه لحضرته فكان لا يفارقه حضرا وسفرا حربا وسلا ، وغدا معه الى الحرب في وقعة طريف ٧٤٠هـ - ١٣٤٠م وبعث به سفيرا الى صاحب قشتالة النصراني فغدا اليه سنة ٧٤٨هـ - ١٣٤٧م وعقد معه الصلح وفك منه الاسرى

ولما عاد ابن مرزوق من سفارته الى قشتالة طلب من السلطان ابي عنان المريني اعفائه من الخدمة وتسريحه فاعفاه ، وعاد يومئذ الى بلده تلمسان ، وقد تملكها يومئذ بنوزيان فاوفده الملك ابوسعيد الى دولة بني مرين في مهمة سياسية ، وما كاد يتصل بالبلاط المريني حتى لحق به خصوم ابي سعيد ومنافسوه في الملك فاسروه ونكبوه واودعوه السجن الى ان تداركه الله بلطفه فأحيز الى الاندلس ودخل غرناطة سنة ٧٥٢هـ - ١٣٥١م فنزل على سلطانها ابي الحجاج بن الاحمر فقربه منه واستعمله على الخطبة بجامع الحمراء فبقي عليها مدة سنتين الى ان استدعاه ابو عنان بعد مهلك ابيه واستلائه على تلمسان واعمالها فنظمه في اكابر اهل مجلسه ثم بعثه الى تونس عام ٧٥٨هـ - ١٣٥٧م ليخطب له بنت السلطان ابي يحيى ابي بكر الحفصي فردت الخطبة : ويومئذ وشى بابن مرزوق فوادعه ابو عنان السجن فكانت هذه نكبة الثانية ثم اطلقه السلطان بين يدي موته

ولما تولى السلطان ابو سالم ملك مدين اعد للشيخ مكانته وحرمة العلمية وعلت منزلة عنده وعند رجال كامل البلاط حتى صار زمام الدولة بيده ، ثم كانت حوادث الانقلاب الحكومى سنة ٥٧٦٢هـ - ١٣٦٠م فذهب الشيخ ضحيتها فسجن للمرة الثالثة ، ثم اطلق عقاله فالتحق يومئذ بتونس سنة ٥٧٦٤هـ - ١٣٦٢م فآكرمه سلطانها ابو اسحاق وصاحب دولته ابو محمد بن تافراكين وولياة خطابة جامع الموحد بن فأقام الشيخ بتونس سنوات الى ان دفعته السياسة وحملته على مفارقتها فركب البحر فى شهر ربيع الاول ٥٧٧٣هـ - سبتمبر ١٣٧١م ملتحقا بالبلاد المصرية فنزل الاسكندرية ومنها ذهب الى القاهرة فتلقاه هنالك العلماء واكابر اعيان الدولة والامراء فأوصلوه الى السلطان الاشرف شعبان بن حسين فأجرى عليه الملك من الخيرات والمبرات ما يليق بمقامه وولاه الوظائف العلمية فخطب ودرس فى اكبر المدارس واشهرها كالشيخونية والضرغشية والنجمية الخ... ولم يزل موفور الكرامة محترما مرشحا للقضاء الى ان وافاه حمامه رحمه الله فى شهر ربيع الاول سنة ٧٨١هـ (جوان ١٣٧٩م) ودفن بمقبرة القرافة الصغرى بيسن الامامين ابى القاسم واشهب رحم الله الجميع

ولقد ترك رحمه الله ثروة علمية عظيمة اودعها بطون مؤلفاته الجليلة التى نأسف كثيرا لذهاب اكثرها فلم يبق لنا اليوم منها سوى قائمة اسمائها؛ منها كتابه النفيس - المسند الصحيح الحسن فى محاسن مولانا ابى الحسن - وضعه فى تورينج سيرة مخدومه السلطان ابى الحسن على بن عثمان المرينى ، توجد منه نسخة بمكتبة الاسكوريال قرب عاصمة مادريد تحت عدد (١٦١٦). ومنها فهرسته المستوفز ، المتقدمة الذكر... وشرحه على كتاب الشفاء للقاضى عياض ام يكمل ، وشرح عمدة الاحكام فى اسفار خمسة ، جمع فيه بين الفاكهاني وابن دقيق العيد مع زوائد كثيرة؛ وشرح الاحكام الصغرى لعبد الحق الاشبلى ، وازالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب ، وكتاب تحفة الطرف ، الى الملك الاشرف ؛ والاربعين المسندة فى

الخلافة والخلفاء ، وكتاب الامامة ، وديوان خطب وقصائد ، وايضاح المرشد ،
 فيما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد ، وشرح لصحيح البخارى ، وكتاب جمع
 فيه ما قيل فى الصبر واربعون حديثا خرجها من مرويات السلطان ابى الحسن ،
 وكتاب فى التنجيم وكتاب ضاهى به كتاب العفو والاعتذار ، وجنى الجنتين فى
 فضل الليلتين : ليلة القدر وليلة المولد ؛ توجد منه نسخة بمكتبة خاصة فى مدينة
 فاس

ومن شعره برد الله ضريحه قوله لما ركب مع السلطان ابى الحجاج بن الاحمر
 خارج الحمراء فى ايام الربيع مرتجلا :

انظر الى النوار فى اغصانه	يحكى النجوم اذ تبدت فى الحلك
حبنى امير المؤمنين وقال قد	عميت بصيرة من بغيرك مثلك
يا يوسف ا حزت الجمال بأسره	فمحاسن الايام تومى هيت لك
انت الذى سعدت به اوصافه	فيقال فيه ذا ملك او ملك

وله فى اغراض الشعر وفنون النثر كثير من القطع والفصول الجميلة التى
 تكفلت بها كتب التراجم والادب فلتراجع هنالك

احمد المغراوي

٥٨٢٠ هـ - ١٤١٧ م

هو شهاب الدين احمد بن محمد بن عبد الله المغراوي (نسبة الى قبيلة مغراوة الجزائرية)، كان رحمه الله عالما فقيها اصوليا نحويا، برز على كثير من كبار علماء المشرق فكانوا يحترمونه كثيرا حتى قال التقي بن قاضي شهاب « ما تركت بمصر والشام في المالكية مثله »، كان يناظر ابن خلدون ويفتي عليه، وكان العز بن جماعة يعظمه كثيرا، واما هو فيقول : متى كان العز ؟ انما اشتغل على كبر وكان جنديا، وانا اشتغلت قبله بزمان، وروى على الشرف عيسى المالكي القاضي قال : ان المغراوي بحث مع البساطي يوما في مسألة، فقال له اعرفها وانت في مغراوة خلف البقر ! .. فأجابه المغراوي بقوله : يا جاهل، يا ولد (كذا) مغراوة ما فيها بقر قط، او ائلك عرب اصحاب ابل ترحل وتنزل، واما انا فوالله العظيم هو ذاك الذي اعرفها وانت في بساط ترعى البقر !....

ومع فضله كما يقول السخاوي في ضوئه : كان خاملا جدا لامور، منها انه كان ممن صحب السالمى وتمكن منه وعادى بسببه اكابر الدولة، فلما ذهب السالمى آذوه سيما مع عدم ترده للاكابر وتحامقهم عليهم، وقدم دمشق سنة ٨١٤ هـ ١٤١١ م ونزل بالمدرسة الزنجية واخذ عنه الطلبة وعين مدة للقضاء فلم يتم ذلك ثم عاد الى بلده وترك الاشتغال بحيث قل استحضاره، وتوفي رحمه الله في شوال سنة

٥٨٢٠ هـ - نوفمبر ١٤١٧ م

ابراهيم بن فائد الزواوي

١٤٥٣ - ٨٥٧ هـ

هو العالم المتفنن ابو اسحاق ابراهيم بن فائد بن موسى بن عمر بن سعيد بن علال بن سعيد النبرولي الزواوي ، ولد ببجبل جرجرة سنة ٧٩٦ هـ - ١٣٩٤ م وانتقل الى بجاية وبها قرأ القرآن الكريم ، واشتغل بها في الفقه على ابي الحسن علي بن عثمان المنجلاتي فقيه بجاية ، ثم ارتحل الى تونس فأخذ الفقه والمنطق عن ابي عبد الله الابي ، والفقه ايضا عن يعقوب الزغبى ، كما انه اخذ التفسير والفقه كذلك عن القاضي القلشاني ، والاصول عن عبد الواحد الغرياني ، ثم عاد الى جبال بجاية فأخذ علوم اللغة عن عبد العالى بن فراج ، ثم دخل قسنطينة فسكن بها ، وفيها اخذ الاصلين والمنطق عن حافظ المذهب ابي زيد عبد الرحمن الباز ، وعلم المعاني والبيان عن ابي عبد الله محمد القيسى الحكيم الاندلسي ورد عليهم حاجا ؛ والاصلين والمنطق والبيان كذلك والفقه وغالب العلوم المتداولة يومئذ بين علماء الاسلام عن ابي عبد الله بن مرزوق عالم المغرب لما قدم عليهم قسنطينة فأقام بها نحو ثمانية اشهر

ولم ينفك المترجم رحمه الله عن مزاولة العلم تعلما وتعلما حتى برع في جميع هذه الفنون المؤمى اليها لا سيما الفقه. ولف تفسيره للقرآن الحكيم ، وشرحا لمختصر خليل في ثمان او ثلاث مجلدات ؟ ... سماه : تسهيل السبيل ، لمقتطف ازهار روض خليل ، وشرحاء اخر في جزئين ، سماه فيض النيل ؛ وله شرح على الفية ابن مالك في مجلد واحد ، وشرح على تلخيص المفتاح سماه تلخيص التلخيص في مجلد ؛ وحج رحمه الله مرارا وجارر ، ولقيه البقاعي في سنة ٨٥٣ هـ حين حج ايضا وقال انه رجل صالح من المشهورين بين المغاربة بالدين وعليه سمت الزهاد وسكونهم ؛ وتوفي رحمه الله فيما قال ابن عزم سنة ٨٥٧ هـ - ١٤٥٣ م

سالم بن ابراهيم الصنهاجي

اواسط القرن التاسع الهجري ؟....

هو العالم النظار الامام القاضى سالم بن ابراهيم بن عيسى الصنهاجي المغربي، ولد كما ذكره السخاوى بمشدالة بعد السبعين وسبعمئة تقريرا ونشأ ببجاية واشتغل بتونس الى ان تضرع في العلم وفضل فارتحل عنها سنة ٨٣٤ هـ فوقع في اسر الكفار وناظر الاساقفة ببلادهم فافحمهم ودام عندهم مدة ثم اخرجوه، وسمع بالحجاز ومصر ودمشق، قال السخاوى : وقد رايت فيمن عرض عليه ابن ابي اليمن بمكة، وحدث ودرس وافتي وكان من محفوظاته كتاب الشفاء رواه بالسمع عن الجمالين المحمدين ابن على النويرى وابن ابي بكر المرشدى رحمهما الله

تولى رحمه الله قضاء المالكية بدمشق ثم قضاء القدس ثم عاد الى الشام ، ولقد شهد له التاريخ بحسن السيرة والصرامة والحرمة ونفوذ الكلمة في القضاء مع عفة ونزاهة ؛ ولم اقف على زمان ولا مكان وفاته بالضبط رحمه الله

محمد بن عمر المليكىشى

٥٧٤٠ - ١٣٣٩ م

الاديب الكبير والشاعر النائر ابو عبد الله محمد بن عمر بن علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر المليكىشى البجائى ثم التونسى الجزائى ، هكذا كتب نسبه بخطه رحمه الله

اخذ عليه وادبه بالجزائر وله رحلة الى المشرق فحج وروى عن جماعة بالحجاز ومصر والاسكندرية كالرضى الطبرى سمع عليه الكتب الخمسة ، والسراج محمد بن طراد قاضى المدينة وخطيبها ، وابي محمد الدلاصى والنجم الطبرى وغيرهم ذكره الحضرمي في مشيخته فقال : " كان مخدرا في الطلبة والكتاب فقيها كاتبا ادبها حاجا راوية متصوفا فاضلا صاحب خطبة الانشاء بتونس ذا تواضع واشار وقبول حسن ، له شعر رائع ، وشر فائق ، وكتابة بليغة . وتأليف مستظرفة ، وعرفه المقرئ في نفحه نقلا عن كتاب الاكليل الزاهر لابن الخطيب فقال بعدما ذكر اصله ونسبه حسب ما تقدم ... « كاتب الخلافة » ومشعشع الادب الذى يزرى بالسلافة . كان بطل محال ، ورب راوية وارتجال ، قدم على هذه البلاد وقد نبأ به وطنه ، وضاق ببعض الحوادث عطنه ؛ فتلوم به تلوم النسيم بين الحمايل ، وحل منها محل الطيف من الوشاح الجائل ، ولبت مدة اقامته تحت جراية واسعة ، ومبرة يانعة ، ثم آثر قطرة ، فولاة وجهه وشطره ، واستقبله دهره بالانابة ، وقلد خطبة الكتابة ، فاستقامت حاله ، وحطت رحاله ، وله شعر انيق ، وتصوف وتحقيق ، ورحلة الى الحجاز سعيها في الخير وثيق ، ونسبها في الصالحات عريق .. « حدث بعض من عنى بأخباره » ايام مقامه بمالقة واستقراره ، انه لقي بباب الملعب من ابوابها ظبية من ظبيات الانس ، وقينة من قينات هذا الجنس ، فخطب وصالها ، واتقى بفؤادة نصالها ، حتى همت بالانقياد ، وانعطفت انعطاف الغصن المياد ، فأبقى على نفسه وامسك ، وانف من خلع العذار بعد ما تنسك وقال :

لم انس وقفتنا بباب الملعب
وعدت فكنت مراقبا لحديثها
وتدلت فذللت بعد تعزز
بدوية ابدى الجمال بوجهها
تدنو وتبعد نفرة وتجنبها
ودنت بلحظ فأتى لك فتر
وارتك بابل سحرها بجفونها
وتضاحكت فحككت بنير ثعورها
بمنظم في عقد سمطى جوهر
وتمايلت كالغصن اخضله الندى
تثنيه ارواح الصبابة والصبأ
ابت الروادف ان تميل بميله
متوجا بهلال وجه لاح في
يا من رأى فيها محبا مغرما
ما زال مذولى يحاول حيلة
فأجال نار الفكر حتى أوقدت
فتلاقت الارواح قبل جسومها
وتوفي رحمه الله بتونس غرة المحرم سنة ١٢٤٠هـ (٩ جويليت ١٨٣٩م)

جدول تاريخي

٦٦٨-٩٦١ هـ

١٢٦٩-١٥٥٤ م

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
١٢٦٩ هـ ٦٦٨	تأسيس الدولة المرينية وتملكها المغرب
١٢٧٢ هـ ٦٧٠	وقعة ايسلى الشهيرة
١٢٨٠ هـ ٦٧٨	انتصار مرين بوقعة وادى التافنة
١٢٨١ هـ ٦٨٠	انهزام بني عبد الواد في وقعة الملعب
١٢٩٨ هـ ٦٩٧	فتح اعمال الجزائر
١٢٩٩ هـ ٦٩٨	انشاء حاضرة المنصورة ومعركة مرسى الرؤوس
١٣٠٦ هـ ٧٠٦	تنازل مرين عن مملكة تلمسان
١٣١٤ هـ ٧١٤	ابتداء الزحف على مملكة تلمسان
١٣٢٩ هـ ٧٣٠	تحالف بني مرين وبني ابي حفص ضد امراء تلمسان
١٣٣٥ هـ ٧٣٦	فتح عمالتي الجزائر ووهران
١٣٣٧ هـ ٧٣٧	القضاء على امارة بني زيان
١٣٤٧ هـ ٧٤٨	فتح اعمال قسنطينة وبجاية
١٣٤٨ هـ ٧٤٩	ثورة بني عبد الواد
١٣٥٠ هـ ٧٥١	عودة الجزائر لبني عبد الواد
١٣٥١ هـ ٧٥٢	استلاء السلطان ابي عنان على اعمال تلمسان
١٣٥٢ هـ ٧٥٣	امتلاك بجاية وثورة اهلها
١٣٧٤ هـ ٧٧٦	انقسام دولة مرين بين حكومتى فاس ومراكش
١٣٩٣ هـ ٧٩٦	نهاية حكومة مرين بالجزائر
١٥٥٤ هـ ٩٦١	سقوط الدولة المرينية في قبضة السعديين

الدولة العبد الوادية - الزيانية-

٦٣٣-٩٦٢ هـ

١٢٣٥-١٥٥٤ م

منشأها ونشأتها

منتمى هذه الدولة الى قبيل بنى عبد الواد (١) احد بطون القبيلة الجزائرية العبيدة - زناتة - (٢) كانت مواطنهم ما بين جبال سعيدة شرقا ووادي ملوية غربا ؛ ومنهم فصيلة متوطنة بجبل اوراس ، وهم من اهل الوبر يعيشون معيشة النجعة يرتادون صحراء المغرب الاوسط ما بين مصاب - مزاب - الى ملوية وفيجيج ثم الى سجلماسة - تافيلالت - ومنها كذلك الى ارض الزاب ، وهم تلو بنى مرين فى الكثرة والقوة ، ولم يزالوا كذلك الى ان فتح الموحدون المغرب الاوسط فكانوا عوناً لهم على ذلك ، واستقروا منذ ذلك العهد بأحواز تلمسان (٣) فامتازوا هنالك ببطولتهم الحربية وشجاعتهم الادبية وحنكتهم السياسية فأحرزوا يومئذ على ثقة الموحدين ، ومنهم ملوك هذه الدولة - بنى زيان - ، واولهم يغمراسن بن زيان بن ثابت ولا مستند لمن عزاهم الى آل البيت ، فان يغمراسن نفسه لما ذكر له ذلك ورفع نسبه الى ادريس بن عبد الله الكامل ، قال برطانتهم ما معناه : « ان كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله ، واما الدنيا فانما نلناها بسيوفنا » (٤)

(١) أصله عابد الوادى صفة لجدهم المتبذل بواد هناك

(٢) انظر الجزء الاول من كتابنا هذا ص ٥١ و ١٩٦

(٣) اسم بربرى مركب من كلمتين اثنتين ، اولاهما : تلم ، بكسر التاء ومعناها تجمع ، والثانية : سات ، ومعناها اثنتين ، فهو كما ترى اسم وصفى للمدينة بالنظر الى موقعها الطبيعى حيث كانت جامعة بين الصحراء والتل

(٤) ابن خلدون ج ٧ ص ٧٢

اشتهر هذا القبيل في اول امره بمقاومته لانتشار نفوذ الموحدين ، ولما ظهر عجزه امام تيار قوات دولة بنى عبد المؤمن ووجد نفسه كناطق صخرة اذعن في النهاية واخلى في طاعته للموحدين واستعمل في ذلك براعته السياسية فأذهب عنه السخائم ونال حظوة عظيمة لدى ملوك هذه الدولة فاقطعته بلاد بنى «واماتو» وبنى «يلومي» بنواحي «وادي ميناس» واحواز غيليزان ، فتمكن بذلك يومئذ من تثبيت قدمه بتلك الجهات فمكث بها محافظا على مكانه ووحدته الذاتية والسياسية ؛ وهكذا بقي يعمل لصالحه الى ان استأنس من الحكومة ضعفا حيث اخذت ايامها في التدهور واشرفت الدولة على النهاية كما تقدم تفصيله في الجزء الاول . فتطلع بنو عبد الواد يومئذ الى التملك على المغرب الاوسط ، وعملوا على حمل الدولة الموحدية على التنازل لهم عن امارة تلمسان ، وقد نالوا ذلك بعقد الامارة لشيخ قبيلهم عهدئذ جابر بن يوسف ٦٢٧هـ - ١٢٣٠م فانتصب للحكم وادارة شؤون البلاد بنفسه وبادر الى الاشتغال بجمع فصائل بنى عبد الواد وفروعهم فأدخلهم تحت رايته فبايعه جمعهم منضويا تحت حكمه وسلطته ولم يقلت عنه يومئذ الا مدينة ندرومة فتوجه اليها سنة ٦٢٩هـ - ١٢٣٢م مشددا عليها الحصار فرماه من سورها يوسف الغفاري التلمساني بسهم فقتله ، فجلس ولده الحسن مكان ابيه محتميا في الظاهر بدولة الموحدين ثم بعد ستة اشهر من ولايته تخلى عنها لعمه عثمان بن يوسف فمكث بها نحو سنة ونصف فظهر منه زبغ في سياسته فعزله قومه وولوا مكانه اباعزة زيدان بن زيان ، فأطاعه قومه ولم يخرج عن مبايعته يومئذ سوى بنى مطهر من بنى عبد الواد فذهب لمقاتلتهم فقتلوه خارج تلمسان سنة ٦٣٣هـ (١٢٣٥م) فكانت ايامه نحو ثلاث سنوات ، وبموته انقطع نفوذ الموحدين تماما من تلمسان وبويم لاختيه يمغراسن

تملك يمغراسن بعد اختيه ابي عزة واظهر شارة الملك والسلطان واعلن استبداده واستقلاله بهذه الامارة ٦٣٣هـ (١٢٣٥م) ولم يبق للموحدين بها سوى

الخطبة ؛ فاستاء لذلك خليفة الموحدين ابو الحسن السعيد الملقب بالعتصم وكان اهل المغرب يومئذ في ثورة عامة ضد حكومة العتصم هذا: بنو ابي حفص شرقا وبنو مرين غربا ، فخرج العتصم من مراکش ٥٦٤٥ هـ (١٢٤٧) حاشدا لجموعه الكثيرة فقصدا اولاً مكناسة الزينون وبلغ الى تازا في المحرم ٥٦٤٦ هـ (افريل ١٢٤٨) فأطاعته مرين ، ثم تقدم الى تلمسان فخرج اليه يغمراسن في قومه واهله معتصما بقلعة تامز دكت - تامر جديبة - بجنوب وجدة وعلى مقربة منها ، ومن هناك بعث يغمراسن في طلب الصفح من الخليفة معتذرا اليه عما فعل فرفض العتصم اعتذاره بجحما الانتقام منه واسرع الى القلعة فحاصرها ثلاثة ايام ، وفي الرابع : الثلاثاء ١٠ صفر ٥٦٤٦ هـ (٤ جوان ١٢٤٨) امتطى الخليفة بنفسه ظهر فرس له وخرج في وقت الظهيرة مستكشفا عورة يتوصل منها الى الاستيلاء على القلعة المذكورة ، فتسلق الجبل واخذ يبحث ويتجسس خلال الديار ، وبينما هو كذلك اذ رآه يوسف الشيطان احد فرسان بني عبد الواد المنيخين بساحة القلعة للحراسة ، واتفق ان كان يغمراسن بن زيان وابن عمه يعقوب بن جابر قريين منه فعرفوا الخليفة فانقضوا عليه امثال العقبان وطعنه يوسف فكبّه عن فرسه ثم قضى من جراحه فدفن هنالك بالعباد ، واستلحم القوم مواليه وبعض اولاده واضطرب يومئذ جيش الموحدين وانتشرت الفوضى بينهم وعمهم القلق فتفرقوا شذرا مذر فاستولى بنو عبد الواد يومئذ على ما كان هناك من الاسلاب والغنائم والاثاث ، واختص يغمراسن بفسطاط الخليفة فكان له خاصية دون قومه ، واستولى على الذخيرة التي كانت فيه ومنها المصحف الشريف (١) الذي يقال انه احد المصاحف الاربعة التي نسخت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وبعث بها الى الامصار ؛ ولم يثبت انها منسوخة بخط يده

(١) كانت اول ما ظهر هذا المصحف الشريف بالمغرب ان وجد بخزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمن الداخل ، ثم صار في خزائن دولة المرابطين فيما صار اليها من دخائر ماووك الطوائف بالاندلس ، ثم صار الى خزائن الموحدين من يد لمتونة ، فانتقل في حادثة قلعة ، « تامرزدكت »

المذكورة اعلاه الى يغمراسن بن زيان وبنى عبد الواد من ملوك تلمسان ثم صار الى ملوك بنى مرين فيما استولوا عليه من دخائر آل زيان، وذلك عند ما تغلب السلطان ابوالحسن المريني على تلمسان سنة ٧٣٧هـ - ١٣٣٦م فحصل المصحف الشريف عنده فكان يتبرك به ويحمله في اسفاره على العادة الى سنة ٧٥٠هـ - ١٣٤٩م حيث ركب السلطان ابوالحسن البحر من تونس قافلا الى المغرب بعد استيلائه على افريقية وكان ذلك في ابان ثورة البحر وهيجه ففرقت مرابيه وهلك نفوس كثيرة وفقدت نفائس يعز وجود مثلها، ومن ضمنها هذا المصحف الكريم فاستأثر البحر به، وكان ذلك آخر عهد المغرب ببركته؛ واليك تفاصيل ملخصة مما ذكره المقرئ في النفح نقلا عن رحلة ابن رشيد فيما وصف به شكل هذا المصحف الجليل وما ابدعه في صنعته وخدمته اهل الفنون الجميلة وارباب الصناعات الميكانيكية والهندسية مما يدل على مبلغ اوج الحضارة والمدنية الباهرة يومئذ بالمغرب، قال :

« ثم انهم - اي بنى عبد المؤمن الموحدين - لما أرادوا من المبالغة في تعظيم المصحف المذكور واستخدام البواطن والظواهر فيما يجب له من التوقير والتعزير، شرعوا في انتخاب كسوته، واخذوا في اختيار حلته، وتأفقوا في استعمال احفظته، وبالغوا في استجادة أصواته، فحشروا له الصناع المتقنين، والمهرة المتفنين، ممن كان بحضرتهم العلمية، وسائر بلادهم القريبة والقريبة، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة، من المهندسين والصواعين والنظاميين والحلائين والنقاشين والمرصعين، والنجارين والزواقين والرسامين والمجلدين، وعرفاء البنائين، ولم يبق من يوصف ببراعة، او ينسب الى الحلق في صناعة، الا أحضر للعمل فيه، والاشتغال بمعنى من معانيه، فاشتغل أهل الحيل الهندسية بعمل أمثله مخترعة، وأشكال مبتدعة، وظمونها من غرائب الحركات، وخبى اعداد الاسباب للمسببات ما بلغوا فيه منتهى طاقتهم، واستفرغوا فيه جهد قوتهم

« فكسى المصحف كله بصوان واحد من الذهب والفضة ذى صنائع غريبة من ظاهره وباطنه لا يشبه بعضها بعضا، قد أجرى فيه من ألوان الزجاج الرومى ما لم يعهد له في العصر الاول مثال، ولا عمر قبله بشبهه خاطر ولا بال، وله مفاصل تجتمع اليها أجزاء وتلتئم، وتتناسق عندها عجائبه وتنظم، قد أسلست للتحرك اعطافها، واحكم انشاؤها على البقية وانعطافها، ونظم على صفحته وجوانبه من فاخر الياقوت ونفيس الدر وعظيم الزمرد فانتظم عليه منها ما شاكله زهر الكواكب في تلالؤه واتقاده، واشبهه الروض المزخرف غب سماء اقامت عن امداده، واتي هذا الصوان الموصوف رائع المنظر، آخذاً بمجامع القلب والبصر، مستوليا بصورته القريبة على جميع الصور، يدهش العقول بهاء ويحير الالباب رواء، ويكاد يقشى الناظر تألقا وضياء ... وتلطف القوم في وجه يكون به هذا الصوان المذكور طورا متصلا وطورا منفصلا؛ ويتأتى به للمصحف الشريف العظيم ان يبرز تارة للخصوص متبذلا وتارة للعموم متجملا اذ معارج الناس

في الاستبصار تختلف ، وكل له مقام اليه ينتهي وعندئذ يقف لعمل فيه على مشاكلة هذا القصد وتلطف في تميم هذا الغرض المعتمد

وكسى المصحف العزيز بصوان لطيف من السندس الأخضر ذي حلية عظيمة خفيفة تلازمه في المغيب والمخضر ، ورتب ترتيبا يأتي معه ان يكسى بالصوان الاكبر ، فيلائمه به التماما يغطي على العين من هذا الاثر ، وكمل ذلك كله على اجل الصفات واحسنها ، وابدع المذاهب واتقنها

وصنع له محل غريب الصنعة ، بديم الشكل والصبغة ، ذو مفاصل ينوعن دقتها الادراك ، ويستند بها الارتباط بين المفصلين ويصح الاشتراك ، مغشى كله بضروب من الترسيم ، وفنون من النقش البديع ، في قطع من الآبنوس والخشب الرفيع ، لم تعمل قط في زمان من الازمان ، ولا انتهت قط الى ايسر نوافذ الاذهان ، مدار بصنعة قد اجريت في صفائح الذهب ، وامتدت امتداد ذوائب الشهب ، وصنع لذلك المحمل كرسى يحمله عند الانتقال ، ويشاركه في اكثر الاحوال ، مرصع مثل ترصيعه الغريب ومشاكله في جودة التقسيم وحسن الترتيب

وصنع لذلك كله تابوت يحتوى عليه احتواء المشكاة على انوارها ، والصدور على محفوظ افكارها ، مكعب الشكل سام في الطول ، حسن الجملة والتفصيل ، بالغما شاء من التتميم في اوصاله والتكميل جار مجرى المحمل في التزيين والتجميل ؛ وله في احد غواربه باب ركبت عليه دفتان قد احكم ارتجاجهما ، ويسر بعد الابهام انفرجهما ، ولافتتاح هذا الباب وخروج هذا الكرسى من تلقائه وتركب المحمل عليه ما دبرت الحركات الهندسية ، وتلقبت التنبيهات القدسية ، وانتظمت العجائب المعنوية والحسية ، والتأمت الذخائر النفيسة والنفسية ؛ وذلك ان بأسفل هاتين الدفتين فيصلا فيه موضع قد اعد له مفتاح لطيف يدخل فيه ، فاذا ادخل ذلك المفتاح فيه وادبرت به اليد انفتح الباب بانعطاف الدفتين الى داخل الدفتين من تلقائهما وخرج الكرسى من ذاته بما عليه الى اقصى غاية ، وفي خلال خروج الكرسى يتحرك عليه المحمل حركة منتظمة مقترنة بحركته ؛ يأتي بها من مؤخر الكرسى زحفا الى مقدمه ، فاذا اكمل الكرسى بالخروج وكمل المحمل بالتقدم عليه انقلب الباب برجوع الدفتين الى موضعهما من تلقائهما دون ان يسهما احد ، وترتيب هذه الحركات الاربع على حركة المفتاح فقط دون تكلف شئ آخر ، فاذا ادير المفتاح الى خلاف الجهة التي ادير اليها اولاً انفتح اولاً الباب ، واخذ الكرسى في الدخول والمحمل في التأخر عن مقدم الكرسى الى مؤخره ، فاذا عاد بكل الى مكانه انسد الباب بالدفتين ايضا من تلقائه ، كل ذلك يترتب على حركة المفتاح كالذي كان في حال خروجه ، وصحت هذه الحركات اللطيفة على اسباب ومسببات غائبة عن الحس في باطن الكرسى ، وهي مما يدق وصفها ، ويصعب ذكرها

نظامها الحكومى

اشتهرت هذه الحكومة الجزائرية فى اول نشأتها باسم «دولة بنى عبد الواد» الى ان كان عصر الاستيلاء المرينى على تلمسان سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٧ م) فعرفت بعد ذلك فى عصر الانبعاث على عهد السلطان ابي حو الثانى باسم «الدولة الزيرية» نسبة الى والد يغمراسن بن زيان اول ملوك هذه الدولة

عاشت هذه الدولة مستقلة بالحكم بعيدة عن سيطرة الغير ، وعاصمتها دائما «تلمسان» ، والنفوذ الادارى فيها يعود الى السلطان الملقب بأمير المسلمين وهو دائما من بيت آل زيان ، وولايتها تكون غالبا بالعهد من الملك السابق وقد تكون بالغلبة والقهر والسطوة او العصبية القبلية ، ولم يثبت عن ملوك هذه الدولة دعوى الخلافة الا فى ايام قلائل دعت اليها الظروف وحملتهم عليها تقلبات السياسة

واشهر الموظفين فى هذه الحكومة هم الوزراء والقادة والكتاب والحجاب واصحاب الاشغال والقضاة والعمال والمحاسبون وشيوخ المدن والمحافظون ورؤساء الحاميات والشرطة؛ ولكل من هذه المناصب ديوان - او ادارة - خاصة بهذه المصلحة، واعلاها عندهم وظيفة الحجابة؛ فللحاجب الاتصال بشخص السلطان نفسه متى شاء وهو الذى ينوب عن الملك فى غيبته حربا او سلما ، ويسمى صاحب هذه الوظيفة بـ«المزوار»

واما الجيش فانه يتألف من اربعة اصناف : الاعيان وهم الرؤساء والقواد ، والقبيل وهم من مطلق رعايا بنى عبد الواد ورئيسهم يعرف باسم «الشيخ» ، والانصار وهم نخبة الجيش وخلاصته ، ومكانهم فى الزحف دائما حول السلطان محدقين به؛ والرابع المماليك وهم خليط من العرب والبربر والزنوج وغيرهم ؛ ولقد بلغ عدد الجنود من قبيلة بنى راشد فقط ما يفوق الخمسة والعشرين الف نسمة ؛ وكان للنصارى العلوج فى اول نشأة الدولة مشاركة فى الجندية وذلك ما يشبه

الفرقة الاجنبية المختلطة في الجيش الفرنسى اليوم ؛ وقد بلغ عددهم يومئذ نحو الالفي فارس ، واستمرت هذه الفرقة تعمل في الجيش الزياني الى ان اقتضت وظهت خيانتها بقتل الامير محمد اخ السلطان يغمراسن ، فحذفت اذ ذاك من سلك الجيش الزياني سنة ٦٥٢ هـ (١٢٥٤م)

وكان لجميع فرق الجيش هذه جراية يتسلها الجند من خزينة الدولة كل بحسب مقامه ورتبته ، فان اقل ما كان يعطى الجندي الزياني : ثلاثمائة دينار شهريا ، وكان للفارس على عهد ابي حمو الثاني ثلاثة من الذهب ...؟ وعشرون برشالة من القمح ، وثلاثون من الشعير ؛ ويعطى له فرس ومهماز وسيف ورمح ، وكان عدد هؤلاء الفرسان يومئذ يفوق الخمسة عشر الف فارس

ولجميع هذه الفرق والكتائب رايات خاصة تتميز بها عن سواها وتعرف بها في يوم العرض العام بين يدي الملك في ايام معلومة من السنة ؛ وفيها يمنح الجند درجاته وترقياته في مراتب الجندية وفيها يبدي السلطان ملاحظاته العسكرية على الجند فيأخذ بأحسنها

واما التعبئة الحربية فهي يومئذ على ما تعارفه الناس بينهم من التراتيب العسكرية المعهودة في الجيش العربي : المقدمة ، ومكانها في الحرب دائما امام الملك او نائبه ، والميمنة عن يمينه ، والميسرة عن يساره ، والقلب وفيه يكون القائد الاعلى ، ووراءهم الساقة ، وبهذا سمي الجيش خميسا

واما الخزينة المالية فانها متكونة من الجباية والغنائم والمكوس والاجلاب ، وللدولة عملتها الخاصة المضروبة بتلمسان وعليها اسم ملوكها وللحكومة علاقات ومعاهدات سياسية واقتصادية مع غيرها من دول الشرق والغرب حسبما دلت على ذلك الوثائق الدبلوماسية

حدود الجزائر الزيانية

تمتد مملكة الجزائر الزيانية غربا الى مدينة وجدة وتبلغ في بعض الاحيان شرقا الى اعمال قسنطينة ودلس وبجاية وهي في ذلك تسيير حسب تقدم الدولة وانتصاراتها على منافسيها ومزاحمتها من بنى ابي حفص وبنى مرين ، وبلغت حدودها الجنوبية الغربية الى سجلماسة - تافيلالت -

ولاية السلطان يغمراسن

هو ابو يحيى يغمراسن بن ثابت من بنى «اطاع الله»، العبد الوادى راس الاسرة الملكية الزيانية، ولد سنة ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ م) وبويع بالملك يوم ان توفى اخوه الامير ابو عزة زيدان : الاحد ٢٤ ذى القعدة ٦٣٣ هـ (٣١ جولييت ١٢٣٦ م) وكان معروفا بين قومه بالدهاء السياسى والشجاعة والحزم وجزالة الراى ومكارم الاخلاق واشار ذوى الفضل والعلم

تولى الملك وامر الرعية في اضطراب وقلق من ظلم الرؤساء المستبدين، وجور الولاة والحكام المعتسفين، فساس الشعب الجزائرى بحكمة وجدارة حتى اطمأن اليه الناس وخضعوا لحكمه العادل فبايعوه البيعة العامة واذعن اليه القاصى والدان ، ولم يمنعه يومئذ حداثة دولته الناشئة ولا ضعفها المادى من القبض على ايدى الاعداء والخصوم والاعلان بتأسيس الدولة العبد الوادية واستقلالها بالحكم رغم ما كان يحيط بها من الخطر المهدد لها من طرف الامارات المجدة بها شرقا وغربا، فأظهر بذلك مقدرة عظيمة وسياسة صائبة في تسيير دفة المملكة الجزائرية وسط تلك العوائق والعراقيل وقادها الى النصر

اغارة الحفصيين على تلمسان

كان من دهاء يغمراسن وحسن سياسته ان عمل على توثيق عرى الصداقة واحكام اسباب الولاء بينه وبين سلطان الموحدين سنة ٦٣٩هـ (١٢٤١م) فحصلت المؤانسة بين العاهلين وصفا بينهما الجو ؛ فاستشعر سلطان الحفصيين يومئذ ابو زكرياء بمؤامرة دبرت ضد مملكته الشرقية فكتم شعوره وعواطفه نحو يغمراسن واخذ في الاستعداد الى مهاجمة النواحي الغربية ؛ ولما استكمل استعدادده خرج بجيوشه بغتة فنزل تلمسان يوم الاربعاء ٢٩ المحرم ٦٤٠هـ (٢٩ جوان ١٢٤٢م) واحاطها باثنتي عشر الف رام مترجل من غير ما كان معه يومئذ من عدد الفرسان والركبان ، فانجاز بنوعبد الواد عنها الى جبال بنى يزناسن ، ويقال انهم وقفوا لصق البلد بجبل ترني من بنى ورنيد ، واحتل الحفصيون تلمسان ، ثم كانت الهدنة ووقعت المفاوضات في عقد الصلح باتتداب والددة يغمراسن - سوط النساء - فقامت بذلك كناية عن دولة بنى زيان احسن قيام ؛ وكان فيما اشترطه الحفصيون على هذه الدولة : سهام بمائة الف دينار سنويا ، وان يذكروا بالدعاء لهم على منابر الجمعة ؛ فرضى يغمراسن بذلك وقال : تلك اعداؤهم يذكرون، عليها من شأؤوا ، واستمر على ولايته (١)

اخفاق الموحدين في حملتهم على تلمسان

اثار هذا التعاقدا او الحلف الواقع بين دولة بنى زيان الناشئة ودولة بنى ابي حفص سخائم واحقادا في صدور رؤساء الدولة الموحدية وساءها انفرادهما دونها بذلك ؛ فخشيت من اتحادهما ضدها واحفظ ذلك الخليفة ابا الحسن السعيد بمراكش ، فتحرك من هنالك بجيوشه سنة ٦٤٥هـ - ١٢٤٧م بقصد الايقاع بالدولتين المتعاقدين فكانت يومئذ بينه وبين يغمراسن الواقعة المشهورة حول قلعة «تامرزدكت» فانهزم فيها الموحدون كما ذكرناه قريبا

منشأ الخلاف بين بني عبد الواد وبني مرين

لا يخفى وان المغرب الاوسط - الجزائر - كان في ايام نشأة امارة بني عبد الواد الزيانية ملحقا بالدولة الحفصية، وان هذه الامارة الجزائرية كانت تابعة للحفصيين؛ وكان المرينيون يومئذ يحاولون التوسع شرق مملكتهم المغربية، فوقف في وجههم هؤلاء بنو عبد الواد الذين استشفروا لحكم هذه الاوطان منذ ان نزل بها سلفهم صدر دولة الموحيدين؛ فكان لذلك نرى استمرار الحروب والفتن بين هذين القبيلتين طيلة مجاورتهما حسبما توجبه السنة الطبيعية في تنازع البقاء؛ وكثيرا ما انتصرت مرين على عدوتها المزاحمة غير انها لم تستطع القضاء عليها نهائيا بسبب احتمائها بقبائل من زناتة كمغراوة وبني توحين

طموح يغمراسن نحو المغرب الاقصى وخيبتة

استمر النزاع والخلاف بين دولة الموحيدين المدبرة ودولة بنو مرين المقبلة واشتد ذلك بينهما سنة ٦٤٦هـ (١٢٤٨م) فتوترت العلاقات وحمى الوطيس الى ان افضى الامر بينهما الى ايقاد نار الحرب، فاستجاش الموحدون جيوش بني زيان، وكان ليغمراسن يومئذ غرض في مناهضة دولة بني مرين والقضاء عليها فمد يده الى الموحيدين، وكانت الملحمة عظيمة بوادي اسلي - من بسيط وجدة - انهزم فيها يغمراسن وترك محلته للنهب والسلب؛ ثم كان استيلاء محمد بن عبد القوي سنة ٦٤٧هـ - ١٢٤٩م على جبال ونشريس وبرشك وشرشال؛ وفيها تملك ايضا محمد بن منديل المغراوي بمدينة مليانة وغيرها من الاعمال الشرقية الى سنة ٦٦٨هـ - ١٢٦٩م فاستردها منه يغمراسن قهرا

وفي سنة ٦٥٥هـ - ١٢٥٧م نهضت مرين منتقمة من بني زيان لانحيازهم الى خصمائهم الموحيدين، وكانت المعركة بينهما بأبي سليط، فانهزم يغمراسن بها وتكررت عليه الهزائم فيمم نحو سجلماسة ودرعة عله يعوض بفتحهما ما فاتهما

من النصر هناك؛ وما كاد يبلغ مقصده حتى كانت مريـن قد سبقته الى تلك النواحي يوم قبله، فسقط في يده وحاول التغلب عليهم بسلاحه فلم يفاج

ويوم ان توفي السلطان ابو بكر او ابو يحيى المريني ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م حاول يغمراسن الاستيلاء على عرش المغرب الاقصى فقاتل بني مريـن ، فردة السلطان يعقوب منهزما على اعقابـه، ثم تكررت الوقائع والحروب بينهم واشهرها وقعة وادي تلاغ سنة ٦٦٦هـ (١٢٦٧م)، ووقعة ايسلى قرب وجدة ٦٧٠هـ (١٢٧١م)، ووادي التافنا، وتامسوت، وبني بهلول.... ولقد كان النصر في جميعها لبني مريـن

المنافسة وحب الاستئثار

لقد اثار تنابع انتصارات السلطان ابي يوسف يعقوب المريني بالاندلس امتعاضا شديدا وحسدا في قلوب ملوك غرناطة من بني الاحمر حيث توهـموا بذلك القضاء على مملكتهم الاندلسية، فسعوا حيثنذ في مشاغبتـه وعملوا على إقصائه بربط صلتهم بملك الاسبان واوعزوا الى يغمراسن باشغال مريـن عنهم وترددت بذلك الرسل والسفراء بين تلمسان والاندلس، فارتاح لذلك يغمراسن لحاجة في نفس يعقوب، ووجد فيها شفاء نفسه فسعى يومئذ بكل جهوده في انزال العراقيـل والعوائق ببني مريـن وشغلهم عن الجهاد بمشاغباتهم ومناوآتهم ، فالح عليهم يومئذ السلطان ابو يوسف المريني في الكف عن غيه فأبى ، وحيثنذ نهضت مريـن فاقعت ببني زيان في معركة خرزونة سنة ٦٧٩هـ (١٢٨٠م) ثم توالى بعدها هجمات اخرى

حزم يغمراسن ونشاطه

قضى موقع دولة بني زيان ووضعيته الطبيعية بين ممالك مراكشي مدين غربيـا والحفصيين شرقا بأن تكون مسرحا وميدانا فسيحا للمبارات بين هاتين الدولتين في جمع اقطار المغرب الاسلامى والاستيلاء على طرفيه؛ وكانت هذه الوقائع المتكررة بين دول المغرب والحوادث السياسية المتجددة هناك درسا عمليا ليغمراسن، فاخذ حينئذ في تحصين بلاده واحاطتها بما يدرأ عنها العدو، فجاء بقبيلة بني عامر العربية من صحراء بني يزيد واقطعها نواحي وهران وتلمسان، وكانت له هنالك خير وقاية احتسى بها عن مهاجمة خصومه المعاقيل المقيمين بسهول متيجة؛ وجاء كذلك بقبيلة حيان الهلالية فاقامها بصحراء تلمسان فكانت له حصنا منيعا من بني مدين، واسكن فريقا من عكرمة بجبل « كركرة » قبلة « السرسو » وعمل كذلك على ربط صلته بالسلطان ابي اسحاق ابراهيم الحفصي، وأكد هذه الصلة بالمصاهرة فخطب كريمته لولده وولي عهده ابي سعيد عثمان

ثم تفرغ يغمراسن بعد ذلك لاختضاع القبائل المنشقة والمخالفة عنه من مغراوة وتوجين (١) فناهضا عددة مرات حتى استقامت له وجنحت الى السلم فكف عنها بأسه، ونزل له يومئذ عمر بن منديل المغراوى عن مدينة مليانة - عاصمة مغراوة - فاحتلها يغمراسن سنة ٦٦٨هـ (١٢٧٠م)

وكانت مبايعة اهل سجلماسة سنة ٦٦٢هـ (١٢٦٣م) ثم خرجوا عن الطاعة منسلخ صفر سنة ٦٧٣هـ (٦ سبتمبر ١٢٧٤م) واحتلتها يومئذ مدين عنوة، وفي سنة ٦٧٢هـ (١٢٧٣م) نزل عائد بن منديل واخوه ثابت اميرا مغراوة عن مدينة تنس واحوازها ليغمراسن فضمها الى مملكه

(١) مواطن مغراوة هي بشمال والنشريس ووادي شاف الى البحر، وتنتهى شرقا الى وادى السبت قرب متيجة وغربا الى البطحاء بشاحبة نهر مينة. اما مواطن توجين فشرقى بني عبد الواد وجنوب مغراوة فيما بين سعيدة والمدية، ولقد بقي هاتان القبيلتان على ثورتهمما طيلة ملك بني زيان

غدر الفرقة الافرنجية بالسلطان

كان من بين الجيش الزياني فرقة من علوج النصارى تعمل مع الجند فحازت بطول مرانها ثقة السلطان وتقديره فكان يباهى بها بين جموعه في جميع مواقفه الحربية وفي السلم ايضا، وهي مع ذلك تعمل في الخفاء لقلب نظام الحكومة والقضاء على السلطان فتربصت به الدوائر حتى اذا كان يوم استعراض الجيوش على السلطان ضحى يوم الاربعاء ٢٥ ربيع الثاني ١٠٦٢هـ (٢٥ فيفري ١٨٦٤م) وكان يغمراسن يومئذ قائما بباب القرمادين بعاصمة تلمسان فاعتدى عليه رئيس هذه الفرقة الاجنبية وسمل عليه السلاح وبادرت الفرقة المذكورة الى محمد بن زيان اخ يغمراسن فقتلته غدرا ونجا السلطان، وكان هنالك فزع واضطراب عظيم في الجيش فاندفع الناس حين ذاك الى القضاء على هذه الفرقة المشتملة على نحو النصارى ، فكان ذلك آخر العهد بهذه الفرقة الافرنجية ولم يستخدم بعدها أحد من نصارى الافرنج بالجندي في دول المغرب

وفاة يغمراسن

تقدم ان ذكرنا اصهار يغمراسن الى السلطان الحفصي في ابنته لولي عهد المملكة الزيانية ابي سعيد عثمان ولد يغمراسن ، وكان موعد الزفاف في ذي القعدة سنة ٦٨١هـ (مارس ١٢٨٣م) فخرج موكب العروس من تونس برئاسة الامير ابي عامر بن يغمراسن ، وما كاد ليقترب الموكب من الحدود حتى خرج السلطان نفسه لاقتباله وحمايته من غارات توجين ونزوات مغراوة ، فاتصل بالقافلة في ملبانة وفي منصرفه الى تلمسان ادركه حمامه فمات بوادي «رهيو» بشلف ، وذلك يوم الاثنين ٢٩ ذي القعدة سنة ٦٨١هـ (٢٨ مارس ١٢٨٣م) فكتمت الخاصة وفاته حتى بلغت به تلمسان فاعلنت وفاته واشتغلت حينئذ بدفنه ، فكان وعمره يومئذ ٧٦ سنة ، ومدة حكمه ٤٤ سنة وخمسة اشهر واثنى عشر يوما ، فبايع الناس يومئذ لولده ابي سعيد عثمان .

ولاية السلطان ابي سعيد عثمان

ولد السلطان ابو سعيد عثمان بن يغمراسن سنة ٦٣٩ هـ (١٢٤١ م) وكانت مبايعته بالملك بعد وفاة والده في اوائل شهر ذي الحجة سنة ٦٨١ هـ (مارس ١٢٨٣ م) : وكان ملكا شهما حسن السياسة والتدبير مقداما صبوراً على حوادث الدهر وضرباته

اشهر فتوحاته ووقائعه

وفق أبو سعيد في سلوكه السياسى الى جمع كلمة قومه واكتساب قلوب الرعية ؛ وذلك بحسن التدبير ومعرفته للاساليب المنجية والطرق المجدية ، فانتشر بذلك سلطانه على نواح كثيرة كانت متمردة عليه بالقطر الجزائري ، وكان من غزواته الموفقة حملته على مازونة وانتزاعها من مغراوة وفتحها في منتصف رمضان ٦٨٦ هـ [اكتوبر ١٢٨٧ م] واستيلاؤه ايضا على « تفرجيت » التي كانت لتوحين ؛ واناخ في هذه السنة بعساكرة على بجاية ثم افرج عنها ، واستولى على وانشريس واخرج منها ملكها التوحيني ، واحتل مدينة تنس والمدينة يوم ٢٦ ربيع الثانى ٦٨٨ هـ (٢٠ ماي ١٢٨٩ م) ، ثم تقدم في السنة بعدها الى تدويخ بلاد مغراوة فاقضعها كلها ، وحاصر مدينة برشك - بين تنس وشرشال - مدة اربعين يوما ففتحت عليه سنة ٦٩٣ هـ (١٢٩٤ م) وفر عنها صاحبها ثابت بن مندبل المغراوى فابحر الى حيث لا يعلم مكانه

ولهذا السلطان ايام ووقائع كثيرة ومواقف حازمة وقفها ضد توحين لتحالفها وتآلفها مع خصومه بنى مرين .

محاصرة تلمسان ووفاة ابي سعيد

لقد بلغ من امر العداوة المستمرة بين بنى عبيد الواد وبنى مرين انه كلما سئحت فرصة لاحد الطرفين للايقاع بصاحبه الا واتهزها أخذا بشاره واحماداً لغلته ، فتعددت الوقائع والحروب بين القبيلين ، وكان منها هذا الحصار الطويل الذي ضرب به ابو يعقوب يوسف المريني على تلمسان بسبب ما قامت به هذه الدولة من ربط صلتها بملوك بنى الاحمر ومشابقتها على بنى مرين .

تحرك ابو يعقوب من مدينة فاس في جمادى الثانية ٦٨٩هـ [جوان ١٢٩٠م] فنزل بذراع الصابون من ظهر تلمسان يوم الثلاثاء ٢٥ جمادى الثانية - ٦ جوليت - ومكث محاصرا للمدينة نحو ثلاثة اشهر ، فكانت هناك حروب طاحنة اشتد فيها الامر على الفريقين فانكسر فيها اولاً ابو يعقوب فاقطع عن الحصار مدبراً الى مركزه بالمغرب الاقصى ، ثم تكرر منه الهجوم على تلمسان اربع مرات ، ثم كانت الخامسة بعد انتفاض زكرياء بن يخلف المطغرى (١) قائد ندرومة في هذه المرة شرع ابو يعقوب في بناء المحلة المنصورة ٦٩٨هـ (١٢٩٩م) فاشتد يومئذ الكرب ببنى عبد الواد الزيانيين ونال منهم الجهد والعناء بما لا نظير له في تاريخ المغرب قبله ولا بعده ، بل ولا في تاريخ غيره من الامم فيما علمناه ، وناهيك انه قد طال بهم ذلك الحصار الشديد ثمانية سنين وثلاثة اشهر ...! اضطروا فيها الى اكل الحيف والقططة والفيران حتى قيل انهم اكلوا اشلاء الموتى من الناس !؟ وخربوا السقف للوقوف وغلت اسعار الاقوات والحبوب وسائر المرافق بما تجاوز حدود

(١) كثير اماً يشتهر على الكتاب كتابة هذه الكلمة ويخطئون في رسمها؛ فيكتبها بعضهم كيفما اتفق؛ تارة بالطاء وتارة بالدال بدون ترو ولا تثبت؛ والصحيح انهما اسمان مختلفان لفظاً وخطاً لاماكن ثلاثة مختلفة ، فاما بالدال فهو اسم مكان باعمال سجناسية يقال له «مدغرة» واما بالطاء فهو اسم يقع على موضعين مختلفين؛ احدهما بعمل تلمسان والاخر بعمل تازا وكلاهما يقال له «مطغرة»

العوائد وعجز وجدهم عنه ، فكان ثمن مكيل القمح الذي يسمونه البرشالة ويتبايعون به مقداره اثنا عشر رطلا ونصف مثقالين ونصفاً من الذهب العين ، و ثمن الشخص الواحد من البقر ستون مثقالاً ، ومن الضأن سبعة مثاقيل ونصف واثمان اللحم من الحيف الرطل من لحم البغال والحمر بثمان المثقال ، ومن الخيل بعشرة دراهم صغار من سكتهم تكون عشر المثقال ، والرطل من الجلد البقرى مئة او مذكي بثلاثين درهما ، والهـر الداجن بمثقال ونصف ، والكلب بمثله ، والقار بعشرة دراهم والحية بمثله !!! . والدجاجة بثلاثين درهما والبيض واحدة بستة دراهم والعصافير كذلك والواقية من الزيت باثنى عشر درهما ومن السمن بمثلها ومن الشحم بعشرين ومن الفول بمثلها ومن الملح بعشرة ومن الحطب كذلك ؛ والاصل الواحد من الكرنب بثلاثة اثمان المثقال ، ومن الخس بعشرين درهما ، ومن اللفت بخمسة عشر درهما ، والواحدة من القناء والفقوس بأربعين درهما ، والخيار بثلاثة اثمان الدينار ، والبطيخ بثلاثين درهما ، والحبة من التين والاحاص بدرهمين ، واستهلك الناس اموالهم وموجودهم وضائق احوالهم واستفحل ملك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارها واتسعت خطمة مدينته المنصورة المشيدة عليها ورحل اليها التجار بالبضائع من الآفاق واستبحرت في في العمران بما لم تبلغه مدينة (١) ولقد هلك في هذا الحصار من بنى عبد الواد نحو العشرين ومائة الف شخص

ورغم كل هذه الشدائد فقد ثبت بنو عبد الواد تجاه بنى مرين ثبوت الجبال —
الراسيات مدافعين عن حرمهم بالمهيج الى ان جاءهم الفرج ؛ وفي اثناء ذلك هلك
السلطان ابو سعيد عثمان الزياني وذلك لخس سنين من الحصار ، وقد قيل انه داف
السم في شرابه تقاديا من معرة الهزيمة والانكسار ، وكانت وفاته يوم السبت غرة
ذي القعدة سنة ٧٠٣هـ (٥ جوان ١٣٠٤م) فبوم لولدة ابي زيان الاول

□

(١) ابن خلدون ج ٧ ص ٩٥-٩٦

ولاية السلطان ابي زيان الاول

هو ولد السلطان ابي سعيد عثمان ، واسمه محمد ، ولد سنة ٦٥٩هـ (١٢٦١م) وكانت مبايعته اثر وفاة والده يوم الاحد ثاني شهر ذي القعدة سنة ٧٠٣هـ (٦ جوان ١٣٠٤م) وكان مشتهرا بالنشاط والحزم ورقمة الحاشية ودمائة الطبع فاضلا حسن التدبير

تولى الملك في اخرج الظروف واعسر الاوقات ؛ فلقد ولي عرش بنى زيان وعاصمتهم مهددة بالانقراض ودولتهم بالانهيار وحياتهم بالاضمحلال وذلك لما نزل بهم من الحصار المرينى وما نكبهم من الرزايا والفجائع والالام ؛ فتحمل عبء كل ذلك ابوزيان وحده وتزعّم قومه مجمعا رايه على الكفاح والمقاومة الى النهاية فاما ملك واما هلك وصرخ في قومه اثر مبايعته بكلمته الخالدة : تعالوا نخرج في قومنا فنستमित وبينما هو كذلك مزمعا على الحرب اذا بصوت الناعى ينعى سلطان بنى مرين ابا يعقوب يوسف صاحب الحصار!

قال ابن خلدون : «وحدثني شيخنا محمد بن ابراهيم الآبلى قال جلس السلطان ابوزيان صبيحة يوم الفرج وهو يوم الاربعاء في خلوة زوايا قصره واستدعى ابن حجاج خازن الزرع فسأله كم بقي من الاهراء والمطامير المختومة؟ ... فقال له انما بقي عولة اليوم وغد ... فاستوصاه بكتمانها ، وبينما هم في ذلك دخل عليه اخوه ابوحمو فأخبروه فوجم لها وجلسوا سكوتا لا ينطقون ...! واذا بالخدام «دعد» قهرمانة القصر من وصائف بنت السلطان ابي اسحاق وحظية ابيهم خرجت من القصر اليهم وحيثهم تحيتها وقالت : تقول لكم حظايا قصركم وبنات زيان حرمكم ما لنا وللبقاء؟ ...! وقد احيط بكم واسف عدوكم لاتهامكم ولم يبق الا فوق بكية لمصارعكم ، فأريحونا من معرة السبي واريجوا فينا انفسكم وقربونا الى مهالكنا ، فالحياة في الذل عذاب والوجود بعدكم عدم ...! فالتفت ابوحمو الى اخيه وكان من الشفقة بمكان ، وقال قد صدقتك الحُبْر فما تنظر بهن؟ ...!

فقال يا موسى ارجئني ثلاثا لعل الله يجعل بعد عسر يسرا... ولا تشاورني بعدها فيهن، بل سرح اليهود والنصارى الى قتلهم... وتعالى الي نخرج مع قومنا الى عدونا فنستमित ويقضى الله ما يشاء؛ فغضب ابوحمو وانكر الارجاء في ذلك، وقال انما نحن والله تتربص المعرة بهن وبأنفسنا، وقام عنه مغضبا وجهش السلطان ابو زيان بالبكاء... قال ابن حنبل - خازن الزرع - وانا بمكاني بين يديه لا املك متأخرا ولا متقدما الى ان غلب عليه النوم، فما راغى الاحرسى الباب يشير الى ان اذن السلطان بمكان رسول من معسكر بنى مرين لسدة القصر، فلم اطق رجع جوابه الاباشارة، وانتبه السلطان من خفيف اشارتنا فزعا فأذنته واستدعاه فلما وقف بين يديه قال له: ان يوسف بن يعقوب هلك الساعة!.. وانا رسول حافدة ابى ثابت اليكم؛ فاستبشر السلطان واستدعى اخاه وقومه حتى ابلاغ الرسول رسالته بمسمع منهم، وكانت احدى المغربات في الايام» (١)

كان اغتيال السلطان ابى يعقوب المرينى على يد خصى من العبيد اسخطته بعض النزغات المملوكية فاعتمده في كسر بيته ومخدع نومه وطعنه بخنجر قطع امعاء؛ وقد وقع ذلك يوم الاربعاء ٧ ذي القعدة ٧٠٦هـ (١٠ ماى ١٣٠٧م) فاختلقت بعده كلمة اصحابه وتشقت قومه حسب تشقت اغراض رؤسائهم فكان منهم من اعتصم بالفرار، ومنهم غير ذلك، فذهب يومئذ العناء عن آل زيان وقومهم وجميع سكان عاصمتهم فكأنما نشروا من اجداث، وكتبوا لها في سكتهم «ما اقرب فرج الله» استغرابا لحادثتها

ثم كان الصلح بين الدولتين، واعيدت لبنى عبد الواد جميع البلاد والثغور التي احتلها المرينيون بالجزائر؛ واوصى ابو ثابت المرينى بعدم التعرض لمدينة المنصورة بسوء؛ غير ان بنى عبد الواد لم يكن يستطيعوا تحمل رؤية شبحها المشؤوم فحطموها تحطيمًا

مقاومة القبائل المشاة

نشط السلطان ابوزيان الاول بمراقة اخيه ابي حمو الى بسط نفوذ الدولة العبد الوادية على كامل الوطن الجزائري بدون استثناء ؛ وكان اندفاعهما من تلمسان يوم الخميس ٢٠ ذى الحجة ٧٠٦ هـ - ٢٢ جوان ١٣٠٧ م فحلا بمواطن مغراوة من نواحي القطر الجزائري الغربي ؛ فأجفلت بطون مغراوة يومئذ الى الصحراء ؛ فاستولى ابوزيان على ارجاء «شلف» وذلك قبائل توجين فانضوت بأجمعها تحت طاعته ؛ واستمرت الحروب بين بني عبد الواد وبني راشد ، وما كانت لتنتهي الا لتكرر وتسوء العلائق بينهما من جديد (١)

وعاد السلطان الى عاصمته في رمضان ٧٠٧ هـ - فيفري ١٣٠٧ م وفي نفس هذه السنة كان القضاء على حاضرة المنصورة التي اشادها المرينيون قرب تلمسان ، فطمسها بنو زيان ومحو آثارها تفاديا من بقاء معالم العدو بينهم قائمة مرئية وفي شهر شوال - مارس - من هذه السنة توفي السلطان ابوزيان الاول اثر مرض لم يمهله اكثر من اسبوع فقط ؛ فدفن صبيحة يوم الاحد ٢١ شوال - ٢٦ افريل - وبويع لاختيه ابي حمو الاول



ولاية السلطان ابي حمو الاول

هو السلطان ابو حمو بن السلطان ابي سعيد عثمان بن السلطان يغمراسن بن زيان ، ولد سنة ٥٦٦هـ - ١٢٦٦م وبويع بتلمسان يوم وفاة اخيه السلطان ابي زيان الاول : الاحد ٢١ شوال ٥٧٠هـ - ٢٦ افريل ١٣٠٧م - وكان شجاعا شديدا في غير قساوة : لينا في غير ضعف ؛ حازما صارما ؛ وهو اول من احدث في هذه الدولة مراسيم الملك ومصطلحات تنظيمات القصر وتشريفاته *Protocole*

غارات ابي حمو وفدوحاته

كان اول ما افتتح به ابو حمو اعماله الادارية ان سعى في مسالمة بنى مرين ومهادتهم : ثم لما اطمأن على ملكه من الناحية الغربية اشتغل بتطهير الحواشي والجوانب المحيطة به فأخذ في تذليل القبائل المنشقة عنه كمغراوة وتوحين ، فانتصر عليهم ولكنه لم يظفر بالامير المغراوي راشد بن محمد افراره ، ثم التفت نحو الشرق ، فبعث بجنوده اولا الى الزاب الجزائري فاستولى عليه سنة ٥٧١هـ - ١٣١٠م واذعنت لطاعته بلاد الجزائر الشرقية ، فتنقلص عنها ضل بنى ابي حفص ثم بعد سنتين خرج السلطان ابو حمو بنفسه متوجها نحو مدينة الجزائر ، فاحتل بلدة تدلس - دلس - وخضع له اميرها ابن خلوف ؛ ثم تمكن من مدينة الجزائر ، فاقصى عنها حاكمها ابن علان بعد ما استبد بها مدة اربع عشرة سنة : ودوخ جبل ابي ثابت واشاد قصر «اصفون» في مدة لا تتجاوز اربعين يوما ، وهو نفس مكان المدينة المعروفة اليوم بالساحل الشرقي الجزائري باسم - ازفون - واقام به الحامية ثم تركها منصرفا الى غزواته

القضاء على أمارة الثعلابة بمتيجة

يذكر المؤرخون انه كان بسهولة متيجة نحو الثلاثين مدينة وكلها كانت للثعلابة الذين هم من عرب المعقل؛ وكان موقف هؤلاء السياسي دائماً في جانب المرينيين ضد بني عبد الواد، ولا سيما أيام الحصار الشديد الذي ضربه السلطان ابو يوسف يعقوب على تلمسان، وقد لاحظ ذلك منهم بنو عبد الواد فكاثروهم العداوة مصانعة الى ان حانت لهم الفرصة في هذه المرة وطعن سلطان مرين وارفع الحصار واسترد الزيانيون مملكتهم الجزائرية فجهز يومئذ السلطان ابو حمو الاول عساكره بقيادة ابن عمه محمد بن يوسف بن يغمراسن ووجههم الى متيجة فانقضوا على الثعلابة فحربوا قصورهم وحطموا ديارهم وقضوا على اكثريتهم، ولم ينجو منهم يومئذ في هذه الواقعة سوى نفر قليل التجأ الى احلافه بني مرين بالمغرب الاقصى، ومنهم من ذهب الى الصحراء ومنهم من اقام بجبال وانشريس؛ ثم حاصر الجيش العبد الوادي مدينة بجاية وضيق على صاحبها يومئذ ابي زكرياء الاوسط حليف مرين

اغارة بني مرين وثورة الاعراب

اشتعل المغرب الاوسط في هذه الآونة نارا سبب مهاجمة مرين على مراكز اعدائهم وخصوصهم الملتجئين الى تلمسان المحتمين بملوكها، فنزل السلطان ابو سعيد المريني مدينة وجدة واكتسح بسائط تلمسان، فالتجأ بنوزيان يومئذ في صرغه عنهم الى استعمال الحيلة والدهاء، ثم كان اندلاع الثورة من البربر والاعراب فعمت الفتنة جميع اعمال وهران، فانبرى لاطفائها يومئذ السلطان ابو حمو الاول ونزل بوادي «نهل» من شلف وهناك ابنتى قصره المعروف الى اليوم باسمه «حمو موسى» قبل ان تحرقه العامة الى - عمى موسى - وهو بالجانب الشرقي من موقع «عين كرماني»، ويومئذ فر امامه راس الثوار راشد بن محمد المغراوي فذهب الى بلاد القبائل؛ فأمر ابو حمو بغزوها ايضا، فاحتلتها جيوشه ودخلت بجاية فجاست هنالك خلال الديار،

واشيدت هنالك يومئذ مدينة «آقبو» الباقية الى اليوم واذعنت جميع تلك النواحي لبنى زيان ، ثم وقعت بقبضتهم مدينة المدينة ومليانة سنة ٧١٧هـ (١٣١٧م) وفي هذا العهد اخذ الضعف يسرى في عروق القبيلة الجزائرية العتيبة : زناته ، فابتدروا الهرم الذى هو سنة الكون في الكائنات افرادا وجماعات، وحلت محلها الجاليات العربية المهاجرة

مصرع السلطان ابي حمو الاول

لقد عملت عوامل الغيرة والانفة اعمالها في الامير ابي تاشفين بسبب ما كان عليه والده ابو حمو من تقديم ابن اخيه ابي السرحان عليه وتدنية مجلسه منه ، بل وكثيرا ما كان يظهر ذلك امام ولده ابي تاشفين فيستشير ابا السرحان ويحادثه في شؤون الدولة واعمالها وابو تاشفين جالس بدون ان يلتفت اليه ؛ فاستنكف ابو تاشفين لهذه الاهانة واغتاز لذلك فسخط على والده ودبر له مكيدة ذهب السلطان ضحيتها فاغتاله بعض العلوج بقصره يوم الاربعاء ٢٢ جمادى الاولى سنة ٧١٨هـ (٢٢ جوان ١٣١٨م) وتملك بعده ولده ابو شفين



ولاية السلطان ابي تاشفين عبد الرحمن الاول

هو السلطان ابو تاشفين عبد الرحمن بن السلطان ابي حمو الاول ؛ ولد سنة ٦٩٢هـ (١٢٩٣م) وبويع صبيحة الغد من يوم اغتيال والده ؛ الخميس ٢٣ جمادى الاولى ٧١٨هـ (٢٣ جوان ١٣١٨م)

عرف ابو تاشفين بين ملوك هذه الدولة بميله الشديد وتعلقه بالفنون الجميلة ولا سيما فن المعمار فان له به شغفا كبيرا فأشاد الدور والقصور، مع ما كان عليه من الامعان في الهو والقصف ؛ ولم يكن هذا كله ليعنعه من التحمل بأعباء الدولة والقيام بمهامها احسن قيام

ولما كان توليه الملك على الصفة المرعبة المتقدمة، اشتد به الحذر وخشى من الفتك به فأسرع بإبعاد جميع قرابته وذويه من ابناء يغمراسن عن حاضرة ملكه وبعث بهم الى الاندلس، واعتقل عمه السعيد بن عثمان عنده لهذا الغرض نفسه فأبقاه بالسجن الى ان هلك فيه

القضاء على سلطة مغراوة

كان كلما تولى احد من ملوك بني زيان الا وجعل همه الوحيد القضاء على سلطة مغراوة، تلك القبيلة المناهضة لسلطان بني عبد الواد، وسار ابوتاشفين الاول على خطى اسلافه من ملوك بني زيان، فكان اول ما قام به من الاعمال ان اغار على هذه القبيلة المنشقة سنة ٧١٩هـ (١٣١٩م) وحاصرها في ربوة «تاوكلال» من جبل وانشريس وشدد عليها الحناق فانقطعت عنها جميع المواصلات ونفدت الميرة حتى لم يبق هنالك عندهم ما يسد به الرمق فانتشرت المجاعة بتلك الارحاء ثمانية ايام وفر زعماء مغراوة من الميدان فاقتحم ابوتاشفين البلاد واخذ رئيسهم محمد بن يوسف المغراوى فقتله، ثم نازل بجاية ومنها عاد الى مركزه

فتح اعمال قسنطينة وبجاية

ما كان ليغفل بنو عبد الواد او يتناسوا تلك الحملة الشنعاء التي شنوها عليهم الحفصيون على عهد ابي زكرياء الاول سنة ٦٣٩هـ (١٢٤٢م)، وما كانوا كذلك لتجاوزوا عن انكسار مؤسس دولتهم السلطان يغمراسن وانهزاه امام هذه الغارة الحفصية، فمكثوا في انتظار الفرصة ليثأروا من خصمهم حتى ايسام ابى تاشفين الاول هذا حيث حدث اضطراب بين سكان اعمال قسنطينة تقوضت منه اركان الدولة الحفصية، فخف لذلك سلطان بني زيان وبعث بطائفة من الجند لاستطلاع احوال التخوم الشرقية وهو بذلك - في آن واحد - يختبر قوات الحصم الحربية المقيمة بالحدود، فذهبت الطليعة الزيانية الى غرضها ثم عادت بالظفر والغنيمة

ويومئذ نهض ابوتاشفين ٧٢٠ هـ (١٣٢٠ م) فأوقع بأهل قسنطينة وحاصر بجاية مرتين؛ ثم تعددت الوقائع بين بنى ابي حفص والزيانيين الى ان كان النصر فيها لبني زيان سنة ٧٢٩ هـ (١٣٢٨ م)، فأقاموا لذلك «قصر بكر» ببجاية كذكرى لهذا الانتصار الباهر الذي عم القطر الجزائري، وخلص يومئذ ابو يحيى ابوبكر الثاني الحفصي الى مدينة بونة جريحا؛ ثم كان بعد ذلك بسنة الدولة استيلاء العبد الوادية على تونس

ظهور الدعوة الموحدية بوهران

نهض ابراهيم بن عبد الملك الكوفي الثائر ببجبال «ترارة» من مركزه سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٤ م) متظاهرا باعادة عودة الموحدين واقامتها بالغرب الاوسط، فاستولى على الساحل الوهراني واحتل فرضة هنيئ وندرومة وحاصر مدينة وهران وكان بها يومئذ عبو بن سعيد بن اجانا واليا عليها من قبل الدولة الزيانية، وجاءت الحامية من تلمسان لرد حملة الثائر ابراهيم فاحفقت وسقطت وهران بيده، فأقام بها الدعوة الموحدية الى ان اغار عليها الزعيم ابوثابت وفتحها عنوة في جمادى الاولى سنة ٧٥٠ هـ (جولييت ١٣٤٩ م) وقضى على دعوة الكوفي بها وعفا عن اهلها ثم عاد الى مركزه

نهاية الدور الزياني الاول

لقد كان لانهازم الدولة الحفصية امام قوات الزيانيين سنة ٧٢٩ هـ (١٣٢٨ م) اثر شديد ووقم كبير في نفوس الحفصيين فاستظهروا يومئذ بالسلطان ابي سعيد المريني وتوسلوا به لاسترجاع مملكتهم من بنى عبد الواد فاستشفع لهم هذا السلطان في ذلك لدى بلاط بنى زيان فلم ينجح؛ ثم لما تولى ولده من بعده ابوالحسن - صهر بنى ابي حفص - اعاد عليه الحفصيون اقتراحهم في التوسط لدى ملوك بنى زيان في التخلي لهم عن المملكة الشرقية ففعل ابوالحسن مثل والده وقام بعرض القضية على ملوك تلمسان فاحقق في وساطته هذه ايضا؛ ويومئذ نشأت - او قل تجددت - العداوة

والبغضاء بين بنى مرين وبنى عبد الواد ، واخذ ابوالحسن فى الاستعداد للغزو ، وجاء الاسطول المرىنى غازيا سواحل تلمسان ومدافعا عن احواض بجاية ؛ ونهض ابوالحسن اواسط سنة ٧٣٥هـ (١٣٣٥م) مغيرا على المغرب الاوسط فاحتل ندرومة وهنين - فرضة تلمسان - ونزل اتسالة - بالقرب من سيدى بلعباس - وفتح وهران ومليانة وتنس والجزائر ومثلها النواحي الشرقية ، ثم نزل بالمنصورة يوم ١١ شوال - ٤ جوان - من هذه السنة ، وادار نطاق الحصار على تلمسان فاحتلها يوم الاربعاء ٢٧ رمضان ٧٣٧هـ (٢٩ افريل ١٣٣٧م) وخرج منها يومئذ ابوتاشفين فى حاشيته وابنائهم مدافعا بنفسه عن حرمة ؛ ولزم الجميع مكانهم فى الدقاع الى ان استشهد جميعهم فى الميدان وبقي ابوتاشفين منفردا فألقى عليه القبض ثم قتل يوم ٣٠ رمضان - ٢ ماي - بأمر الامير عبد الرحمن بن السلطان ابى الحسن المرىنى ؛ فكان ذلك آخر العهد بالدور الاول من ملك بنى زيان ، وعادت الجزائر الى سيادة بنى مرين وطاعتهم

ملوك الدولة الزيانية

— في الدور الاول —

تاريخ التولية

١٢٣٦ هـ ١٢٣٣ م

١٢٨٣ هـ ١٢٨١ م

١٣٠٤ هـ ١٣٠٣ م

١٣٠٨ هـ ١٣٠٧ م

١٣١٨ هـ ١٣١٨ م

ابويحيى يغمراسن بن زيان

ابوسعيد عثمان بن يغمراسن

ابوزيان محمد (الاول) بن عثمان

ابوحمو موسى (الاول) بن عثمان

ابوتاشفين عبد الرحمن (الاول) بن موسى

مشاهير الجزائريين

ابو زيد عبد الرحمن ٧٤١ هـ ١٣٤٠ م
 ابو موسى عيسى ٧٤٩ هـ ١٣٤٩ م

الاخوان ابنا الامام

للامام محمد بن عبد الله التلمساني ابنان ، هما ابو زيد عبد الرحمن وابو موسى عيسى ، اجمع علماء التاريخ والسير والتراجم بالمغرب العربي بانه لم يكن في زمنهما اعظم رتبة ولا اعلم منهما ، واكبرهما ابو زيد عبد الرحمن ، كلاهما اشتهر بالامامة والرئاسة في العلم ورسوخ القدم فيه وكلاهما نشأ بمدينة برشك (١) بالساحل الغربي الجزائري ما بين مدينة شرشال وتنس ، حيث كان والدهما اماما باحد مساجد هذه المدينة فاشتهرا يومئذ بهذه النسبة وعرفا بها

ولما استولى زيري بن حماد المسكلاتي المعروف بزيرم على مدينة برشك واستبد بها سنة ٦٨٣ هـ ١٢٨٤ م رمى امام المدينة وهو والد الاخوين العالمين بتهمة احتوائه على ودعة مالية لبعض اعداء زيرم وطالبه بها فامتنع الامام فقتله زيرم غيلة ، ويومئذ تكدر الجو واكفهرت الدنيا بعين الاخوين فحزننا لذلك وارتحلا في اواخر القرن السابع الهجري الى تونس حيث لقيا هنالك الاجلة من علمائها كابن القبطان وابن جماعة والمرجاني الخ... كما اجتمعا بفاس بالشيخ السطى والطنجي واليفرني وتلاميذ ابن زيتون واصحاب ابي عبد الله بن شعيب الدكالي وغيرهم

وبعد ان انهى الاخوان رحلتهم العلمية بالمغرب العربي وانتهيا من الطواف بمجامع العلم واندية الادباء توجهوا الى بلدهما ومسقط رأسهما برشك ، فلما

(١) ضبطها ابن خلدون بلفه بفتح الباء الموحدة وكسر الراء وسكون الشين

بلغا اليها امتنعت عليهما لحلول زيرم المستبد بها، فانصرفا عنها الى مدينة الجزائر فأقاما فيها يثان العلم وينشران ما طوى بها من معالمه، وكان السلطان ابويعقوب يوسف المرينى يومئذ محاصرا لتلمسان ذلك الحصار الطويل الشهير، وانتشرت جنوده مستحوذة على اكثر عواصم القطر الجزائري وامصاره، فارتحل الاخوان من مدينة الجزائر الى مليانة عاصمة مغراوة وكان بها الكاتب منديل بن محمد الكنانى ضابط حباية مرين، فعرف منزلتهما وعلو كعبهما فى العلم فاصطفاهما وقربهما منه واتخذهما لتعليم ولده محمد، ثم استعملهما على خطة القضاء بمليانة

وبعد مهلك السلطان ابى يعقوب المرينى وتأكد الصلح بين بنى مرين وبنى عبد الواد وارتفع الحصار عن تلمسان انتقل الاخوان صحبة الكنانى المذكور وحلا بتلمسان فاتصلا بالسلطان ابى حمو موسى الاول فاغتبط بهما وابتنا لهما مدرسة بناحية المطهر كما يقول ابن خلدون، - او داخل باب كشوط كما عند ابن ابى مريم - وجعل لهما فيها ايوانين معدين للتدريس، وابتنى لهما بجانب المدرسة دارين للسكنى، واختصمها بالفتوى والشورى وضمهما الى خاصته واعيان مجلسه، فاقاما هنالك ملحوظين ممتازين بين اهل العلم والفضل

ولما انتصر ابوحمو على بلاد مغراوة وتجاوزت طاعته الآفاق توجس منه خيفة زيرم المسكلاقي فخطب مودته وامل منه الامان لنفسه ونزل له عن ولايته، وكان ابو زيد عبد الرحمن بن الامام هو سفير السلطان الى زيرم ببرشك، وكانت بينهما طائلة كما ذكرناه فاستأذن السلطان فى اخذ ثأره منه فأذن له، واخذ ابو زيد يومئذ فى التردد على زيرم ببرشك حتى تمكن منه فثأر منه بأبيه القتيل، وكان ذلك سنة ٧٠٨ هـ (١٣٠٨ م) وصار امر ببرشك يومئذ لبنى زيان

استمر الاخوان العالمان على صحبتهما لابي حمو الاول بتلمسان الى وفاته فقر بهما اليه يومئذ ولده السلطان ابوتاشفين الاول فلازما مجلسه مدة سنتين ثم غادراه

الى المشرق ، سنة ٥٧٢٠ هـ (١٣٢٠ م) وهناك اجتمعنا بأكابر العلماء كالشيخ علاء الدين القونوى الذى كان يقال عنه انه لا نظير له فى العلم فى عصره ، واخذنا عن الجلال القزوينى صاحب التلخيص فى البلاغة ، وسمعا صحيح البخارى عن الشيخ الحجار ، واجتمعنا هنالك بشيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية فناظرناه وظهرنا عليه ، فكان ذلك مما زاد فى محنة الشيخ

عاد ابنا الامام من المشرق وقد طار صيتهما فى الآفاق واشتهرا بالتبحر فى العلم حتى صارا يعرفان بالامامة والاجتهاد المطلق والتفرد بالرئاسة ، فانهال يومئذ عليهما الطلبة من كل حدب وصوب ، وكثر المنتسبون اليهما واللائدون بهما وآخذون عنهما حتى غصت رحاب مجالسهما العلمية بالطلبة ، فتخرج عليهما اعلام منهم العلامة الشريف التلمسانى والعلامة الخطيب ابن مرزوق - الجدد - والامام المقرئ جد صاحب النفح ، وابوعثمان العقباني ، وابوعبد الله اليحصبي فى جماعة كثيرة ممن احترقت شهرتهم الآفاق

عاش ابنا الامام يومئذ فى كنف السلطان ابى تاشفين الاول مبالغا فى اكرامهما وتقديرهما فلازماء فى قصره الى آخر نفس حيث استشهد فى وقعة سقوط تلمسان بيد المرينيين سنة ٥٧٣٧ هـ - ١٣٣٧ م

وبعد ان استولى السلطان ابوالحسن المرينى على تلمسان جاء بابنى الامام الى قصره وازدادت حضوتهما عنده حتى كاد لا يفارقهما البتة ، واحضرهما معه وقعة طريف بالاندلس آخر سنة ٥٧٤٠ هـ - ١٣٤٠ م

ورغم كل هذا التفوق العلمى وبعد الصيت ، فانه لم يبالغنا عن مؤلفاتهما شئ سوى ما اشار اليه اصحاب التراجم من شرح ابى زيد عبد الرحمن على مختصر ابن الحاجب الفرعى ، ويقول ابن فرحون ان لهما التصانيف المفيدة ؛ ولعلها ضاعت وسط تلك الحوادث والاضطرابات التى منى بها المغرب العربى يومئذ ...!

ويذكر اهل السير ان ابا زيد عبد الرحمن اورع من اخيه موسى وانه كان يمتاز عليه بالخشية ، فقد حكى عنه ابو الفضل بن ابى مدين الكاتب وقد رآه يوما بباب السلطان ينتظر خروجه فسأله عن حاله ، فأجابه بقوله : اما الآن فأنا مشرك فقال الكاتب : اعيزك من ذلك !... فقال الشيخ : لم ارد الشرك فى التوحيد ، لكن فى التعظيم والمراقبة ، والا فأى شىء جلوسى هاهنا ؟...

وكانت وفاة ابى زيد فى العشر الاوسط من رمضان سنة ٥٧٤١هـ - اوائل مارس ١١٣٤٠م ودفن ببلدته برشك ، وبفقده ازداد مقام اخيه رفعة عند السلطان ابى الحسن ، فعاش فى اكنافه عزيز الجانب مكرما الى ان شغل السلطان بحوادث تونس والقيروان فسرجه الى بلده فذهب اليها واقام بها قليلا فوافاه اجله فى الطاعون الجارف سنة ٥٧٤٩هـ - ١١٣٤٩م رحمهما الله ، ويذكر ابن خلدون ان للشيخين اعقابا بقوا فى تلمسان دارجين فى مسالك تلك الكرامة ومتوقلين قللها طبقا عن طبق الى هذا العهد .

محمد بن ابراهيم الآبلي

٥٧٥٧ - ١٣٥٦ م

هو ابو عبد الله محمد ابراهيم بن احمد الآبلي ، اصله من مدينة آبلّة بالشمال الغربي لمقاطعة مجريط من بلاد الاندلس ، اجاز ابوه وعمه احمد الى تلمسان فاستخدمهما السلطان ابو يحيى يغمراسن بن زيان في الجندية فكان ابوه قائدا بهنين - مرقاً تلمسان -

اصهر والده ابراهيم الى ابي الحسن محمد بن غلبون المرسى قاضى تلمسان في بنته فأنجبت له مترجماً محمداً

ولد المترجم بتلمسان سنة ٦٨١هـ - ١٢٨٢م وبها نشأ في كفالة جده القاضى فحبب اليه العلم ورغب فيه معرضاً عن الجندية التى كان عليها والده ، فبرع في فنون الحكمة والتعاليم واشتغل بالمعقولات فكان فيها احد زمانه وعالم عصره واوانه وعكف الناس عليه في تعلمها وهو لا يزال في سن المراهقة

اخذ الاصلين والمنطق عن ابي موسى ابن الامام وعن جده القاضى وقرأ على ابي الحسن التنسى . ولما امتلك يوسف بن يعقوب تلمسان استخدمه فكره ذلك وسافر الى الحج آخر القرن السابع الهجرى فدخل مصر والعراق ولم يتح له القدر الاتقاع بعلماء المشرق لمرض لازمه في سفرة فعاد الى بلده تلمسان ، وكان السلطان ابو حمو الاول قد استفحل ملكه وقد بلغه عن الآبلي تقدمه في علم الحساب فدفعه الى ضبط امواله ومشارفة عماله ، فتفادى منها الشيخ ، فأكرهه السلطان على العمل في قيادة بنى راشد من كور بلده فشمخ الآبلي بأنفقه ورأى بنفسه من ان يسخر علمه في خدمة الحكومة والمشى في ركابها ، فأعمل الحيلة في الفرار ولحق بفاس في حدود سنة عشر وسبع مائة للهجرة محتفياً عند شيخ التعاليم بها خلوف المغيلي اليهودى فاستكمل عليه فونه الحكيمية ، ثم دخل مراکش فلزم العلامة الامام

ابا العباس احمد بن البناء ، فكرح يومئذ من علومه على اختلاف انواعها، واستدعاه شيخ الهساكرة على بن محمد بن ترميت للقراءة عليه فصعد اليه الشيخ واقام عنده مدة انتفع فيها ونفع وكثر حوله الطلبة واجمع الناس على محبته وتعظيمه وامتنال امره واطاعته

ثم نزل الشيخ مدينة فاس وبها انتشر ذكره وذاع صيته وفضله وصار يعرف بعالم الدنيا وينعت بأعلم خلق الله في فنون المعقول ويذكره اهل التراجم بقولهم : المجمع على امامته الخ... ويومئذ اثال عليه طلبته العلم من كل جهة وصوب فكثر الانتفاع به وعم نفعه البلاد

ولما فتح السلطان ابوالحسن المريني مدينة تلمسان ولقي بها العلامة موسى بن الامام ذكره له الآبى واثنى على علمه وفضله ووصفه بالتقدم على اقرانه في العلوم وذكره بأطيب الذكر فظم يومئذ ابوالحسن الى مجلسه ونظمه في سلك طبقة العلماء، وعكف الشيخ حيثئذ على التدريس ومصاحبة السلطان وحضر معه وقعتى طريف والقيروان، وفي هذه المرة كان اتصال اهل تونس بالشيخ وتيسر لهم الانتفاع به

ثم طلبه السلطان ابوعنان من صاحب تونس فجاء الشيخ الى بجاية مكث بها نحو شهر أخذ عليه طلبتها كتاب مختصر ابن الحاجب في الاصول ثم التحق بابى عنان في تلمسان فنظمه في طبقة العلماء وجعله من اشياخه

ولكثرة تلاميذته قال يحيى بن خلدون وهو احدهم : انى لا اعرف بالمغرب وافريقية فقيها كبيرا الا وله عليه مشيخة . ومن اشهر تلاميذته السلطان ابوعنان - والمؤرخ الكبير ابن خلدون - واخوه يحيى - وابن الصباغ المكناسى - والشريف التلمسانى - والشريف الرهونى - وابن مرزوق الجدد - وابوعثمان العقبانى - وابن عرفة - والولى بن عباد في آخرين لا يعدون كثرة ، اما تأليفه فلم يرو لنا التاريخ عنها شيئا .. الا انه كان يقول : انما افسد العلم كثرة التأليف واذهبه بنيان المدارس

ومن كلامه المأثور قوله رحمه الله : لولا انقطاع الوحي لنزل فينا اكثر مما نزل في بني اسرائيل، لاننا اتينا اكثر مما أتوا،
وكانت وفاته رحمه الله بمدينة فاس في ذي القعدة سنة ٧٥٧ هـ (اكتوبر ١٣٥٦م)

محمد بن خميس

(٧٠٨ هـ (١٣٠٩م)

هو ابو عبد الله محمد بن عمر بن خميس التلمساني ، منتميا الى حجر ذي رعين ابي قبيلة من اليمن ولد رحمه الله سنة ٦٥٠ هـ - ١٢٥٢م ولم يلبث ان نبغ واشتهر بين قومه بالعلم والادب والزهد وبعد الهمة ، فكان اوحد زمانه وعالم قطره واوانه ، عارفا بقنون الفلسفة والحكمة والنجامة والسيمياء مؤرخا مطالعا على اخبار الفرق والطوائف على اختلاف مللها ونحلها ، كاتباً بليغا وشاعرا مقلقا وكان لغزارة علمه يوصف بين اهل العلم بشيخ الادباء

قال عنه ابن خلدون «كان لا يجارى في البلاغة والشعر» وقال ابن الخطيب في «عائد الصلوة» : كان رحمه الله نسيج وحده زهدا وانقباضا وادبا وهمة ، حسن الشببة ، جميل الهيئة ، سليم الصدر ، قليل التصنع ، بعيدا عن الرياء والهوى ، عاملا على السياحة والعزلة ، عارفا بالمعارف القديمة ، مضطلعا بتفاريق النحل ، قائما على العربية والاصلين ، طبقة الوقت في الشعر ، وفحل الاوان في المطول ، اقدر الناس على اجتلاب الغريب . وقال ابن خاتمة : «كان رحمه الله من فحول الشعراء واعلام البلغاء ؛ يصرف العويس ويرتكب مستصعبات القوافي ويطير في القريض مطار ذوى القوادم الباسقة والخوافي . وقله في مدحه ابو بكر بن خطاب من ابيات

لك في البلاغة والفصاحة بعض ما تحويه من اثر محل رسيس
نظم ونثر لاتجارى فهيما عززت ذاك وذا بعلم الطوسي

ويعنى الشاعر بالطوسى هنا الامام ابا حامد الغزالى ، وذلك لمكانة ابن خميس وتضلعه من الفلسفة والتصوف

حدث عنه ابن خاتمة فى كتابه «مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية» فقال انه علاوة على علمه وفضله : كان صنع اليدىن حاذقا ماهرا فيما يصنعه بيده ، فلقد صنع قدحا من الشمع ابدع فى شكله ولطافة جوهره واتقان صنعه ، وكتب بدائر شفقه ما يلى حاكيا لسان حال القدح :

وما كنت الا زهرة فى حديقة تبسم عنى ضاحكات الكعائم
تنقلت من طور لطور فها انا اقبل اقوال الملوك الاعاظم

قال واهداه الى صديقه ابى عبد الله بن الحكيم وزير ملك غرناطة محمد الثالث وذلك ايام اقامة ابن خميس عنده فى آخر حياته

ولقد حل ابن خميس بغرناطة اواخر سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٤ م) بعد ما تجول وطاف اقطار المغرب وجلس فيها لاقراء العربية فارتفع بها صيته ، ونبه ذكره ، فضمه الوزير المذكور الى مجلسه وخصه بكرمه واحسانه ومن شعره قوله رحمه الله مقتخرا بعروبه واسلاميته

انا بنى قحطان لم نخلق لغير ر غياث ملهوف ومنعة لاجي
نقرى طلا الاعراب فى الهيجاوى اللاواء (تقرىهم على منهاج)
بسيوفنا البيض اليمانية التى طبعت لحز غلاصم ووداج
تأبى لنا الاحجام من اعدائنا يوم اللقاء طهارة الاشاج
انصار دين الهاشمى وحزبه وحامته فى الجحفل الرجراج
وحامته بنفوسهم ونفيسهم من غدر مغتال وسورة هاج
هم صفوة الخلق التى اختيرت له وسواهم همج من الهمماج
وكفى بحكمتنا اقامة حجة وبركننا من كعبة الحجاج

منا التبابعة الذين بسابهم كانت تسيخ جبة كل خراج
ولامرهم كانت تدين ممالك الا دنيا بلا جبر ولا اخراج
من يقتدح زندا فان زنادهم في الجود وارية بلا اخراج
ابوابهم مفتوحة لضيوفهم ابدا بلا قفل ولا مزلاج

وكان السلطان ابو عنان المريني **ك**ثير العناية بحفظ شعرة ورواية اخباره ،
وحدث عنه يوما فقال :

اخبرني شيخنا الامام العالم العلامة وحيد زمانه ابو عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلى
التلمساني فقال : لما توجه الشيخ الصالح الشريف ابواسحاق التلمساني الى
بلاد المشرق ، اجتمع هناك بقاضى القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد ، فكان من
قوله له : كيف حال الشيخ العالم ابى عبد الله بن خميس ؟ ... وجعل يحليه
بأحسن الاوصاف ويطنب في ذكر فضله ، فبقي الشيخ ابواسحاق متعجبا ! ...
وقال : من يكون هذا الذى حايتموه بهذا الحلى ولا اعرفه ببلده ؟ فقال له
ابن دقيق العيد هو القائل :

عجبا لها ايدوق طعم وصالها من ليس يأمل ان يمر ببالها

وتلا عليه القصيدة بطولها ، وهى تحتوى على ست واربعين بيتا ؛ قال فقلت
له ان هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحالة التى وصفتم ، انما هو عندنا شاعر فقط ؛
فقال له : انكم لم تصفوه ، وانما لحقيق بما وصفناه به . قال ابو عنان واخبرنا
شيخنا الآبلى المذكور ان ابن دقيق العيد كان قد جعل القصيدة المذكورة بخزانة
كانت له تعلق موضع جلوسه ليطالعه ، وكان يخرجها من تلك الخزانة ويكثر
تأملها والنظر فيها ، ولقد تعرفت انه لما وصلت هذه القصيدة اليه لم يقرأها حتى
قام اجلالا لها ! ...

قال ابن خاتمة : وقد جمع شعرة ودونه صاحبنا القاضي ابو عبد الله محمد بن ابراهيم الحضرمي في جزء سماه «الدر النفيس» في شعر ابن خميس» وعرف به صدر الجزء

وكانت وفاته رحمه الله اغتبيالا بغرناطة ضحوة يوم عيد الفطر سنة ٧٠٨ هـ (١٤ مارس ١٣٠٩ م) طعنه الرئيس علي بن نصر الشهير بالابكم فأصماه وذلك اثر الانقلاب الحكومي الذي اودى بصديق ابن خميس الوزير ابن الحكيم

ومن غريب الاتفاق وعجائب الصدف ما يقال ان الوزير المذكور كان قد اقترح على ابن خميس نظام قصيدة هائية ، فنظم مطامعها

لمن المنازل لا يجيب هواها بحيث معالمها وصم صداها ...!

وكان ذلك آخر شهر رمضان ، وما كادت شمس يوم العيد تذكو وتحسر قناعها الا وهما مقتولين رحمهما الله ؛ فكان هذا البيت آخر ما صدر عنه من الشعر ، وقد اشار معناه الى منعاه

جدول تاريخي

٦٣٣-٥٧٣٧ هـ

١٢٣٦-١٣٣٧ م

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
١٢٣٦هـ/١٨٢٣م	تأسيس دولة بني عبد الواد ائزيانية
١٢٤٢هـ/١٨٢٩م	اغارة الحفصيين على تلمسان ومصالحتهم لبني زيان
١٢٤٧هـ/١٨٣٤م	انهزام الموحددين في زحفهم الى تلمسان
١٢٥٧هـ/١٨٤٥م	انهزام يغمراسن بن زيان في وقعة ابي سليط
١٢٥٨هـ/١٨٤٦م	خيبة يغمراسن في نهضته الى المغرب الاقصى
١٢٦٤هـ/١٨٥١م	حادثة غدر فرقة الجيش الافرنجي بالسلطان ومبايعة اهل سجلماسة
١٢٦٧هـ/١٨٥٤م	انهزام بني عبد الواد في وقعة وادي تلاغ
١٢٧٠هـ/١٨٥٧م	فتح مدينة مليانة عاصمة مغراوة
١٢٧١هـ/١٨٥٨م	هزيمة وادي اسلي
١٢٨٣هـ/١٨٦٩م	وفاة السلطان يغمراسن وولاية ابنه ابي سعيد عثمان
١٢٨٧هـ/١٨٧٤م	غزو بجاية وفتح مازونة وتفرجنت
١٢٨٨هـ/١٨٧٥م	الاستيلاء على جبال وانشرس
١٢٨٩هـ/١٨٧٦م	فتح مدينة تنس والمدينة
١٢٩٠هـ/١٨٧٧م	ابتداء حصار المرينيين لتلمسان
١٢٩٤هـ/١٨٨١م	حصار الزيانين لمدينة برشك وفتحها
١٢٩٩هـ/١٨٨٦م	محاصرة بني مرين لتلمسان واشادة «المنصورة»
١٣٠٤هـ/١٨٩١م	وفاة السلطان ابي سعيد عثمان وولاية ولده ابي زيان محمد الاول

اغتيال السلطان ابي يعقوب المريني، وارتفاع الحصار عن مدينة تلمسان؛ ومناهضة القبائل المنشقة؛ و وفاة السلطان ابي زيان	١٣٠٧هـ ٨٠٦م
محمد الاول وولاية اخيه ابي حمو الاول	
طمس معالم مدينة « المنصورة »	١٣٠٨هـ ٧٠٧م
فتح اعمال الزاب وتخطيط مدينة اصفون - ازفون - بالساحل الشرقي من مدينة دلس	١٣١٠هـ ٧١٠م
املاك تدلس - دلس - ومدينة الجزائر وسهل شلف	١٣١٢هـ ٧١٢م
رد هجمات بني مرين عن الجزائر وبناء قصر حمو موسى - عمي موسى - بالجنوب الشرقي من عين كرمان؛ وانشاء مدينة آقبو	١٣١٤هـ ٧١٤م
املاك مدينتي المدينة ومليانة	١٣١٧هـ ٧١٧م
مصرع السلطان ابي حمو الاول وولاية واده ابي تاشفين الاول	١٣١٨هـ ٧١٨م
القضاء على قبيلة مغراوة	١٣١٩هـ ٧١٩م
طلائع بني زيان بأعمال قسنطينة	١٣٢٠هـ ٧٢٠م
الاستيلاء على شرق القطر الجزائري وتونس	١٣٢٨هـ ٧٢٩م
اتهاء الدور الزياني الاول باستيلاء السلطان ابي الحسن المريني على تلمسان	١٣٣٧هـ ٧٣٧م

سيادة بني موين

٧٣٧ - ٧٦٠ هـ

١٣٣٧ - ١٣٥٩ م

اعاد المرينيون في هذه المرة كرتهم على شرقي المغرب الاسلامي كله، واستولوا عليه برهة من الزمن ولم تطل ايامهم بالمغرب الاوسط اكثر من ثلاث وعشرين سنة؛ ولقد حقق المؤرخون ان استيلاءهم في هذه المرة كان في صالح الوطن الجزائري ماديا وادبيا وانهم لم يعملوا يومئذ على تقويض كيان الشخصية الجزائرية كما فعلوا اول مرة بل حافظوا على جميع مظاهرها ونظمها ومقوماتها وسائر مراسيم الدولة الناشئة بها مع مسابقة رؤساء القبائل والمشيخة غير ان ذلك كله لم يكن ليرضى دولة بني عبد الواد الجزائرية الحرة الالوية، فسكنت مرغمة وكلما ساحت لها فرصة المقاومة نشطت لها

نهضة بني عبد الواد

ولما استقر شأن المغربين الاوسط والاقصى لبني موين حاولوا فتح القطر التونسي ليم لهم الاستيلاء على المغرب العربي بتمامه؛ فهض لذلك سلطانهم ابو الحسن المريني في صفر سنة ٧٤٨ هـ (ماي ١٣٤٧ م) واتخذ معه جنودا من بني عبد الواد ومغراوة وتوجين، فاحتل بهم قسنطينة واعمالها، وبينما هو سائر في طريقه الى تونس اذا انعزلت عنه جيوش المغرب الاوسط وتركتهم في قومه ذاهبا الى الحرب فانهزم في وقعة القيروان المشهورة في المحرم ٧٤٩ هـ (افريل ١٣٤٨ م) فاستثمر بنو عبد الواد يومئذ انهزام اعدائهم بني موين وبادروا بمبايعة ابي سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن، واهدروا كل ما كان بينهم وبين مغراوة وتوجين من دقائن الضغائن والاحقاد وارتحلوا باجمعهم نحو اوطانهم بالمغرب الاوسط، وكانوا يومئذ في نحو الخمسمائة فارس،

ولقد انضم اليهم في معمرهم على بجاية نحو هذا العدد نفسه من الناقمين على سياسة مرين؛ ورغم كل ما بذله يومئذ المرينيون في رد هؤلاء المنشقين الى الطاعة فانهم لم ينجحوا في ذلك، واستمرت الحملة الجزائرية سائرة في طريقها موقفة منتصرة الى ان بلغت سهول شلف فذهب المغراويون الى اوطانهم، وانسلت عنهم توجين كذلك منحاذاة الى مراكزها، وانفرد بنوعبد الواد بحمل راية المقاومة فشنوا غارتهم الشعواء على تلمسان المحتلة ففتحوها عشية يوم الاربعاء ٢٢ جمادى الثانية - ١٨ سبتمبر - من نفس هذه السنة، وقضوا على عاملها المريني ابن الجرار، وتوزع عندئذ الاخوان: ابوسعيد وابوثابت السلطة بينهما واقتسما ادارة الحكومة العليا، فاستقل ابوسعيد بالادارة المدنية، وجعل لاخته النفوذ المطلق في ادارته العسكرية وسرعان ما نهض ابوثابت مضطلعا بمحاربة الثوار ومقاومة المنشقين عن الدولة من فصائل مغراوة وغيرها، فاستعاد بذلك الى حكومته كلا من مدينة وهران وندرومة ومازونة ومواطن مغراوة وعاصمتهم مليانة، والمدية وتنس وبرشك وشرشال والجزائر وتدلّس - دلّس -؛ وكانت هنالك حروب طاحنة بنواحي وادي شلف ووادي ريهيو والعطاف وفحص حمزة، وطلما حاولت حكومة مرين اعتراض بني عبد الواد ملحة في دفع صولتهم عن مغراوة فلم تنجح

وما كاد يطمئن بنوعبد الواد الى هذا النصر الباهر حتى فاجأهم السلطان ابوعنان فارس المريني آخر شهر ربيع الثاني ٧٥٣ هـ (١٤ جوان ١٣٥٢م) بحملة عنيفة كان النصر فيها لبني مرين بوقعة وادي القصب المشهورة وظفر القوم يومئذ بالامير ابى سعيد الزياني فاعتقلوه ثم بعد اسبوع قتلوه، وحيشد انتقل الميدان الحربي الى سهول متيجة واحواز الجزائر، ثم عادت الحرب الى سهل شلف، وهنالك انكسرت جيوش الامير ابى ثابت الزياني فخرج متنكرا الى مدينة الجزائر ثم حل ببجاية، وكان بصحبته يومئذ جماعة منهم ابوزيان ولد اخته ابى سعيد، وموسى بن يوسف ووزيرهم يحيى بن داود، فاعترضهم قوم من زواوة فانزلوهم

عن خيلهم وانهبوا اسلابهم وتركوهم حفاة عراة يسعون على الاقدام ، ويومئذ ظفروهم اشياح بنى مرين ، فاعتقلوهم وجاؤا بالامير ابى ثابت ووزيره يحيى فأسلواهما الى سلطان بنى مرين وكان وقتئذ حالا بالمدينة فنقلهما الى تلمسان حيث قتلا معا هنالك ، وبقي ابوزيان فى السجن

انبعاث الدولة الزيانية

رغم كل ما تقدم ذكره من الحروب والوقائع والانهمزامات التى توالى على هذه الدولة الجزائرية فانه لم يقم خور ولا فشل فى صفوف ابنائها البررة الذين قد وطدوا عزمهم على استرجاع سيادتهم بهذه البلاد وفكها من ايدى مرين ؛ وكان استرجاع هذا المجد على يد احد افراد الاسرة الزيانية ، وهو البطل المغوار ابوحمو موسى بن يوسف «الثانى»

كان ابوحمو هذا ملتجئا فى تونس منذ ايام حرب ٧٥٣هـ (١٣٥٢م) مستجيرا بالوزير الحاجب محمد بن تافراكين ؛ ولقد بعث ابو عنان المرينى الى هذا الوزير فى طلب ابى حمو فيمن معه من بطائه فأبى الوزير تسليمهم اليه وجاهر باجارتهم ؛ ولما وقعت تونس بيد الدولة المرينية فى اواخر شعبان سنة ٧٥٨هـ (اوط ١٣٥٧م) خرج منها ابوحمو فى زمرة سلطانها ابى اسحاق ابراهيم الثانى الملقب بالمستنصر الى ناحية الجريد ، ثم حل بكورة تبسة ، ومنها تحرك فى طائفة من الدواودة وبنى عامر الى اتقاد قسنطينة من الاحتلال المرينى ؛ فامتنعت عنه ، فاحتل مدينة ميله فى شوال - سبتمبر - ثم قرية «بنى ورا» من كور بجاية ، ومن هنالك دعى ابوحمو من طرف قومه لانهقاد تلمسان والجلوس على عرش آباءه الزيانيين ، فتجهز لذلك مستعينا بالحفصيين مؤيدا بكل ما تدعو اليه الحرب من عتاد واسلحة وجند ، فسار اذ ذاك ابوحمو بين جبلى عياض واوراس مصحرا فنزل الزاب ثم ريغ ووارجلان ، ثم غرب الى جبل مصاب ثم الى وادى زرقون فنزل وادى يسر ثم سلك قنطرة وهران

وهو في ذلك كله يشن غاراته على بني مرين وانصارهم، وكانت له يومئذ وقائع مشهورة اتصر فيها على خصومه فبايعه العرب واذعنوا له، واستولى حينئذ على نواحي تلمسان واطرافها، وبعد ما نازل العاصمة الزبانية مدة ثلاثة ايام اقتحمها في جموعه صبيحة اليوم الرابع: الخميس ٨ ربيع الاول سنة ٧٦٠ هـ (٧ فيفري ١٣٥٩ م) وكان دخوله الى المدينة من باب كشوط، فتلقاه الولاة والرؤساء بالبيعة والتسليم عليه بالامارة؛ وفي وصف هذه الحرب يقول السلطان ابو حمو في قصيدته التي طالعها:

جرت ادمعى بين الرسوم الطواسم لما شحطتها من هبوب الرواكم
وقفت بها مستفهما بخطابها واى خطاب للصلاص الصلادم
ومنها:

✓ قطعت الفيا في بالقلاص وانما
وقد خلقتها بين الرياح زواجا
مكحلة الاحقاد فيها هشاشة
ومعها اسود الحرب تطوى بها القلى
وخضت الفيا في قدفدا بعد قدفد
وكم ليلة بتنا على الجذب والطوى
على متن صهال اغر محجل
تسرلت كردوسين من آل عامر
رجال اذا جاش الوطيس تراهم
وجبت الفيا في بلدة بعد بلدة
وجئت لارض الزاب تذرف ادمعى
وشبكت عشرين فوق راسى فلم اجد
وجاوزتها ما بين هوج هجان
وجزت بأرض ريغ راغت بأهلها

تجابه القلى بالخف او بالمناسم
تسابق في البيدا ظليم الغنائم
مهملة الاطراف سود المناسم
يرون المنايا بعض تلك الغنائم
لنيل العلى والصبر اذ ذاك لازمى
نراقب نجم الصبح في ليل عاتم
مديد الخطى لم يخش صعب الصلادم
ومن آل ادريس الشريف بن قاسم
اسود الوغى من كل ليث ضبارم
وطوعت فيها كل باغ وباغم
لتذكر اطلال الربوع الطواسم
بها خبرا غير الربى والمعالم
رقاق الهوادي عاليات القوائم
ببلقعة قفر قفتها عزائمي

والقصيدة طويلة تحتوى على اثنين وتسعين بيتا (١) !
ثم انه ليس عندنا ما نسجله من حوادث هذه السنة مما يستحق الذكر سوى
ذلك الزلزال الهائل الذى حطم مدينة الجزائر فى اليوم الثالث من شهر ربيع
الثاني ٧٦٠ هـ (٤ مارس ١٣٥٩م)



ولاية السلطان ابي حو موسى «الثاني»

هو ابو حو موسى «الثاني» بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن
بن زيان، ولد بالاندلس سنة ٧٢٣ هـ (١٣٢٣م) وكانت نشأته بتلمسان آخذا بحفظ
وافر من علم وادب وسياسة وحزم وسداد وفروسية، وكان شاعرا فلقا له القصائد
الغراء الطويلة، فما كانت تمر ليلة من ليالى المولد النبوى الشريف الا ونظم فيها
قصيدا جيدا فى الموضوع ؛ وهو مؤلف كتاب «واسطة السلوك فى سياسة الملوك»
لخص فيه كتاب «سلوان المطالع» لابن ظفر وألحقه بفوائد كثيرة من عنده واورد
فيه من نظمه وما جرى له من الحوادث مع معاصريه من ملوك بنى مرين وغيرهم
من مشايخ العرب وزعماء المغرب الخ... صنفه برسم ولده وولى عهده ابي تاشفين
عبد الرحمن. والكتاب مطبوع بتونس سنة ١٢٧٩ هـ

وكان رحمه الله شهما غيورا وبطلا باسلا ذا كرم ومروءة، لين العريكة
كريم الاخلاق؛ يتبرع فى كل سنة على اهل الاندلس بالمال والحيل والزرع الكثير،
ويرى ذلك كله من الجهاد فى سبيل الله تحريرا لارض الاندلس من ازمة الاسبان
وكانت له مواقف شريفة فى انقاذ اهل الاندلس من الهلاك؛ قال يحيى بن خلدون:
«وفي هذه السنة - يعنى سنة ٧٦٣ هـ (١٣٦١) - وصل الى الباب العلى الفقيه
الكاظم ابراهيم بن الحاج رسولا من الاندلس يطلب من امير المسلمين ايدى الله
ارقاد المسلمين بالاندلس واعانتهم على مجاورة عدو الله ورسوله حسبما جرت

عادته بذلك، فوجه اليهم خمسين الف قدح من الزرع، وثلاثة آلاف من الذهب للكرام عليه في البحر، وكان ممن وصل معه الفقيه ابو محمد عبد العزيز بن علي بن يشت فرقع لولانا امير المسلمين ايده الله قصيدتين غراوين (١)

والسلطان ابو حمو الثاني « هذا هو الذي امر باطلاق لقب «الدولة الزيانية» بعد انبعائها بدل النسبة العبد الوادية، التي كانت اشتهرت بها قبل ذلك، واطهر ابهة الملك وصوله السلطان، فاستعادت الدولة يومئذ شبابها ومجدها المفقود

فتح مدينة وهران

كان من اوليات اعمال الفتح التي قام بها ابو حمو الثاني، ان بعث بوزيره الحاج موسى بن علي بن برغوث الى فتح مدينة وهران واقتكاها من بني مرين، فغزاها الوزير المذكور يوم ٢٨ ربيع الاول ٥٧٦٠ هـ (٢٧ فيفري ١٣٥٩) فانهزم ووقع اسيرا في قبضة قائد حامية مرين عامر بن ابراهيم بن ماسا، فبعث به بحرا الى المغرب الاقصى؛ وفي يوم الاثنين ١٣ شوال ٥٧٦٣ هـ (٧ سبتمبر ١٣٦١ م) اغار ابو حمو بنفسه على وهران فهدم اسوارها واستولى عليها

مقاطعات ومشاغبات بني مرين

ولما استوثق الامر للسلطان ابي حمو الثاني انضم اليه الزرد الى المريني عامل درعة وجاءه بقومه وثروته واحلافه العرب طائعا. فسخطت لذلك دولة مرين واخذت في شن غاراتها المتكررة على مملكة بني زيان الجزائرية واثارت العرب والبربر على سياسة ابي حمو وبالغت في مقاومته فأوعزت الى من نازعه الملك من اسرته فانتصر عليه ابو حمو اولاً ثم قهرته مرين وهزمته منتصف سنة ٥٧٦١ هـ (١٣٦٠ م) واحتلت تلمسان يوم ثالث رجب - ٢٠ ماي - وخرج منها يومئذ ابو حمو منتقما لدولته وشرفه فحرب مواطن كثيرة وحطم امصارا من بلاد المغرب الاقصى، فأحفظ

ذلك السلطان ابا سالم المريني فأسرع بتولية ابن زيان محمد الفتى بن ابي سعيد عثمان بن ابي تاشفين الاول على تلمسان بعد ما امده بالاموال والعساكر واقامه هنالك حاجزا لابي حمو عن دخول تلمسان واغذ ابوسالم السير الى المغرب فأجفل امامه ابو حمو متقلتا الى تلمسان فاحتلها وبومئذ جاءت بهيعة اهل الآفاق ، كأهل ندرومة ووجدة وهنين ومستغانم وتمزگران الخ وبعث من هنالك في فتح وهران وتنس والمدينة ومليانة ومتيجة ؛ وحوصرت الجزائر مرتين ، وفي الثالثة تنازل عنها بنومرين فاحتلها ابو حمو في اليوم الثامن من ذي القعدة ٧٦٢هـ (٧ سبتمبر ١٣٦١م) ثم تصالح الفريقان ، وفي السنة بعدها استولى ابو حمو على بلاد زواوة وقبض على ولاتها ورؤسائها الحفصيين ، ثم قاطعته مرين في وقعة وادى سيق في ذي الحجة ٧٦٥هـ (اوط ١٣٦٤م) فهزمها

التنافس على العرش

كان ابو زيان الفتى بن السلطان ابي سعيد عثمان الزيانى في قبضة بنى مرين منذ انتصارهم على بنى عبد الواد في وقعة وادى القصب سنة ٧٥٣هـ (١٣٥٢م) المتقدمة الذكر ، وفي هذه اللحظة ظهرت حاجتهم اليه ، فزينوا له منافسة ابي حمو ومزاحمته في الاستيلاء على العرش الزيانى وامدوه بالجنديّة واسباب الحرب ، فاندفع ابو زيان من المغرب الاقصى سنة ٧٦٥هـ (١٣٦٤م) مغيرا على احواز ملوية ، ثم حل بنواحي تلمسان وانحاء البطحاء وتعددت المعارك والوقائع هنالك بين الطرفين كان الظفر فيها لابي حمو وخاب ابو زيان وخابت معه آمال بنى مرين ثم عقب ابو حمو على خبيثة خصومه هؤلاء بالاغارة على المغرب الاقصى فأخذ في اعدائه هنالك قتلا واسرا وعظمت نكايته في التخوم ونقلت وطأته على اهلها فصالحوه وانعقدت الهدنة بين الجانبين ؛ ثم كانت بعد ذلك حوادث وفتن اثارها ابو زيان على ابي حمو بدون طائل

وفي ربيع الثاني سنة ٥٧٦٦ هـ (جانفي ١٨٣٦ م) كان حادث الزلزال الهائل بمدينة الجزائر فسقط من وقعه كثير من دور المدينة وقصورها ووقع من جرائه خراب عظيم ورض وتحطيم مات به عدد عظيم

وقعة بجاية وتبعاتها

بينما السلطان ابوحمو الثاني في يوم من ايام مسرته لالا باستعراض الجيش الزياني اذ وافاه الخبر بموت صهره الامير ابي عبد الله محمد بن يحيى الحفصي المقتول بيد ابن عمه ابي العباس احمد المتغلب على بجاية في تاسع عشر شعبان ٥٧٦٧ هـ (فاتح ماي ١٨٣٦ م)؛ فتظاهر ابوحمو بامتعاضه من ذلك - مسرا حسوا في ارتقاء - وجمع حوله طوائف من زغبة العامرين والعطاف الخ... فزحف بهم في ذي الحجة - اوط - الى بجاية فنازلها اياما مشددا عليها - الحصار ، وهناك اتصلت به وفود بسكرة والزاب فبايعوه ، ويومئذ استنهض ابو العباس الحفصي ابازيان بن عثمان لمقاومة ابي حمو الثاني ، وجعل معه قائد العسكر الحفصي بشيرا ، وسرعان ما احتدمت الحرب واشتبكت المعارك وانتشر الارجاج في معسكر ابي حمو بموت السلطان فأجفلت جنوده وذعر لذلك ابوحمو الثاني ونجا بنفسه ملتجئا الى مدينة الجزائر ومنها لحق بتلمسان ، وخسر من الانتقال واحمال والعيال والكرام والسلاح ما لا يحيط به الوصف ، وفي اثناء ذلك كان استيلاء ابي زيان على المدينة ومليانة والجزائر ، ومنحه يومئذ سالم بن ابراهيم رئيس الثعالبه سهول متيجة ؛ وذلك لوحشة كانت بينه وبين ابي حمو الثاني ، وتآلب يومئذ كل من اهالى هذه البلاد ضد ابي حمو واشترك في هذه الحرب يومئذ اغلب القبائل والبطون الجزائرية ، وكانوا في ذلك فريقان : فريق مع ابي زيان وفريق مع ابي حمو ، وكانت الحرب بينهما سجالا

اعتداء قراصنة الافرنج

كانت القرصنة العالمية يومئذ منتشرة بكامل طول هذا البحر وعرضه كما هي كذلك في غيره من البحار كما هو معروف، وكان من اشهر الامم يومئذ في ذلك واسبقهم الى هذا الميدان هم الاسبان والبرتقال والانكلز والفرنسيون؛ فاتفق ان هنالك مركبا اندلسيا كان يحمل هدايا وتحفا نفسية بعث بها احد ملوك بني الاحمر النصرين الى ابي حمو الثاني؛ كما هي العادة جارية بين ملوك الجزائر والاندلس. وبينما المركب سائرا في طريقه الى مرسى هنين اذ انقض عليه قراصنة الافرنج في الثامن من شهر ربيع الثاني ٧٦٨ هـ (١٦ سبتمبر ١٣٦٦ م) فأسروه ولم يسمحوا بمضيه الى هدفه حتى افتداه منهم السلطان ابو حمو بأمواله الخاصة نقدا

حصار مدينة الجزائر

نهض السلطان ابو حمو في احلافه من العرب والبربر لمباغطة الثعالبه حلفاء مريين بالجزائر فدحرهم واخذ بمخنق مدينة الجزائر فامتنت عليه، فعاد ومعه الثعالبه آخذا بهم طريق برشك وشرشال حتى بلغ بهم وادي شلف وهناك ألزمهم باستخلاص ما تخلفوا عنه في السنين الماضية من المغرم، ثم اتصل بحاضرة تلمسان وامر الجيش بالعودة الى غزو الجزائر وحصارها من جديد برا وبحرا

الزحف المربني على تلمسان

كنا المعنا فيما تقدم قريبا الى التجاء الزرد الى مع عرب المعقل من سكان المغرب الاقصى الى حاضرة تلمسان، محتمين بسلطانها ابي حمو، فأعطاهم عهده وذمته وذلك لما وجد فيهم من العون والاستظهار بهم على اعدائه وخصومه المربين. فكان ذلك مما اسخط حكومة فاس؛ وكان مما زاد في اثارة غضبها على هذه الدولة هو ما قام به ابو حمو الثاني من اجلاء القبائل المخالفة عليه كسويد وبنى يعقوب من تلمسان الى المغرب الاقصى؛ فنهض حيثئذ السلطان ابو فارس عبد العزيز المربني مطالبا حكومة تلمسان بارجاع عرب المعقل وردهم اليه، فامتنع ابو حمو الثاني ورفض طلبه، فتجرك ابو فارس من فاس مستنهضا معه جميع اهل المغرب الاقصى من سوس الى صحراء درعة والى سبتة، وجاء في جحفل جرار فاحتل تلمسان يوم الاحد ٢٥ المحرم ٧٧٢م (اوط ١٣٧٠م) وخرج منها ابو حمو في قومه مستجيشا احلافه يتقرى المدن والقرى الجزائرية؛ وعمت الفتنة يومئذ جميع بلاد المغرب الاوسط - الجزائر - واستمرت الحرب متأججة اكثر من عامين وذل ابو حمو متقللا متشردا في البلاد الى وفاة ابي فارس المربني يوم ٢٢ ربيع الثاني ٧٧٤هـ (اكتوبر ١٣٧٢م) فاهتبل اهل تلمسان هذه الفرصة السانحة وانتقضوا على بنى مرين وحققوا الى الانقضاء على السلطة المربنية المحتملة، وكان قائدهم في ذلك عطية بن موسى الركاب مولى ابي حمو، فبادر السلطان يومئذ الى العودة الى عاصمته تلمسان فدخلها يوم ٢٤ جمادى الاولى - نوفمبر - من هذه السنة وشرع في القضاء على رؤوس الفتنة والمشاغبين عليه من عصاة القبائل فقتل وطرد منهم؛ ويومئذ اشرك معه ولده ابا تاشفين في الحكم وجعل اليه النظر في كلتا ناحيتي الدولة السياسية والحربية وعقد له بولاية العهد بعده، وذلك في منسلخ شهر شعبان ٧٧٦هـ (فيفري ١٣٧٥م)

مبايعة تدلس ، والمجاعة العامة

استمرت مدينة تدلس - داس - طيلة هذه المدة المتقدمة خاضعة لحكم الخنصين الى ان استتب الامر الى ابي حمو الثاني وقويت شوكته فغزاها وفتحها عنوة يوم ٢٦ شعبان ٧٧٦هـ (٣١ جانفي ١٣٧٥م) فبايعه اهلها بالبيعة العامة في تاسع رمضان - ١١ فيفري - فعفا عنهم يومئذ واصفح

ويذكر المؤرخون ان هناك ريحا عاصفا هجوما عجت في هذه السنة على المغرب الاوسط فأهلكت الحرث والنسل واقتلعت كل شيء فانتشرت المجاعة بالجزائر حتى أكل الناس بعضهم بعضا ... ويومئذ تصدق السلطان بنصف جباية خزينة الدولة على الرعية وفتح ابواب خزائنه الخاصة للمحاييج ؛ وأمر بجمع الفقراء والمساكين ومن لا مأوى لهم من الناس بالمراستانات والمحلات العمومية وقدر لهم فيها ارزاقهم حتى انقرج عنهم الكرب وارتفعت المسغبة

عصيان ابي تاشفين واستشهاد ابي حمو « الثاني »

لم تفتر مرين عن العمل باجتهد في تفريق كلمة آل زيان وتشيت مملكتهم الجزائرية وذلك ببث بذور الشقاق والنزاع بين رؤساء الدولة وزعمائها وبالغت في التدخل في شؤون المملكة حتى كادت ان تحول بين المرء وقلبه وسعت في فصل ولي عهد المملكة ابي تاشفين عن والده السلطان ابي حمو الثاني وفعلا تفض على ابيه آخر سنة ٧٨٨هـ (١٣٨٦م) وحاربه فاضطر ابو حمو يومئذ الى مغادرة عاصمته تلمسان والانتقال بعرضه الى مدينة الجزائر فاعترضه ولده وولى عدة ابوتاشفين والقي به في سجن وهران ؛ وخرج في طلب اخوته فامتنع عنه بعضهم متحسين بجبل تيطري وبقي آخرون بتلمسان ؛ فبعث من مقرة هناك الى من كفاه قتلهم ؛ واستمر على سيره مجدا في البحث عن اخوته ومحاربة من عاداه

وبينما ابوتاشفين منهمكا في استقصاء اثر خصومه من اخوته وغيرهم اذا
 بوالده السلطان ابى حمو ينجو من معتقله بحيلة ويتخلص من سجنه فيتدلى منه
 بعمامته ، فاجتمعت الامة عليه يومئذ واحاط به انصاره فبوءوا عرشه المغصوب ،
 وهناك ادركه حفيده ابوزيان بن ابى تاشفين ثم اجفل امامه ملتجعا بأبيه ، وما
 كاد ابوحمو يتصل بعاصمة ملكه حتى كانت خرابا يبابا

واسرع ابوتاشفين من مقامه بتيطرى واغذ سيرة الى تلمسان فاقتحمها
 والتجأ والده الى مأذنة المسجد معتصما بها ، فاستنزله ولده المذكور متجافيا
 عن قتله ، فأظهر السلطان ابوحمو يومئذ رغبته في الحج فأسعفه ولده ابوتاشفين
 تفاديا منه واركب السفين مع بعض تجار النصارى المسافرين الى الاسكندرية
 واوصاهم به ، فلما حاذى المركب مرسى بجاية لطف ابوحمو اولئك النصارى في
 نزولهم بفرضة المدينة فاستأذنوا له امير بجاية في ذلك فأذن له فنزل بها ومنها
 سار الى الجزائر آخذا في تعبئة الجيوش والاستعداد لمنازلة تلمسان ؛ ويومئذ خرج
 ابوتاشفين من تلمسان ملتجعا بفاس مستجيشا دولة بنى مرين فانطلقت معه
 الجنود وكان اللقاء بينه وبين والده ابى حمو في ناحية «الغيران» بجبل بنى ورند
 - وراء جبل بنى راشد - وهناك ذهب ابوحمو ضحية كبوة فرسه فسقط
 صريعا غرة شهر ذى الحجة ٥٧٩١ هـ (٢١ نوفمبر ١٣٨٩ م) وعمره يومئذ ٦٨ سنة
 وكانت ايام ملكه منها ٣١ سنة

ولاية السلطان ابي تاشفين عبد الرحمن «الثاني»

هو السلطان ابوتاشفين عبد الرحمن «الثاني» بن ابي حمو موسى «الثاني» ولد بندرومة سنة ٧٥٢هـ (١٣٥١م) تولى ولاية عهد المملكة آخر شعبان ٧٧٦هـ (فيفري ١٣٧٢م) واهضى غالب ايامه الاولى في خدمة دولتي بني مرين الى ان قضى على والده غرة ذي الحجة ٧٩١هـ (٢١ نوفمبر ١٣٨٩م) فتولى مكانه، وضرب السكة باسمه تحت رعاية بني مرين وحمائهم؛ وكان يدعو اليهم ويخطب باسمهم ويدفع لهم الاتاوة

محاربة الاخوين ابي زيان و ابي تاشفين

كان ابوزيان واليا من قبل والده ابي حمو الثاني على مدينة الجزائر فلما سقطت والده في وقعة «الغيران» نهض منتقما من اخيه مستصرخا بأحياء العرب فاجابهم منهم طوائف تقدم بها الى حصار تلمسان في رجب ٧٩٢هـ (جوان ١٣٩٠م) وما كادت تبلغ جموع ابي زيان من العرب الى تلمسان حتى غمرها ابوتاشفين بأمواله فتفرقت يومئذ عن ابي زيان وتركته في فئة قليلة فخرج اليه حينئذ ابوتاشفين فهزمه في شعبان - جويلط - من سنته، فالتجأ أبو زيان عندئذ الى الصحراء مستألفا احياء المعقل من العرب؛ ثم عاد الى حصار تلمسان في شوال - سبتمبر - فردته عنها جنود مرين فاجفل الى الصحراء للمرة الثانية ثم اجمع رايه على استصراخ مرين ايضا فوفد على ملك فاس فتلقياه بكل تقدير ووعداه بالمؤازرة والاتصار له من اخيه، فأقام ابوزيان هنالك ينتظر الوفاء من حكومة بني مرين الى مهلك اخيه ابي تاشفين

تنكر مرين لابي تاشفين

استمر ابوزيان مقيما بفاس منتظرا من حكومتها تنفيذ وعودها في نصره على اخيه ابي تاشفين ، وطال صبره بقدر ما طالت هنالك اقامته. ولم يلبث ان حدث ما غير نظرة حكومة فاس في ابي تاشفين فانقلبت عليه واطهرت سخطها بتجهيز حملة عنيفة وجهتها الى تلمسان وجعلت قيادتها لابي زيان ، وما كادت تبلغ هذه الى تازا حتى توفي السلطان ابوتاشفين اثر مرضه في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الثاني ٧٩٥هـ (آخر فيفري ١٣٩٣م) فبادر يومئذ وزيره احمد بن العزالي بمبايعة صبي من ابناء السلطان الهالك وقدم نفسه كوصي على العرش واخذ في تدبير شؤون الدولة والتصرف في مهام السلطنة الزيانية مباشرة ، فغضب لذلك والى الجزائر يوسف بن ابي حمو المشهور بابن الزاينة فنهض الى تلمسان فاقتحمها وقتل الوزير المذكور والصبي المكفول وكان لهذا الحادث اضطراب وقلق عظيم في الرعية

تقوض عرش بني زيان

ويومئذ خرج المستنصر سلطان بني مرين الى ابي زيان فردده عن تازا واخذ معه معتقلا الى فاس ، ومن هناك بعث بولده ابي فارس في جنوده الى تلمسان فامتلكها واقام بها دعوة ابيه ، ثم اندفع الجند المريني متوجها نحو الشرق من بلاد المغرب الاوسط فاستولى على عواصمه مثل مليانة والجزائر وتدلس الى حدود بجاية ، فاتى بذلك على دولة بني زيان من المغرب الاوسط

وفي هذه الاثناء نهض ابونابت بن ابي تاشفين الثاني محاولا الاستيلاء على عرش اسلافه الزيانيين فلم يلبث في ملكه اكثر من اربعين يوما اذ فاجأه عمه ابوالحجاج يوسف بن ابي حمو الثاني فخلعه عن ولايته وقتله في جمادى الاولى ٧٩٦هـ (مارس ١٣٩٤م) وتزعم المملكة عشرة اشهر ثم زحزحه المرينيون بتولية اخيه ابي زيان بن ابي حمو «الثاني»

ولاية السلطان ابي زيان محمد «الثاني»

هو السلطان ابوزيان محمد «الثاني» بن السلطان ابي حمو موسى «الثاني» كان معتقلا بمدينة فاس الى ان توفي السلطان ابو العباس احمد المريني سنة ٧٩٦هـ (١٣٩٣م) وتولى مكانه ولده ابوفارس وانتقل من تلمسان التي كان واليا عليها الى فاس فأطلق يومئذ وثاق ابي زيان ومكنه من اماره تلمسان ليقيم فيها بدعوة مرين ، فسار اليها ابوزيان وجلس على عرشها منفردا بحكمها غرة ربيع الثاني ٧٩٦هـ (٣ فيفري ١٣٩٤م) وقاتل ابا الحجاج فخرج منهزما الى قبيلة بني عامر (١) وبقي هنالك يعمل على تأليب الرعية وايقاد نار الثورة ضد ابي زيان الى ان اغتاله العرب في ربيع الاول سنة ٧٩٧هـ (ديسمبر ١٣٩٤م) وحملوا راسه الى السلطان

(١) ويقال لهم العوام ايضا نسبة الى جد عم عامر بن ابراهيم بن يعقوب المنحدر نسبه من عامر بن زغبة الهلالي ؛ وعم اخوة بني سعد بن بكر بن هوازن الذين استرضع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كانت مواطنهم الاولى عند الطائف بجبل زغوان ؛ ويقول الالوسي في تاريخ نجد : «ان في قرى الوادي بنجد بقعة تسمى الهلالية» فلعلها مما بقي من آثارهم هناك ؟... وبعد ان تنقلوا في ازمدة مختلفة باطراف العراق والشام والبحرين وارض الصعيد المصري وتقلبوا على ملوك صنهاجة بالمغرب في اواخر القرن الخامس الهجري كما قدمنا في الجزء الاول من تاريخنا هذا صفحة (٢٩٦-٩٧) انتقل بنوعامر من طرابلس وقابس وشرقي افريقية - تونس - الى جنوب المغرب الاوسط - الجزائر - فسكنوا ما بين ارض مصاب (امزاب) وجبل راشد وجبل العمور وتجاوزوا مع بني بادين وتعاقدوا على امر واحد فسكن بنوبادين بالتلول والضواحي وسكن زغبة بمن معهم في القفار ، الى ان ملك يغمراسن بن زيان تلمسان ونواحيها ودخلت زناتة للتلول والارياض وظهر عبث المعقل المجاورين لهم وهم اهل «انكاد» فنقلهم من صحراء بني يزيد وانزلهم بينه وبين المعقل وقاية له ، فصاروا بصحراء تلمسان بعد ان كانوا ما بين المسيلة شرقا الى جنوب تلمسان غربا وبقوا مستقرين على اقامتهم هنالك الى ان كادت حروب ابي عنان المريني ان تفتك وتقضي على بني زيان ، فنقلهم السلطان ابو حمو موسى بن يوسف الزياني في حدود سنة نيف وستين من القرن الثامن الهجري من ضواحي تلمسان الجنوبية الى بلاد تاسالة واتصلت مجالاتهم بها الى حدود سنة ١١٦٠هـ [١٧٤٧م] فانقلوا الى سهول ملاته وجبالها وذلك ايام ولاية الحاج عثمان باي وهران فسكنوا بها الى الآن ؛ (انظر بهجة الناظر للشيخ عبد القادر المشرقي ، طبع الجزائر ١٩٢٤م)

ابى زيان فسكن يومئذ روعه

ويذكر لنا التاريخ من صفات هذا السلطان انه كان عالما ادبيا شاعرا ناثرا متأنقا في شعره بليغا في ترسله ، ومن شعرة قصيدته الرنانة التي نظمها مادحا سلطان مصر الملك الظاهر برقوق وارققها بهدية ثمينة اليه (١) فقال :

لمن الركائب سيرهن ذميل	والصبر - الابعدهن - جميل
يا ايها الحادى رويدك انها	ظعن يميل القلب حيث تميل
رققا بمن حملته فوق ظهورها	فالحسن فوق ظهورها محمول
لله آية أنجم شفافة	تنجذب عنها للظلام سدول
شهب بأفاق الصدور طلوعها	ولها باستار الجدول افول
في الهودج المزور منها عادة	تزرع الدجى بحبينها فيحول
فكانها قمر على غصن على	متنى كئيب والكئيب مهيل
ثارت مطاياها فتار بى الهوى	واعتماد قلبي زفرة وغليل
اومت لتوديعي فغالب عبرتي	نظر تخالسه العيون كليل
دمع اغيض منه خوف رقيبها	طورا ويغلبنى الاسى فيسيل
ويح المحب وشت به عبراته	فكأنها قال عليه وقيل
صان الهوى وحفونه يوم النوى	لمصون جوهر دمعهن تنذيل
وتهاهه اسد الشرى في خيسها	ويروعه ظبى الحمى المكحول
تأبى النفوس الضيم الا فى الهوى	فالحر عبد والعزيز ذليل
يا بانة الوادى ويا اهل الحمى	هل ساعة تصفين لى فأقول

(١) تشتمل هذه الهدية على ثلاثين من الجياد بمراكبها المموهة واحمال من الاقمشة الانيقة، انظر تفاصيل المهادات وعقد الصلات بين ملوك المشرق والمغرب فى كتاب العبرج ٧ ص ٢٢٦ و ٢٦٤ و ٢٦٦ وارجع الى صفحة ٨٧-٨٨ من هذا الجزء - تاريخ الجزائر العام - والتعريف بابن خلدون ص ٣٣٥-٣٤٦ ط القاهرة ١٣٧٠ هـ (١٩٥١م)

مالى اذا هب النسيم من الحمى
 خلو الصبا يخلص الى نسيمها
 مالى احلاً عن ورود محله
 والباب ليس بمرتج عن مرتج
 ومنها بعد ما يبدى اشواقه ، وحينه الى زيارة البقاع المقدسة في خمسة
 عشر بيتاً يخلص لذكر ممدوحه فيقول :

وعن المليك ابى سعيد فلتنب
 متحمل لله كسوة بيته
 سعد المليك ابى سعيد انه
 ملك يحج المغرب الاقصى به
 ملك به نام الانام وامنت
 فالملك ضخم والجناب مؤمل
 والصنع اجمل والفخار مؤئل
 يا مالك البحرين بلغت المنى
 يا خادم الحرمين حق لك الهنا
 يا متحف ومفتاحى برسالة
 اهديتها حسناء بكر ما لها
 ضاء المداد من الوداد بصحفها
 جمعت وحاملها بحضرتنا كما
 وتأكدت بهدية ودية
 اطلعت فيها للقسي اهله
 وحسام نصر زاهيا بنضاره
 ماضى الشبا لمصابه تغو الطبا
 فلكم له نحو الرسول رسول
 يا حبذاك المحمل المحمول
 سيف على اعدائه مسلول
 فلهم به نحو الرسول وصول
 سبل المخاف فلا يخاف سبيل
 والفضل جم والعطاء جزيل
 والمجد اكمل والوفاء اصيل
 قد عاد مصر على العراق وصول
 فعليك من روح الاله قبول
 سلسالة يزهى بها الترسيل
 غيرى، وان كثر الرجال، كفيل
 حتى اضمحل عبوسه المجبول
 جمعت بثينة في الهوى وجميل
 هى للاخاء المرتضى تكميل
 يرتد عنها الطرف وهو كليل
 راق العيون فريده المعسول
 فيه تصول على العدا وتطول

وبدائم الحلل اليمانية التي
فأجلت فيها ناظرى فرايتها
جلت محاسنها فأهوى نحوها
يامسعدى واخى العزيز منجدى
ان كان رسم الود منك مذيلا
فنظيرة عندي وليس يضيره
ود «يزيد» و«ثابت» شهدا به
واليكها تنبيك صدق مودتى
فاذا بذلك المجلس السامى سمت
دام الوداد على البعاد موصلا
وبقيت فى نعم لديك مزيدها

روى معاذها بمصر النيل
تحفا يحول الحسن حيث تجول
بفم القبول اللثم والسقيل
ومن القلوب الى هواه تميل
بالبر وهو بذيله موصول
بمعارض وهم ولا تخيل
وه لخالده بخلوده تذييل
صح الدليل ووافق المدلول
فلديك اقبال لها وقبول
بين القلوب وحبله موصول
وعليك يصفو ظلها المسدول

وللسلطان الشاعر هذا عناية بالتأليف ايضا ؛ فله كتاب فى علم النفس سماه
«الاشارة، فى الحكم بين النفس المطمئنة والنفس الامارة» ؛ ومن الاسف اننا لا
نعلم عنه اليوم سوى اسمه !... وقد يكون له غيره ؟...

ويمتاز عصر ابى زيان بنشاط العلماء الى التأليف ورواج سوق العلم والادب العربى فيه
ووضع المصنفات الكثيرة التى نرى اسماءها ماثوثة فى الفهارس وكتب التراجم والطبقات
واستمر ابوزيان على ولايته الى ان تنكرت له مريم واغرت به اخاه ابا محمد
عبد الله بن ابي حو - كما هو شأنها مع ملوك بني زيان دائما - فغزا تلمسان واحتلها
- بمساعدة ملوك فاس طبعاً - وذلك غرة القرن التاسع الهجرى (١٣٩٨م) وخرج
منها ابوزيان مشردا فى البلاد مهتما مهزوم القوى فبقى متنقلا بين احياء العرب
الى ان قتل سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢م)

ولاية السلطان ابي محمد عبد الله «الاول»

هو السلطان ابو محمد عبد الله بن السلطان ابي حمو موسى الثاني؛ انتصب للحكم سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨م) وأظهر من النشاط والحزم وحسن التدبير والصرامة في الحق والعدل في الحكم بين الناس ما خشي عقبه اولئك الممادقون المخادعون من بطانة السوء ورجال البلاط الماكرين فأثاروا يومئذ كمين الضغائن بين حكومتي فاس وتلمسان وسعوا بكل جهودهم في عقد المؤامرات السرية لايقاد الفتنة بين الدولتين حتى ظفروا ببعيتهم فكانت يومئذ اغارة مرين على تلمسان سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١م) فاحتلتها واسرت السلطان ابا محمد ونصبت مكانه اخاه ابا عبد الله محمد المعروف بابن خولة

وليس لدى فيما يتعلق بتاريخ عصر هذا السلطان مما يستحق التسجيل من الحوادث الهامة سوى غزاة مرين المتقدمة او ما يذكرون عن تقاعس الافرنج في تسعين سفينة حربية عن بونة بعد ان ردهم عنها اهلها المسلمون؛ توجهت الحملة الافرنجية يومئذ الى مرسى القل ودلس فانتهبتهما



ولاية السلطان ابي عبد الله محمد «الثالث»

هو السلطان ابو عبد الله محمد «الثالث» الملقب بالواثق الشهير بابن خولة، احد ابناء السلطان ابي حمو موسى الثاني، توج على عرش اسلافه سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١م) وكان عفيفا عن الدماء شغوبا بالعلم والفن عاملا على تنشيط العلماء وبعثهم على البحث والانتاج الفكري، فعاش الناس وقتئذ في رخاء وهناء رغم الحوادث الثورية والمشاعات السياسية والمشاكل المستحدثة المطرقة بين الدولتين المتجاورتين، وهكذا الى وفاته ورحمه الله يوم الثلاثاء ٧ ذي القعدة سنة ٨١٣ هـ (٣ مارس ١٤١١م) فتولى مكانه ولده عبد الرحمن



ولاية السلطان عبد الرحمن (الثالث)

هو السلطان عبد الرحمن «الثالث» بن السلطان ابي عبد الله محمد «الثاني» الشهير بابن خولة ، تولى الملك اثر وفاة والده يوم الثلاثاء ٧ ذى القعدة سنة ٨١٣هـ (٣ مارس ١٤١١م) وماكاد يستقر على عرشه حتى كانت هنالك فتنة منشأها شيان: التزاحم على الملك ودسائس مرين ، ففاجأ عمه السعيد في جيش عرمرم احاط بقصره والزمه بالتنازل عن الملك ، فاختلع عبد الرحمن عن عرشه واواخر المحرم ٨١٤هـ (ماي ١٤١١م) فلم تزد ايام توليته عن شهرين فقط، وتولى مكانه عمه المذكور



ولاية السلطان السعيد بن ابي حمو

هو السلطان السعيد بن السلطان ابي حمو موسى «الثاني» توج اثر اختلاع عبد الرحمن الثالث - ابن اخيه - في اواخر المحرم سنة ٨١٤هـ (ماي ١٤١١م) وكان ملكا جوادا كريما كثير الانفاق والعطاء ، ولقد اصيبت الخزينة في ايامه بازمة مالية فعمد الى التخفيف عنها بالتقيل على كاهل الرعية بالمطالب «الجرجية» فحدث ذلك قلقا واضطرابا في الناس طالما انتظرت دولة بني مرين التي كانت ترقب راصدة مثل هذه الحوادث والفرص المواتية لها عن كسب ؛ فاضهرت يومئذ الاهتمام بشأن هذه التشعبات الشعبية وتدخلت في القضية الجزائية بحمل اسير فاس الامير ابي مالك عبد الواحد بن ابي حمو «الثاني» على محاربة اخيه السلطان الحالي كما هو شأنها في تغليب امير على امير، وامتدته بالعدة والعدد فبادر ابو مالك الى اختطاف هذه الفرصة السانحة لتملكه وهاجم تلمسان فاحتلها في منتصف رجب ٨١٤هـ (اكتوبر ١٤١١م) وابعد اخاه السعيد الى منفاه فتركه هنالك الى ان هلك حتف انفه من عامه هذا



ولاية السلطان ابي مالك عبد الواحد

هو السلطان ابو مالك عبد الواحد بن السلطان ابي حمو موسى «الثاني» تغلب على اخيه السعيد بمؤازرة مرين فانتصب على العرش الزياني في رجب سنة ٨١٤ هـ (اكتوبر ١٤١١ م) وقيل ان ذلك كان في السنة بعدها

اشتهر ابو مالك بالشجاعة والحزم والسجاية الكريمة والتدين ونشر الثقافة والسهر على مصالح الدولة واصلاح الرعية ؛ ولقد بلغ بعزمه وشدة حزمه الى استرجاع كل ما كان بيد الحفصيين من بلاد الجزائر الشرقية ، وتوسع غربا الى عاصمة مرين فخضد من شوكتها واستولى على فاس ونصب عليها واليا او اميرا من قبله فكان ذلك آخر العهد بتدخل دولة بني مرين في الجزائر

اغارة الحفصيين على تلمسان

كان لاستيلاء السلطان ابي مالك على ما كان بيد الحفصيين من احواز الجزائر الشرقية وقع عظيم لدى دولة بني ابي حفص ، وكان مما زادها رعبا وذعرا من هذه الدولة الجزائرية هو توسعها غربا واستيلائها على عاصمة المرينيين - فاس - فشرع لذلك السلطان ابوفارس عزوز الحفصي في اخذ الحذر منها والاستعداد لمواجهتها والتدبير في خطة الهجوم للقضاء على دولة المغرب الاوسط الآخذة في النمو والانتشار باقطار المغرب الثلاثة ؛ وبرز ابوفارس في خمسين الف مقاتل مهاجمة ملكة الجزائر فردده السلطان ابو مالك عنها وكانت هنالك وقائع ومعارك متعددة صبر لها الحفصيون وصمدوا لها حتى انتصروا على تلمسان ففتحوها يوم السبت ١٣ جمادى الثانية ٨٢٧ هـ (١٣ ماي ١٤٢٤ م) وخرج منها يومئذ سلطانها ابو مالك منجازا الى الجبال فاحتلها ابوفارس ونزل بقصبتها مستحوذا على جميع ما فيها وبعد ان تمكن من ناصيتها نصب عليها الامير محمد «بن الحمرة» بن السلطان تاشفين وخرج متوجها نحو فاس حتى لم يبق بينه وبينها الا مسيرة يومين فجاءته بيعة مرين فعاد يومئذ

الى مركزه بتونس ثم جاءت بيعة صاحب الاندلس، فكان المغرب الاسلامي عهدئذ بتمامه تحت رعاية السلطان ابي فارس الحفصي



ولاية السلطان محمد «الرابع»

هو السلطان ابو عبد الله محمد «الرابع» المعروف بابن الحمرة بن السلطان عبد الرحمن تاشفين «الثاني» كان صاحب حكمة وحكمة وتدير توج على عرش تلمسان سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م) تحت رعاية الدولة الحفصية كما اسلفنا؛ فعمل على اكتساب قلوب الرعية بحسن سلوكه وسداد سياسته فمال اليه الناس وتوحدت كلمتهم حوله فثبت بذلك قدمه في الملك وتوطد سلطانه ويومئذ رفض دعوة بني ابي حفص فألغى ذكرهم من الخطبة والمكاتبات واعلن بتحرير البلاد واستقلال الدولة الجزائرية الزيانية عن غيرها من دول المغرب

وكذلك فعل عامل قسنطينة ورئيسها الحاج ابو عبد الله محمد الدهان فانه رفض طاعة دولة الحفصيين واعلن معارضة الولاة والامراء في سياستهم الداخلية وتصرفاتهم بالبلاد غير انه لم ينجح فقبض عليه السلطان ابو فارس في ذي القعدة من سنة ٨٣٠ هـ (١٤٢٧ م) واعتقله بقصبة تونس



السلطان أبو مالك عبد الواحد «للمرة الثانية»

بعد ان ظهرت خيبة ابي مالك - السلطان المخلوع - واخفاقه في استعمال جميع الوسائل السياسية والمكائد الدبلوماسية لاسترجاع عرشه ، التجأ الى بنى مرين فلم تغن ايضا عنه هذه المرة شيئا ، ويومئذ اذعن للحفصيين خصومه بالامس ، فزودوه بالجيش والعدة وغزا تلمسان فأكدى ؛ ثم تحرك لها السلطان ابو فارس الحفصى ففتحها في رجب ٨٣١ هـ (افريل ١٤٢٨ م) واعاد ابا مالك الى عرشه

ثورة (ابن الحمرة) ونهايته

خرج ابو عبد الله محمد الثالث «ابن الحمرة» من تلمسان منهزما واخذ في نشر الدعاية لنفسه بين العرب والبربر وثابر متنقلا بين أصقاع جبال وانشرس وبرشك وتنس واكثر من الحركة والتجوال بين الاحياء هنالك يستثير الهمم ويستألف العواطف والقلوب الى ان احرز على الثقة بينهم فأخذ منهم البيعة لنفسه وسار بهم زاحفا نحو تلمسان ففتحها يوم الخميس رابع ذى الحجة ٨٣٣ هـ (٢٤ اوط ١٤٤٠ م) وتمكن من قتل عمه ابي مالك ؛ وما كاد ينعم بنشوة الملك حتى فاجأه السلطان الحفصى - لثمانية واربعين يوما من تملكه - فأسرته ونصب مكانه عمه ابا العباس احمد «العاقل» وذهب بابن الحمرة الى تونس فاعتقله بقصبتها هنالك الى وفاته سنة ٨٤٠ هـ (١٤٣٦ م)

ولاية السلطان ابي العباس احمد المعتصم

هو السلطان ابو العباس احمد المعتصم المشهور بـ «العاقل» بن السلطان ابي حمو موسى «الثاني» تولى عرش تلمسان بفضل الحفصيين كما ذكرناه، يوم الخميس غرة شهر رجب سنة ٨٣٤ هـ (١٥ مارس ١٤٣١ م) فسك النقود وظهر من حسن السيرة والعناية بنشر العدل وخدمة العلم ما اكسبه عطف الرعية واجماع الناس على مودته، ويومئذ اظهر باسه للحفصيين واعلن برفض عهدهم سنة ٨٣٧ هـ (١٤٣٣ م) فتحرك لقتاله السلطان ابو فارس الحفصي فاحتل جبل وانشريس قهرا وانضم اهله تحت طاعته ثم ما كاد يتصل بتلمسان حتى وافاه اجله فتوفى بطريقها اليها وعاد اصحابه من حيث اتوا.

ثورة ابي يحيى واستيلاؤه على وهران

هو احد امراء البيت الزياني - اخ السلطان العاقل - حمله داعي الاثرة والتنافس وحب الرئاسة الى الخروج عن طاعة اخيه فشن غارته على تلمسان وشابعه على ثورته هذه احياء من العرب، فردهم عنها السلطان منهزمين، ويومئذ ذهب ابو يحيى الى وهران فاستولى عليها سنة ٨٤٠ هـ (١٤٣٧ م) وكثيرا ما حاول السلطان مطاردته فلم يفلح.

ظهور المستعين بالله وقتله

ان من ينظر في تاريخ الجزائر السياسي على هذا العهد يجده كله انقضى بين تناحر المتزاحمين وتشاكس المتنافسين، وسواء ذلك بين الدولتين المتجاورتين المكتنفتين لهذا القطر شرقا وغربا، بين اعضاء الاسرة المالكة نفسها، فهذا ابو زيان محمد «المستعين بالله» الذي كان بتونس وهو من اعضاء الاسرة الزيانية قد عملت فيه عوامل النخوة والكبرياء ودبت في قلبه عقارب الحسد فذهب مستجدا بحكومة

تونس فانجده وایدته بجند من العرب والبربر فجاء بهم مغیرا علی المغرب الاوسط سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) فاحتل مدينة الجزائر ومُتیجة وتنس ومليانة الخ... واوغل فی التقدم نحو الغرب الى ان تاخم حدود مملكة السلطان العاقل ثم عاد الى مدينة الجزائر فاستقر بها واتخذها مركزا لانشاء دولته بها. وماكاد يتم له الامر حتى فاجأه صاحب وهران الامير ابو يحيى اخو السلطان العاقل فثار الرعية ضده فقتلته في شهر جمادى الثانيه - نوفمبر - من سنته.

انهزام ابي يحيى عن وهران

ماكان للسلطان العاقل ان يترك اخاه ابا يحيى مستبدا بوهران (١) منذ ان استولى عليها سنة ٨٤٠ هـ (١٤٣٧ م) كما تقدم فعمل على اقصائه منها واعادتها الى مملكته وناجزه الحرب حتى غلبه عليها في شعبان ٨٥١ هـ (اكتوبر ١٤٤٧ م) وجعلها الحاضرة الثانية للجزائر فخرج منها ابو يحيى الى تونس فبقى بها الى وفاته سنة ٨٦٧ هـ (١٤٦٢ م)

نورة محمد «المتوكل» ونهاية «العاقل»

لقد كان مما جرته هذه القلاقل السياسية والاقلابات الادارية ان انتشرت الفوضى بالبلاد الجزائرية وعم الخلاف، فنهض اثنى الامير محمد بن محمد بن ابي ثابت «المتوكل» منتهزا فرصة فشو هذا الاضطراب ورفض طاعة السلطان معانا عصيانا واخذ في سيره لفتح البلاد في شهر ربيع الاول سنة ٨٦٦ هـ (ديسمبر ١٤٦١ م) واستولى على مستغانم ووهران وتنس واخيرا تلمسان فعزل عنها عم ابيه السلطان ابا العباس غرة جمادى ٢

(١) اختلف في بانها على قولين قيل انهم جماعة من الاندلسيين المذكورين في الجزء الاول من كتابنا هذا صفحة ٢١٨ وذلك في اواخر القرن الثالث الهجري كما تقدم، وقيل هو خزر بن حفص بن صولات المغراوي باذن مواليه امرأ بنى امية بالاندلس وصححه المشرقي في تقييده «بهجة الناظر» المطبوع بالجزائر سنة ١٩٢٤ م

(فاتح فيفري ١٤٦٢م) فانتقل ابو العباس يومئذ الى سكنى ضاحية العباد ثم ابعدها عنها الى الاندلس، وهناك سعى في تكوين جيش عاد به الى الجزائر محاصرا تلمسان مدة اسبوعين عن غير طائل ثم مات في ذي الحجة ٨٦٧هـ (اوط ١٤٦٣م) ودفن بالعباد

الزحف الحفصي

كان الحفصيون كثيرهم من ملوك المغرب الاقصى ينظرون دائما الى نشوب الخلاف والشتات بين امراء البيت الزياني ليتوسعوا او قلا يتوصالوا الى نيل غرضهم من الاستيلاء على هذا القطر وضمه الى مملكتهم الشرقية او الغربية؛ وكان الدور في هذه المرة للحفصيين؛ فخرج السلطان ابو عمرو عثمان الحفصي من تونس سابع شهر شوال ٨٦٦هـ (٥ جويليط ١٤٦٣م) ميمما عاصمة المغرب الاوسط - تلمسان - فاحضع في طريقه قلعة حليلة - احدي قلاع جبل اوراس - ثم تقدم غربا فنزل بارض بني راشد، وهناك جاءته وفود العرب من سويد وبني يعقوب وبني عامر والدواودة واعيان بني عبد الواد وكلهم ناقم عابى السلطان الزياني راغب في طاعة الحفصيين، فاحسن اليهم ابو عمرو وفرق ولاته على تلك الانحاء، ويومئذ اوفد المتوكل ملك تلمسان وفدا لينوب عنه لدى ابي عمرو في المبايعة وعقد الصلح، وكان هذا الوفد مركبا من ثلاثة أعضاء: الشيخ ابي عبد الله محمد بن الشيخ ابي القاسم العقباني، والشيخ ابي العباس احمد بن الحسن، وراسهما خال السلطان ابو الحسن على بن حمو بن ابي تاشفين

ثم عاد الملك الحفصي الى مركزه معرجا على قسنطينة فعقد لحفيدة ابي عبد الله محمد المنتصر بن ابي عبد الله محمد المسعود عليها وجعل بين يديه القائد ابا علي منصور الصبان مزوارا، وعين بشيرا قائدا على البلد بدل ظافر المعزول عنها، وصرف محمد بن سعيد بن صخر الى وطنه بجاية

ابتداء الهجرة الاندلسية وسقوط بونة

كان لطغيان الاسبان بالاندلس واعتداءاتهم المتكررة على المسلمين هناك تأثير عظيم على جمعهم وجماعتهم كما هو معروف من تاريخهم الحزين، فأخذوا يتسللون لو اذا ملتجئين الى هذا الشمال الافريقي ابتداء من سنة ٨٥٦ هـ (١٤٥٢ م) فحل اكثرهم يومئذ بالجزائر فلاحقهم الاسبان بمراكبهم، فكان ذلك ابتداء الحروب البحرية بين الجزائريين والافرنج، وكان اتحاد الجالية الاندلسية مع اهل الجزائر على مناوأة العمارة الافرنجية بهذا البحر الابيض المتوسط، سيما في سقوط بونة بيد الاسبان سنة ٨٦٧ هـ (١٤٦٢ م) ثم تبعها غيرها من السواحل الجزائرية



ولاية السلطان ابي ثابت محمد «الرابع»

هو السلطان ابو ثابت ابو عبد الله محمد المتوكل على الله بن ابي زيان محمد المستعين بالله بن يوسف؛ تولى الملك غرة جمادى الاولى سنة ٨٦٦ هـ (فاتح فيفري ١٤٦٢ م) بعد ان كان قد اقتطع لنفسه في ربيع الاول (ديسمبر ١٤٦١ م) مدينة الجزائر ومليانة ووهران ومستغانم وتنس واستولى عليها كما تقدم وبسط عليها نفوذه وسك نقوده. وكان ملكا شهما شجاعا شغوبا بالملك، اخضع سلطته العرب وجميع المذلفين عليه، وقام في مملكته باعمال جليلة فوحد كلمته الرعية واصلاح من شان الوطن ما تصدع، فاحبه الشعب والتف حوله ممثلا له منفذا لاوامره ونواهي، وكثيرا ما غزت اساطيله مدن الاسبان والطلينان انتقاما لما احلها هؤلاء بمسلمي صقلية والاندلس.

رفض الدعوة الحفصية

مضى هذا السلطان على الخطة المرسومة المتبعة التي سار عليها من قبله من ملوك بني عبد الواد الزيانيين، من المحافظة على استقلال هذه الدولة والدود

عن حرمتها ورفض كل تدخل اجنبي في شؤون الجزائر مهما كان شأنه،
 ففي سنة ٨٦٨ هـ (١٤٦٣ م) اعلن السلطان ابو ثابت برفض الدعوة الحفصية واطرد
 ولاتها من اعمالهم. فسعى به اعراب تلمسان من بني عامر وسويد وغيرهم لدى
 السلطان الحفصي فجاء بجنوده الى بعض قلاع جبل اوراس فاحتلها واخضع
 القبائل العربية هناك، ثم كانت هدنة وصلاح: ثم اعاد ابو ثابت نهضته معاكسا
 دعوة ابي حفص معلنا استقلاله التام بمملكته، فقاومه الحفصيون وتكرر
 ذلك منهم مرتين، وفي الثانية منهما بالغوا في تشديد الحصار على تلمسان فاذعنت
 لسلطوتهم يومئذ مدينة مليانة والمدينة وتسلم لهم ابو ثابت وكتب بيعته
 للسلطان الحفصي؛ ومما جاء فيها بخطه قوله: «شهد على نفسه عبد الله
 المتوكل عليه محمد لطف الله به ولا حول ولا قوة الا بالله، واعطى ابنته
 بكرها للمولى ابي زكريا يحيى بن المولى المسعود دون خطبة» وقفل حينئذ
 سلطان تونس الى حضرته وبقي ابو ثابت على عرشه الى وفاته بتلمسان سنة ٨٩٠ هـ
 (١٤٨٥ م) فخلفه بعده ولده تاشفين



ولاية السلطان تاشفين بن ابي ثابت

هو السلطان تاشفين بن ابي ثابت محمد الرابع، لم يكد يستقر على عرش
 اسلافه حتى فاجاه اجله بعد اربعة اشهر من سلطته فتوفي من سنته بدون ان
 يترك اي اثر له يذكر به في تاريخ دولته



ولاية السلطان محمد (السادس)

هو ابو عبد الله محمد «السادس» بن ابي ثابت المتوكل تولى السلطنة بعد اخيه
 تاشفين فسك النقود وتلقب بلقب ابيه: ابي ثابت ايضا، وكان ضعيف الارادة عاجزا
 عن القيام باعباء الملك وتدبير شؤون الدولة السياسية وتسيير الرعية فكثرت الفتن

والاضطرابات على عهده وانتشرت الفوضى ثم مات سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٦ م) ولم
نظفر له كذلك بأثر يذكر به سوى اسمه المرسوم على سكتته



ولاية السلطان محمد (السابع)

هو ابو عبد الله محمد «السابع» بن ابي ثابت الثاني؛ اشتهر بالثباتي نسبة الى
جده، تملك بعد ابيه عام ٩٠٢ هـ [١٤٩٦ م] وكان من ذوى الفطانة والذكاء ورجاحة
العقل وحسن التدبير منصرفا الى توفير مالية خزينة الدولة والاكثر من الاوقاف
الخيرية. وفي ايامه [٨٩٥ هـ ١٤٩٠ م] كان ذلك الحدث الجلل بالاندلس فسقطت
غرناطة عاصمة بني الاحمر التصريين آخر معاقل الاسلام بذلك الفردوس
المفقود... فالتجأ ملكها المنكوب ابو عبد الله محمد بن سعد المعروف بالزغل
الى وهران فيمن ضوى اليه من الاعيان والكبراء الذين ايقنوا بنهاية الاندلس
الاسلامية، ثم انتقلوا الى تلمسان وبها ترك الزغل عقبا له عرف بعد ذلك ببني
سلطان الاندلس فاقبلهم الملك باو في ما يجب ان يكرم به الملوك والامراء والسادة ومات وجبه
الروابط الاسلامية، فكان ذلك مما زاد في اثارة حقد الاسبان فسخطوا على الجزائر
واستشاط ملكهم غيضا على بلاط تلمسان، فادرك ذلك السلطان الزياني وتحقق
انه لا محالة هامة اليوم او غد، فبا درالى السعى في ترضية (فرديناند الخامس) وتالفه بالسفر الى
اسبانيا [١] مصحوبا بهدايا ثمينة، منها خيول عربية عتاق، ولؤلؤة فخمة ملكية نادرة،

(١) كانت المملكة الاسبانية ايام ولاية الزومان عليها [١٣٤-٤٠٦ م] منقسمة الى ولايتين يفصلهما نهر
«ابرو» وسموها هسبانيا الخارجة وهسبانيا الداخلة، ثم سمو البلاد كلها «هسبانيا» بربدون
المملكة ذات الولايتين او المقسمة الى قسمين، وقيل ان اطلاق اسم «اسبانيا» عليها كان زمن
الفيثقيين قبل الرومان، وان كلمة «Span» فينيقية معناها المحتجب او المستور، وذلك لان
هذه البلاد كانت بعيدة عن الفيثقيين محجوبة عن نظارهم في اقصى الارض جهة الغرب، وقيل
انما سموها بذلك لانهم راوا فيها ازانب كثيرة، والارنب بلقته «اسبان». انظر تعليقات احمد

يوسف نجاتي على نفع الطيب ج ٢

وطيور مصنوعة من الذهب الخالص، فيها من الدواجن دجاجة متبوعة بست وثلاثين نقفا الخ ...، وقدم ذلك بنفسه الى ملك الاسبان فانكسرت حدة غضبه وذهبت عنه شرته ثم عاد بعدها السلطان الى وطنه آمنا، وكانت وفاته سنة ٩٠٩ هـ [١٥٠٣ م] فخلفه اخوه ابوزيان «الثالث» غير انه لم يمكث الا قليلا ففاجأه عمه ابو حمو الثالث



ولاية السلطان ابني حمو موسى (الثالث)

هو ابو حمو موسى «الثالث» الملقب بابي قلهون بن محمد «الرابع» انتصب بالقاهر على عرش تلمسان سنة ٩٠٩ هـ [١٥٠٣ م] فعزل ابن اخيه محمد «السابع» وباشر الحكم والبلاد يومئذ في اضطراب وحبل حكومتها في انحلال وضعف وتفرق وتشيت

احتلال الاسبان لوهراة والسواحل الجزائرية

لقد اخذ صرح بني عبد الواد يتساقط منذ ان ركن ملوك هذه الدولة من بني زيان الى التواكل والتخاذل واخلادهم الى الدعة واستمهادهم الراحة وشاغلهم عن القيام بالمصالح العامة وانهما كهم في التهالك على الرئاسة وقصر اشتغالهم على انفسهم شخصيا، فانمحت يومئذ هيبتهم من نفوس الرعية وانتشرت الفوضى بين الناس في كل من ميادين السياسة والاجتماع واستبدت الولاة ورؤساء القبائل والشيوخ وعمال الجهات وولاة النواحي وقادة الجيش بما اتصل بايديهم من اسباب الولاية والحكم، فتشتت الوحدة الجزائرية واضلحت الرابطة الاجتماعية بين الراعي والرعية فاضطربت الاحوال وتعددت المشاكل، وملوك الاسبان يومئذ يترصدون مثل هذه الفرص خلسة، ويتربصون الظروف المواتية للقضاء على دولة الاسلام بهذا الشمال الافريقي بعد ان شقوا منها صدورهم واطفؤوا غلتهم في حوادث

الاندلس الدائمة، وقد كانوا تعاهدوا على ذلك وتواصوا به منذ انعقاد مؤتمر «طورز لاس» ٨٩٩ هـ (١٤٩٤ م) للنظر في شؤون سير السياسة بالهند، فهناك وقع التعاقد بين الصليبيين على استئصال المملكة الاسلامية بهذا الشمال الافريقي، وقد تطلع الى ذلك دولة الاسبان والبرتغال فتواطأ على ان يتوزعا بينهما بلاد المغرب العربي غنيمة باردة على ان يكون حظ الاسبان منها سواحل بلاد الجزائر وللبرتغال المغرب الاقصى،

ولما كانت الجزائر في هذه الفترة على ما وصفناه من الانحلال السياسي والاضمحلال الاداري أخذ الاسبان في التمهيد والاستعداد لاحتلالها ببعث البعث الاستطلاعية اليها واذكاء العيون والجواسيس حولها للكشف عن حالتها البلاد العامة والاطلاع على عوراتها، ومنها كانت بعثة «لوريشودي باديا» الى مملكة تلمسان على عهد السلطان ابي عبد الله محمد الثابتي

وما كاد القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي - ياذن بالحلول حتى كان الاسبان على استعداد تام لمهاجمة الجزائر، لايتظرون في ذلك سوى اذن ملكهم ومباركة البابا. وقد حصل ذلك بالفعل، فاجرت الحملة الاسبانية من «مالقة» يوم الاربعاء ٣ ربيع الثاني ٩١١ هـ [٣ سبتمبر ١٥٠٥ م] متوجهة نحو الضفة الجنوبية من هذا البحر الابيض المتوسط فارست تجالا وهران مهاجمة لمرساها الكبير غربي المدينة وعلى ثمانية كيلوميترا منها؛ وبعد ان اشتبكت المعارك هنالك احتلت السلطة الاسبانية المهاجمة يوم الثلاثاء ٩ ربيع الثاني - ٩ سبتمبر - ثم كانت بعدئذ معركة قرية «مسرغين» الواقعة على خمسة عشر كيلوميترا من وهران انهزم فيها الجيش الاسباني ومات منه ثلاثة آلاف جندي - باعترافهم - وفر الباقون الى المرسى الكبير معتمدين بأسوار المنيعه؛ ثم توالى الغزوات والهزائم على السواحل المغربية واشهرها بالجزائر تلك الحملة الشعواء التي تراسها الكاردينال «كسيمينس» نفسه بمآزرة الحينيرال «ييدرونافارو» ،

اجبرت هذه الحملة الاسبانية العتيدة من ثغر قرطاجنه صباح يوم الاربعاء ٢٦ المحرم ٩١٥ هـ [١٥ ماي ١٥٠٩ م] فصبحت الجزائر صبيحة الغد ونزل المشاة بساحل وهران ضحى يوم الجمعة؛ وماهي الاسويحات قليلة حتى كان الجيش الاسباني مشرفا على ربي المرسى الكبير وتلال وهران، وتقدم الجند الى المدينة - بدون مقاومة من الجيش الزباني تذكر - يقتل ويأسر من غير شفقة ولا رحمة، واستمر سائرا في طريقه حتى اتصل بأسوار مدينة وهران محققا بها، وفي جنح الليل من تلك الليلة نفسها فتح القائدان الحائنان القائمان بحراسة الثغر (١) باب المرسى للعدو فتدفقت جنوده بخيلها ورجالها وجاءت كالسيل الجارف، وساعدهم على ذلك بعض الخونة ممن باع ذمتهم تلقاء دربهات معدودات مثل بني عامر، وشافم وكرشتل، وحميان، وغمرة، وقيزة، واولاد عبد الله، واولاد علي والونازرة (٢) وما كاد يتنفس فجر يوم السبت حتى كان الاحتلال تاما فاقبح الجيش المهاجم المدينة معتديا على حرمة الدين والانسانية مرتكبا كل فاحشة من غير استثناء ولا محاشات فقتل بيده ذبحا نحو الثمانية آلاف من البراء العجززة الذين قعد بهم الاضطراب والهرم والقصور عن الفرار من المذبحة؛ وانتهكت حرمة المساجد والبيوتات الشريفة بما يندى لذكره الجبين وتصفر لهول الوجوه وتنخلع له القلوب، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا..

ويومئذ انطلقت السنة العلماء والشعراء بتوجيه الصريخ الى الولاة والرؤساء وامراء القبائل لانقاذ وهران من هذا الاحتلال الغاشم والعود باللائمة والحزى على مشايعي الاسبان من بني عامر وغيرهم، وهذه قصيدة الشيخ ابي العباس احمد بن القاضي سيدي عبد الله بن ابي محلي السجلهاسي شيخ العلامة ابي عثمان سيدي سعيد قدورة الجزائري تنبئ بذلك :

(١) احدهما منافق يتظاهر بالاسلام والاخر يهودي اسمه اشطورا

(٢) راجع بهجه الناظر في اخبار الداخلين تحت ولاية الاسان كبني عامر، المشرفي ط الجزائر

فمن مبلغ عنى قبائل عامر
وكل كمي من صناديد راشد
وجيرانهم في الغرب من كل ماجد
وطليحة والاحلاف في غرب هذه
وشيوخ بني يعقوب والكمي الفتى
ويا معشر الاسلام في كل موطن
ويا سادة العربان من آل هاشم
ويا معشر الاتراك يا كل عالم
اناشدكم بالله ما عذر جمعكم
والقصيدة مدرجة بتمامها في بهجة الناظر للشيخ عبد القادر المشرقي فانظرها

هناك

وفي اواخر رمضان سنة ٩١٥هـ [٦ جانفي ١٥١١م] جاء «بيدرو نافارو»
في ارمادة تحتوي على اربعة عشر مركبا حريبيا مشتملة على عشر آلاف جندي،
فاقتحم بهم اسوار بحاية مدينة الحضارة الحمادية الجزائرية، واخذ في
تحطيمها ونقل جميع ما بها من تحف ونقائس في ثلاثين مركبا غرق اكثرها
في طريقه الى اسبانيا، وهدم منار قصر اللؤلؤة البالغة طوله نحو سبعين ذراعاً،
والذي يعتبر من اعظم آيات فن المعمار الجزائري الجميل؛ كما حطم يومئذ
قصر الكوكب وبنى مكانه حصن «برال» الحالي، وحطم المسجد الجسامع الاعظم
وتغير شكل المدينة الى ما لايسر منظرة ولا مخبره، ورغم كل ذلك مما وقع
تسجيله من حوادث الاحتلال الاسباني العنيف فاننا لم نر من الحكومة الجزائرية
المسلمة ما يقابل ذلك ويستحقه من الدفاع والمقاومة الشديدة المتوقعة..!

ومن تأمل في ذلك وجد ان مرجعه الى مساكنت عليه الدولة الجزائرية
من الضعف والانحلال الشامل لنظام الحكم وتخبطها في مشاكلها السياسية والادارية

وواصل الاسبان فتوحاتهم بالجزائر فاستحوذوا على مدينة تدلس - داس - وشرشال واحتلوا فرضة هنين سنة ٩٣٨ هـ (١٥٣١ م) ونزلوا بالامكنة الاستراتيجية بالسواحل الجزائرية خاصة، وكان غرضهم الوحيد يومئذ من هذه الغزوات هو مواصلة الحروب الصليبية بالمغرب، فحدث ذلك قلقا واضطرابا عظيما في الراعى والرعية وما وسعهم جميعا يومئذ الا الرضوخ لهذه السلطة الاجنبية المفروضة الحتمية حتى يتجلى الامر؛

وما خض الاسبان احتلالهم بسيف البحر دون التوغل في الوطن الجزائري الا الحاجة في انفسهم... ولعل تشوفهم كان متجها نحو جهات اخرى كنواحي «البيرينى» او بلاد ايطاليا او خوفا من سوء المنقلب او غير ذلك لا ادرى...؟

ثورة الامير يحيى بن اثنا بتي

اهتبل الامير يحيى هذا الهيجان والاضطراب العام في الجزائر واغتتم فرصة انحلال الحكومة وضعف السلطة المركزية فنهض مستصرخا بالاسبان محتميا بهم معلنا ثورته على ابي حمو الثالث، فتغلب على مدينة تنس ٩١٢ هـ (١٥٠٦ م) فقهره السلطان وردده عنها، ثم انتصر عليه فتحطم جيش ابي حمو واحجم عن القتال، فاحتل الاسبان يومئذ بسهولة مدينة بونة - عنابه - وفرضوا على السلطان ضريبة سنوية باهضة قدرها اثنا عشر الف دوق (١) واثنا عشر فرسا وست بزات؛ واستمرت هذه الضريبة المزرية المهينة مفروضة على ملوك بني زيان الى سنة ٩٣٦ هـ (١٥٣٠ م) فاسقطتها ارادة الشعب

(١) الدوق نوع من نقود الذهب الاسباني، قيمة القطعة الواحدة منها من العشرة الى اثني عشر فرنكا اى قبل ارتفاع قيمة النقود

ثغور الجزائر تحت نير الاسبان

ولما اشتدت حملات الاسبان بالثغور الجزائرية وانكشفت عداوتهم جهارا لاهل المغرب الاسلامي، اخذ الجزائريون في انشاء الاحضان لدفع هجمات العدو ورد عاديتهم عن الوطن وشرعوا في شن غاراتهم البحرية على السواحل الاسبانية واسر المعتدين وسبيهم؛ وبما ان دولة الاسبان هذه كانت في جدة ايامها ودولة بني زيان بالجزائر كانت في اعقابها، تنلب الاسبان عليهم واضطروا هم الى طلب الصلح والهدنة؛

ففي شوال سنة ٩١٦ هـ (جانفي ١٥١١م) خرج الوفد الاسلامي من الجزائر برئاسة شيخها (سالم النومي الثعالبي) متوجها نحو بجاية حيث مركز قيادة «بيدرو النافاري» عامل الاسبان ومفوضهم العسكري بالجزائر وهناك ابرم عقد الهدنة والصلح بين الطرفين، والتزم الجزائريون بالخضوع لسلطة الغالب عليهم والافراج عن جميع الاسرى من نصارى الاسبان وغيرهم، ثم في السنة بعدها شكل الجزائريون وفدا آخر ذهب الى اسبانيا حيث اتصل بالملك «فرديناند الخامس» فاكد له حسن العلاقة بين القطرين وتقدم لرئيس الوفد سالم التومي بهدايا نفيسة فتقبلها منها الملك وافترض عليهم تسليم احدى «الصخرات» الاربع الكبرى التي كانت بارزة تجاه مدينة الجزائر، حيث شرع الاسبان في بناء حصن «بنونش penon» فوقها سنة ٩١٥ هـ [١٥١٠م] [١] وهو مكان مركز القيادة البحرية العليا اليوم بالجزائر، والزهم ايضا بدفع مغرم باهض سنويا، فاستسلموا لذلك؛ وانزل الاسبان بهذا الحصن نحو المائتي جندي ابقوهم هناك لرصد غزاة المسلمين وحماية الثغور الجزائرية المحتلة من نشوب الثورة

اصبحت الجزائر يومئذ تتجاه هؤلاء الاسبان الذين اقبلوا يغزون البلاد وباسروا العباد مرغمة على الاندفاع نحو فتح واجهة حربية بحرية لمحاربة

القرصنة الاجنبية، او الدخول في حلف احد كبار البحارة الملاحين المسلمين الذين دانت لهم البحار والنفور بهذا البحر الابيض المتوسط؛ ولم يكن لاهل الجزائر يومئذ بد من احد هذين الحلين مع طى حضارتهم القائمة على ما بنوه واشادوه من دولتهم الناشئة، والالتفات الى هذه الحرب البحرية الشديدة؛ وتلك هي الظروف نفسها التي لا بدت الجزائر والقت بها في احضان الدولة التركية العثمانية ووصات اسبابها باسباب المجموعة الاسلامية الكبرى في شرق البحر الابيض وما يليه وبذلك انتهى الدور الزيري الثاني

ملوك الدولة الزيانية

- الدور الثاني -

تاريخ التولية

٧٤٩ هـ ١٣٤٨ م	ابو سعيد عثمان «الثاني» بن عبد الرحمن
٧٤٩ هـ ١٣٤٨ م	ابو ثابت الزعيم بن عبد الرحمن
٧٦٠ هـ ١٣٥٩ م	ابو حمو موسى «الثاني» بن يوسف
٧٦٠ هـ ١٣٥٩ م	ابو زيان محمد «الثاني» بن عثمان
٧٩١ هـ ١٣٨٩ م	ابو تاشفين عبد الرحمن «الثاني»
٧٩٥ هـ ١٣٩٣ م	ابو ثابت يوسف بن عبد الرحمن
٧٩٦ هـ ١٣٩٤ م	ابو الحجاج يوسف بن موسى
٧٩٦ هـ ١٣٩٤ م	ابو زيان محمد «الثاني» بن موسى
٨٠١ هـ ١٣٩٨ م	ابو محمد عبد الله «الاول» بن موسى
٨٠٤ هـ ١٤٠١ م	ابو عبد الله محمد «الثالث» الوثق بن موسى
٨١٣ هـ ١٤١١ م	عبد الرحمن «الثالث» - بن خولة -
٨١٤ هـ ١٤١١ م	السعيد بن ابي حمو موسى
٨١٤ هـ ١٤١٢ م	ابو مالك عبد الواحد بن موسى
٨٢٧ هـ ١٤٢٤ م	ابو عبد الله محمد «الرابع» - بن الحمرة -
٨٣١ هـ ١٤٢٨ م	ابو مالك عبد الواحد «ثانيا»
٨٣٤ هـ ١٤٣١ م	ابو العباس احمد المعتصم - العاقل - بن موسى

١٤٦٢ هـ ١٨٦٦ م	ابو ثابت محمد «الخامس»
١٤٨٥ هـ ١٨٩٠ م	تاشفين بن ابي ثابت
١٤٨٥ هـ ١٨٩٠ م	ابو ثابت محمد «السادس»
١٤٩٦ هـ ١٩٠٢ م	ابو عبد الله محمد «السابع»
١٥٠٣ هـ ١٩٠٩ م	ابو حمو موسى الثالث - ابو قلمون -

مشاهير الجزائريين

الشريف التلمساني

(١١٠ - ٧٧١ هـ (١٣١٠ - ١٣٧٠ م)

هو العلامة امام المغرب ابو عبد الله محمد بن احمد بن علي الشهير بالشريف التلمساني المعروف بالعلوي نسبة الى «العلوين» بسكون اللام وكسر الواو، قرية من اعمال تلمسان، حسني راسخ النسب لا يدافع في شرفه، ولسد رحمه الله بتلمسان سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) ونشأ بها عقيفا صينا مكبا على الطلب شغوبا بالعلم، حكى عنه خاله عبد الكريم وكان يحبه صغيراً لذكائه ويصطحبه معه دائماً الى مجالس العلم والعلماء، قال: حضرنا مجلس ابي زيد بن الامام في تفسير القرآن فذكر الشيخ نعيم الجنة، فقال له الشريف وهو صبي: هل يقرأ فيها العلم؟.. فقال له الشيخ نعم، فيها ما تشتهيهم الانفس وتلذذ الاعين، فقال له لو قلت لا لقلت لك لا لذة فيها!.. فعجب منه الشيخ ودعا له.

تجول الشريف في انحاء المغرب الاسلامي شرقيه وغربيه؛ طالبا العلم، فاخذ عن علماء فاس وتونس كما اخذ عن مشيخة الجزائر، وكان من اشهر اساتذته ولدا الامام، والمجاصي؛ والقاضي ابو عبد الله التميمي، وابو عبد الله البرونسي، وابو موسى عمران المشدالي، والابلي والسطي، وابن عبد السلام التونسي في آخرين؛ وتلذذ له الاخير في علوم الهيئة والحكمة والفلسفة، وشهد له شيوخه كلهم بوفور العقل وحضور الذهن وكثرة التحصيل.

ثم عاد الشيخ الى موطنه ومسقط راسه تلمسان متصديا للافادة والاستفادة وشرع في تدريس العلم وارشاد العامة فاقبل عليه الناس على اختلاف طبقاتهم والتف حوله الطلبة ياخذون عنه فنونا من العلم فكثر تلامذته وملا

المغرب علومًا ومعارف وتلاميذ فاحيا السنة وامات البدعة؛ ويذكر انه ابتدا الاقراء وهو ابن احد عشر سنة؛ وكان في تعليمه يترك الطالب وما تميل اليه نفسه من انواع العلم فلا يحمل احدا على نوع دون نوع ويرى الكل من السعادة ويقول : من رزق في باب من العلم فليلازمه .

ولما تملك السلطان ابو عنان المريني تلمسان سنة ٧٥٣هـ (١٣٥٢) استخلص الشريف ابا عبد الله لمجلسه العلمى مع من اختاره من المشيخة، ورحل به الى فاس كما ذكره ابن خلدون: فترى الشريف من الاغتراب وردد الشكوى، فاحفظ السلطان بذلك، وارتاب به، ثم بلغه اثناء ذلك ان السلطان ابا سعيد عثمان ملك تلمسان اوصاه على ولده، واودع له مالا عند بعض الاعيان من اهل تلمسان، وان الشريف مطلع على ذلك، فانتزع الوديعة وسخط على الشريف بذلك ونكبه، واقام في اعتقاله اشهرًا، ثم اطلقه اول سنة ست وخمسين واقصاه، ثم اعتبه بعد فتح قسنطينة واعاده الى مجلسه الى ان هلك السلطان آخر سنة تسع وخمسين

ولما ملك السلطان ابو حمو بن يوسف بن عبد الرحمن الزياني تلمسان من يد بنى مرين استدعى الشريف من فاس، فسرحه القائم بالامر يومئذ، الوزير عمر بن عبد الله. فانطلق الى تلمسان، وتلقاه ابو حمو براحتيه واصهر له في ابنته؛ فزوجها اياه. وبنى له مدرسته الشهيرة باسمه سنة ٧٦٣هـ (١٣٦٢م) وجعل في بعض جوانبها مدفن ابيه وعمه، واقام الشريف يدرس العلم الى ان هلك سنة ٧٧١هـ (١٣٧٠م) (١)

انقطع الشيخ في مدرسته بتلمسان للبحث والنظر والدرس والتعليم والارشاد فكان يمضى جل اوقانه في ذلك مع ما كان عليه من التعبد والتجهد والزهد وتلاوة القرآن، حكى عنه ولده ابو محمد عبد الله قل انه بقى دهرا - ما يزيد على سنة اشهر - لم يرفها اهله وولده اشتغالا بالدرس والبحث، وهو مقيم بينهم! . ذلك انه كان

عندما يستيقظ بكرة يغدو في حينه الى المدرسة وهم نائمون، ولا يعود اليهم الا ليلا وهم نائمون، ثم انه كان لا ينام من الليل الا قليلا، - كانوا قليلا من الليل ما يهجعون - واذا غلبه النوم نام نومة خفيفة ثم اذ استيقض لا يعود ويقول : اخذت النفس حقها فيتوضأ والوضوء من اخف الاشياء عنده ثم يرجع للنظر، وربما وضع له الطعام في رمضان فيشغله النظر ويؤتى بسجورة فيتركمها معا كذلك حتى يصبح ويواصل الصوم!.. وكان من كثرة ازدحام الطلبة عليه يوزع بينهم ساعات الدرس بالرملة

اجمع اهل التراجم والطبقات على امامة المترجم وكماله في علمه وصلاحه واخلاقه، فذكروا انه كان من احسن الناس وجها وقدرًا: مهيبا، ذا نفس كريمة وهمة نزيهة ولهجة صادقة، حلما لا يغضب، واذا غضب قام فتوضأ، قوى النفس رفيع الملبس بلا تصنع ولا تكبر، جميل العشرة بساما، منصفا عادلا، متوسطا في اموره، طويل اليد كريما، يكرم ضيفه ويقرب له ماحضر يطعم الطلبة طيب الاطعمة ولذيذها ولا يؤثر عنهم غيرهم؛ وكثيرا ما كانت ترد عليه الاسئلة من السلطان فما دونه فيوجهها الى الطلبة ويسميهم باسمائهم لرفع منزلتهم عند السلطان وغيره، فكانوا بذلك على عهده من اعز الناس واكثرهم عددا واوسعهم رزقا؛

كان فيمن اخذ عن الشيخ ممن اشتهر ذكره من علماء المغرب واعيانہ : العلامة ابن خلدون، والامام الشاطبي، وابن زمر، وابراهيم الثغري، وابو عبد الله القيسي، وابن عباد، وابن السكك، وابن محمد بن علي الميورقي، وابراهيم المصمودي الخ....

وذكره ابن خلدون فقال : هو صاحبنا - يعني صاحب الترجمة - الامام العالم الفذ، فارس المعقول والمنقول، وصاحب الفروع والاصول. وذكره الونشريسي فقال : انه كان اماما في العلوم العقلية كلها، منطقا وحسابا، وفرائض، وتنجيما،

وهندسة، وموسقى، وتشريحا، وفلاحة وكثيرا غيرها من العلوم القديمة - يعنى بها علوم الحكمة - ؛ وذكره السراج فى فهرسته فقال انه بلغ رتبة الاجتهاد؛ كما ذكره بذلك ايضا الجرد بن مرزوق. وقال ابن مرزوق الحفيد هو شيخ شيوخنا أعلم اهل عصره باجماع؛ وتذاكر المترجم يوما مع الامام ابن عرفة، فقال له الامام : غايتك فى العلم لا تدرك؛ وكان الامام بن عبد السلام يقول عنه : ما اظن فى المغرب عالما مثل هذا. واما الرئيس ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب فانه كان كلما الف أو كتب كتابا الا وبعث به الى الشريف طالبا منه ان يكتب عليه بخطه. وكان العلامة ابو سعيد بن لب شيخ علماء الاندلس يستفتيه ويستشيريه فيما اشكل عليه من مسائل العلم فقها او غيره ومن شدة عناية الاستاذ المترجم بالاقراء والدرس لم يسعه الزمن للوضع والتأليف، فانه لم يبلغنا بالنسبة الى غزارة علمه وسعة اطلاعه من خبر تأليفه، الا القليل، منها كتابه الجليل «مفتاح الوصول الى بناء الفروع على الاصول» طبع بتونس سنة ١٣٤٦هـ كتب عليه شيخنا الامام عبد الحميد بن باديس شرحا مختصرا وضعه للطلبة حال تدريسه للكتاب ولم يطبعه، وله شرح على جمل الخونجى فى المنطق انتفع به خلق كثير، وكتاب فى القضاء والقدر، وكتاب فى المعاوضات، او المعاطاة ؟ ... ولم فتاوى ورسائل واجوبة فى مسائل من العام محتلفة؛ منها ما اجاب به عالم توزر الشيخ يحيى الرهونى ومنها غير ذلك

وكانت وفاة الشيخ رحمه الله ليلة الاحد الرابع من ذى الحجة سنة ٧٧١هـ (٢٩ جوان ١٣٧٠م) ببلدة تلمسان وحضر لدفنه السلطان ابو حمو الثانى قائلا فى تعزيتيه لولده : مامات من خلفك وانما مات ابوك لى، لانى اباهاى به الملوكة. وولاه مدرسة والده ورتب له جميع مرتباته. قال ابن عرفة حين بلغته وفاته : لقد ماتت بموته العلوم العقلية



احمد بن علي الملباني

(٥٧١٥ هـ (١٣١٥ م)

هو الاديب الكاتب والشاعر العظيم صاحب العلامة ببلاط ملوك المغرب ابو العباس احمد بن علي الملباني ترجم له لسان الدين بن الخطيب في الاكلیل وعرف به في الاحاطة قائلا : « الصارم الفاتك، والكاتب الباتك، اى اضطراب في وقار وتجههم تحتهم انس العقار، اتخذه ملك المغرب صاحب علامته، وتوجه تاج كرامته، وكان يطالب جملة من اشياخ مراکش بشار عمه، ويطوقهم دمه بزعمه، ويقصر على الاستنصار منهم بنات همه، اذ سعوا فيه حتى اعتقل، ثم جدوا في امره حتى قتل، فترصد كتابا الى مركش يتضمن امرا جزما، ويشمل من امور الملك عزما، جعل فيه الامر بضرب رقابهم، وسبى اسبابهم، ولما اكد على حامله في العجل، وضايقه في تقدير الاجل، تانى حتى علم انه قد وصل، وان غرضه قد حصل، فر الى تلمسان وهي بحال حصارها، فاتصل بانصارها، حالا بين انوفها وابصارها، وتعجب من فراره، وسوء اغتراره، ورجعت الظنون في آثاره، ثم وصلت الاخبار بتمام الحيلة؛ واستيلاء القتل على اعلام تلك القبيلة فتركها شنيعة على الايام، وعارا في الاقاليم على حملة الاقلام، وأقام بتلمسان الى ان حل مخنق حصارها، وازيل هميان الضيقة عن خصرها، فلتحق بالانداس ولم يعدم برا ورعا مستمرا حتى اتاه حمامه وانصرفت ايامه فتوفى بغرناطة يوم السبت ٩ ربيع الاخر عام ٥٧١٥ هـ (١٣١٥ جولييت ١٣١٥ م) ودفن بجبانة باب البيرة ومن شعره قوله في الفخر

والفضل ما اشتملت عليه ثيابي

والمسك ما ابداه نقش كتابي

والعزم يابى ان يسام جنابى

العز ما ضربت عليه قبابى

والزهر ما اهداه غصن يراعتى

فالمجد يمنع ان يزاحم موردي

فاذا بلوت صنعة جازيتها بجزيل شكري اوجزيل ثوابي
واذا عقدت مودة اجريتها مجري طعامي من دمي وشرابي
واذا اطلبت من الفراق دوني ثارا فلو شك ان انال طلابي

ابن مرزوق الحفيد

(٧٦٦-٥٨٤٢هـ (١٣٦٤-١٤٣٩م)

كان ممن اشتهر بالعلم والرئاسة والفضل من بيوتات الجزائر واعيانها في هذا العصر بيت ابن مرزوق الذائع الصيت، وقد تقدم لنا الكلام على هذا البيت الرفيع العماد فيما اسلفناه من ترجمة ابن مرزوق الجد الشهير بالخطيب لقد تالق في سماء بيت ابن مرزوق بدور واقمار كان كوكبها الدرر ونجمها الثاقب مترجما هذا العلامة الامام شيخ الاسلام ومفتي الانام ابو عبد الله محمد بن احمد بن مرزوق الحفيد العجيسي؛ (١)

ولد رحمه الله بتلمسان ليلة الاثنين ١٤ ربيع الاول سنة ٥٧٦٦هـ (١٠ ديسنبر ١٣٦٤م) ونشأ على غرار نشأة آباءه مستمسكا بالعلم والدين فاخذ عن والده وعمه ابني الخطيب بن مرزوق، وعن سعيد العقباني؛ وابي اسحاق المصمودي؛ وابي الحسن الاشهب الغماري وعن ابي محمد عبد الله بن الشريف التلمساني؛ ثم ارتحل الى تونس فلقى بها الامام بن عرفة؛ وابا العباس القصار؛ ثم دخل فاسا فاخذ بها عن الشيخ ابي زيد المكودي وابن حياتي. والحافظ محمد بن مسعود الصنهاجي الفيلاي، ثم اتصل بعد ذلك بالمشرق فدخل مصر القاهرة؛ آخذا عن لقي بها من جلة العلماء كابن خلدون والفيروز ابادي صاحب القاوس، والنويري صاحب النهاية، ومحب الدين بن هشام ولد صاحب المغني؛ والسراج البلقيني،

[١] نسبة الى القبيلة الجزائرية العظيمة «عجيسه» المقيمة بجبال المسيلة شرقي صنهاجة وجنوب زواوة، اي في نفس المكان الذي انشئت به قلعه بني حماد، انظر صفحه ١٠٤ من هذا الجزء

والحافظ العراقي؛ والشمس الغماري؛ والقاضي ناصر الدين التنسي، وابن الملقن في آخرين من ذوى الفضل والتبريز، ثم عاد الى المغرب.

وحج سنة ٧٩٠ هـ (١٣٨٨ م) رفقة الامام ابن عرفة فلقى بمكة المكرمة البهاء الدماميني، والنور العقبلي فاخذ عنهما، وروى صحيح الامام البخاري عن ابن الصديق، ثم رجع الى وطنه؛ وحج ثانيا عام ٨١٩ هـ (١٤١٦ م) فكان ممن لقيه واخذ عنه في هذه المرة. الامام ابن حجر؛ واجازة من علماء الاندلس جماعة، منهم محمد بن جزى، وابن الحشاش، وابو عبد الله القيجاطي والمحدث الحفار، والحافظ ابن علاق وغيرهم

اشتهر ابن مرزوق الحفيد بما اشتهر به جده الخطيب من الرسوخ في العلم والاطلاع الواسع والتحقيق المدقق في الدرس والذكاء وحسن البيان والخطابة والتوسع في الرواية، والاحاطة بمذاهب الفقه الاسلامي وحل مقفلات المسائل العلمية والمشكلات، هذا بالاضافة الى كرم الاخلاق مع شدته على اهل الاهواء والبدع، فاجمع الناس يومئذ على فضله من المغرب الى الديار المصرية واشتهر ذكره في البلاد فصار يدعى بشيخ الاسلام وعالم الدنيا

اثنى عليه تلميذه الشيخ عبد الرحمن الثعالبي فقال : «هو سيدي الشيخ الامام الحبر الهمام حجة اهل الفضل في وقتنا وخاتمتهم، ورحلته النقاد وخلصتهم ورئيس المحققين وقادتهم، السيد الكبير والذهب الابريز؛ والعلم الذي نصبه التمييز، ابن البيت الكبير، والفلك الاثير، ومعدن الفضل الكثير....» وقال ايضا في موضع آخر : «شيخ الامام العلامة الصدر الكبير المحدث الثقة المحقق بقية المحدثين، وامام الحفظة الاقدمين والمحدثين، سيدوقته وفاروق اوانه، ذو الاخلاق المرضية، والاحوال الصالحة السنية، والاعمال الفاضلة الزكية.....» وقال تلميذه ابو الفرج بن ابي يحيى الشريف التلمساني : «شيخنا الامام العالم العلم جامع اشتات العلوم الشرعية والعقلية حفظا وفهما وتحقيقا، راسخ القدم

رافع لواء الامامة بين الامم ناصر الدين بلسانه وبنانه وبالعلم، محيي السنة بفعاله ومقاله وبالشيم، حجة الله على العلم والعالم...

وقال تلميذه الشيخ يحيى بن ادريس المازوني في نوازل: «شيخنا الامام الحافظ بقية النظر والمجتهدين، ذو التأليف العجيبة، والفوائد الغريبة، مستوفي المطالب والحقوق...» وقال الحافظ التنسي وهو من تلامذته ايضا: «شيخنا الامام العلامة رئيس علماء المغرب على الاطلاق...» وذكره ابو الحسن القلصادي في رحلته فائني عليه وقال: «ادركت بتلمسان كثيرا من العلماء والزهاد والعباد والصلحاء واولاهم بالذكر والتقديم الشيخ الفقيه الامام العلامة الكبير الشهير شيخنا وبركتنا ابو عبد الله بن مرزوق العجيسي رضى الله عنه...» ويكفيه فخرا ان كان من بين تلامذته رحمه الله مثل هؤلاء الجلمة: الثعالبي والمازوني والتنسي والقلصادي وابو الفرج بن ابي يحيى الشريف التليساني؛ والعلامة ابو الفضل المشدلى، ونصر الزواوى، والحسن ابركان وقاضى الجماعة بتونس عمر الفلشاني، وابراهيم بن فائد الزواوى، واحمد بن زكري، والسيد الشريف قاضى الجماعة بغرناطة، واحمد بن يونس القسنطيني، وابو العباس احمد بن عبد الرحمن الندرومي وعيسى بن سلامة البسكري، والشهاب بن كجيل الخ....

واما تأليفه فقد ذكر له اهل التراجم والسير عددا جما، ولم يصلنا منها الا القليل؛ فمن ذلك وهو ما وقفت عليه بنفسى: جزآن من شرح البخارى كان كلاهما موجودا بالجامع الجديد بالجزائر وهما بخط المؤلف. ثم فقد احدهما وهو الاول وبقي الثاني... وهو شرحه المسمى بالمتجر الريح، والسعى الرحيح، وكتاب اظهار صدق المودة، شرح به بردة المديح، تكلم على كسل بيت منها وشرحه بسبعة فنون، رايت منه نسخة عند صديقنا الاستاذ احمد بن حمودة في منزله بالايار بنمواحي الجزائر؛ والمفاتيح المرزوقية لحل الاقفال واستخراج خبايا الخرزجية في علم العروض والقوافي، وهو بمكتبتنا الخاصة، وكتاب اسماع الصم في اثبات

الشرف من جهة الام منه نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر رقم (٢٠ ٦٧) هذا ما وقفت عليه وعينته من تأليفه رحمه الله واما غيرها مما لم اره فكثير منها ما تم تأليفه وكمل ومنها ما لم يتم واليك قائمة اسمائها : شرحان آخران للبردة، اوسط واصغر، والمفاتيح القرطاسية في شرح الشقرطاسية، ورجزان في علم الحديث : الكبير المسمى بالروضة جمع فيه بين الفيتي ابن ليون والعراقي، ومختصر الحديقة اختصر فيه الفية العراقي، وارجوزة في الميقات اسمها بالمقنع الشافى في الف وسبعمائة بيت، وارجوزة الفية في محاذات الشاطبية، وارجوزة نظم بها تلخيص المفتاح، وارجوزة اخرى في تلخيص ابن البناء وارجوزة نظم بها جمل الخونجى في المنطق، ذكر الصبان في حاشيته على شرح الملوى على سلم الاخضرى ان المترجم نظم الخونجى في عهد صباه بحيث لم يتجاوز سنه ست سنين؟... وقال ان ذلك اشار اليه ابن مرزوق نفسه في نظمه، وارجوزة في اختصار الفية ابن مالك، ونهاية الامل في شرح جمل الخونجى، واغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة يعنى ابا يحيى بن عقبة - والمعراج الى استمطار فوائد الاستاذ ابن سراج، اجاب به قاضى الجماعة بغرناطة العلامة ابن سراج عن مسائل نحوية ومنطقية؛ ونور اليقين في شرح اولياء الله المتقين؛ والدليل الموفى في ترجيح طهارة الكاغد الرومى، والنصح الخالص في الرد على المدعى رتبة الكمال للناقص، كتبه في سبعة كراريس رد به على فتوى عصره وبلديه الامام قاسم العقبانى الذى افترى باصابة بعض اعمال واقوال صدرت عن بعض المتصوفة. فخالفه فيها ابن مرزوق. ومختصر الحلو في الفتاوى لابن عبد البر التونسي. والروض البهيج في مسالة الخليج وانوار الدراري في مكررات البخاري. ورسالة في ترجمة شيخه ابراهيم المصمودي وتفسير سورة الاخلاص على طريق الحكماء. وله فتاوى واجوبة متنوعة اورد بعضها المازونى والنوشريسى في كتابيهما، وله شرح على ابن الحاجب وشرح على التسهيل

وميز بعضهم مؤلفات الشيخ التي لم تكمل فذكر منها المتجر الرياح وروضة الارب في شرح التهذيب، والمنزعة النبيل في شرح مختصر خليل، شرح منه الطهارة في مجلدين ضخمين، ومن باب الاقضية الى آخر الكتاب في سفرين لخصه العلامة الراعي، وايضاح المسالك في شرح الفية ابن مالك انتهى فيه الى باب اسم الاشارة او الموصول، وهو مجلد واحد، ومجلد في شرح شواهد شراحها الى باب كان واخواتها، وعقيدة اهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد وعلى منجاه بنى السنوسى عقيدته الصغرى، والايات الواضحات في وجه دلالة المعجزات، والدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم، واسماع الصم، كانت وفاته رحمه الله يوم الخميس ١٤ شعبان سنة ٨٤٢ هـ (٣٠ جانفي ١٤٣٩ م) وصلى عليه بجوامع تلمسان الاعظم وحضر جنازته السلطان والاعيان

محمد بن يوسف الثغري اواخر القرن الثامن الهجري

هو العالم الاديب الكاتب البارع والشاعر المفلق ابو عبد الله محمد بن يوسف القيسي التلمساني المعروف بالثغري من اشهر شعراء تلمسان وبلغائها المبرزين المقدمين لدى سلاطينها وملوكها، وصفه المازوني في نوازله بالشيخ الفقيه الامام العالم العلامة الاديب الارب الكاتب، وترجم له ابن ابي مريم فقال : اخذ عن الشريف التلمساني وغيره وحلاه المقرئ في ازهار الرياض بقوله : الفقيه العلامة الناظم النائر.

كان رحمه الله ملازما لبلاط السلطان ابي حمو موسى «الثاني» وله القصائد الغراء الطوال التي كان ينظمها بمناسبة احتفال السلطان بليلة المولد الشريف، ويلقيها بنفسه في ذلك المحفل الجميل، منها ما نظم في مطلع قصيدته التي انشدها ليلة مولد سنة ٧١٧ هـ (٩ اكتوبر ١٣٦٩ م) :

اقصر فان نذير الشيب واقاني
وقد تماذيت في غي بلا رشد
فقلت للنفس اذ طالت بطالتها
كم من خطافي الخطايا قد خطوت ولم
فلا تغرنك الدنيا بزخرفها
وله قصيدة رفعها الى السلطان ابي حو يصف بها تلمسان فيقول :

ايها الحافظون عهد الوداد
وصلوها اصائلا بليال
في رياض منضدات المجاني
وبروج مشيدات المنباني
رق فيها النسيم مثل نسيبي
وزها الزهر والغصون تث
وانبري كل جدول كحسام
وظلال الغصون تكتب فيه
تذكر الوشم في معاصم خود
وكؤوس المنى تدار علينا
واصفرار الاصيل فيها مدام
كم غدونا بها لانس ورحنا
ولكم روحة على الدوح كادت
رقت الشمس في عشاياه حتى
جددت بالغروب شجوه غريب

هاجبه الشوق بعد طول البعاد

وتحتوي القصيدة على تسع واربعين بيتا، وله غير ذلك من غرار الشعر ولطائفه
اورد له علامة الجزائر واديبها المتفنن ابو العباس احمد بن عمار نبذة في رحلته
«نحلة اليب» والمقرى في «الازهار» فراجعهما

جدول تاريخي

٧٣٧-٩١٦ هـ

١٣٣٧-١٥١١ م

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
١٣٣٧ هـ ٧٣٧ م	بسط سيادة بنى مرين على المغرب الاوسط - الجزائر -
١٣٤١ هـ ٧٤٩ م	نهضة بنى عبد الواد لاسترجاع سلطتهم على الجزائر
١٣٥٩ هـ ٧٦٠ م	انبعاث الدولة الزيانية على يد السلطان ابي حمو «الثاني»
١٣٦٠ هـ ٧٦١ م	احتلال بنى مرين لتلمسان ومحارباتهم لبنى زيان
١٣٦٤ هـ ٧٦٥ م	ثورة ابي زيان الفتى على ابي حمو
١٣٦٥ هـ ٧٦٦ م	خراب مدينة الجزائر بالزلزال الهائل
١٣٦٦ هـ ٧٦٧ م	انكسار ابي حمو في وقعة بجاية ضد الحفصيين
١٣٧٠ هـ ٧٧١ م	انحصار الثعالب بمتيجة والجزائر
١٣٧٠ هـ ٧٧٢ م	سقوط تلمسان في قبضة بنى مرين وخروج ابي حمو الى البراري
١٣٧٢ هـ ٧٧٤ م	عودة ابي حمو الى ملكه
١٣٧٥ هـ ٧٧٦ م	مبايعة اهل مدينة تدلس - دلس - لبنى زيان وانتشار المجاعة الكبرى بالجزائر
١٣٨٩ هـ ٧٩١ م	ثورة ابي تاشفين ولد ابي حمو واستشهاد والده
١٣٩٠ هـ ٧٩٢ م	ثورة ابي زيان بن ابي حمو
١٣٩٣ هـ ٧٩٥ م	تنكر مرين لبنى زيان وسقوط تلمسان في ايديهم
١٣٩٤ هـ ٧٩٦ م	تناحر امراء الاسرة الزيانية على الملك - بايعاز المرينيين -
١٣٩٩ هـ ٨٠٢ م	هجوم الافرنج على مدينة بونة ومرسى القل
١٤٠١ هـ ٨٠٤ م	اغارة مرين وقبضها على السلطان ابي محمد عبد الله «الاول»

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
١٤١٥هـ ١٨١٤م	انتصار الامير ابي مالك عبد الواحد على اخيه السلطان السعيد باعانة مريين
١٤٢٧هـ ١٨٢٧م	زحف الحفصيين الى مملكة تلمسان وتدخلهم في سياستها
١٤٣٣هـ ١٨٣٣م	ثورة الامير ابن الحمرة ونهايته
١٤٤٠هـ ١٨٤٠م	ثورة الامير ابي يحيى على اخيه السلطان العاقل واستيلاؤه على وهران
١٤٤٢هـ ١٨٤٢م	ظهور المستعين بالله بالجزائر واستيلاؤه على نواحيها
١٤٥١هـ ١٨٥١م	استرجاع السلطان العاقل لوهران
١٤٥٦هـ ١٨٥٦م	ابتداء الهجرة الاندلسية الى السواحل الجزائرية
١٤٦٦هـ ١٨٦٦م	ثورة الامير المتوكل واستيلاؤه على اطراف المملكة الجزائرية
١٤٦٧هـ ١٨٦٧م	استيلاء الاسبان على بونة - عنابة -
١٤٦٨هـ ١٨٦٨م	استقلال الجزائر عن الحكومة الحفصية ورفض دعوتها الى الاستسلام لها
١٤٩٧هـ ١٨٩٧م	التجاء السلطان ابي عبد الله بن سعد المعروف بالزغل - من بني الاسمر - النصريين ملوك غرناطة - الى وهران ثم الى تلمسان، وبها اعقب من عرف هناك ببني سلطان الاندلس
١٥٠٥هـ ١٩١١م	احتلال الاسبان للمرسى الكبير بوهران
١٥٠٩هـ ١٩١٥م	احتلال مدينة وهران ثم دلس، ثم بجاية وتنس وشرشال
١٥١٦هـ ١٩١٦م	وسقوط السواحل الجزائرية بيد الاسبان الجزائر تحت الخطر الاسباني

القسم الثالث

الجزائر المطاف:

الحملة الاسبانية والاتراك

.....

كانت الجزائر في اوائل القرن العاشر الهجرى مرتعا للحروب الاهلية الممزقة وغرضا ملحوظا للاجانب المتوثبين، تعاني الامرين من الملوك المتنافسين والرؤساء الجائرين المتنازعين والنصارى المغيرين تميميا لبرامجهم وخططهم الصليبية المرسومة فكثرت يومئذ ازدحامهم واشتد تحاككهم على هذا الشمال الافريقي وخاصة منه الجزائر، وذلك بعد ما قضوا على دولة الاسلام والمسلمين بالاندلس وصقلية؛ وقد من الله على اهل الجزائر واولاهم بمن يدافع عنهم ويرد صولة هذه الاعتداءات الافرنجية ويقل سلاحها؛ وذلك بالهامهم الى الالتجاء الى الرئيس البحرى عروج بن يعقوب المدلى التركى واخيه خير الدين المتجولين بمراكبهما القرصنية بهذا البحر الابيض المتوسط، وقد اظهرا من البطولة الحارقة والغيرة الاسلامية على اهل الجزائر والاندلس ما يسجله التاريخ لهما بافخر الذكر وحزيل الشكر، فكان انقاذ الموقف بمقاومتهم العنيفة لهؤلاء المغيرين من الاسبان وغيرهم من دول النصرانية، ودفعهما عن الجزائر كل ما كانت مهددة به من الاخطار كما سنذكره في محله من تاريخ الاتراك بالجزائر في هذا الكتاب ومنذ يومئذ والجزائر في كفاح واحتجاج مستمر ضد الاجنبى الذى تكررت اعتداءاته المتنوعة عليها في احيان وظروف مختلفة الى اليوم؛ وستقف بنفسك فيما نعرضه عليك من مراحل تاريخ الجزائر على تفاصيل مدققة مضبوطة تنبئك بما كان ولا يزال عليه الجزائريون المغاوير الانجاد من الكفاح وتطلعك على مبالغ ايمانهم وثباتهم على المبدأ واسمائتهم في سبيل تحرير البلاد من ربة الاستعباد وقاوم الاتراك الاسبان واحتلوا تلمسان سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) كما سنقصه عليك مفصلا، ونقلوا سلطانها ابا سمو الى وهران ونصبوا مكانه ابا زيان الثالث

ولاية السلطان ابي زيان احمد «الثاني»

هو السلطان ابو زيان احمد «الثاني» بن عبد الله «الثاني» انتصب على عرش تلمسان سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) وكان اول ما قام به من الاعمال ان اخذ في دفع الاتراك عن ولايته باعتبارهم اجانب مزاحمين فاجتهد في اجلائهم عن مملكته وقاتلهم حتى استشهد في طائفة عظيمة من ذويه واقربائه وبني عمه ومات يومئذ من جنده نحو الف نسمة ونزل عروج بتلمسان

زحف ابي هو واستشهاده عروج

كان اثر ما احتل عروج تلمسان ان اسرع ابو هو الى استنجاد الاسبان والاحتماء بهم ضد الاتراك فاعانوه وحاصروا معه تلمسان وضربوا اوتادهم بها في جمادى الاولى سنة ٩٢٤ هـ (ماي ١٥١٨ م)، وكان من حسن حظه ان تاخر المدد عن عروج فاضطر الى الانسحاب من العاصمة الزبانية وغادرها منصرفا الى ناحية الوادي الملح، وفي منصرفه هناك بقرب مقطع الوادي اخذه فرسان الاسبان من مكنن لهم غيلة فقاتلهم حتى استشهد رحمه الله بالميدان فحزوا راسه واخذوه معهم الى اسبانيا يطوفون به الشوارع تسكينا للرعية التي كانت ترتعد فرائصها فرقا لذكره. ويروى على السن بعض القسالة ان جثته نقلت الى الجزائر فدفت بجوار ضريح «سيدي رمضان» بجانب المسجد الجامع المعروف الى اليوم، وفي هذه السنة كانت وفاة السلطان ابي حمو «الثالث»



ولاية السلطان ابي محمد عبد الله «الثاني»

هو السلطان ابو محمد عبد الله «الثاني» بن السلطان ابي ثابت «الثاني» المعروف باسم محمد المتوكل على الله، تولى عرش تلمسان سنة ٩٢٤ هـ (١٥١٨ م) والجزائر يومئذ تدافع بين جاذبيتين عظيمتين؛ ما بين اترك واسبان، كل منهما

يحاول ضمها اليه؛ فحدث ذلك قلقا واضطرابا؛ فاجتهد السلطان ابو محمد في اخماد نار الفتنة واطفائها والسعى في اكتساب مسالة الطرفين او المتاركة على الاقل فلم ينجح

ثورة الامير ابى سرحان وتملكه

كان الامير ابو سرحان المسعود الزياني مبعدا بفاس من طرف اخيه السلطان المذكور؛ واتفق ان فازيوما بعفوه فخرج من منفلا معترضا على اخذ ثاره من اخيه بعزله عن العرش، فتنكب في طريقه الى تلمسان وذهب مستنجدا بخير الدين التركي، فامدة امير البحر هذا بكل ما لديه من القوة، من جيش ومال، على ان ينصوى تحت سلطة الدولة التركية ويباع السلطان سليم العثماني مع دفع ضريبة سنوية الى خزينة الدولة، فتم عقد ذلك بينهما واقترح ابو سرحان مدينة تلمسان فاملكها سنة ٩٢٥ هـ (١٥١٩ م) واطرد عنها اخاه ابا محمد.

عودة ابى محمد الى الملك

ولما تمكن ابو سرحان من الملك واستقر على عرشه لم يلبث ان نزلت في راسه سورة الافقة، ومملكته عزة النفس فرفض العهد الذي ابرمه مع خير الدين واعلن استقلال دولته عن كل سلطة اجنبية؛ فاظلم الجو بينه وبين الاتراك؛ وكان اخوه ابو محمد في انتظار مثل هذه الفرص السانحة ليشب الى غرضه، وبمجرد ما ظهرت هذه البادرة من ابى السرحان اسرع ابو محمد الى استئثار الموقف وبادر الى خير الدين فضمن له الوفاء بما عاهده عليه اخوه من قبل، فآزره خير الدين وايده على خطته فاتصر ابو محمد على اخيه واسترجع حقه الشرعي في العرش وعاد الى ملكه كما كان. وفر ابو سرحان متقلبا في انحاء القطر مصانئا سيف الفتنة الى ان وقع في قبضة السلطان فاسرة، ويومئذ انقطع الملك الى مقاومة الاسبان ومطاردتهم من الجزائر

نقض معاهدة الاتراك

بما ان الدولة التركية حديثة عهد بالجزائر يومئذ وانها لم تزل في بداية امرها فلم تستكمل عدتها ولم تتمكن من بسط يدها على اطراف الوطن، نظر اليها السلطان ابو محمد نظرة استصغار واستخفاف وبادر باعلان نقض المعاهدة والميثاق الذي ابرمه مع خير الدين، فتتمرل الاتراك يومئذ واروه شدة باسهم، فخصم صاغرا لتنفيذ مواد الوثيقة بحذاقيرها، ثم كانت وفاته سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٤ م) فخلفه ولده محمد

ولاية السلطان محمد «السابع»

هو السلطان ابو عبد الله محمد «السابع» بن السلطان ابي محمد عبد الله «الثاني» تولى الملك بعد ابيه سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٤ م) وشان الحكومة الزبانية يومئذ في ادبار وانهايار، فانجاز الى الاسبان محتما بهم ضد الاتراك، واليك رسالته الحربية التي كتبها الى امبراطورة الاسبان «دنيا ايزابيل» تمثل لك مبلغ امله في الاسبان وتعلقه بهم في سياسته ضد خصومه الاتراك؛ كما تستشف منها ايضا نموذجا من اسلوب الانشاء العربي الدبلوماسي ببلاط ملوك الجزائر يومئذ، جاء اولا في عنوان الوثيقة - او الرسالة - ما يلي :

«الحمد لله تعالى، حمدا كثيرا يتجدد ويتوالى، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

«الحضرة التي جبل في الاقدار قدرها، واشتهر في الفضائل والمفاخر فضلها وفخرها، حضرة السلطنة الجليلة الفاضلة الكاملة الشهيرة الخطيرة الحسبية الاصيلية، الانبراطريس، دونيا ايزابيل اسعدها الله بتقواه ووققها لما يحبه ويرضاه كسبناه اليكم من حضرتنا تلمسان حرسها الله، ونحن نحمد الله الذي

لاشيء كمثلها، ونشكره على جميل احسانه وفضلها، ونساله اليمن والتوفيق في شائنا كله، وعندنا لجنايبكم المرفع كرامة نستوفيها، ومبرة لا شك فيها، وعلمنا بمجدكم الشهير، وقدركم الخطير، يستدعي الزيادة من ذلك ويقتضيها، والى هذا فموجب كتبنا اليكم، هو اعلامنا واياكم بما نحن عليه من الوفاء القديم والتمادي من الاسباب المراجعة على المنهج القويم، وقد وصلنا كتابكم المعظم، وخطابكم المكرم، صحة خديمكم الفارس المحترم لويس هرنديس، وعرفنا منه جميع ما ذكرتم: واستوفينا ما شرحتم، فقابلنا تعريفكم بالشكر الجزيل، واشينا على مقامكم الثناء الجميل؛ عملا على ما ثبت لدينا من وذككم، وتقرر، وتردد وتكرر، واتنا الآن وجهنا اليكم من يجدد العهد بهذا الغرض، ويقوم منه بالواجب المفترض، ويقرر لديكم معتقدنا من صدق الوداد، وخالص الاعتقاد وهو اعز قوادنا ببابنا الكريم، والمعتمد منا بمزيد التفضيل والتقديم، الاصيل المجد في ذوى الحسب الصميم، القائد المرفع المحترم، الثقة الامين على اسرارنا في البدء والمختتم، الفارس ابن عبد الله ابن وزير دولتنا وبلادنا ورئيس حماتنا وانجادنا الشيخ الوزير محمد بن ابي غانم حفظ الله رتبته، وحرس وجهته، ومعه خديمكم لويس هرنديس اكرمه الله فوجهناه اليكم ليظالكم بعيون الاخبار وجميع المتزايدات بهذه الاقطار؛ ولتلقوا اليه ما ينفذ به امركم من جلب المصالح؛ وما يعود علينا وعليكم نفعا من النظر السديد والراي الناجح فان نيتنا في وذككم ما زالت، واغراضنا جارية على ما يليق بنا وبكم ما تبدلت ولا حالت، ولا تلتفتوا لما كنا موهنا به في العام السالف من تقديم من قدمناه بوطن اغيال، وما خيلنا من تلك الاحوال؛ فمعامكم اوسع فضلا؛ وارجح عقلا؛ من ان يظن ان ذلك كان منا عن حقيقة؛ اوانا ارتضينا سلوك تلك الطريقة؛ بل في صحيح علمكم ما هو حالنا عليه من نكاية صاحب الجزائر وما هو يرومه من تشغيينا في الباطن والظاهر، ففعلنا ذلك طمعا منا في مهادته، وحيلة

لجلب محاسنته ، ولما اعيانا أمره واشتد تنكيره وضره ، اظهرنا له ما كنا نخفيه من عداوته وقابلناه بما يليق بفساد نيته وخبث سريرته وقد توفر الآن عز منا في اعمال الحركة عليه والتوجه بكل وجه يمكن اليه ، فجميع العرب والقبائل على حربه متفقون والى تضييقه وحصاره شارعون ، وغرضنا منكم ان تبادروا بتوجيه العمارة في الحين والوقت بالجد والعزم وتجهدوا في ذلك غاية الاجتهاد والاختد بالحزم وتكونوا عليه براً وبحراً يداً واحدة وفئة مساعدة وتجاوبونا مع الرسولين المذكورين بما يظهر لكم وما يقتضيه في ذلك نظركم وفعلكم ، هذا ما عندنا عرفناكم به شافيا ، ولتكميل المقاصد كافيا ان شاء الله ؛ وكتب عن امر عبد الله المتول على الله امير المسلمين عبد الله بن مولانا امير المسلمين ابي عبد الله ايدة الله ونصرة في ثامن عشر جمادى الاخرى عام تسعة وثلاثين وتسعمائة . » ولا يزال اصل هذه الوثيقة محفوظا ضمن مجموعة المخطوطات والوثائق السياسية الدبلوماسية المختلفة بدار المحفوظات في قلعة « سيمانقا » قرب بلد الوليد « Walla dolid » باسبانيا . ويوافق تاريخ هذه الوثيقة من التاريخ الشمسي ١٥ جانفي ١٥٣٣ م .

والسبب في ان سلطان تلمسان يوجه رسالته هذه باسم - الانبرا طريس دنيا - دون زوجها شارلكان ؛ هو ان زوجها الامبراطور كان يومئذ بعيدا عن اسبانيا مشغولا بمحاربة جيوش السلطان سليمان العثماني على ضفاف نهر الدنوب ونجحت سفارة امير تلمسان ورأى الاسبان ان لا تفوتهم هذه الفرصة يومئذ فارسوا اليه من اسطولهم اربع عشرة سفينة رست كلها بمرسى هنين القريبة من تلمسان ، وكان قد سبق ان عقد السلطان مع الاسبان حلفا على قتال خير الدين وتعهدها له بمقتضا ان ينزلوا له عن مدينة الجزائر اذا استولوا هم عليها . وجمع امير المسلمين قواته العسكرية المجتمعة من العرب والبربر وزحف بهم الى مدينة الجزائر ، وقد تشجع بمؤازرة الاسبان له فتحدى خير الدين ، فبادر يومئذ

خير الدين الى اعلان الحرب والتقى الفريقان على مقربة من الجزائر، فنشبت بينهما معركة عنيفة هزم فيها سلطان تلمسان ومزقت قواته ففر في قلول جيشه ورجع القهقري الى عاصمته، واستمر خير الدين مكرا في اثره، وعندئذ اضطر السلطان الى طلب الصلح والصفح عنه من خصمه الظافر فعفا عنه خير الدين. اما سفن الاسبان فبقيت في مرساها ترقب الفرص، ولم تشترك يومئذ في القتال فلم يغن وجودها عن السلطان شيئا (١) بل كانت عليه فيما بعد حيث غزا الاسبان بعد ذلك تلمسان في ثلاث دفعات مستعينين باحلافهم بنى راشد فنجحوا فيها كلها، واحتلوا تلمسان واهانوا بها المساجد والمعابد وعشوا بكتب العلم والدين؛ ثم انقلب عنهم احلافهم فانكسروا واسر عدد منهم فصار في قبضة بنى زيان ومن بينهم قائدهم «مارطان دى آكيلو» ويومئذ جنحوا الى السلم فكانت هذه المعاهدة في مصلحتهم فاضطرب لذلك اهل المملكة الجزائرية قاطبة واشتد هيجانهم لهذه المعاهدة المشؤومة عليهم فنهض لها ابو زيان فخلع اخاه وتولى مكانه.



ولاية السلطان ابي زيان احمد «الثاني»

هو السلطان ابو زيان احمد [الثاني] بن السلطان ابي محمد عبد الله [الثاني] استوقد غضبه وساء ما راي عليه حالة مملكته الجزائرية من الانحلال والاضمحلال وتساقطها شيئا فشيئا بيد الاسبان، فاشتد لذلك غيظه ونهض نشطا الى انقاذه وتخليصها من هؤلاء الغزاة الغاصيين فاجتهد اولا في مقاومة اخيه محمد [السابع] حتى ظفر به فخلعه عن العرش وتولى مكانه سنة ١٥٤٩ هـ [١٥٤٢ م] فذهب آنئذ محمد الى وهران مستجيرا بالاسبان وحيثئذ عمل ابو زيان على الارتباط بدولة الاتراك في الجزائر لمحاربة الاسبان، وغزا المرسى الكبير بوهران في ربيع

(١) محمد عبد الله عنان : مجله الكتاب ؛ جادى الاولى ١٣٧٢ هـ

الثاني - جوليت - من هذه السنة وكانت هنالك الحباثة فخابت الحملة الاسلامية
زحف السلطان المخلوع الى تلمسان

عاد السلطان المخلوع مع حماته الاسبان الى مقاومة اخيه امى زيان وكان اللقاء
 بينهما في شوال ٩٥٠ هـ جانفي ١٥٤٣ م ، بشعبة اللحم بنواحي عين تموشنت ،
 فانهزم ورد بجنيته ، ثم كرر حملته مستجيشا بعاهل النصرانية « شارلكان » فجاء
العاهل ومعه في هذه المرة عشرة آلاف مقاتل فاحتل تلمسان في ذى الحجة ٩٥٠ هـ
(١٥٤٤ م) وعثا الحند الاسباني فيها بما لا تقدره سباع الغارة فانخذل ابو زيان
 واستعاد ابو عبد الله عرشه

خبة ابى عبد الله وعودة ابى زيان

ولما كان انتصار ابى محمد على اخيه وتسلمه على العرش بطريق غير شريف
 حيث استنهض على اخيه الصليبيين وجاء باعداء الاسلام الى هذه البلاد المسلمة ،
 احتدم غيض الرعية عليه فقاومته وانتقمته منها فخرج منهزما الى قبيلة [انكاد]
 على نحو ثلاثين كيلو مترا من وجدة مستعينا باحلافه الاسبان ؛ فاحقق في سيره
 وانكسر شر انكسار ثم قتل ؛ وعاد ابو زيان الى العرش .

استشراف الدولة السعدية

ما برحت دولة الاشراف السعديين بالمغرب الاقصى تنظر الى حوادث الجزائر
 وتتبع وقائع المملكة الزيانية بغاية الدقة والعناية ، ولم تنزل ترقب جميع حركاتها
 وسكناتها حتى سنحت لها في هذه المرة - وسط هذه القلاقل والاضطرابات -
 فرصة الوثوب لضمها الى مملكتها ، فانتهزتها وزحف سلطانها المولى محمد المهدى
 السعدى بنفسه الى المغرب الاوسط فاحتل تلمسان بدون معارضة من اهلها ، وذلك
 يوم الاثنين ٢٣ جمادى الاولى ٩٥٧ هـ [٩ جوان ١٥٥٠ م] ؛ واشيع يومئذ انه
 قادم على غزو مدينة الجزائر وطرد الاتراك منها ، فاسخط ذلك باي لارباي

الجزائر واسرع ببعث الحامية الى تلمسان فالتقي الجمعان قرب مستغانم على ضفاف
الوادي المالح فانهمز السعديون الى داخل المغرب الاقصى وتقدم حاكم الجزائر
حسن باشا الى تلمسان فعزل عنها ابا زيان وولى مكانه مولاي الحسين بن عبد الله
الزياني تحت اشراف وتصرف الضابط التركي سقطة



ولاية السلطان مولاي الحسن

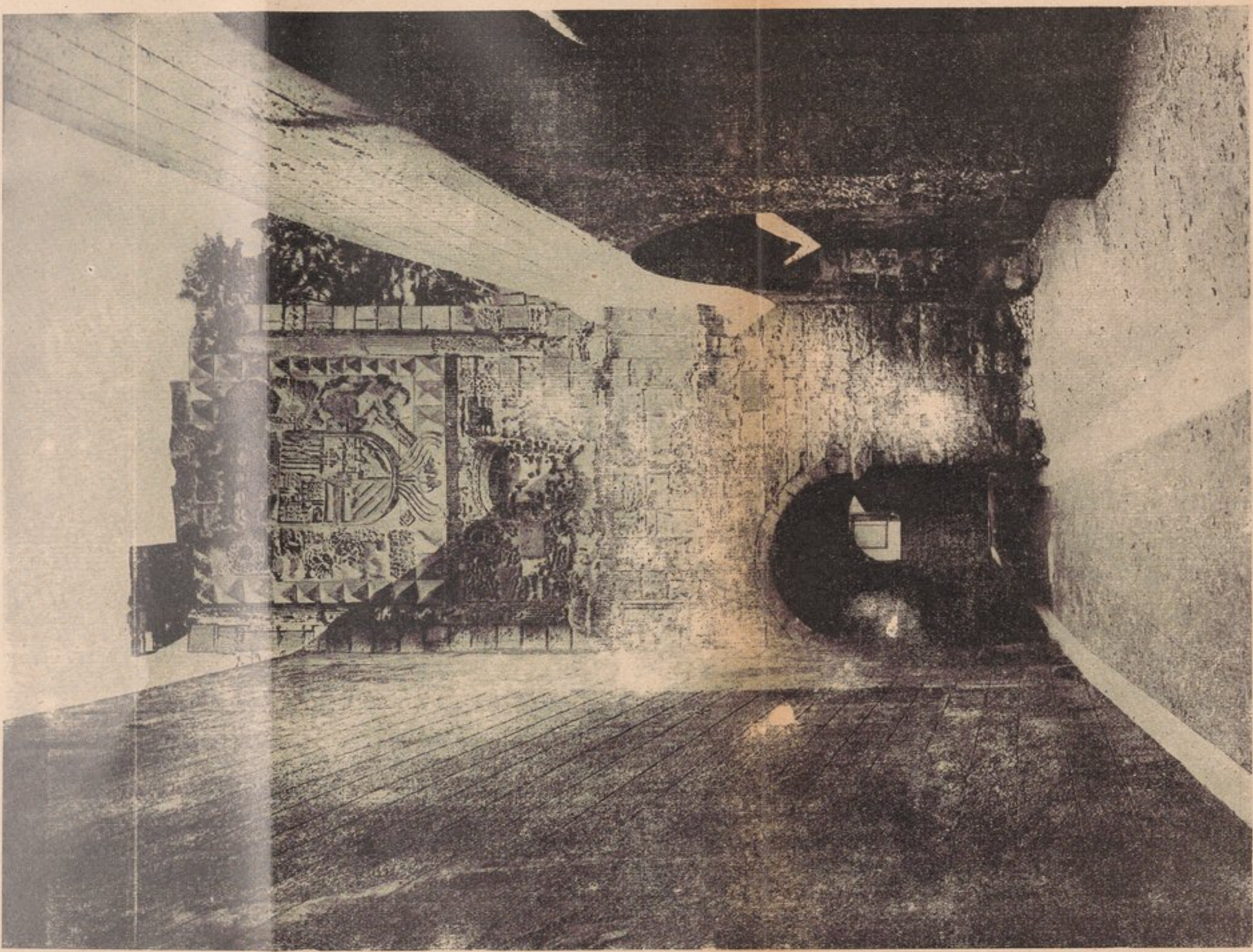
هو السلطان مولاي الحسن بن عبد الله «الثاني» آخر ملوك دولة بني عبد
الواد الزيانية بالجزائر: تولى عرش تلمسان سنة ٩٥٧ هـ (١٥٥٠ م) تحت اشراف
دولة الاتراك بالجزائر، فكان وهو في ملكه جالساً على عرش اجداده كعامل موظف
على هذه الولاية لا غير؛ اذ ليس له من النفوذ شيء، ويصفه التاريخ بالعجز والقصور في
تدبير سياسته وتسيير مملكته، وان عهده كان عهد ظلم وعسف، وظهر ميله للاسبان
فنقم عليه الناس وابتعدوا عند فحرم مودة شعبه: واجمع مجلس العلماء يومئذ على
عزله، فبادر حينئذ باي لارباي الجزائر صالح رئيس الى خلعه؛ فخرج آتئذ
٩٦٢ هـ (١٥٥٤ م) الى وهران فتوفي بها سنة ٩٦٣ هـ (١٥٥٥-٥٦ م)؛ وقيل انه
توفي بالاندلس وتنصر هنالك ولده... وضمت اعمال تلمسان نهائياً الى حكومة
الجزائر التركية، وانقرضت بذلك دولة بني زيان وذوي غصنها الغض الى
عالم الفناء والله عاقبة الامور.

خلاصة حوادث الاسبان على عهد بني زيان

كان ابتداء اتصال الاسبان بالجزائر واحتكاكهم بها منذ سنة ٩١١ هـ [١٥٠٥ م]
حيث نزلوا بالمرسی الكبير ثم بوهران نفسها كما لمحنا الى ذلك فيما تقدم قريبا،
ثم امتد بهم الجشع والطمع الاستعماري الى السواحل الجزائرية فامتلكوا منها
بجاية ودلس ومستغانم الخ... وقد استفحل امرهم على عهد الحاكم

الاسباني «الكونت الكوديت» حين ولايته على وهران ٩٥٠-٩٦٥ هـ [١٥٣٤-١٥٥٨ م] فاستحوذوا على ما بين جبال كريشتل شرقا الى «راس فالكون» غربا والى نواحي اغلال قرب السبخة الكبيرة جنوبا؛ وكان من اهم الوقائع واهوال الحروب يومئذ هي وقائع انكاد ومستغانم ووهران ومسرغين؛ ولقد مات بجميعها نحو ثلاثة آلاف جندي اسباني؛ ثم تليها حوادث تلمسان وقنطرة الصفصاف وارزيو ووادي يسر وتنس؛ وتكررت الزخوف والتهجمات من طرف الاسبان على مدينتي تلمسان ووهران بالخصوص وكانت شديدة على الجزائريين، وكثرت الاشتباكات والملاحم الحربية ما بين الاتراك والاسبان تارة ومع بنى زيان تارة اخرى وتعددت المعارك بين هؤلاء وهؤلاء وكان النصر فيها سجلا، وانضوى كثير من سكان البوادي كبنى عامر وبنى راشد ومليئة وتليلات و «المغطسين» وغيرهم تحت حماية الاسبان، وامتد حينئذ طغيانهم الى مس نفوذ الاتراك بالجزائر ويومئذ تنمر لهم الاتراك فوضعوا ايديهم على سير الحوادث الوهرانية وشاركوا اهلها في مقاومة النفوذ الاسباني ورد عاديته عن الوطن الجزائري برا وبحرا وكانت لهم في ذلك مواقف حاسمة

كان لتوالي كثرة هذه الاهوال الحربية والاضرابات السياسية، وعدم تركز احتلال الاسبان على قواعد الاجتماع ووسائل الدفاع الاساسية اثر ظاهر في تدهور وهران وتهجيرها اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، فكانت لذلك طيلة احتلال الاسبان لها ووجودهم بها بمثابة ثكنة حربية تحيط بها الاسوار والحيطان وتدخلها المسارب والانفاق وتعلوها الكآبة والبؤس والشقاء لا غير... وكان موقف هؤلاء الغاضبين هو دائما موقف الخضم العنيد والعسكري الحقود الذي لا يشفق ولا يرحم، يقودونهم الساسة العسكريون المستبدون المستقلون عن بعضهم، ومن ورائهم القساوسة والرهبان من رجال الكنيسة المتعصبة؛ وذلك ما حملنا على القول جازمين باستمرار الحروب الصليبية وانتقالها الى المغرب بعد ما كانت نيرانها مستعيرة



بقية من بناية قصر القصبة الاسباني بوهران

بالمشرق؛ وهكذا الى اوائل القرن التاسع عشر الميلادي حيث كتب لها الانتصار على الشرق الاسلامي فسقطت الجزائر تحت نير الاستعمار... ولقد لحق الاماكن الجزائرية المحتلة ايام الاسبان من الاهانة ما الله به عليم فكانت مدة اقامتهم بها كلها محنة وبلاء في بحر لحي من الفتن متلاطم الامواج لا يقر له قرار؛ وستأتيك بقية حوادث الاسبان مفصلة مساقاة خلال ما نستطره من تاريخ الدولة التركية بالجزائر

المجتمع الجزائري

يتأكد على كل من يود الاطلاع او يريد الاحاطة بالحياة الاجتماعية لاي شعب ان يتحقق أولا ويدرس دراسة وافية لعادات ذلك الشعب الذي يريد الاطلاع على حالته وان يحيط علما بتقاليده واخلاقه وعاداته ما شذ منها وما شاء غير متحاشي من ذلك شيئا مع التمكن من معرفة ما امكن من مشخصات ذلك الشعب ومقوماته في جميع اطوار حياته ما حضر منها وما غبر، متتبعا مستقصيا لانتظام علاقاته بغيره من الشعوب ممن اتصل بهم او اتصلوا به من قريب او بعيد

ونحن اذا نظرنا الى اهل الجزائر بهذا الاعتبار وجدناهم في الطليعة معدودين من اهل الطبقة الراقية يومئذ بشهادة التاريخ نفسه وهو اصدق الشاهدين واعدل الحاكمين. قال يحيى بن خلدون «انهم كانوا ذوي اخلاق سريّة، وطباع كريمة، من صفاتهم الحياء والوقار والوفاء بالعهد والعفاف والتدين والاقتصاد في المعاش واللباس والسكنى (١) فان قلت ان هذه الصفات جاءت في وصف اخلاق بني عبد الواد خاصة، قلنا نعم واجل، هم سادة الوطن ورؤساؤه والناس كما قيل على دين ملوكهم وقادتهم وانما صلاح الرعية بصلاح سادتها ورؤسائها

والعكس بالعكس.

ثم ان طبقات الامة الجزائرية يومئذ منحصرة في اربعة اصناف من الناس ، فانك لا تجد الجزائري الاتاجرا او محترفا او هو طالب للعلم معلما او متعلما ، او جنديا مع الجيش يدافع عن بيضة الاسلام وشرف وطنه ، لاخامس هنالك ، وقد ازدهرت الجزائر يومئذ بالوافدين عليها من مهاجري الاندلس ومعظمهم من مهرة الصنائع والزارعين واهل العلم واليسار الذين درجوا في مهد الحضارة بالفردوس المفقود ، فاخذوا هنا بمهجرهم يمارسون مهنتهم الراقية في وطنهم الجديد ؛ وكان يبلغ عدد سكان المدينة الواحدة من المدن الجزائرية الشهيرة كتلمسان مثلا المائة والخمسين الف نسمة ، وكان بوهرا ن يومئذ نحو الستين الف نسمة .



الاقتصاد والانتاج بالجزائر

الاقتصاد كامة عامة يراد بها - كما هو معلوم - كل ما يشملها معنى تدبير المعاش وانماء الثروة بكل انواع الكسب والاحتراف مهما تعددت الالوان واختلفت المظاهر من جميع انواع الحرف والصناعات وما تقتضيه المعاملات التجارية بين الناس في مختلف انواع البضائع والسلع مهما تباينت المتاجر والاسواق وتعددت الاساليب والمسالك وتنوعت المرافق والاسباب . كل ذلك دفعا للاعسار وتمتعا بالايثار وجلبا للرفاهية العامة التي تنبني عليها سعادة الشعب وترقيته ماديا ومعنويا .

ونحن اذا بحثنا في تاريخ الجزائر الاقتصادي واحتجنا في ذلك الى الادلة الصريحة ظفرا بقواطع الحجج والشواهد الكثيرة على ذلك مما جعل الجزائر في المكان الاول بين صفوف الامم الراقية التي سابت غيرها في هذا المضمار ، وذلك ما صير هذا الوطن المغربي الكبير ملحوظا ومرموقا لدى الدول القديمة والجديدة كما هو كذلك عند علماء الجغرافية والتاريخ منذ القدم الى اليوم ؛ فتراهم مهما ذكروا الجزائر

أواقنصروا على ناحية منها الا واثنوا عليها خيرا وعددوا في ذلك زروعها الغزيرة
ومنتوجاتها المتنوعة الكثيرة واسواقها العامرة وصناعاتها النافقة ومياهها الدافقة ؛
الم يشهد التاريخ الروماني القديم لهذا الصقع المبارك بالخصب الممرع ورفاهية
العيش ؟ الم بسميه في اصطلاحه بخزينة او مزرعة رومة «*Romæ graniarum*»
اذ كان يمدّها ويغذيها بمقدار وافر من المحصولات كالحبوب والفواكه والخمور
والصوف والخشب والمرمر والزبائن «*l'Afrique a été le grenier de Rome*»
بلى وربى انما لحق ... وتعالى معى الآن ايها القاريء الكريم الى جولة استطلاعية
ونظرة تاريخية عامة نلقيها على هذا الوطن الجزائري الخصب الثرى صعبة
الرحالة المغربي العظيم الشريف الادريسي وهو يحدثنا من كتابه الجغرافي
الحافل : « نزهة المشتاق في اختراق الافاق » حول بعض امهات المدن والقرى
الجزائرية فانصت اليها اذ يقول :

« ومدينة الجزائر على ضفة البحر وشرب اهلها من عيون على البحر عذبة
ومن آبارها ، وهى عامرة آهلت وتجارها راجحة واسواقها قائمة وصناعاتها نافقة
ولها بادية كبيرة وجبال فيها قبائل من البربر وزراعتهم الحنطة والشعير واكثر
اموالهم المواشى من البقر والغنم ويتخذون النحل كثيرا فلذلك العسل والسمن
في بلدهم كثير وربما يتجهز بهما الى سائر البلاد والاقطار المجاورة لهم
والمتباعدة عنهم ، واهلها قبائل ولهم حرمة مانعة

ويسوقنا الادريسي الى عاصمة بنى عبد الواد - تلمسان - مندفعاً في حديثه
الجغرافي قائلاً : « ان لها نهرا ياتيها من جبلها المسمى بالصخرتين ، وان هذا
الوادى يمر في شرقي المدينة وعليه ارحاء كثيرة وما جاورها من المزارع كلها
سقى ، وغلاتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمّة ، وخيراتها شاملة ، ولحومها
شحيمية سمينة ، وبالجملة انها حسنة لرخص اسعارها ونفاق اشغالها ومرابح
تجاراتها ؛ ولم يكن في بلاد المغرب بعد مدينة اغمات وفاس اكثر من اهلها

اموالا ولا ارفه منهم حالا» وذكرها البكري قبله في مسالكة قائلا « وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الاوسط ولها اسواق ومساجد ومسجد جامع واشجار وانهار عليها الطواحين وهو نهر سطغيسيف، وهي دار مملكة زناته وموسطة قبائل البربر ومقصد لتجار الآفاق». ويمضى الادريسي في حديثه عن ضواحي تلمسان فيذكر منها قرية العلويين - وهي على مرحلة من تلمسان - فيقول : انها قرية كبيرة عامرة على ضفة نهر ياتيها من القبلة وفواكهها فاضلة وخيراتها شاملة.

وفيدنا الملك ابو الفداء (٧٣٢هـ - ١٣٣٢م) بقائده جليلة عن تنقل القوارب وجولان المراكب البحرية في نهر تلمسان فيقول : «وبستدير النهر بقبليها وشرقيها ويدخل فيه السفن اللطاف حيث يصب في البحر» «١» ونعود الى الادريسي لنستمع اليه فيما يذكر لنا عن حركة هنين - فرضة تلمسان - فنجده يقول : وهنين مدينة حسنة صغيرة في نحر البحر وهي عامرة عليها سور متقن واسواق وبيع وشراء وخارجها زراعات كثيرة وعمارات متصلة وفي وهران يقول : ووهران على مقربة من ضفة البحر، وعليها سور تراب متقن، وبها اسواق مقدرة وصنائع كثيرة وتجارات نافقة وهي تقابل مدينة المرية من ساحل بر الاندلس وسعة البحر بينهما مجريان، ومنها اكثر ميرة ساحل الاندلس ولها على بابها مرسى صغير لا يستر شيئا، ولها على ميلين منها المرسى الكبير، وبه ترسى المراكب الكبار والسفن السفرية وهذا المرسى يستمر من كل ربح وليس له مثال في مراسى حائط البحر من بلاد البربر، وشرب اهلها من واد يجري اليها من البر وعليه بساتين وجنات وبها فواكه ممكنة واهلها في خصب والعسل بها موجود وكذلك السمن والزبد والبقر، والغنم بهار خيصة بالثمن اليسير ومراكب الاندلس اليها مختلفة وفي اهلها دهقنة وعزة نفس ونخوة.

ويتحدث عن مدينة «يلل» فيقول : بها عيون ومياه كثيرة وفواكه وزروع وبلادها جيدة للفلاحة وزروعها نامية. وعن ارزاو - ارزيو - فيقول انها قرية كبيرة تجلب اليها الحنطة فيسير بها التجار ويحملونها الى كثير من البلاد. ويذكر لنا قسنطينة فيقول : انها من احصن بلاد الله وهى مطلة على فحوص متصلة بها، وانها عامرة وبها اسواق وتجار واهلها ميسير ذوو اموال واحوال واسعة ومعاملات للعرب وتشارك فى الحرث والادخار، ولها مزارع الحنطة والشعير ممتدة فى جميع جهاتها، ولها فى داخل المدينة ومع سورها مسقى يستقون منه ويتصرفون منه عند اوقات الحصار لها ممن طرقها؛ والحنطة تقيم بها فى مطامرها مائة سنة لا تفسد والعسل بها كثير وكذلك السمن يتجهر به منها الى سائر البلاد. ويحدثنا البكرى عن مدينة مستغانم بانها مدينة ذات عيون وبساتين وطواحين ماء ويبذر فى ارضها القطن فيجود.

ثم ينتقل بنا الادريسى الى الكلام على مدينة تاهرت فيقول : ومدينة تاهرت كانت فيما سلف من الزمان مدينتين كبيرتين احدهما قديمة والاخرى محدثة والقديمة من هاتين المدينتين ذات سور وهى على قنة جبل قليل العلو وبها ناس وجمل من البربر ولهم تجارات وبضائع واسواق عامرة وبارضها مزارع وضياء جمّة وبها من نتاج البراذين والحليل كل حسن؛ واما البقر والغنم فكثيرة بها جدا، وكذلك العسل والسمن وسائر غلاتها كثيرة مباركة، وبمدينة تاهرت مياه متدفقة وعيون جارية تدخل اكثر ديارهم ويتصرفون بها، ولهم على هذه المياه بساتين واشجار تحمل ضروبا من الفواكه الحسنة وبالجملة انها بقعة حسنة. وقد تحدث عنها قبله ابن حوقل فقال : والتجار والتجارة تبهرت بالمحذثة اكثر ولهم مياه تدخل اكثر دورهم واشجارهم وبساتين كثيرة وحمامات وخانات وهى احد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفرايد ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلات.

ويصف لنا الشريف القلعة الحمادية وما آلت اليها من بعد يقول : والقلعة كانت في وقتها وقبل عمارة بجاية دار الملك لبنى حماد وفيها كانت ذخائرهم مدخرة وجميع اموالهم مختزنة، ودار اسلحتهم والحنطة تختزن بها فتبقى العام والعامين لا يدخلها الفساد ولا يعتريها تغيير، وبها من الفواكه المأكولة والنعم المنتخبة ما يلحقه الانسان بالثمن اليسير، ولحومها كثيرة وبلادها وجميع ما ينضاف اليها تصلح فيها السوائم والدواب لانها بلاد زرع وخصب وفلاحتهم اذا كثرت اغنت واذا قلت كفت، فاهلها ابد الدهر شباع واحوالهم سالحة.

كما انه يحدثنا ايضا عن اشير زيري فيقول : انه حصن حسن البقعة كثير المنافع ولم سوق يوم معروف يجلب اليه كل لطيفة ويبيع به كل طريفة. واما عن مدينة تنس فانه يقول : لها في جهتها الشرقية واد كثير الماء وشرب اهلها منه في ايام الشتاء والربيع، وبها فواكه وخصب واقلع وحط ولها اقاليم واعمال ومزارع وبها الحنطة ممكنة جدا وسائر الحبوب موجودة وتخرج منها الى كل الآفاق في المراكب، وبها من الفواكه كل طريفة ومن السفرجل الطيب المعنق ما يفوت الوصف في صفته وكبره وحسنه.

ويذكر لنا مدينة مليانة عاصمة مغراوة فيقول : «هي مدينة قديمة البناء حسنة البقعة كريمة المزارع ولها نهر يسقي اكثر مزارعها وحدائقها وجنائها ولها ارحاء على نهرها المذكور ولاقليمها حظ من سقي نهر شلف،

ويصف لنا مدينة برشك فيقول : انها صغيرة على تل وعليها سور تراب وهي على ضفة البحر وشرب اهلها من عيون ومائها عذب وافتتحها الملك المعظم رجار - ملك النرمان - سنة هـ وبها فواكه وجمل مزارع وحنطة كثيرة وشعير. ويقص علينا خبر مدينة شرشال انها : صغيرة القدر لكنها متحضرة وبها مياه جارية وابار معينة عذبة وبها فواكه حسنة كثيرة وسفرجل كبير الحرم ذو اعناق كاعناق القرع الصغار وهو من الطرائف غريب في ذاته وبها كروم

وبعض شجرتين، وما دار بها بادية لاهلها مواش واغنام كثيرة، والنجل عندهم كثير والعسل بها ممكن واكثر اموالهم الماشية ولهم من زراعة الحنطة والشعير ما يزيد على الحاجة.... ومدينة مرسى الدجاج كبيرة القطر لها حصن دائر بها وبشر قليل: وربما فرعنها اكثر اهلها في زمن الصيف ومدة السفر خوفا من قصد الاساطيل اليها، ولها مرسى مامون ولها ارض ممتدة وزراعات متصلة واصابة اهلها في زرعهم واسعة وحنظتهم مباركة وسائر الفواكه والاحوم بها كثيرة وتباع بالثمن اليسير، والتبن خاصة يحمل منها شرائح طوبا ومثورا الى سائر الاقطار واقاصى المدائن والامصار، وهى بذلك مشهورة.

«ومن مدينة مرسى الدجاج الى مدينة تدلس ٢٤ ميلا وهى على شرف متحصنة لها سور حصين وديار ومنتزهات وبها من رخص الفواكه والاسعار والمطاعم والمشارب ما ليس يوجد بغيرها مثله، وبها الغنم والبقر موجود كثيرا وتباع جمعتها بالاثمان اليسيرة وبخرج من ارضها الى كثير من الآفاق

«ومن تدلس الى مدينة بجاية فى البر ٧٠ ميلا وفى البحر ٩٠ ميلا؛ ومدينة بجاية على البحر لكنها على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون وهو جبل سامى العلو صعب المرتقى وفي اكنافه جمل من النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل شجر الحوض والسقولوفندوريون والبرباريس والقنطوريون الكبير والزراروند والقسطون والافستين وغير ذلك من الحشائش. ويتحدث عنها البكري ايضا فيقول : ان بشرقيها نهر تدخله السفن محملة

«ومن القلعة - الحمادية - في جهة المشرق مدينة محدثة تسمى (برج) الغدير وبينها وبين القلعة ٨ اميال والغدير مدينة حسنة واهلها بدو ولهم مزارع وارضون مباركة والحراث قائم الذات والاصابة في زروعها موجودة والبركات في معاملاتهم كثيرة وبين المسيلة والغدير ١٨ ميلا. وناهيك برخص اسعارها فالقنطار من العنب يساوي عندهم درهما واحدا كما ذكره البكري.

ويذكر ميلة فيقول عنها : مدينة حسنة كثيرة الاشجار ممكنة الثمار وفواكهها كثيرة ومحاسنها ظاهرة ومياها غدقة.

وبحدثنا عن مدينة جيجل فيقول انها : مدينة حسنة بها الالبان والسمن والعسل والزروع الكثيرة : وبها الحوت الكثير العدد المتناهي الطيب والقدر، وهو القائل ايضا عن سطيف انه حصن كبير القطر كثير الخلق كالمدينة وهو كثير المياه والشجر المثمر بضروب من الفواكه ومنها يحمل الجوز لكثرتها بها الى سائر الاقطار وهو بالغ الطيب حسن ويباع بها رخيصا.

ويتعرض رحالتنا الى بلدة مازونة فيقول : ان لها انهارا ومزارع وبساتين واسواقا عامرة ومساكن موقفة ولسوقها يوم معلوم يجتمع اليه اصناف من البربر بضروب من الفواكه والالبان والسمن والعسل كثير بها وهي من احسن البلاد صفة واشهرها فواكه وخضبا؛ ويتنقل بنا الى الحدبث عن مدينة مرسى الحرز فيقول : انها مدينة صغيرة عليها سور حصين ولها قسبة وحواليها عرب كثير وعمارة اهلها لها على صيد المرجان؛ والمرجان يوجد بها كثيرا وهو اجمل جميع المرجان الموجود بسائر الاقطار... ويقصد التجار من سائر البلاد الى هذه المدينة فيخرجون منه الكثير الى جميع الجهات ومعدن هذا الجوهر في هذه المدينة مخدوم في كل سنة ويعمل به في كل الاوقات الخمسون قاربا والزائد والناقص وفي كل قارب العشرون رجلا وما زاد ونقص، والمرجان ينبت كالشجر ثم يتحجر في نفس البحر بين جبلين عظيمين ويصاد بآلات ذوات ذوائب كثيرة تصنع من القنب، تدار هذه الآلة في اعلى المراكب فتلتف الحيوط على ما قاربها من نبات المرجان فيجذبه الرجال الى انقهسم، ويستخرجون منه الشيء الكثير مما يباع بالاموال الطائلة وعمدة اهلها على ذلك

ويذكر لنا الادريسي غابر مدينة بونة وحاضرها على عهده فيقول : انه كان بها اسواق حسنة وتجارة مقصودة وارباح موجودة، وكان فيها كثير من

الخشب موجود جيد الصفة، ولها بسايق قليلة وشجر وبها من انواع الفواكه ما يعم اهلها واكثر فواكهها من باديتها والقمح بها والشعير في اوقات الاصابات كما وصفنا كثير جدا، وبها معادن حديد جيد ويزرع بارضها الكتان، والعسل بها موجود ممكن وكذلك السمن واكثر سوائهم البقر ولها اقليم وارض واسعة تغلبت العرب عليها. ويذكرها البكري بمثل هذا ايضا مع افادته لنا بان اكثر تجارها اندلسيون وان مستخلصها غير جباية بيت المال عشرون الف دينار.

ويتحدث الادريسي عن قرية مسكيانه فيقول: انها قرية عامرة قديمة ازلية وبها زروع ومكاسب وعبون، ولها سوق ممتدة كالسماط، وهي اكبر من مرماجنة - مدينة تقع بالشمال الغربى من تبسة - كما انه يذكر لنا مدينة ندرومة فيقول: انها مدينة كبيرة عامرة آهلة، ذات سور وسوق موضعها في سند، ولها مزارع كثيرة ولها واد يجرى في شرقيها وعليه بسايق وجنات وعمارة وسقي كثير. ويذكرها البكري ايضا فيقول: لها نهر وبسايق فيها من جميع الثمار.

ويستمر الشريف الادريسي في حديثه عن اقطار البلاد الجزائرية متجولا بنا هنا وهناك محترقا للافاق كاشفانا عن مخبات كنوز ارضنا الخصبه وبلادنا الغنية الثرية فتراه يقف بنا هنا على اشهر بلاد الزاب واصفانا منها مدينة المسيلة وطبنة ومقرة وتقاوس وبسكرة وباغاية؛ فاستمع اليه اذ يتحدث عن الاولى منها فيقول: «هي عامرة في بسيط من الارض ولها مزارع ممتدة اكثر مما يحتاج اليها، ولها سوائم خيل واغنام وابقار وجنات وعبون وفواكه وبقول ولحوم ومزارع وقطن وقمح وشعير ويسكنها من البربر بنو برزال وزنداج وهوارة وصدراته ومزاتة؛ وهذه المدينة ايضا عامرة بالناس والتجار وهي على نهر فيه ماء كثير مستنبت على وجه الارض وليس بالعميق وهو عذب وفيه سمك صغير فيه طرق حمر حسنة

ولم ير في بلاد الارض المعمورة سمك على صفته ، واهل المسيلة يفتخرون به ، ويكون مقدار هذا السمك من شبر الى ما دونه وربما اصطيد منه الشيء الكثير فاحتمل الى قلعة بنى حماد وبينهما ١٢ ميلا ، وتخرج من المسيلة الى مقرة مرحلتا ، وهى مدينة صغيرة وبها مزارع وحبوب واهلها يزرعون الكتان وهو عندهم كثير .

ويتحدث عن طينة فيقول : انها مدينة الزاب وهى مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير ، وعليها سور من تراب واهلها اخلاط وبها صنائع وتجارات واموال لاهلها متصرفة فى ضروب من التجارات والتمر بها كثير وكذلك سائر الفواكه... ومدينة نقاوس صغيرة كثيرة الشجر والبساتين واكثر فواكهها الجوز ومنها يتجهز به الى ما جاورها من الاقطار وبها سوق قائمة ومعاش كثيرة... ومن مدينة نقاوس ايضا الى حصن بسكرة مرحلتان وهو حصن منيع فى كدية تراب عال وبه سوق وعمارة وفيه ايضا من التمر كل غريبة وطريفة ، ويخبرنا عن اهل وارجلان - وارقلة - بانهم قوم ميسير وتجار اغنياء يتجولون فى السودان الى بلاد غانة وبلاد ونقارة يشتررون التبر على اهلها ويخرجونه الى دور السكك فى بلادهم فيضربونه دنانير باسم بلادهم ويتصرفون بها فى التجارات والبضائع هكذا فى كل سنة (١) كما يحدثنا البكرى عن المحصولات فى باغية وطولقة وقزرونة فيقول عن الاولى : انها مدينة جليلة اولية ذات انهار وثمار ومزارع ومسارح . وعن الثانية يقول : انها ثلاث مدن كلها عليها اسوار طوب وخذق وحولها انهار وهى كثيرة البساتين بالزيتون والاعناب والنخيل والشجر . ويتحدث عن الثالثة بانها على نهر كبير عليه الارحاء والبساتين ، ويقال لها متيجة ولها مزارع ومسارح وهى اكثر تلك النواحي كنانا ومنها يحمل . وفيها عيون سايحة وطواحين ماء (٢)

(١) نزهة المشتاق لادريسى ط ليدن ١٨٦٤م (٢) المسالك والممالك للبكرى ط الجزائر ١٨٥٧م

ولقد سبق ان سقنا ماحكاة الادريسي عن حركة بجاية الاقتصادية والصناعية والبحرية ايضا بالجزء الاول من كتابنا هذا - صفحة ٣٣٣ - فلتراجع هناك. ورغم كل ما حدث اثر عصر الادريسي والبكري من الاضطرابات السياسية والانقلابات الاجتماعية التي عمت اقطار المغرب العربي على عهد كل من الدول او الحكومات الثلاث: بني ابي حفص، وبني مرين، وبني زيان، فان ارض الجزائر لم يحدث في اقتصادها كثير تبديل او تغيير واستمر اهلها على استثمار بلادهم يعملون ناشطين في رخاء وخفض من العيش طيلة قرون؛ وهكذا نجد علماء التاريخ، الجغرافية من اهل القرن السادس والسابع بل والثامن ايضا يصفون لنا الرقي الاقتصادي والتقدم الزراعي في بلاد الجزائر بمثل ما حدثنا به الاولون فهذا كتاب الاستبصار الذي تم تأليفه سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١م) يتحدث عن مدينة مليانة فيقول: ولمدينة مليانة مياه سائجة وبساتين فيها جميع الفواكه وهي من اخصب بلاد افريقية وارخصها اسعارا وقال عن قلعة هواة - غربي مستغانم - هي قلعة منيعة في جبل خصب فيه بساتين وثمار واشجار ومزارع واعناب، وتحتها فحص طوله نحو اربعين ميلا يشق به نهر سيرات ويسقى اكثر ارضه ويسمى ذلك الفحص سيرات باسم النهر وهو نهر كبير مشهور ويذكر مدينة بونة فيقول: هي من انزه البلاد واكثرها لبنا ولحما وعسلا وحثا.... وبغريبها ماء سائح يسقى بساتينها وارضها وموضع جنايتها منتزه حسن مشرف على البحر، وهكذا يستمر في وصفها الى ان يقول: وبغربي مدينة بونة بركة في دورها نحو عشرة اميال وفيها سمك كثير جليل.... واخيرا يقول: وللمغرب الاوسط مدن كثيرة قد ذكرنا اكثرها في البلاد الساحلية وهي كثيرة الخصب والزرع كثير الغنم (٢)

وهذا ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨م) يتحدث عن مدينة تنس

(١) الاستبصار في عجائب الامصار طينا ١٨٥٢ هـ

فيقول : ان بها مسجدا جامعا واسواقا كثيرة؛ ثم يذكر موازين ومكايل اهلها فيقول: ولهم كيل يسمونه الصفحة وهي ثمانية واربعون قادوسا، والقادوس ثلاثة امداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم، ورطل اللحم بها سبعة وستون اوقية، ورطل سائر الاشياء اثنتان وعشرون اوقية، ووزن قيراطهم ثلث درهم عدل بوزن قرطبة كما انه يذكر مدينة الخضراء فيقول : هي بلدة بينها وبين مليانة يوم واحد، وهي مدينة جليلة كثيرة البساتين على شاطئ نهر من اخصب مدن افريقية، ويحدثنا عن مدينة بونة فيمضي في وصفها حسب ما ذكرنا فيما سلف ثم يقول عنها : انها كثيرة الرخص والفواكه والبساتين القريبة واكثر فاكهتها من باديتها ٠٠٠٠ (١)

وهذا الملك ابو الفداء يذكر كذلك بونة في كتابه تقويم البلدان الذي فرغ من تبليغه سنة ٧٢١ هـ (١٣٢١م) فيقول عنها انها مدينة جليلة عامرة على البحر خضبة الزرع كثيرة الفواكه رحية، وبظاهرها معادن حديد ويزرع بها كتان كثير، وحدث بها عن قريب مغاص على المرجان ليس كمرجان مرسى الخرز. كما انه يذكر بسكرة فيقول : ومدينة بسكرة قاعة بلاد الزاب، ولبسكرة بلاد ذات نخيل وزروع كثيرة ومن بسكرة يجلب التمر الطيب الى تونس وبجاية. ويتحدث عن المسيلة بقوله : ومدينة مسيلة حسنة كثيرة الاشجار والثمار ومياهها عذبة (٢)

وذكر مقديش الصفاقسي مدينة التين - بين سوق ابراهيم وتنس تبعد عن كليهما بمرحلة - فقال انها كثيرة شجر التين جدا ويعمل بها من التين شرائح اعظم من الطوب وبذلك تسمى ويحمل منها الى كثير من الاقطار. (٣)

(١) معجم البلدان ط ليبسيك ١٨٦٦م

(٢) تقويم البلدان ط الجزائر ١٧٣٩م ص ٨٠ و ٩٠ و ٩٤

(٣) الازهار الرياضية ص ٥٨-٥٩

وكما يشهد بذلك من كتاب الافرنج المتأخرين : مارمول وألفارينز

قومبز - Marmol et Alvarés Gomés -

ويتحدث الرحالة عبد الباسط بن خليل في رحلته - الروض الباسم - عن قسنطينة فيقول بأنه نزل بها يوم سابع عشر شوال سنة ٨٦٨ هـ (٢٤ جوان ١٤٦٤ م) فرأى «منها مدينة عجيبة الموضوع، حسنة المجموع، على جبل عال وتحتها واد عظيم كثير الخصب والاجنة والرخاء الغالب، قال : واعجبتني الى الغاية ورأيت ابنتها جيدة فائقة....»

وقل مثل ذلك عن سير التجارة بأنها رائجة في كثير من انواع السلم التي كانت الجزائر تستوردها من الخارج على سبيل المبادلة مثل الزجاج وأجهزة وعتاد وعدد وغير ذلك من ادوات الحديد، او تصدرها من بضائعها المحلية المختلفة كالتمر المسبوك والذهب النضار والعاج والجوخ والصوف والحريير والكتب والسلاح الابيض والجلد والسماك المجفف والمرجان والرقيق، فكل ذلك كان منتشرا باسواق البلاد الجزائرية تتوصل اليه بطريق القوافل التي تتردد بين الصحراء والتل محترقة لحدود تونس وطرابلس والمغرب الاقصى والسودان، وكذلك في البحر فان السفن والمراكب الاهلية والاجنبية لا تفتقر عن التنقل بين سواحل الجزائر والاندرلس وصقلية وجنوة والبندقية وكثيرا ما كانت اسواق تلمسان ترى ملائمة بالتجار من اهل ييزا والبيرو فانصوا والقطلان وغيرهم من الافرنج بله حركمة القوارب والزوارق التي كانت في نشاطها الدائم بانهار قسنطينة وتلمسان وارشقول ولقد شاهد هـ ذا المعنى عبد الباسط بنفسه فسجله في رحلته الى الجزائر قائلا : «وفيه - اي في يوم تسامع عشر صفر ٨٧١ هـ - ١٠ اكتوبر ١٤٦٦ - ورد الى ساحل مدينة وهران شونمة عظيمة من مراكب الفرنج الجنوبيين وردت من بلاد افلندة ونحوها من بلاد الافرنج بالمحيط برسم الاتجار في الجوخ وتجهز كثير من تجار وهران وتلمسان للسفر فيها الى جهة بلاد الاندلس وتجهزت

أنا أيضا لذلك وعزمت على العود لهذه البلاد بعد دخول تونس وغيرها من البلاد» (١) وأما عن متاجر وهران ومساكنها فإنها بلغت يومئذ إلى ألف وخمسمائة متجر ونحو ستة آلاف دار.

وأما المهن والحرف الصناعية فإن أهمها يومئذ بالجزائر يرجع إلى صناعة الدباغة وخصف النغار والاحذية والصياغة والعدانة والخزافة والنجارة والحدادة وفن البناء والتعمير، وكان مما امتازت به تلمسان واختصت به ما بين البلاد: الاتقان في النسج والقزازة، فإن لملابسها ومنسوجاتها الصفيقة من حرير أو صوف اعتبار وتقدير يفوقان منسوجات غيرها من البلاد، لا من حيث الأحكام في الصناعة والنسج فحسب، بل وحتى في جودة النوع والشكل مع الدقة واللطافة والخفة، فانك تجد البرنس أو الكساء اللحيد من الحرير لا يتجاوزونه عندهم الثماني اواق، والاحرام لا يتعدى خمس اواق. وذكروا أنهم كانوا يختبرون الأكسية والملابس الرقيقة الحيدة بإدخالها وإخراجها من حلقة خاتم... واليك وصف كاتب الدولة يومئذ يحيى بن خلدون لدار الصنعة بتلمسان قال :

«إن دار الصنعة السعيدة تموج بالفعلة على اختلاف اصنافهم وتباين لغاتهم وأديانهم؛ فمن دراق ورماح ودرع ولجام ووشاء وسراج وخباء ونجار وحداد وصائغ ودباج وغير ذلك، فتستك لأصواتهم وآلاتهم الاسماع وتجار في احكام صناعتهم الازهان وتقف دون بحرهم الهائل الابصار؛ ثم تعرض قومتهم اصيلا ن كل يوم مصنوعاتهم فيه بين يدي الخليفة ايدة الله ويخزن كل بحجار صنعة المعد له وينصف العاملون من ارزاقهم عدلا هكذا ايداه» (٢) وان لنا في حركة اسواق القيسرية بتلمسان لغنى وذكرى.

واشتهرت اسواق الجزائر يومئذ بانتظامها حسب انواع السلم والبضائع فانك

(١) الروض الباسم ص ٤٠ و ٦٧ ط باريس ١٩٣٦م

(٢) بغية الروادج ٢ ص ٦٦ ط الجزائر ١٣٢٩هـ - ١٩١١م

لا تجد اختلاطاً بين البزازين والبصاغة مثلاً ولا بين الحدادين والنجارين فكل نوع منها سوق قائمة بنفسها، وبذلك نعلم انه كان للجزائر شأن عظيم في عالم الاقتصاد منذ القديم كما انها لا تزال كذلك الى اليوم

ويكفي في الاستدلال على التقدم والرقي الصناعي بالجزائر يومئذ ان تأمل قليلاً في اختراع العبقري المفن الجزائري على بن الفحام التلمساني لآلة المنجانة العجيبة ذات الوضع المدهش والصنع الميكانيكي والشكل الهندسي الغريب، اشأها صاحبها في اوائل سنة ٧٦٠ هـ [١٣٥٩ م] لرصد الوقت فسبق ببديع صنعه واضع ساعة «ستراسبورق» بقرنين اثنين فكانت هذه من عجائب المخترعات، واليك وصفها من شاهد عيان شارك بنفسه في صنعها بوضع ابيات شعرية لتنظم ساعاتها، وذلك هو يحيى بن خلدون، قال في سياق حديثه عن المهرجان الذي كان يقيمها السلطان ابو حمو الثاني في قصره وبمحضره في كل سنة بمناسبة ذكرى يوم المولد النبوي الشريف :

«..... وخزانة المنجانة ذات تماثيل اللجين المحكمة قائمة المصنع تجاهه - يعنى السلطان - باعلاها أيككة تحمل طائراً فرخاة تحت جناحيه وبخاتنه فيها ارقم خارج من كوة بجدر الايككة صعوداً، وبصدرها ابواب مجوفة عدد ساعات الليل الزمانية، يصاقب طرفيها بابان محوفان اطول من الاول واعرض فوق جميعها، ودوين راس الخزانة قمر اكمل يسير على خط استواء سير نظيره في الفلك، وبسامت اول كل ساعة با بها المرتجج، فينقض من البابين الكبيرين عقابان بقى كل واحد منهما صنجة صفر يلقيها الى طست من الصفر محجوف بوسطه نقب يفضى بها الى داخل الخزانة فيرن، ويريد الارقم ان ينهش احد الفوخين فيصفر له ابوه فهناك يفتح باب الساعة الراهنة وتبرز منه جارية محتزمة صورت في احسن صورة، في يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطور، فتضعها بين يدي السلطان بلطافة ويسراها موضوعاً

على فيها كالمبايعة بالخلافة لأمير المؤمنين، حيل احكمت يد الهندسة وضعها وراض
تدبير الخلافة اعلى الله مقامه شماسها

... وامرني ايده الله بنظم ابيات على لسان الجوارى المعرفات ساعات المنقانة
الغريبة الشكل المتقدمة الوصف فقلت في ذلك :

الساعة الاولى من الليل

امولى الملوك واعلى الامم	ومن جودة العالم الكل عم
مضت ساعة ليت لو تشنى	فان الحياة بكم تغتنم
ولله وجهك لما بدا	وقد خلته البدر في الافق تم
عليه لاجل التقى هيبته	وفيه من الفضل بشر الكرم
اقمت بمولد خير الورى	سرورا لكم بالمعالى حكم
طويت الفؤاد على حبه	ففعلك هذا على ذاك نم
فقلت السعادة دنيا واخرى	وحزت المفakhir دون الامم
فدمر مساحيت لنا ملكا	يطيعك عرب الورى والعجم

الساعة الثانية

اخليفة الرحمن والملك الذى	تغنوا عز علاه املاك البشر
لله مجلسك الذى يحكى علا	بك مالكى افق السماء لمن نظر
او ما ترى فيه النجوم زواهرا	وجها الخليفة بينهن هو القمر
والليل منه ساعتان قيد انقضت	تشنى عليك ثنا الرياض على المطر
لا زال هذا الملك منصورا بكم	وبلغت مما ترتجى اسنى الوطر

الساعة الثالثة

امولاي يا ابن الملوك الالى	لهزم في المعالى اسنى الرتب
توالت ثلاث من الليل اب	قت لك الفخر في عجمها والعرب

تبال الذي شئت من ارب

ومالك الفضل اجمع
مضت ليلك اربع
وللمفاخر تجمع

وجمال العالمينا
كلها دنيا وديننا
حسنها راق العيوننا
هكذا تمضي السنونا
خالد الملك مكنينا

تخاله في عساكر
ما ان لها من نظائر
الى المععاد نسواضر

والفضل فيه سجيته
مسا ان لها مشوية
يسعليك رب البرية

واشرف الناس اسرة
في القلب منى حسره
اخا نعيم ونضرة

قدم حجة الله في ارضه

الساعة الرابعة

يا واحدا في المعالي
مولاي دمست عسليا
لا زلت تفنى الاعادي

الساعة الخامسة

يا امير المسلمينا
والذي حاز المعالي
قد مضت ليل خمس
وانقضى النصف فآه
دمت في عز وسعد

الساعة السادسة

يا ماجدا وهو فرد
ست من الليل ولت
دامت ليلايك حتى

الساعة السابعة

يا من له الفخر طبع
مرت من الليل سبع
لا زلت والشمل جمع

الساعة الثامنة

يا اكرم الخلق ذاتا
مرت ثمان وابقت
فيهن كان شبابي

ولى بها الدهر عنى
فالله يسيقك مولى
ترى لها بعد كرة
يطيل في السعد عمره

الساعة التاسعة

يا اوجد الناس في مجد وفي شرف
مولاي تاسعة الساعات قد ذهب
كدا يمر ولا ندرى الزمان بنا
من كان ذا عمل في البر مشكم
لا زلت ذا عزة والمملك ذا شرف

الساعة العاشرة

يا ممالك الخير والجيل التي حكمت
هذا الصباح وقد لاحت بشائره
لله عشر من الساعات باهرة
كذا تمر ليالى العمر راحلة
نمسي ونصبح في لهو نسر به
والعمر يمضى فلا ندرى فوا اسفا
ياليت شعري غدا كيف الخلاص به
يارب عفوك عما قد جنته يدي
يارب وانصر امير المسلمين ابسا

ومن هذا القيل ما سجله التاريخ عن ساعة الخليفة هرون الرشيد التي اهداها
للملك شارلمان وساعة الجامع الاموي وباب جبرون بدمشق، وساعة المستنصر

العباسي بمستشفى بغداد (١)

(١) النظر الدارس في تاريخ المدارس النعمانية ج ١ ص ١٧٧ ط دمشق ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م
ورحلة ابن جبير ص ٢٤٩-٢٥٠ ط مصر ١٣٢٦ هـ وكتاب التصوير عند العرب لاجد تيمور
ص ٧٧ ط القاهرة ١٩٤٢ م وبغية الرواد ج ٢ ص ٤٠ و ٢١٨

ويظهر مما تقدم من نظم ساعة أبى حمو ان القوم كانوا يستعملون في ضبط الزمن الساعات الغروبية، أى تقدير مبدأ الزمن بساعة الغروب لا بالزوال وهى طريقة المشارقة المتعارفة بالا لا تركتها، ومبدأها من غروب الشمس، فالزمن عند الغروب يعتبر صفرا ثم يأخذ في التزايد الى هلم مجرا

ولا ينبغي ان يفوتنا هنا ونحن نؤرخ للصاعات والفنون بالجزائر - ان ترك الإشارة الى ما كان بقصر السلطان أبى تاشفين الاول من تلك الشجرة العجيبة المصنوعة من الفضة الواقعة على اغصانها تماثيل طيور مختلفة الاشكال والالوان تحاكي اشباهها من الطيور الطبيعية، وكلها مصنوعة بحيل ميكانيكية لطيفة يعلوها صقر، فاذا نفخ في اصل الشجرة صوت تلك الطيور كلها باصوات على غرار نظرائها من الطيور حتى اذا تموج الهواء وبلغ الى الصقر صوت فتقطع لصوته جميع الاصوات كما نقل ذلك الامام القرافى عمن شاهد هذه الشجرة بنفسه وسمع تغريد طيورها بحضرة السلطان بلمسان (١)

وكان من هذا القليل ما تقدم ذكره من الهدايا النفيسة التى اهداها السلطان الثابتى الى ملك الاسبان؛ منها ما وصفناه من تلك الدجاجة العجيبة الصنعة المتبوعة بست وثلاثين نقفا من نوعها؛ فذلكم ايضا هو مما لا يستهان به فى الاستدلال على تقدم العلوم والفنون ونهضة الصناعات عهدئذ بالجزائر.

المذاهب والمعتقدات

حسبنا ما اطلنا به فيما قدمناه من التفاصيل الضافية والشروح الوافية حول تاريخ العقيدة الدينية والمذاهب الفقهية فيما سلف من ابواب هذا الكتاب وفصوله التى تناولنا فيها هذا الموضوع فى مختلف ادوار التاريخ الجزائرى وتطوراته بحسب توالى الدهور والعصور، وقد ارسى سقينة الناس يومئذ حسبما ذكرناه هناك الى التدين بعقيدة الاشعرى والتمذهب بمذهب مالك تغمدهما الله برحمته

قال البكري : ولم تزل تلهسان دارا للعلماء والمحدثين وحقة الراي على مذهب مالك بن انس رحمه الله (١) ولم يخالف في ذلك الا بعض البطون والقبائل المنتشرة بشرقي الجزائر وجنوبها كاهل مدينة تهودة فانهم لم يزوالا يومئذ على راى اهل العراق وقبيلة كسامة الساكنة بجبال بجاية على راى الشيعة الاسماعيلية (٢)

(١) انظر الجزء الاول من كتابنا هذا: تاريخ الجزائر العام ص ٣٢٧ و ٣٥٠ و ٤٨١ وج ٢ ص ٣٣ والمسالك والممالك ص ٧٧ ط الجزائر ١٨٥٧

(٢) كنا المعناني اجمال الى شىء من عقائد الشيعة الاسماعيلية في كلامنا على تاريخ قيام دولتهم بالمغرب في الجزء الاول من كتابنا هذا : تاريخ الجزائر العام ص ٢٤٥-٢٤٦ و ٢٦٤-٢٦٥ واليك هنا بعض التفصيل :

ان من اثبت الاسس واهم اصول عقائد الشيعة الاسماعيلية القول بان لكل لبي وصيا، وان امر اختيار الوصي هو لله، وان الامام ضرورى للجنس البشري، وان الارض لا تخلو قط من امام ظاهر او مستور تبعا للقوة المادية التى تؤيده وتحميه، وانه لولا الائمة لما خلق الخلق وتجب طاعة الوصى والائمة من بعده طاعة شاملة لا تردد فيها والامام معصوم مثل الرسول؛ وبالغ فيه بعضهم الى ان بلغ به مرتبة النبوة بل الالوهية، مع تنزيههم لله عز وجل عن جميع الصفات التى يصفه بها اهل السنة، ويصرفون ذلك الى القلم وهو العقل الكلى.

وان ابرز ما تمتاز به هذه الفئة الاسماعيلية من بين الفرق الاخرى للشيعة هو القول بالظاهر والباطن وهو عندهم مبدأ هام به اشتهرت فرقته باسم الباطنية واستغله بعضهم ففسر القرآن على تفاسير خاصة تصل بهم الى غاية معينة

وفي تشريع الاحكام عندهم لا يقولون بالقياس، فاصبح لهم بذلك فقه يتفق ويختلف مع فقه اهل السنة، فان الحمر عندهم طاهر، وهم لا يحتمون طهارة مكان الصلاة ما دامت النجاسة لا تعلق بالثوب، ويجيزون الجمع في الصلاة بين الظهرين وبين المغربين - او العشائين من غير عذر، والقنوت عندهم في الركعة الثانية من صلاة الجمعة، ولا يجيزون القصر في الصلاة للمسافر الا اذا كان مسافرا الى مكة والمدينة والكوفة او كربلاء، وتختلف عدد التكبيرات في الصلاة على الميت تبعا لمكانته، وشهر رمضان عندهم كامل دائما وابدا ولا يتوقف الصيام والافطار على الرؤيه، والزكاة عندهم لا تجب في اموال التجار، بل يدفع الشيعة خمس ايراده للامام، ونسكاح المتعة عندهم جائز، ولا يقع الطلاق الا بشاهدين مثل الزواج، وليس عندهم في الموارث عول ولا تعصيب، وخلصوا من العول بادخال النقص على بعض اصحاب الفروض؛ فالقرباه عندهم مقدمون على

«يكرمون من مال الى مذهبهم ويبرون من وافق اعتقادهم» وان اهل جبل اوراس وسكان باغاية وفحصها وقوما من سكان نوحى بنطوس كانوا يومئذ على راي الخوارج اباضية المذهب واصيلة العقيدة [١]

وهكذا ضلت الجزائر كما قدمنا متشعبة العقائد والمذاهب الى ان اتحدت على عهد المرابطين ومن خلفهم على هذا الوطن من الموحدين فانتشر بينهم يومئذ مذهب اهل الحديث من اهل السنة وتقرر راي المالكية في ذلك ودان الناس بعقيدة الاشعرية وعم ذلك بلاد الجزائر وبقية بلاد المغرب العربي كلها غير ناحية بلاد مصاب - مزاب - من التراب الجزائري وجزيرة جربة بتونس وجبل نفوسة بطرابلس فانها بقيت متمسكة بعقيدة الخوارج الاعتزالية متمذهبة بمذهب الاباضية [٢] واما غير المسلمين فكانوا على ما هو عليه الحال الى الآن : نصارى ويهود وفي عهد سقوط وهران بيد الاسبان [١٥١٥ هـ - ١٥٠٩ م] اتخذ الكاردينال كسيمينيس بها ديرين للرهبان احدهما للدومينيكي والآخر لاهل المذهب الفرانسيسكي.

العصبه، ولعلمهم بذلك يريدون تقديم فاطمة على العباس رضي الله عنهما، ولا يورثون الجد عند وجود ابن الابن، فالاجداد والاخوة والاخوات عندهم في الدرجة الثانية بعد الابناء، فالتفت اذا انفردت وليس معها احد من الابوين فانها تحوز المال كله نصفه بالفرض ونصفه بالرد؛ وبذلك لا يشارك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم احد في ميراثها من ايديها، ولا يرث مع الام احد من الاخوة والاخوات، ومع قولهم بان قاعدة الميراث عندهم هي تقديم الاقرب فالهم يقدمون ابن العم الشقيق على العم لاب مع ان العم اقرب من ابن العم «راجع تاريخ التشريع الاسلامي للمختصر ص ٣٤٠. ٣٤١ ط مصر ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م وتاريخ الترييه الاسلاميه للدكتور احمد شلبي ط بيروت ١٩٥٤ م

ولا تزال من فقه الاسماعيلية هذه جماعات متفرقة متبذرة بانحاء الهند في كشمير وبومباي وجزيرة سرينديب — سيلان — وبلقانيستان والباكستان الغربي واليمن وشرقي افريقية وسوريا وعددهم ينيف على مليوني نسمة. ورئيسهم الحالي محمد شاه «اغاخا» المولود سنة ١٢٩٤ هـ - ١٨٧٧ م «١» المسالك والممالك للبكري ص ٧٢-٧٣ و ٨٢ و ١٤٤-١٤٥ ط الجزائر ١٨٥٧ م

«٢» راجع الجزء الاول من كتابنا هذا ص ١٧٦-٧٨ و ٢٠٢-٢٠١ والجزء الثاني ص ٣٣-٣٩

الثقافة والحضارة والعمران

تحتفظ لنا المجموعة التاريخية الكبرى التي شارك في وضعها نخبة من افاضل العلماء في القديم والحديث كالاخوين يحيى وعبد الرحمن ابني خلدون، والتنسي والغبريني، وابن مريم، وابن فرحون، واحمد بابا التنبهتي، والسخاوي والمسيطي البوني، ومحمد بن خواء المستغانمي، وشيخنا الحفناوي، ومحمد بن مخلوف التونسي، وهلم جرا.... بتاريخ سير الحركة العلمية بالجزائر، ضمن تراجم طبائفة عظيمة وعدد وافر من نوابغ العلماء وارباب القرائح الذين انجبتهم الجزائر فكرسوا حياتهم لخدمة العلم ونشر الثقافة بين هذه الارحاء المغربية وخاصة منها هذه البلاد فان حظها من هؤلاء العلماء كان موفورا وسعيهم بها مشكورا، وليس هنالك اذل على ما ذكرناه اعظم من الرجوع الى مطالعة هذه المصادر المذكورة وهي بحمد الله مطبوعة متداولة بين الناس، فلا سبيل الى انكار الجاحدين المغرضين او معارضة المكابرين؛ فلقد ساءرت الجزائر موكب العلم والمدنية جادة في ذلك حسبما سمحت لها الظروف وتيسرت لها الاسباب؛ وكانت - كما لا تزال - كلما وجدت الى ذلك فرصة اهتمزت وربت وابنت من كل زوج بهيج، وفيها كان استقرار العلوم النظرية كما قال ابن خلدون في حديثه عن الادب والعلم بتلمسان،

قال : ولمن ذكرنا من اهل المائة الثامنة انتهت طريقة التعليم، وملكة التلقى . وهو يعنى بذلك الشريف التلمساني وسعيد بن محمد العقباني رحمها الله، قال لكونهما الفا التصانيف البعيدة وزاحما رتبة الاجتهاد من غير منازع،

وقال المقرئ في تعقيبه على كلام ابن خلدون هذا : وكذلك بلغ رتبة التبريز في تحصيل العلم كل واحد من ولديهما : الفقيه السيد ابو الفضل قاسم بن سعيد، والفقيه الاوحد السيد ابو يحيى الشريف. اذ بلغا رتبة الامامة والفتياد « ١ »

واضحت الجزائر يومئذ تفاخر البشرية بابتائها البررة البارزين في الحقل العلمي تفاخرا كثيرا

ومن معاهد العلم الشهيرة بتلمسان مدارس كثيرة منها مدرسة منشار الجلد، ومدرسة ابن الامام، والمدرسة التاشفينية، واليعقوبية، ومدرسة ابى حمو الثانى، ومدرسة ابى الحسن المرينى بالعباد، والتعليم فى جميعها بمرحلة الثلاثة مجانا وذلك علاوة على ما كان يقوم به علماء الدين بالمساجد من دراسة علوم الشريعة واللغة، وللطلبة نظم وتراتب خاصة تجمعهم على حسب اختلاف اتجاهاتهم العلمية وتنوع مقاصدهم فى الطلب، والى تلمسان هذه كانت تشد الرحال فى طلب علوم الحكمة والفلسفات من نوع العلم الطبيعى والرياضيات والطب والموسيقى

فهذا عبد الباسط بن خليل المصري من علماء القرن التاسع الهجرى هجر بلاده وارتحل الى الجزائر ليستكمل بها معلوماته فى الطب فنزل بتلمسان واخذ بها عن الشيخ محمد بن على بن فشوش احد اطبائها فى المزاولة والدرس، كما انه لازم بها دروس طبيها الاكبر وحكيمها العالم الاسرائيلى موسى بن الاشقر؛ قال : « لا ريت كمثلته فى مهارته فى هذا العلم وفى علم الوقى والميققات وبعض العلوم القديمة وقصده كثير من الفضلاء للاخذ عنه قال : لازمته مدة واخذت عنه نبذة كبيرة نافعة فى الطب وغيره واجازنى، وبلغنى عنه فى هذه الايام انه انتهت اليه الرئاسة فى الطب بتلمسان » « ١ » بينما الامر فى بلاد الجزائر على ذلك اذا ببلاد الاندلس - وما ادراك ! - كانت على خلاف ذلك، فان لكل العلوم هنالك حظاً واعتناء خاصا الا الفلسفة والتنجيم فان لها حظا عظيما عند خواصهم ولا يتظاهرونها بها خوف العامة فانما كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة و يشغل بالتنجيم اطلقت عليه العامة اسم زنديق وقيدت عليه انقاسه « ٢ » وان

« ١ » الروض الباسم لعبد الباسط بن خليل ص ٤٤ ط باريس ١٩٣٦م

« ٢ » نفح الطيب ج ٢ ص ١٠٧ ط مصر ١٩٣٦م

كان مزاج الامة الجزائرية مع ذلك عموما ذا صبغة دينية محضة حسبا دلتنا على ذلك اكثر آثارها الادبية واتاجها في عالم التأليف

واشتهر يومئذ من اطباء تلمسان الادباء الذين سمح لهم القدر بجمعهم بين جبر وهن الاجسام ومواسات جراحت القلوب والارواح؛ الطبيب الاديب الحاج ابو عبد الله محمد بن ابي جمعة التاليسي، طبيب ابي حمو «الثاني» فانه علاوة على براعته في الطب ومهارته في العلاج كان اديبا متقنا ينظم الشعر الجيد ويحسن قرضه؛ ولم في كل المناسبات والاحداث التي تقع بقصر السلطان قصائد رشيقة وموشحات رائعة، منها قوله في مطلع موشح رفعه الى السلطان ابي حمو يوم الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم سنة سبع وستين وسبعمائة [١٣٦٥م]

لى مدمم هتان	ينهل مثل الدرر
قد صير الاجفان	ما ان لها من اثر
حق له يجرى	دما على طول الدوام
مذجد في اليسر	ناس الى خير الانام
وعاقنسى وزرى	يا صاح عن ذاك المقام
وسارت الاضعان	يحدى بها في السحر
فاستبشر الركبان	بقرب نيل الوطر

ولقد مرت بك بعض قطع من شعر ملوك هذه الدولة وادبائها الدالمة على تضلعهم وتمكنهم من صولجان دولتي السيف والقلم فراجعها (١) وذكر بعض المؤرخين عناية السلطان ابي حممو الثاني بالعلم واهله فقال : هذا امر

(١) ذكر روبرتسون في كذابه تاريخ شارلكان : ان «دجلسين» رئيس الجيوش الفرنسية واعظم رجال عصره في القرن الرابع عشر الميلادى - الثامن الهجرى - كان اميا ، وان «هريون» اعظم قضاة الدولة كان كذلك اميا؛ قال وانهم عثروا على عدة قوانين ووثائق صادرة عن اهل الطبقة الاولى من الاعيان يستدل منها انهم كانوا أميين

يقصر اللسان عن الاحاطة به. (١)

واما العمران فحججنا فيه ما كانت عليه يومئذ عاصمة المملكة الجزائرية - تلمسان - من كثرة المنشآت وتعدد انواعها على اختلاف اصنافها واشكالها، فهذه قصور شامخة، وهذه مدارس موقنة، ومساجد فسيحة مزخرفة، وتلك منتزهات جميلة، وهناك دور رفيعة وحصون منيعة، ومصانع عجيبة وحدائق غناء... وكل ذلك مضبوط لدينا فيسا حررت مصادر التاريخ الموثوق بها ونطقت به الارقام والاحصاءات الصحيحة الثابتة (٢) وزد الى ذلك ما ذكره في قصر المشور وما كان عليه من الابداع، وما عثر عليه هنالك من الزلايج والنقوش المزخرفة على الجبس منها ما بقي موجود الى الآن ومنها ما اندثر

ويذكر اهل التاريخ ان عدد مساجد مدينة تلمسان في عهدها الزاهر اناف على الستين مسجدا، كان من بقاياها ما نشاهده اليوم من هذه العترة الباقية الى اليوم كدلالة على تقدم الحضارة والعمران بالجزائر في ذلك العهد السحيق، منها هذا الجامع الاعظم الذي انشأه المرابطون في جمادي الثانية سنة ٥٣٠ هـ «مارس ١١٣٦ م» كما هو منقوش بباطن قبة المسجد، على ان منارة متأخر عنه بنحو سبعين سنة، ثم كان تجديد المنارة المذكور على عهد يغمراسن بن زيان مؤسس دولة بنى عبد الواد الزبانية، ويبدو على زخارف ونقوش هذا الجامع انها من صنع نحّاتين اندلسيين كما يلاحظ ان محرابه قريب الشبه بمحراب جامع قرطبة والمسجد الذي اقامه السلطان ابوحمو الثاني على ضريح سيدي ابراهيم. وهو معروف به الى الآن، وذلك المسجد البديع الشكل الجميل المنظر الذي انشأه السلطان ابو سعيد عثمان بن يغمراسن الزباني سنة ٦٩٦ هـ «١٢٩٦ م» وهو المعروف بجامع سيدي ابي الحسن بن يخلف التنسي، اقامه السلطان المذكور كذكرى للامير ابي عامر ابراهيم، وكان

(١) انظر نحلة اللبيب ص ١٦٦ ط الجزائر ١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م

Marçais W et G les monuments arabes de Tlemcen Paris 1903

Marçais G - manuel d'art Musulman «l'architecture» Paris 1926-27

(٢) راجع

لفرط بهجة هذا المسجد وتفوقه بزخرفته ونقوشه الانيقة حولها الفرنسيون المحتلون عن وضعيته والغاية التي انشأ من اجلها وصبروه متحفا للآثار، ومنها مسجد سيدى الحوى الجميل الذي انشأه السلطان ابو عنان فارس المرينى سنة ٧٥٤هـ (١٣٥٣م)؛ وما انشأه والده السلطان ابو الحسن على المرينى بضاحية المباد سنة ٧٤٨هـ (١٣٤٧م) من تلك المجموعة الاثرية الفنية الثمينة المحيطة بضريح الشيخ ابي مدين شعيب بن الحسين الاندلسى (٥٩٠هـ - ١١٩٣م) المحتوية على ذلك الجامع المزخرف الزاهر، وتلك المدرسة الانيقة والقصر المنيف؛ ويذكر لنا الشيخ ابو راس المعسكرى في كتابه او قل شرحه على نظمه الحاصل السندسية ان الجامع الاعظم بالجزائر هو ايضا من مؤسسات بنى زيان وان مؤسسه هو ابو تاشفين الاول اقامه بمكانه هذا يوم انتصاره على اعدائه وخصومه الثعلبية بمتيجة، وهذا خطأ محض لاحجة فيه، فلقد سبق ان ذكرنا في تاريخ دوله بنى مرين بالجزائر ان هناك جناحا انشأه السلطان ابو الحسن المرينى زيادة في الجامع المذكور [١] وعليه فان الجامع كان موجودا قائما قبل قيام دولة بنى زيان... واين هذا مما ذكره ابو راس...؟ على ان المستفيض الشائع على السنة علماء الآثار والتاريخ من الباحثين الافرنج وما هو مكتوب مدون في مؤلفاتهم ان تاريخ الجامع هذا يعود الى عصر المرابطين (٤٩٠هـ - ١٠٩٦م) وانه ملحق في شكله وهندسته المعمارية بجامع تلمسان المنسوب الى على بن يوسف بن تاشفين امير دولة المرابطين وذلك هو ما جزم به الدكتور «م، س، ديمان» امين مجموعة الشرق الادنى بمتحف الميتروبوليتان في عاصمة نيويورك الامريكية، حيث قال في معرض كلامه على تاريخ فن الحفر والنقش على الخشب بشمال افريقية :

«انه لا تزال بشمال افريقية عدة منابر هامة ترجع الى القرنين الحادى عشر والثانى عشر واقدم هذه المنابر منبر المسجد الجامع بالجزائر الذى بناه المرابطون

(١) راجع المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق الخطيب «مخطوط»

سنة ١٠٨٢ (٤٧٤هـ) وتتكون زخارفها من حشوات مربعة تزينها زخارف هندسية متشابكة واشجار نخيلية وتواريق في اسلوب مغربي اسباني، حملها الى شمال افريقية الفنانون الاندلسيون» (١) ولا يزال هذا المنبر موجودا الى اليوم بمكانه من الجامع المذكور تمام عليه الخطب الجمعية وفي الاعياد، ولا يزال نص تاريخه مكتوبا على بابها بالخط الكوفي هكذا «بسم الله الرحمن الرحيم تم هذا المنبر يوم فاتح رجب من سنة سبع واربعمائة عمل محمد» وهو ما يوافق من التاريخ الشمسي [٤ دسمبر ١٠١٦ م] اي في عهد دولة صنهاجة، وهناك من يزعم ان تاريخ المسجد هو ما ذكرناه من تاريخ المنبر؟.... وايا ما كان فلا ارى صحة ما ذكره ابو راس من نسبة بناء المسجد الى ابى تاشفين الزياني؟...

اجل هناك بالجامع المذكور رخامة ثابتة عند باب منارة منحوت فيها بالخط المغربي البارز ذكر اسم السلطان ابى تاشفين الاول ولكن ذلك هو تاريخ المنار منه فقط لا المسجد، ودونك نص النقش الموجود فيها بالحرف: «لماتم امير المسلمين ابو تاشفين ايد الله ونصره منار الجزائر في مدة او لها يوم الاحد السابع عشر من ذي قعدة من عام اثنين وعشرين وسبعمائة؛ وكان تمامها وجمالها في غرة رجب من عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة نادا المنار المذكور بلسان حاله الخالى الى منار حاله كحالى

اقام امير المسلمين تفافحا	كساني بها حسنا وتمم بنياني
وقابلني بدر السماء وقال لي	عليك سلامي ايها القمر الثاني
فلا منظر يسبي النفوس كمنظري	الا فانظروا حسني وبهجة تيجاني
فزاد الهى رفعة لمتممسي	كما زاد في شأني ورفع اركاني
ولا زال نصر الله حول لوائه	رفيقاله تال وحسنا له ثاني

ولعل الشيخ ابا راس اطلم على هذه الكتابة المنحوتة بهذه الرخامة فظن أنها

(١) الفنون الاسلامية ص ١٢٩ ط مصر ١٩٥٤م

تاريخ المسجد؟ ...

على ان ناحية القبلة منه والقبلة القائمة فوق محرابه هما من منشآت العهد التركي في القرن الحادى عشر الهجرى - السابع عشر الميلادى - بناهما المفتى المالكى في التاريخ على حسابه طيب الله ثراه، وذلك اثر حادثة حربية وهجوم بحرى ضد مدينة الجزائر فسقطت القنابل على جدار القبلة من المسجد فتهدم الصف الامامى منه فجدده المفتى من ماله الخاص بعد بيع املاكه

ويذكر عن السلطان ابى تاشفين الاول انه كان من اشد ملوك هذه الدولة عناية وولوعا بالتعمير فانه قام بتأسيس كثير من المعالم والمعاهد، واغلبها اليوم اطلال دارسة، منها مدينة «تاميزدكت» بشمال الوادى الكبير - سومار - قرب محطة السكة الحديدية من مدينة القصر، انشأها ابو تاشفين سنة ٧٢٦ هـ «١٣٢٥م» وجعلها قلعة حصينة ومركزا حربيا لمقاومة الحفصيين ببجاية، اسكن بها نحو ثلاثة آلاف ومائتى فارس وشحنها بالميرة؛ ثم كان تقويضها سنة ٧٣٣ هـ «١٣٣٢م» على يد خصومه الحفصيين بمؤازرة مرين، ومثلها بتلمسان بناية دار الملك ودار السرور وابى فهر، والمدرسة التاشفينية، وكلها تلاشت وانعدمت الا الحوض او الصهريج الذى ترى بقية منه غربي تلمسان البالغ طوله مائتى وعشرين مترا وعرضه مائة وخمسون مترا فى عمق ثلاثة امتار فانه حافظ على وجوده الى الآن وكان انشاؤه حوالى سنة ٧١٦ و ٧٢٨ هـ «١٣١٣-١٣٣٦م» وقد كان يستعمل هذا الحوض للسباق بين الزوارق والقوارب في ايام الاعياد والمواسم والاحتفالات الملكية كما هو مستعمل للسقى والري؛ ويقال ان انشاءه كان لاجل تمثيل وقعة قتال بحرية للسلطان؟ ...

كما يذكر عن ابى حمو الاول انه احدث بتلمسان سنة ٧١٧ هـ ١٣١٨م قصبة خصها بسكنى من عنده من رهائن ابناء زعماء القبائل الذين هم تحت طاعته وامره وهم كثيرون؛ فانشأ لهم هذه القصبة على شكل مدينة محتوية على

جميع المرافق والضروريات التي تتبنى عليها حياة المدن من اسواق ومساجد الخ... واذن لساكنيها بالزواج فكانت تعج باصحابها وتضج ضجيج العواصم الكبرى وصارت بذلك كما يقول ابن خلدون من اغرب ما يحكى في العصور عن سجن

وعلى هذا المنوال كان ابتناء زاوية الشيخ ابراهيم التازي بوهراڻ ٨٦٦ هـ ١٤٦٢ م فانها كانت علاوة على ما هو معهود في الربط والزوايا من كثرة البيوت والمقاصر وتعدد مساكن اللاجئين والفقراء الخ... فإن فيها ايضا مدارس ومساجد وحمامات وصهاريج وبساتين ومخازن وخزائن كتب وسلاح الخ... فاذا كانت هكذا بنايات الشعب والرعية فكيف تكون أبنية الملوك ؟ وان هذه المباني والآثار كما يقول الدكتور غوستاف لوبون : تظهر بين اضمن مصادر التاريخ، فهي كتب لا تكذب ابدا، وهي تشتمل على لغة بالغة الوضوح، بيد انه لم يبدأ في ادراكها في غير ايامنا،

ولقد ضبط اهل الاحصاء مساكن من منازل السكنى بوهراڻ قبل الاحتلال الاسباني بعشر سنوات فبلغ الى ستة آلاف دار؛ اما عدد المتاجرا ولخوانيت فانها انافت على الف وخمسة مئتين، ويضاف الى ذلك طبعا عدد مناسب من الفنادق والحمامات والافران والرحاب والقاعات والمصانع والمطاحن والاسواق والمساجد والمدارس وهلم جرا مما تقتضيه مرافق الحياة، وقد يكشف لنا فن المعمار احيانا عن عناصر التاريخ التي لا تحدث عنها الكتب

قال يحيى بن خلدون وهو ممن عاش بهذا العصر الذي نؤرخه ولاس ملوكه، يصف تلمسان: «وبها للملوك قصور زاهرة اشتملت على المصانع الفاتكة، والصروح الشاهقة والبساتين الرائقة مما زخرت عروشه ونمقت غروسه، وتناسبت اطواله وعروضه فازرى بالخورنق والسين وبالجلمة فان تلمسان اصبحت كما يصفها المؤرخ الكبير اخوه عبد الرحمن : اعظم امصار المغرب ونفقت بها اصناف

العلوم والصنائع وضاهت امصار الدول الاسلامية والقواعد الخلافية.
 وذكروا مثل ذلك عن مدينة وهران بما فيها من المؤسسات العامة
 ومراكزها التجارية المتنوعة ومساجدها ومنتزهاتها الجميلة ومدارسها الشبيهة بمدارس
 غرناطة واشبيلية كما وصفها الكاتب الاسباني «الفاريز قوميز» *Alvarés Gómez*

انهيار دولة بني عبد الواد الزيانية

حياة الدول او الامم هي كحياة الافراد كل يعانى منها ما يعانى الآخر من
 تقلبات الزمان وضرباته وتقلباته من حال الى حال وتطوراته المستمرة الى غير
 ذلك من النوااميس والعوامل الطبيعية فتولد وتنمو وتدور ايامها ما بين سعادة
 وشقاء وراحة وعناء، وبؤس ورخاء وقوة وضعف وارتقاء وانحطاط وحياة
 وموت، سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا.
 واذا علمت كيف كانت وضعية الجزائر السياسية والاجتماعية في اواخر عهد
 الدولة الزيانية من التششت والاضطراب وما احاط بها يومئذ من الفتن والمشاكل
 المتنوعة المهددة، بسبب تضافر الدول المجاورة على محققها وتسابقها الى محوها
 والقضاء عليها، مع اعتداءات القبائل العربية والعشائر البربرية المتكررة،
 وتزاحم المشيخة والقادة على الرئاسة وتبعب مصالحهم ومنافعهم الخاصة بدون
 مبالاة ولا التفات الى مصالح الشعب والوطن، فاذا علمت كل ذلك تيقنت وان الدولة
 الجزائرية يومئذ اشرفت على الهرم لاحالة بل انها ولا ريب ذاهبة الى التدهور والزوال.
 وزد على ذلك مضايقات الانراك والاسبان وحمولاتهم وحروبهم المتوالية
 بالجزائر مع تطلع دولة الاشراف السعديين الى امتلاكها وضمها الى مملكتهما المغربية
 مع انهماك الدولة الزيانية يومئذ واستغراقها في حروبها الداخلية لرد هجمات
 المنشقين وقمع طوائف الثائرين ودفع غاراتهم المتكررة....
 فاذا استحضرت ذلك كله ودرسته على ضوء ما قدمناه لك من الحوادث

والاحداث المنسقة الاخذة برقاب بعضها بعض، ادركت النتيجة المحتملة والعاقبة المنتظرة لهذه الدولة او غيرها ممن كان على شاكلتها ووضعيتها هذه... وذلك لا محالة غاية كل من احاطت به مثل هذه العوامل الهدامة وتدافعت الاقدار الى هاتيك الاطوار، وطرحته بين مخالب تلك الزوابع والزعازع الفتاكة

واذا اضفت الى ذلك ما كان يومئذ بين ملوك هذه الدولة نفسها من التنافس والتزاحم على العرش والاستئصال بالاجنبي على بعضهم بعض مع انقسامهم واشغالهم بانفسهم عن العدو، هان عليك حينئذ الحكم بالمصير....

وكان لزاما ان تتساقط اوصال هذه الدولة وتتفكك وحدتها وتنحط عن قمة مجدها الى الحضيض صريعة منكسرة الجناح... وفعلا وقعت من عليها مجدها بيد الاتراك العثمانيين سنة ٩٦٢هـ (١٥٥٤م) كما سيرد عليك تفصيله فيما يقصه عليك في محله من تاريخ الاتراك بالجزائر

ولاية الجزائر وزعمائها

اشتهر من ولاية هذه الدولة وزعمائها ورؤساء العشائر وقادتها وشيوخ القبائل وساداتها : الرئيس القاضي ابو محمد عبدون الحباك حاجب يغمرا من بن زيان، ومن اعيان الوزراء والحجاب يحيى بن محسن او - مقن - ؟ وأخوه عمروش وولداه يحيى وعمر، ويعقوب بن جابر ورحو بن محمد الخراساني، ولقد كان تدويخ مدينة تدلس واطاعتها لبنى زيان على يد جابر الخراساني هذا سنة ٧٥٣هـ (١٣٥٢م)، ومنهم الوزير غانم بن محمد الراشدي، ومعروف بن الفتوح التجاني، ويحيى بن موسى الحمي ومحمد بن ميمون بن الملاح وولداه من بعده الاشقر قابراهيم وعمه على بن عبد الله

كان آل الملاح هؤلاء من بيت محب وحسب من اهل قرطبة الاثرياء، اكتسبوا ثروتهم بطريق الزراعة والفلاحة، واشتهروا بالصدق والعفاف وحفظ الامانة

والتدين فاختارهم ملوك هذه الدولة للعمل بدار الضرب في تلمسان، وعرف من بينهم اثنان: عبد الرحمن بن محمد الملاح متولى الاشغال على عهد يغمراسن بن زيان، ومحمد بن ميمون الوزير، ثم كان انقراض هذه الاسرة يوم اغتيال السلطان ابي حمو الاول سنة ٧١٨ هـ «١٣١٨م»

ومن الوزراء العاليج القطلاني المعروف بالشدة وشراسة الاخلاق، ولما حج سنة ٧٢٥ هـ «١٣٢٥م» اناب عنه الحاج ابا عبد الله محمد بن حوتية ثم اعتقل ومات في السجن، ومنهم الحاج ابو عمران بن موسى بن برغوث اللؤلؤي وابو عبد الله محمد بن عامر الولهاسي وابو عبد الله محمد بن سعود، وابو محمد عبد الله بن مسلم، ويحيى بن داود بن علي من آل ابن مقن وعبد الله الزردالي المشهور بالبسالة والاقدام، ومنهم منصور بن ابي غانم آخر وزراء الدولة الزيانية وأخوه عبد الله سفير الدولة الى اسبانيا

ومن اصحاب الاشغال: ابو زكرياء يحيى بن محمد؛ وابو المكارم منديل بن المعلم وابو زيد عبد الرحمن بن مخلوف الشامي، وعبد الرحمن بن النجار مدبر مملكة السلطان محمد بن ابي ثابت

ومن الكتاب العسكريين والمدنيين ايضا: محمد بن غالب قتل يوم ثورة النصاري على السلطان يغمراسن بن زيان. فتولى بعده ابو عبد الله محمد بن جدار، ثم ابو بكر محمد بن عبد الله بن خطاب المرسى المتوفى يوم عاشوراء ٦٨١ هـ «٢٠ افريل ١٢٨٢م». وابو عبد الله محمد بن المعلم، وابن خميس شاعر الجزائر واديبها الكبير في القرن السابع، وابو عبد الله محمد بن المرقوم الهسكوري، وابو عبد الله بن مدورة، وعبد الواحد بن محمد الزواق، نكب في دولته الاخوين السلطان ابي سعيد وابي ثابت، فخلفه علي بن محمد بن سعود، وابو عبد الله محمد بن علي العصامي، واحمد بن الحسين المديوني، وابو عبد الله محمد القيسي المشهور بالمشوش، ثم نقل هذا الى امانة المال على عهد ابي حمو الثاني

وفي سنة ٥٧٦٩ هـ «١٣٦٨ م» دعا السلطان ابو حمو الثاني لحجابه الفيلسوف العالم المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون فحالت بينهما العوائق وعاقبت المؤرخ الموانع فاناب عنه اخلا يحبى فشغلها الى ان قتله ابوتاشفين الثانى سنة ٥٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) وتجددت دعوة ابى حمو لابن خلدون سنة ٥٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) ليقوم له بالسفارة لدى عرب الدواودة؛ فامتنع وآثر التخلّى عن السياسة والانقطاع للدرس والبحث والتأليف فنزل باهله وولده قلعة ابن سلامة. او بنى سلامة (١) فأقام بها اربعة اعوام اكمل فيها تأليف مقدمة تاريخه الحافلة، ثم استجاب بعد ذلك لطموحه السياسى البعيد وغريزته الوثابة الجاحجة فلبى دعوة ابى حمو واخذ فى بث دعوته فى البلاد ونشر مناقبه بين اهل بجابة وما حولها من القبائل عاملا على تحويلهم من جانب ابى العباس الحفصى وتوجيههم الى ناحية السلطان ابى حمو.

خرج ابن خلدون صحبة امير بسكرة ومن استمالهم اليه من الزعماء ومشائخ العرب فى جموعهم الكثيرة متوجهين الى نصرة السلطان ابى حمو؛ وكان اللقاء بينهم وبين السلطان فى مدينة البطحاء - البسيط الواقع بين مدينة غيليزان ووادى شلف - فلازمهم ابن خلدون مدة الى ان اظلمهم عيد الفطر هناك فخطب ابن خلدون وصلى بالسلطان صلاة العيد ثم انشده عند انصرافه

(١) المعروفة الى الآن بقلعة تاوغزوت، تقع على نحو ستة كيلومترات بالجنوب الغربى من مدينة فرندة الواقعة على وادى التحت بمقاطعة وهران من بلاد الجزائر، كما تبعد ايضا عن مدينة تيارت الحالية بالجنوب الغربى بتسع مراحل، وكان مسكن ابن خلدون منها بقصر ابى بكر بن عريف، وهو من احفل القصور وافتقها؛ اقام به مؤرخنا الجليل اربع سنوات اكمل فيها تأليف مقدمة تاريخه العجيبة النفيسة، واما سلامة الذى تنسب اليه القلعة المذكورة فهو سلامة بن على بن نصر بن سلطان رئيس بنى يملتن من بطون توجين، سكن تاوغزوت واختط بها القلعة فنسبت اليه وكانت من قبل رباطا لبعض العرب المنقطعين من بنى سويد، انظر ابن خلدون

من المصلى قصيدة في التهئة بالعيد وفيها حث وتحريض للسلطان، طالعها :

هذي الديار فجيهن صباحا وقف المطايا بينهن طلاحا
لا تسأل الاطلال ان لم تروها عبرات عينك واكفا ممتاحا
فلقد اخذن على جفونك موثقا ان لا يرين من البعاد شحاحا
ايها على الحى الجميع وربما طرب الفؤاد لذكرهم فارتاحا

ثم تغير نظر ابن خلدون الى ابي حمو فانقلب على صاحبه وتحول الى السلطان عبدالعزيز بن السلطان ابي الحسن المريني ملك المغرب الاقصى وانتظم في سلك الحملة التي بعث بها الملك لغزو تلمسان ومحاربة ابي حمو صديق ابن خلدون بالامس....

وكان على قيادة الجيش ورئاسة الجند يحيى بن موسى السنوسي الذي طالما تولى القيادة فاحتوى عليها غالبا، وهو الذي فتح تونس سنة ٧٢٩هـ [١٣٢٩م] وكان من قبل عاملا للزبانيين على ولاية شلف الممتدة من حدود مدينة دلس الى المدينة، وكبير القادة موسى بن علي الغزي؛ والقائد عيسى بن مزروع الياتكشي؛ والامير ابو سرحان مسعود الزباني؛ واجتمع لموسى الكردي كل من منصبى القيادة والحجابة معا، وكان يعيش بن راشد المجني قائدا بالجزائر ودلس، وعطية بن موسى الركاب قائدا بشلف، وواتفل بن عبو بن حماد قائدا بمدينة، كما تولى القيادة بها ايضا يوسف بن حسين التجاني؛ وقائد بني راشد : زيان بن ابي يحيى بن وزمان، وقائد منداس ووانشريس : ابراهيم المصوجي، وقائد وجدة : موسي بن خالد بن محمد، وقائد ندرومة : زكرياء بن يخلقتن المطغري، وقائد سجلهاسة : عبد الملك العبد الوادى المقتول يوم فتح المرينيون سجلهاسة ٦٧٣هـ [١٢٧٤م] ويحيى الزعيم عامل مستغانم، وابن اخيه داود كبير اهل الشورى؛ وكان المنتصر بن ابي حمو الثاني واليا على مليانة والجزائر، كما تولى منصب مليانة ايضا الامير محمد بن يوسف بن يغمراسن، وكان على بجاية ابو هلال عيساد

المتوفى سنة ٦٧٣ هـ [١٢٧٤م] وعبد الرحمن بن رضوان وصى العرش الزياني أيام المولى محمد، والقائد احمد بن سليمان، والقائد ابراهيم، والقائد ابو الاخراس اسير الاسبان.

واشتهر من شيوخ العرب ورؤسائهم يومئذ سليمان بن موسى اليزيدي رئيس بني يزيد، واستعمل السلطان ابو حمو الاول على توجين الحشم : يوسف بن حيان الهواري واعطاه الطب والبلد، كما استعمل حاجبه، مساحباشاف وبلاد مغراوة وكان راشد بن محمد المغراوي على ناحية وادي شلف

وكان على رئاسة القبائل العربية كل من عبد الله بن شيقر، وسعد بن العباس، وزبان بن يعقوب، وزيري بن رحو، ومنديل بن ابي يحيى الصغير وكانت رئاسة منطقة ما بين مدينة قسنطينة والقل والزاب والحضنة للدواودة، وواحاح تقرت وواد ريع لبنى جلاب، ورئاسة بلاد القبائل - زواوة - لسلطان كوكو المقيم بقرية آيت يحيى على بعد ثمانية كيلومترات شرقي بلدة ميشلى

وكانت رئاسة مشيخة الجزائر لبني علان، ثم انتقلت منهم الى بني سالم بن ابراهيم من الثعالبة، ومنهم سالم التومي آخر ولاية مدينة الجزائر على عهد بني زيان . وكانت ولاية سهول شلف لبني ثابت بن منديل المغراوي . وقد كان ثابت هذا على ولاية برشك فأوقع به السلطان ابو سعيد لغدر صدر منه سنة ٦٩٣ هـ (١٢٩٣م) ، ومنهم اخوة ثابت بن منديل : محمد وعمر وعابد، وكلهم تولى رئاسة مغراوة؛ وكان من مشمول هذه الولاية مدينة مليانة وتنس وما زونة وبرشك وشرشال، وآخر من تولاهما منهم على بن هارون ٧٧٤ - ٧٧٦ هـ (١٣٧٢ - ١٣٧٤م) حاصره ابو تاشفين بن ابي حمو واخرجه من ارض مغراوة في ربيع الاول - اوط - من التاريخ المسطور فلحق ببجاية ثم ارتحل عنها الى الاندلس وبذها به انقرضت امارة بني منديل من مغراوة وكان على

ولاية وهران كعامل ومدير لشؤونها على عهد السلطان احمد المعتصم بن ابي حمو المسمى محمد الزكاجي

وكانت رئاسة واركلان- بني ورجلان- في آل بني ابي عبدل. ويعرف عندهم الرئيس بلقب السلطان، ورئاسة توجين في آل عبد القوي بن العباس من بني منكوش وفي بني تيغري كذلك واولاد عزيز ايضا

وكانت رئاسة قلعة تاوغزوت قرب فرندة في بني سلامة بن علي بن نصر الى ان خربها ابو حمو الثاني سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٨ م) ومن رؤساء برشك زيرم بن حماد المكلاطي المستبد بها سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) فقتله بنو عبد الواد سنة ٧٠٨ هـ (١٣٠٨ م)

واشتهر من السفراء العلامة ابو عبد الله محمد الشريف التلمساني؛ وداود بن مجن، وعبد الله بن محمد بن ابي غانم، في آخرين لم تحضرني الآن اسماءهم....

ملوك الدولة الزيانية

في الدور الثالث والاخير

تاريخ التولية

١٥١٧ - ٩٢٣ هـ

١٥١٨ - ٩٢٤ هـ

١٥١٩ - ٩٢٥ هـ

١٠٠٠ - ١٠٠٢ هـ

١٥٢٤ - ٩٣٠ هـ

١٥٤٢ - ٩٤٩ هـ

١٥٤٤ - ٩٥٠ هـ

١٥٤٤ - ٩٥٠ هـ

١٥٥٠ - ٩٥٧ هـ

ابو زيان احمد «الثاني»

ابو محمد عبد الله «الثاني»

ابو السرحان المسعود

ابو محمد عبد الله «للمرة الثانية»

ابو عبد الله محمد «السابع»

ابو زيان احمد «الثالث»

ابو عبد الله محمد «السابع» - للمرة الثانية -

ابو زيان احمد «الثالث» - للمرة الثانية - عامل عثماني -

الحسن بن عبد الله «الثاني»

استيلاء صالح رئيس باشا على تلمسان نهائيا ٩٦٢ هـ - ١٥٥٤ م

مشاهير الجزائريين

ابو الفضل محمد المشدالى

٥٨٦٤ هـ (١٤٦٠ م)

هو اواحد زمانه وعلامته عصره وآوانه الشيخ ابو الفضل محمد بن محمد بن
ابى القاسم المشدالى - بفتح الميم والشين المعجمة وتشديد الدال، نسبة الى مشدالة
احدى قرى بجاية -

ولد المترجم ببجاية ليلة النصف من رجب سنة عشرين و قيل احدى اوائنتى
وعشرين وثمانمائة للهجرة [١٤١٧ م] في بيت علم وصلاح، مشهور من قبل
بانقطاع اهله الى التدين والتقوى وخدمة العلم، فكان ممن ذاع صيته من العلماء
من آل المشدالى بهذا البيت: ابو على ناصر الدين المشدالى، وابو موسى عمران
المشدالى ووالد المترجم عالم ببجاية وخطيبها ابو عبد الله محمد بن ابى القاسم
المشدالى، واخوه الشقيق محمد بن محمد المشدالى.....

نشأ ابو الفضل على غرار اسلافه شغوفاً بالادب والعلم والحكمة،
متوقداً ذهنه ملتهب الذكاء، واعياً قوى الحافظة، أخذ القرآن الكريم بروايته
السبع عن والده وحفظه في سن مبكرة من صباه تدعو الى الدهشة والاعجاب
فلقد روى انه ابتداء حفظ القرآن ببجاية في السنة الخامسة من عمره واكمل

حفظه في سنتين ونصف، بل ذكر الرواية انه حفظ سبع قبل ان يتهجى بغير اقراء له وانما هو بسماعه ممن يدرسه [١]

وكان ممن اخذ عنهم القراءات الشيخ الامام ابو عبد الله محمد بن ابي رفاع، وقرأ لنافع عن الشيخين هرون المجاهد وابي عثمان سعيد العيسوي وغيرهما، واكب كذلك على حفظ المتون ودواوين الادب صغيرا فاستظهر منها الشاطبييان ورجز الخراز في الرسم والكافية الشافية، والخلاصة، ولامية الافعال، والجل من كتاب التسهيل كلاهما لابن مالك، ومتن ابن الحاجب الفرعي، والرسالة، وارجوزة التلمساني في الفرائض ونحو الربع من مدونة سحنون، وطواله الانوار في اصول الدين للبيضاوي، ومتن ابن الحاجب الاصلى وجمال الحونجى والخزرجية في العروض وتلخيص ابن البنا في الحساب وتلخيص المفتاح وديوان كل من الشعراء الخمس : امرئ القيس والنابعة الذبياني وزهير بن ابي سلمى وعلقمة الفحل وطرفة بن العبد.

ثم اخذ في البحث والدرس والتفهم لما حفظ من كتب العلم والادب فاختلف الى المشائخ ولازم منهم الشيخ ابا يعقوب يوسف الريعى فأخذ عنه علم الصرف والعرض، ثم اخذ عن ابي بكر التلمساني فنون اللغة والمنطق والاصول والميقات وعن ابي بكر بن عيسى الوائش ريسى اخذ الميقات ايضا

(١) يرى دارس تاريخ الحضارة والثقافة الاسلامية في مختلف بلاد العالم الاسلامى ان مثل هذا النوع من الذكاء وسرعة الحفظ في مقتبل العمر كان معروفا به كثير من العلماء المتقدمين كابن سينا فانه اتقن علم القرآن والادب وحفظ اشياء من اصول الدين وحساب الهندسة والجبر والمقابلة وعمره عشر سنين، وحفظ قيادة القرآن في سبعة اشهر، واتم سهل بن عبد الله التستري حفظ القرآن وعمره ست او سبع سنوات، واكمل تاج الدين الكندي القراءات العشر وله عشرة اعوام، وذهب عمر بن احمد العديم الى المكتب وعمره سبع سنين وختم القرآن وله تسع سنين وقرأ بالعشر وله عشرة سنين، وحفظ الامام الشافعى القرآن وهو ابن سبع سنين وحظ لموطأ وله احدى عشرة سنة ٠٠٠ انظر ابن خلكان ج ١ ص ١٩١ والعقد الفريد ج ١ ص ٢٦٧ والاحياء ج ٣ ص ٥٩ والدارس ج ١ ص ٤٨٣-٤٨٤ ومجموع الادباء ج ٦ ص ٣٦

ثم علي يعقوب التبروني النحو؛ ثم علي ابي اسحاق ابراهيم بن احمد بن ابي بكر في النحو والمنطق، ثم علي موسى بن ابراهيم الحسناوي في الحساب ثم الحساب ايضا مع الصرف والنحو والاصلين والمعاني والبيان وعلوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه علي والده ابي عبد الله ثم الاصلين علي ابي الحسن علي بن ابراهيم الحسناوي - لعله اخو موسى المتقدم الذكر؟

ويذكر عن ابيه انه امره بمطالعة غزوة بدر ليحاضر بها في الميعاد فحفظها المترجم برمتها من سيرة ابن اسحاق بما فيها من الاشعار وحاضر بها من العشاء الى نصف الليل واصبح فساقها حتى بهر الحاضرين

ولما كان عليه الشيخ من الطموح الى ارتقاء المعالي والرغبة الجامعة في نيل مقام اكابر العلماء تباقت نفسه الى التبحر والتعمق في العلم فتعلقت همته بالرحلة والتغرب للقاء المشيخة كما هي سنة السلف في ذلك؛ فارتحل من بلده الى تلمسان سنة ٨٤٠ هـ (١٤٣٦ م) وهناك اجتمع باهل النظر والفضل من حضنة العلم واولي العرفان، وكان من اشهر من اخذ عنهم يومئذ من علمائها عشرة : ابن مرزوق الحفيد فاخذ عنه التفسير والحديث والفقه والاصلين والادب بقانونه والمنطق والجدل والفلسفيات والطب والهندسة، واخذ عن ابي القاسم بن سعيد العقباني الفقه واصول الدين، وعن ابي الفضل بن الامام التفسير والحديث والطب والعلوم القديمة - الحكمية - والتصوف، وعن ابي العباس احمد بن زاغو التفسير والفقه والمعاني والبيان والحساب والفرائض والهندسة والتصوف، واخذ الاصول عن ابي عبد الله محمد بن النجار المعروف بساطور القياس؛ وذلك لشدة معرفته بهذا الفن، وكان مما قرأه عليه من كتب هذا الفن مختصر ابن الحاجب الاصل، وكان مرجع الناس اليه في امر المختصر هذا، ولقد تمكن المشدالي من فن الاصول حتى فاق شيخه؛ فكان اذا عرض لشيخه هذا اشكال في الفن امر تلامذته ان يذكروه بمحضر المشدالي رجاء حله على يده، كما انه اخذ عنه علوم

البيان ايضا، وتلقى الفقه عن ابي الربيع سليمان البوزيدي وكان هذا من اعلم الناس يومئذ به، وعن ابي يعقوب يوسف اسماعيل الحساب والفرائض، واتقن فن الحساب وعلم الجبر والمقابلة وغيرها من الرياضيات وعلم الهيئة وجبر الاثقال على ابي الحسن علي بن قاسم، وتخرج في علم التقاويم والميقات بانواعه من فنون الاسطرلابات والصفائح والجيوب والهيئة والارتماطيقى والموسيقى والظلمسات والافواق وما شاكلها وعلم المرايا والمناظر السخ.... على ابن عبد الله محمد البورى واتقن الطب على محمد بن علي بن افشوش التلهساني

وبعد ان امتلأت اوطاب الشيخ بالعلم واحاط باصوله وفروعه وجمع اشتاته عاد الى بلده بجاية سنة ٨٤٤ هـ [١٤٤٠م] مبرزا على اقرانه مشارا اليه، فتصدر بها للاقراء وتدرّس العلم

ذكر السخاوى فيما رواه عن البقاعى قال وحدثني الصالح احمد الزواوى عن بعض فضلاء المغاربة ان ابن مرزوق قال ما عرفت العلم حتى قدم على هذا الشاب، فقيل له كيف...؟ قال لاني كنت اقول فيسلم كلامي، فلما جاء هذا شرع ينازعني فشرعت اتحرّز وانفتحت لى ابواب من المعارف، او نحو هذا، ونقل البساطى عنه ايضا انه قال : ان عاش هذا كان عالم المسلمين، ونقل عنه ايضا ان ابن مرزوق كتب لابييه فيما قيل : انه قدم علينا وكنا نظن به حاجة الينا فاحتجنا اليه اكثر. وكان ابن مرزوق وابو الفضل بن الامام يامران تلامهذما بالقراءة عليهما فاسرع اليه غالبهم فاتفعوا به كان منهم احمد بن زكري المشار اليه بالتقدم في العلم والرئاسة بتلسان؛

وفيما بين اواخر السنة الاولى واوائل الثانية التي عاد فيها المشدالى الى بجاية ارتحل الى بلد العناب - بونة - وقسنطينة فحضر بها مجالس العلماء ساكتا من غير ان يتعرف لاحد، وفعل مثل ذلك في دخوله لتونس سنة خمس واربعين ثم توجه الى الديار المصرية على ظهر سفينة لنصارى جنوة فارست به في قبرس فنزل هناك

وتجول مستطلعا في ارضها فرأى بها عجائب وحصل له مع بعض اساقفتها مناظرة ثم ارتحل من قبرس في ذي القعدة [مارس ١٤٤٢م] فإرسى بها مركبه في بيروت، فطاف بلاد الشام : دمشق وطرابلس وحماة، ثم قطن بالقدس مدة وشاع ذكره فملا الاسماء ووقع على تفضيل الاجماع، ثم حج سنة ٨٤٩هـ (١٤٤٥م) وجاور ثم دخل القاهرة مع الكمال بن البازري وهناك ارتفع شأن الشيخ عند السلطان وارباب المملكة واركان الدولة سيما منهم الكمال وصهره الجمال، واخذ بينهم الشيخ في نشر علومه واملاء دروسه في عدة فنون من معقول ومقول فأدهش الالباب وبهر العقول فزادت بذلك حظوته وعلت منزلته عند الخاصة والعامة:

وكان ممن تعرف اليهم في مصر وتشرفوا بصحبته الامام السيخاوى فترجم له في ضوئه ترجمة ضافية وقال عنه : «وقد حصلت بيننا اجتماعات وصحبة ورايت منه من حدة الذهن وذكاء الخاطر وصفاء الفكر وسرعة الادراك وقوة الفهم وسعة الحفظ وتوقد القريحة واعتدال المزاج وسداد الراي واستقامة النظر ووفور العقل وطلاقة اللسان وبلاغة القول ورصانة الجواب وغزارة العلم وحلاوة الشكل وخفة الروح وعذوبة المنطق ما لم اره من احد» وحكى عن درسه فقال : .. ثم حضرت درسه في فقه المالكية بالجامع الازهر في ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين - من القرن التاسع الهجري - فظهر لي انسى ما رأيت مثله؛ ولا راي هو مثل نفسه وان من لم يحضر درسه لم يحضر العلم ولا سمع كلام العرب ولا راي الناس بل ولا خرج الى الوجود؛ قال ومن سمع كلامه في العلم علم انه يخبر عن مشاهدة ومعاينة وان غيره يخبر عن غيبة وليس المخبر عن المشاهدة كغيره؛ ولهذا نجد كلامه في القلب اثبت من كلام غيره؛ ولم ار اعظم تحريكا للهمم من حاله ولا اشهد فعلا للقلوب من مقالته؛ سماع درس واحد من من تقريره اكثر نفعا من سماع مائة من غيره. هيئة لعمرى

لا يحاط بكنهها ، وهو آية ابرزه الله في هذا العصر للعباد ؟ . فمن قبلها يرجي له بركتها ومن اباهها خشى عليه معاجلة العقوبة ، لا يشبه كلامه في جزائه الا كلام العرب العرباء ولا يضاويه في طلاقته ورسائته سوى الالباء على انه محشو من دقيق المعاني بما يمنع لعمري من التصنع ويشغل عن التكلف ، بل تلك منه سجية غير محتاجة الى روية ، وهمة عالية ما جنحت قط في التحصيل لدنيه ؛

صفات يغار البدر منها وينشئ لها خضعانا رؤوس المنابر
قال : فكان يقرأ القارىء بين يديه ورقة او اكثر ثم يسرد ما تضمنته من تصوير المسائل ويستوفي كلام اهل المذهب ان كان فقهيا وكلام الشارحين ان كان غير ذلك ثم يتبع ذلك بابحاث تتعلق بتلك المسائل ، كل ذلك في اسلوب غريب ونمط عجيب بعبارة جيزة وطلاقة كأنها السيل ، وتحرز بديع بحيث يكون جهد الفاضل البحث عند غيره ان يفهم ما يلقيه ويدرك بعض ادراك ما يجليها
ولقد حدثني غير واحد من ثقات الافاضل ان الطلبة قالوا له تنزل لنا في العبارة فاننا لا نفهم جميع ما تقول فقال شيئا يكاد يكون كشافا ، لا تنزلوني اليكم ودعوني ارقبكم الى ، فبعد كذا وكذا لمدة حدها تصيرون الى فهم كلامي ، فكان الامر كما قال!

قال السخاوي : وسمعت البقاعي يقول غير مرة انه - اي المشدالي - لم يكن ينظر في دروسه التفسيرية في غير القرآن ، وانه يستلقي على قفصا ويتأمل فيأتي بصواعق لا ينهض غيره لها وانه كان يفعل ذلك في كل علم يقرؤه او يقرئه لا يزيد على نظر المتن وحكي عن علي البسطي ذلك فقال : كان ابو الفضل اذا قرا علما لا يقرأه غيره ولا يزيد على تكرير مطالعة المتن ولا يطالع شرحا ولا غيره

وفيه يقول ابن ابي عذبة : « الامام العلامة اوحد اهل زمانه قدم علينا القدس سنة سبع واربعين فقرأ العصد وكتب المنطق والمعقولات وشهد له الائمة ببلدنا

وبدمشق ومصر وطرابلس انه اوجد اهل الارض وانه عديم النظير في جنس بني آدم، وانني عاجز الآن عن عبارة اصفه بها فان كل عبارة هو فوقها. قال ثم دخل مصر فولى تدريس القبة المنصورية فدرس بها العجب العجائب وتعين لقضاء الشام ثم لمصر فابى، ولا يحضرني الآن من يضاهيه في كثرة علومه، ثم نقل عن العز القدسي انه قال : ولو سكتوا اثنت عنه الاحقاب، وعن ابن الهمام انه قال سألت عن مسألة في اواخر الاصول، فاجابني عنها باجوبة من لو طالع عليها ثلاثة اشهر لم يجب فيها بمثله !..... وعن الزين قاسم الحنفى قال ما سمعت العلم من مثله

قال السخاوى «واراد الله ان مرض الامام ابن حجر بامراض منها ضيق النفس في نحو نصف ذى القعدة سنة اثنتين وخمسين وطال مرضه؛ فذكر له الكمال والشرف بن العطار بسانه يتعين ان ينظرة - المشدالى - ليشخص مرضه وينظر علاجها فانه في الطب واحد عصرة وفريد دهره وكان قد تكرر على سمعه من معارفه وعظمتها عند الاكابر وعقله وسياسته وثباته ورزاقته ما قرر عنده امرة وملا صدره حتى انتهى ان يراه ولو نظرة فطلب منها والح عليهما فكلما في ذلك فامتنع لكرهته ان يشتهر بالطب... فلم يزالا يتلطفان به ويتزلفان اليه الى ان اجاب، فعاده في يوم الاحد منتصف ذى الحجة وهو في اشد المرض فابتهج به ابتهاجا كثيرا وعظمه تعظيما كبيرا ثم نقل عن ابن الهمام انه قال: هذا الرجل لا ينتفع بكلامه ولا ينبغي ان يحضر دروسه الاحذاق العلماء وسئل عن النسبة بينه وبين ابي القاسم النويرى فقال : جهد ابي القاسم ان يفهم عنه وكتب الشهاب الابدى لوالد صاحب الترجمة فقال :

«.... ان الله خول سيدنا ومولانا وملاذ انسنا ابا الفضل ولدكم الاسعد من الفتوح الآهية والمنن الربانية مما امتحنه صالح دعائكم وحسن طوبيتكم واعتقادكم ان جعله الله بحرا لعلوم زاخرة، وعنصرا لفضائل فاخرة، ومحاسن

متوالية متظافرة، فكلم ابدى من دقائق خضعت لها الرقاب، ونفائس هامت بها ذوى الالاب، ومباحث شريفة كشفت دونها الحجاب، فأبكت ذوى العقول وحج اصحاب المعقول والمنقول، فدانت له المملكة المصرية والاقطار الشامية والبلاد القاصية والدانية فحاز الرئاستين وقام بالوظيفتين فالرؤساء حول دياره مخيمون وعظماء المذهب بفناء منزله محومون، فالوصف يقصر عما هو فيه إبقى الله وجوده وزاده في معاليه وعن سعد بن الديرى قال : كنت اذا كلمته بكلام يفهم آخره قبل ان اتمه وهو احد الائمة في الدنيا في علوم عديدة سيما المعقولات .

ولم يبلغنا عنه فيما وقفنا عليه من كتب السير والتراجم وعرفناه من ترجمته الواسعة ان له من التأليف سوى كتاب واحد، وهو شرحه على جمل الخونجى فقط وان صنيعه فيه حسبما ذكره السخاوى نقلا عن البقاعى قائلا : « انه شرحه على طريقة حسنة، وهي ان ينظر في شروحها لابن واصل الجوى والشرىف التلمسانى وسعيد العقبانى وابن الخطيب القشبنلى وابن مرزوق فيما اجمعوا عليه ساق معناه وكذا ما زاده احدهم وما اختلفوا فيه ذكر ما راي انه الحق، كل ذلك بعباره يتكرها ثم تمم ذلك بما وقع للمتقدمين من علماء المسلمين فمن قبلهم في تلك المسألة مما يرى انه محتاج اليه من التحقيقات . »

ومعلوم ان كل ذى نعمة محسود وان لا اعظم وان لا اجل من نعمته العلم والمعرفة وعلى الاخص ما حازة المترجم من شرف المنزلة عند رؤساء الدولة وسادة علماء المشرق والمغرب وما شهد له به الاعلام من التفوق المطلق على كل من عاصره او جمع بينهما مكان، فكان ذلك سببا في بعث داء الحسد والمنافسة في صدور بعضهم فبالغم في الطعن في علمه واخلاقه ووصمه بالجهل والدناءة ويروى لنا السخاوى في ذلك عن الشيخ عبد القادر المحيوى المالكى روايات قال : والله انه لا عهد له بالفقه بل سمعت قراءته الفاتحة في الصلاة فما اجادها ! . . . وروى عن

ابى القاسم النويرى انه قال لما دخل المشد الى مصر وارتجت عليه والتف الناس حوله واقبل عليه الخاصة والعامة : اى شىء هذا الطبل الذى طبل بمصر؟ ... فبلغ ذلك المشد الى فقال : قوله ذلك عنى يريد انى مزوق الظاهر فارغ الباطن فليحضر ليرى .

حسدوا الفتى اذا لم ينالوا سعيه فالسكل اعداء له وخصوم
وطعنوا في غرائزه الطبيعية وملكاته الخلقية وبالغوا في تنقيصه فقالوا انه كان
مخل المروءة كثير الترفع على اصحابه سيما فى الملاء ، عظيم التهاون بهم عديم
النفع لهم ، لين الجانب لمخالفه غير بعيد من نفهم وهو يستر هذه النقائص ببعد
غوره غاية السر فلا يذوقها منه الا النحرير في اوقات الغفلات فاذا ظهر له منها
شىء انتهك الباقي ، فهو لعمري اعجوبة الزمان حفظا وفهما وتوقدا و ذكاء وعلم
وخبا ومكرا ودهاء وتواضعا وكبرا ، قال السخاوى : ومن عجائب حفظه انه
تجنب لشيخنا ابن حجر بانواع التجنب فاتاة لبيته فلم ير منه انصافا ووطن ان
الاشاعات بفضائله مغالاة او غلط مما لا نباهة له فترفع حيثئذ عن التردد اليه مع
توقع ان يراه في بيوت بعض الاكابر فيريه من انظاره ودقة فكره ما يكيع
فكره ويعلى عنده قدره بحيث كنت اظن ان ذلك يفضى الى ضد المراد من غيظ
وتعاد واجتهدت من الجانبين فى الاجتماع على وجه جميل فلم استطع الى ان
اراد الله مرض ابن حجر وقد تقدمت حكاية حاله معه

وبعد ما اطب وتوسع السخاوي فى ذكر بعض المتناقضات من اخلاق المشد الى
قال : « وبالجملة فكان غاية فى جودة الذهن وسرعة الادراك وقوة الحافظة الا انه
كان سريع النسيان قليل الاستحضار ولاجل هذا لم يكن يتكلم فى المجالس الا نادرا
خوفا من الاستظهار عليه بالمنقول ؛ واذا طالع محلا اتى فيه بما يبهر السامع وقد
تكرر اجتماعي معه ... وما كنت احمدا انحرافه عن شيخنا - ابن حجر - وارغب
فى لقاء ابى عبد الله التريكي لمزيد حبه شيخنا وتقدمه على صاحب الترجمة

في الشرعيات ومحبتهم في المباحثة والمناظرة والمذاكرة قلت لا غرابة في ذلك فلقد وقع له والله مثل ما وقع للعلامة ابن خلدون وغيره من العلماء في المشرق والمغرب فإلمعاصرة حرمان !

واستاذ عالم متبحر كهذا لاشك وان يكثر تلامذته واتباعه ومريدوه ذكر بعضهم السخاوي فقال منهم بالحجاز البرهان بن ظهيرة، وبالشام ابن قاضي عجلون، وبالقدس الكمال بن أبي شريف، وبالقاهرة الشهاب البيجوري والديسطلّي وابن الفرزالح

ومن شعره رحمه الله قوله وكان بالمسار سنة أربعين وثمانمائة للهجرة وهو في عهد الشباب مخاطبا بعض اصدقائه ببجاية من ابيات

برق الغراق بدا بأفق بعدادنا فتضععت اركاننا لرعوده

كيف القرار وقد تبدد شملنا واليمن شق قلوبنا بعموده

لله ايام مضت بسبيلها والدهر ينظم شملنا بعقوده

وتوفي رحمه الله عليه غريبا فريدا بعين تاب من بلاد الشام في شهر شوال اوذي القعدة سنة ٨٦٤ هـ (جولييط - اوط ١٤٦٠ م) اي قبل وفاة والده بستين سقى الله جدتهما وابل رحمته ورضوانه.

ابو زيد عبد الرحمن الثعالبي

(٨٧٥ هـ (١٤٧٠ م)

هو فخر أئمة علماء الجزائر وصلحائها الاتقياء الورعين الابرار الامام
المجتهد ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجعفرى، نسبة الى عبد
الله بن جعفر بن ابي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد تزوج عبد
الله هذا ببنتى عمه على بن ابي طالب كرم الله وجهه : زينب ثم فاطمة اختى
الحسين رضى الله عنهما، وذكر ابن حزم في جمهرة النسب ان هناك بمتيحة
وسوق حمزة بالجزائر جعافرة من ابناء جعفر بن الحسن المثنى بن على بن ابي
طالب وكلهم من ابناء زردة السوداء (١)

ولد الثعالبي سنة ٧٨٦ او ٨٧ هـ (١٣٨٥ م) بناحية وادى يسر على نحو ست
وثمانين كيلومترا بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائر وهو موطن آباءه واجداده
الثعالبة ابناء ثعلب بن على من عرب المعقل فنشأ نشأة علم وصلاح وتقوى
اخذ علمه اولا عن والده من علماء ناحيتهم تلك، ثم ارتحل الى بجاية فنزل
بها سنة ٨٠٢ هـ (١٣٩٩ م) ولزم حضور مجالس علمائها فاخذ عنهم علما جما
وكان عمدته فيهم الامام ابا الحسن على بن عثمان المانجلاتي و ابا الربيع
سليمان بن الحسن، و ابا الحسن على اليلياتي، وعلي بن موسى والامام ابا
العباس النقاوسي، ثم انتقل الى تونس سنة ٨٠٩ هـ (١٤٦٠ م) فلقى بها جلة
من اكابر العلماء فانتفع منهم بالامامين الابى والبرزلى تلميذى ابن عرفة وابى
مهدي عيسى الغبريني ثم انتقل الى مصر فلقى بها البلالى وأبا عبد الله البساطى
وولى الدين العراقى فاخذ عنهم ويهم الحجاز فحجج واخذ هنالك عن
علمائه ثم عاد الى تونس سنة ٨١٩ هـ [١٤١٦ م] فوافى بها العلامة ابن مرزوق

الحفيد التلمساني فلأزمه وأخذ عنه فنونا من العلم جمعة، قال ولم يكن بتونس يومئذ من يفوتني في علم الحديث إذا تكلمت انصتوا وقبلوا ما أرويه تواضعا منهم وانصافا واعترافا بالحق. كما أخذ عن أبي عبد الله القلشاني وعن غيره أيضا من جهابذة العلم المحققين بتونس فحصل على إجازاتهم وأذنهم له في التدريس والتأليف ثم عاد إلى وطنه فذا عظيمًا في علمه وصلاحه وقُدوة حسنة للمسلمين في اجتهاده وكده معتكفا على نشر العلم وهداية الخلق والانقطاع للعبادة والتأليف، فتخرج على يده أعلام وصدور منهم حجة علماء الكلام الإمام محمد بن يوسف السنوسي، والشيخ أحمد زروق ومحمد المغيلي التلمساني وسيدى أحمد بن عبد الله الجزائري وابن مرزوق الكفيف.....

كان رحمه الله رأسا في العبادة وغرة لامة في الزهد والعلم فولى القضاء عن غير رضى منه ثم خلع نفسه وهو دائما المدره في عشيرته وزعيم قومه وملاذهم الذي به يلوذون ومعقلهم الذي يلجئون اليه في المدلهمات، يروى انه ولى خطابة الجامع الأعظم بالجزائر وان من بقايا آثاره المتبرك بها بعده إلى اليوم مقبض عصا خطيب الجمعة بالجامع المذكور.....

اعتكف الشيخ على التدوين والتأليف وأغلب همه من ذلك خدمة علوم الشريعة المطهرة ولما في ذلك الباع الطويل فلقد ترك ما يزيد على التسعين مؤلفا ما بين متون وشروح وحواشي وتعليق وكتب مستقلة في الوعظ والرقائق والتفسير والفقه والحديث والتاريخ الخ..... منها كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن طبع بالجزائر في أربعة أجزاء مذيلا بمعجم لغوى لشرح غريبه وروضة الأنوار ونزهة الأخيار في الفقه قال التنبكتي «وهو قدر المدونة فيه لباب نحو ستين من أمهات الدواوين المعتمدة وهو خزانة كتب لمن حصله» وكتاب جامع الهمم في أخبار الأمم في سفرين ضخمين وجامع الأمهات في أحكام العبادات وهو كتاب جليل طالعه في سفر ضخم والارشاد في مصالح العباد والأنوار المضيئة في الجسم بين

الشریعة والحقیقة وهو كتاب نفیس طالعه فی جزء ضخم وكتاب النصائح وجامع الفوائد وتحفة الاخوان فی اعراب بعض آی من القرآن والذهب الابریز فی غرائب القرآن العزیز وله شرح علی مختصر ابن الحاجب الفرعی وقفت علیه عند قیم الضریح بزائوته بالجزائر وهو فی سفرین ضخمین وله شرح علی مختصر خلیل بن اسحاق وكتاب الدرر اللوامع فی قراءة نافع طبع بالجزائر، ونبذة من الجامع الکبیر طبع بالجزائر وكتاب العلوم الفاخرة فی احوال الآخرة طبع بمصر، الی غیر ذلك مما ینیف علی التسعین مؤلفا كما ذکرنا ویقال ان اغلبها موجود بارض السودان.....

ولم یزل رحمه الله ورضی عنه عاکفا علی الطاعات متجردا عن الدنیاویات الی ان وافاه اجله ضحوة يوم الجمعة ٢٣ رمضان المعظم سنة ١٨٧٥ هـ (منتصف شهر مارس ١٩٧١م) ودفن قدس الله روحه بضریحه الشهیر به الی اليوم من عاصمة الجزائر، وكان لفقده اثر عمیق فی القلوب وحزن عظیم فی النفوس



محراب مسجد « سيدى عبد الرحمن الثعالبي » بالعاصمة وهو يمثل نموذجا من ارقى انواع القاشاني والزايج الملون المزخرف والمكتوب بالخط العربي بنوعيه - النسخي والفارسي، خط الرقعة - وهو الى ذلك مثال رائم جميل لشكل فن المعمار التركي بالجزائر في اوائل القرن الثاني عشر الهجري - أواخر ١٧ م —

احمد بن يونس القسنطيني

(٨٧٨ هـ (١٤٧٤ م)

هو العالم المتفني الشيخ احمد بن يونس بن سعيد بن عيسى الحميري القسنطيني، ولد بقسنطينة الهوا سنة ٨١٣ هـ (١٤١٠ م) ونشأ بها فحفظ القرآن والرسالة وتفقه بمحمد بن محمد بن عيسى الزيلدوي وابي القاسم البرزالي وابن غلام الله القسنطيني وقاسم بن عبد الله الهزميري، اخذ عن الاول الحديث والعربية والاصلين والبيان والمنطق والطب وغيرها من العلوم العقلية والنقلية وبها انتفع، واخذ الموطأ عن ثانيهم، واخذ شرح البردة وغيره عن مؤلفه ابي عبد الله بن مرزوق الحفيد حين قدومه عليهم بقسنطينة وارتحل الى الحج سنة ٨٣٧ هـ (١٤٣٣ م) فاخذ عن البساطي شيئا من العقليات وغيرها واخذ كذلك عن الامام ابن حجر والعز عبد السلام القدسي والعيني وابن الديري وآخرين،

ثم عاد الشيخ الى بلده فاقام على عادته في الاشتغال بالعلم الى ان حج ايضا بعد سنة اربعين وجاور في هذه المرة بمكة المكرمة وسمع على الاخوين الجلال والجمال ابني المرشدي في فنون من العلم والحديث وعلى الزين بن عياش وابي الفتح المرغاي وطائفة كثيرة، من ذوي الفضل والعلم وتكررت منه الرحلة بعد ذلك الى ارض الحجاز مع المجاورة في بعض المرات الى ان استقر وسكن بمكة سنة ٨٦٤ هـ (١٤٥٩ م) وتزوج بها وتصدى فيها لاقراء العربية والحساب والمنطق وغيرها فاخذ عنه غير واحد من اهلها والطارئين والمجاورين بها.

وذلك جاور بالمدينة المنورة غير مرة ثم استوطنها وأقربها ايضا وارتحل في غضون ذلك الى القاهرة فاقام بها يسيرا. وكان ممن اجازوه واستجازوه بها شمس الدين السخاوي ثم سافر منها الى القدس والشام، وكف بصره وقدم لهما فما

افادة ثم احسن الله اليه برد ضوء احدي عيني، قال السيخاوى «ولقد لقيته بمكة ثم بالقاهرة واغبط بى والتمس منى اسماعه القول البديع فما وافقته فقرأه او غالبه عند احد طلبته النور الفاكهانى بعد ان استجازنى هو به وسمع منى بعض الدروس الحديثية وسمعت انا كثيرا من فوائده ونظمه منه قوله في طالع قصيدة امتدح بها النبى صلى الله عليه وسلم :

يا اعظم الخلق عند الله منزلة ومن عليه الثنا في سائر الكتب

قال واطلعت على رسالته عملها في ترجيح ذكر السيادة في الصلاة عن النبى صلى الله عليه وسلم وغيرها بعد ان استمد منى فيها وكذا رايت له اجوبة عن اسئلة وردت من صنعاء سماها رد المغالطات الصناعية. وكان اماما في العربية والحساب والمنطق مشاركا في الفقه والاصلين والمعانى والبيان والهيئة مع المام بشيء من علوم الاوائل عظيم الرغبة في العلم والاقبال على اهله قائما بالتكسب خيرا بالمعاملة متنهنا لنفسه بمخالطة الباعة والسوقة من اجلها وامر يزل مقيما بالمدينة النبوية حتى مات في شوال سنة ثمان وسبعين (فيفرى ١٤٧٤م) ودفن بالبقيع رحمه الله»

الدولة الترككية - العثمانية -

٩٢٠ - ١٢٤٦ هـ

١٥١٤ - ١٨٣٠ م

التورك

||

جاء في دائرة المعارف الاسلامية ان كلمة «ترك» محرقة عن اصلها الصينى الذى ينطق به «توكو»، ومدلولها عندهم هو ذلك الشعب الاسيوى الرحالة العظيم الذى ظهر بموطنه الاصلى بجبل الذهب في وسط آسيا بين سيبيريا والصين، واسس ملكا طويلا عريضا امتد من بلاد المغول وشمالي الصين الى البحر الاسود

ومؤسس ملكهم هذا هو رجل منهم يقال له «تومان» عند الصينيين وتترك بومين» عند الاتراك مات سنة ٥٥٢ هـ

والامة الترككية هذه هي امة آرية طورانية، وطوران هي بلاد تركسان ومعناها الظلمة نظرا لما كان عليه اهل هذه البلاد في بادىء امرهم من البداوة والغلظة والحفاء والامية همهم الغزو والتهجم على القوافل للنهب والسلب وذلك خلاف ما كانت عليه بلاد «ايران» المجاورة المعروفة يومئذ بارض النور، نظرا لما كان عليها اهلها من الحضارة والمدنية

ويرجع اصل هذا الجنس الطوراني الى العرق الغربى الاقصى المتفرع عن العنصر السائد المنتشر بشرق اوروبا وآسيا من بحر الباطيق الى المحيط الاطلسي ومن البحر المتوسط الى اقصى الشمال

ويشارك في الشعب التركي هذا شعوب واقوام كثيرة متشعبة منها هؤلاء

الأتراك العثمانيون باستانبول والاناضول، (١) والتركمان بايراز وآسيا الوسطى والتتار في جنوب روسيا وعبر القوقاس، والمجر بهنكاريا؛ واهل فيلاندا، والبلغار، وولايات البلطيق، وقدماء القبائل العريقة من سكان سيبيريا والمغول والمنشوس في شرق آسيا، وكلها تنتمي الى العنصر الآري

ويذكر نسابوا الأتراك والახباريون منهم ان اول دولة عرفت في تاريخهم هي الدولة التي اسسها فيهم «اوغوزخان» بن قاره خان...؟ جد رؤساء القبائل التركية، وان اول من عرف من ملوك الأتراك بلقب خان هذا، هم ملوك قبيلة «ترغش» التركية الساكنة بتركستان الغربية حازه امراؤها في اواخر القرن السابع الميلادي وعرفوا به الى ان قضى عليهم العرب في زمن نصر بن سيار سنة ١٢١ هـ [٧٣٩م]

وفي مفتتح القرن الاول الهجري - اوائل السابع م - اتحدت هذه القبائل التركية مع غيرها ممن ساكنها ببلادها من الشعوب الآرية فتكونت بذلك وحدة سياسية بين تلك الطوائف كلها فنشأت عن ذلك مملكة عظيمة ممتدة من اقصى حدود الصين شرقا الى البحر الاسود غربا ثم اعتراها بعد ذلك هزال وضعف ففقدت قوتها الحربية ورثت قواها المعنوية ففتحتها العرب سنة ٨٥ هـ [٧٠٤م] وانتشر يومئذ بينها الاسلام

وفيما بين اواسط القرن الثالث واول الرابع الهجري - التاسع والعاشر م - نشأ بآسيا دويلات وامارات تركية صغيرة استبدت بانحاء البلاد والاصقاع الشرقية متفرقة هنا وهناك كبني طولون بمصر والشام، وبني سامان بما وراء النهر وبني بويه ببلاد فارس، الخ... فتدهوت بذلك سياسة الخلفاء العباسيين وتقلص ظل سلطانهم من اقاصى البلاد؛ فسقطت بغداد بيد التتار يوم ٢٠ المحرم

(١) محرفة عن كلمة اناطولى التي اطلقها الرومان على شبه جزيرة آسيا الصغرى ومعناها البلاد الشرقية وذلك لوقوعها شرقي بلادهم

١٦٥٦هـ [٢٧ جافقي ١٢٥٨م] ونتيجة لذلك أصبحت مقاليد الدولة الإسلامية المترامية الأطراف موزعة بين ملوك هاتيك الدول التركية القائمة بالشرق وشؤون افريقية الشمالية يومئذ بيد اهلها من ملوك المغرب

ومضى زمن على ذلك والامر كذلك الى ان اخذ البطل المغوار السلطان «عثمان بن ارطغرل» التركاني في تأسيس اماره ومملكة اسلامية مستقلة بمدينة «ايكى شهر» من بلاد الاناضول سنة [١٢٩٩هـ ١٣٠٠م] مجتهدا في الدفاع عن بيضة الاسلام وحايته ونصرته وورث منه احفاده ذلك فكلهم حافظ على هذه الخطة المرسومة والتراث العظيم وأنشأ جيوشا واساطيل تقدم بها الى فتح بلاد آسيا واوروبا، فخضعت لهم ممالك هاتيك البلاد ودولها وثبتوا على ذلك يتابعون زحفهم في نشر الاسلام باوروبا حتى جاء دور القضاء على امبراطورية الدواة البيزنطية واستئصال مملكتها في الشرق والغرب فانبرى لها من عثرته «السلطان محمد الثانى الفاتح» مقتحما معقلها الحصين وعاصمتها المنيعه «القسطنطينية» مظفرا منصورا فاحتلها سنة ٨٥٧هـ [١٤٥٣م] ونقل اليها العرش العثماني متطلعا الى اجتياح مقر كرسى المسيحية الثانى برومة ويومئذ اشتهرت الدولة التركية بنسبتها «العثمانية» انتماء الى جد ملوكها الاعلى السلطان «عثمان بن ارطغرل» التركاني المتوفى سنة ٧٢٦هـ [١٣٢٦م]

ويعد فتح القسطنطينية هذا فتحا جديدا فى تاريخ العالم اجمع حيث اعتبره المؤرخون حدا فاصلا بين القرون الوسطى والعصر الحديث [١] وتقدمت تركية العثمانية في فتوحاتها بآسيا ففتحت معظمها واوروبا كذلك

(١) جرى اصطلاح المؤرخين على اعتبار الزمان وتقسيمه الى ثلاثة عصور : القرون الاولى وهى تبتدى من الازمنة الغابرة المتوغلغة في القدم الى سقوط رومة سنة ٤٧٦م ومنها يبتدى تاريخ العصور الوسطى الى فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ (١٤٥٣م) ومنها يبتدى تاريخ العصر الحديث

فامتلك منها نصفها الشرقي ووضحت بذلك مرهوبة الجانب موقرة السلطان ولما تم للسلطان «سليم الاول» الانتصار على دولة المماليك سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) واستولى على مصر والشام وقضى على حكومتها هذه وقبض على محمد المتوكل على الله آخر خليفة عباسي (١) وهى وبذلك انقرضت الخلافة العباسية المتوهمة التي طالما كان صاحبها بعد سقوط بغداد آلة مسخرة بايدي ملوك وسلاطين ذلك العصر وصار حينئذ امر رعاية دولة الاسلام بيد سلاطين آل عثمان وخفت يومئذ ذكر لقب الخلافة وطوى بساطه من الوجود الا ما جاء ذكره نادرا في بعض خطابات المهتمقين لآل عثمان في اوقات ومناسبات متفرقة

وهكذا ظل لقب الخلافة مغفلا ملغى لدى ملوك هذه الدولة الى ان اصبحت الحاجة اليه ماسة في القرن الثامن عشر الميلادي بعد عقد معاهدة «كوجك قيتارجي» بين الترك وروسيا سنة ١١٨٨هـ [١٧٧٤م] اى عند ما خضع بعض المسلمين للحكم النصراني فدعت حينئذ اليه سياسة الوحدة الاسلامية فتلقب به سلاطين آل عثمان جميعا لكلمة المسلمين واكتسابا للنفوذ الديني متدرعين به تجاه العالم الغربى المسيحى الذى ازمع وتحفز لاكتساح العالم الشرقى الاسلامى ولم يزل ملوك آل عثمان يحملون لقب الخلافة منذ ذلك العهد الى ان اجمع راي حزب الشعب التركى الجمهورى على الغناء نظام الحكم القديم ورفض تبعات الخلافة الثقيلة فاعلن زعيم الاتراك الحاكم بامرهم مصطفى كمال «أتاتوك» [٢]

(١) قبض عليه السلطان سليم الاول بمصر يوم فتحها في التاريخ المذكور اعلاه فعاد به الى القسطنطينية فاوثقه هنالك بـ «السبع قبال» ثم فك اسره سنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠م) واجرى عليه ستين درهما في كل يوم، فخرج المتوكل حينئذ من القسطنطينية منصرفا الى مصر حيث بومر فيها باسم الخلافة صورة وبقي بها مرموقا ملحوظا تحت ظل ورعاية ملوك آل عثمان الى ان استوفى حظه من الحياة ولقى حقه سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م) فانتهت بموته الخلافة العباسية وانقرض ذكرها من الدنيا

(٢) هو اعظم شخصية سياسية وعسكرية عرفتها دولة الاتراك في تاريخها الحديث ولد في مدينة «سالونيك» سنة ١٢٩٩هـ وتوفي باستانبول سنة ١٣٥٧هـ [١٨٨١ - ١٩٣٨م]

بنهاية عهد الملكية وتعويضه بتأسيس حكومة جمهورية ودستور جديد، وذلك يوم الاثنين ١٨ ربيع الاول سنة ١٣٤٢هـ [٢٩ اكتوبر ١٩٢٣ م] وخرج السلطان عبد المجيد الثاني من القسطنطينية طريدا وانتقل مقر الحكم منها الى مدينة انقره من بلاد الاناضول، وحدث في الدولة يومئذ من الانقلاب السياسى والدينى والاجتماعى بل وفى كامل اوضاع الحكومة التركية العثمانية ما تغير به وجهه تاريخها القديم بما لم يسبق له نظير ولا مثيل فى تاريخ دولة اسلامية من قبل

اما لغتهم فهى احدى اللغات الطورانية ذات اللهجات الحمة الكثيرة التى لم يكن ليعرف لها قلم او خط مشهور تكتب به قبل القرن السابع الهجرى حين امتزج اهلها بالعرب فى العراق والشام وتكون منهم جيش الخلافة العباسية واستبدوا بالملك فانتشر حينئذ بينهم اللسان العربى المبين وفشى فيهم الخط العربى فكتبوا به لغتهم،

وذكر ابن النديم فى حديثه عن الترك بفهرسته فقال : والذى تأدى الى من امر الترك هو ما حدثني به ابو الحسن محمد بن الحسن بن اسحاق... ان ملك الترك الاعظم اذا اراد ان يكتب الى ملك من الاصاغر احضر وزيره وامر بشق نشابة ونقش الوزير عليها نقوشا يعرفها افاضل الاتراك تدل على المعاني التى يريد بها الملك ويعرفها المرسل اليه [١] ولعلها تلك كتابتهم القديمة التى ظهرت فى القرن «٦ م» المسماة بكتابة اورخون [٢] او يكون ذلك هو خط اتراك «اللوغوز» وهم سكان شرقي تركستان....

ولم يشهد الاتراك اتحادا فى استعمال لغتهم وتطبيقها على سير الحياة العامة الا فى زمن بنى سلجوق بالاناضول فى القرن الخامس الهجرى (١١ م) اما قبل

«١» الفهرست لابن النديم ص ٢٩ - ٣٠ ط القاهرة ١٣٤٨هـ

«٢» نسبة الى نهر فى بلاد المغول يقال له «اورخون» وهى اقدم كتابة تركية

ذلك ففيهم من اتخذ اللغة الفارسية، وفيهم من استعمل غيرها، ولقد فكر السلطان سليم الاول في اتخاذ اللغة العربية وجعلها لسان الحكومة الرسمية وحاول ذلك بالفعل فلم ينجح، ولكنها رغم ذلك بقيت لديهم ولدى غيرهم كذلك من الامم الاسلامية لغة الدين والعلم

وكان لممازجة الاتراك بسواهم من الامم الشرقية والغربية ايضا اثر كبير في تطور لغتهم وارتياشها بما اقتبسوه من شتى اللغات فتوسعت اللغة وتهدبت وأصبحت بذلك لغة صالحة لتدوين العلم والادب، واكثر ما يوجد فيها من الدخيل هو ما احتوت عليه من مفردات اللغة العربية والفارسية والجنطائية (١) والاوردية (٢) والافرنجية ... فهي الآن بذلك تختلف كثيرا عما كانت عليه في الزمن الغابر

ولقد شرع الترك في كتابة لغتهم بالحروف العربية منذ القرن السابع الهجرى - ١٣ م - كما ذكرنا مستعربين مع الزمن على ذلك اسمتراراهل فارس والهند وسكان افريقية الاستوائية وجنوبها وغربها على اختلاف لهجاتهم، الى زمن اعلان الجمهورية التركية فاستبدل الخط العربى لديهم باللاتينى وذلك بمقتضى قرار الدولة الصادر يوم ١٩ جمادى الاولى ١٣٤٧ هـ (٣ نوفمبر ١٩٢٨ م) تحت عدد «١٣٥٣»

اتصال الاتراك بالجزائر

في نفس الاوان والزمان الذى قدر ان تضععت فيه قوى دول المغرب الثلاث : بنى مرين وبنى ابي حفص، وبنى عبد الواد الزيانيين ولحق كلا منها من الضعف والوهن والاضطراب بسبب ما كان بينها من التخاذل والشقاق مع

(١) هى لغة التركان واكثر سكان بلاد خيوة (خوارزم) وبخارى وغيرها باواسط آسيا ومركزها مدينة مرو، وهى التى يسميها الافرنج احيانا : التركية الشرقية Turc Oriental
[٢] هى اللغة الهندية الاسلامية

تزامم رؤسائها وقادتها على كراسى الزعامة والرئاسة، اقول في نفس ذلك الوقت واعني به اوائل القرن العاشر الهجرى - اوائل ١٤م - اشتد تنمر دولة الاصبان والبرتغال وجمهورية البندقية وجنوة الايطاليتين فحمل كل منها على هذا الشمال الافريقى جرياً وراء غايتها الصليبية وجشعها الاستعماري الذي ينطبق عليه قول الشاعر العربي :

مسورة ان غرثت لم تشبع !

وهوجت السواحل الجزائرية واحتل منها اهم مواقعها ومراكزها الاستراتيجية ومرافقها ومدنها الممتازة كوهرة ومرساها الكبير وهين وبجاية وجيجل ومستغانم وتنداس والجزيرة التي هي بفرضة مدينة الجزائر، حيث بنى الاصبان حصن البنيون ونزلوا ببعض المراكز البحرية من مدن المغرب الاقصى واحتلوا تونس نفسها فاستكملوا بذلك الاستيلاء على ساحل افريقية الشمالية متتهكين في ذلك حرمة اهل هذه النغور الاسلامية غير مباين بمقدساتهم ولا محترمين او مراعين لما جبلت عليه الكرامة الانسانية وطبعت عليه البشرية من الحياء والحشمة مندفعين عن سوء نية وراء اعمالهم الاستعمارية واغراضهم الساقطة.... (١)

في نفس تلك الآونة وخلال هاتيك الحوادث المؤلمة، وانشاء تلك الظروف السوداء الحالكة، والنكبات المزعجة ظهرت عمارة الاخوين التركيين : بابا عروج وخير الدين - من ابطال رجال البحرية التركية العثمانية - متنقلة بغربي البحر الابيض المتوسط حامية لدولة الاسلام المنتشرة على ضفاف هذا البحر منجدة للمستضعفين من المسلمين، واشتهرت هذه العمارة يومئذ بتطوعها في انقاذ المضطهدين من اهل الاندلس ونقلهم الى سواحل المغرب العربي واحسانها اليهم وبذلك تمكن اصحابها من النزول بالساحل التونسي والاتصال بصاحب تونس

ابى عبدالله محمد الحفصى والتعاقد معه بامضاء معاهدة ودية على ان يكون الساحل التونسي موثلا لهذه العمارة وملجأ تسكن اليه وللخزينة الحفصية الخمس فيما تاتى به العمارة من المغانم وتمت الاتفاقية بين الطرفين على ذلك واستمرت العمارة تعمل على خططها المرسومة في غزو سواحل النصرانية وخوض غمار البحار للدفاع عن حوزة الاسلام والمسلمين ومحاربة سفن الاعداء الى سنة ٩١٨ هـ [١٥١٢م] حيث غزت العمارة التركية هذه مدينة بجاية فاطردت عنها الاصبان، ثم كان بعدها فتح مدينة جيجل سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤م) ثم تقدمت الى مدينة الجزائر نفسها بدعوة من اهلها درءا لخطر الاصبان عنها فاحتلتها سنة ٩٢٢ هـ [١٥١٦م] ونزل الاتراك يومئذ بهذا القطر وكان من الاحداث ما حدثناك به في هذا الجزء صفحة ٢٠٥-٢١٥ من اصطدام الحروب والتناحر والتنافس بين دولة بنى زيان المحتضرة ودلة الاصبان المهاجمة ودولة الاتراك الحامية الطامحة وحدث من الوقائع والخطوب في هذا الموضوع ما عرفته وما ستقف عليه مفصلا في هذا الكتاب

نظامها الحكومي

ان اول ما عرفت الجزائر من رؤسائها الاتراك هم جماعة «البيلرباى» ومعناه باى الالباء او امير الامراء، وهو لقب يمنحه السلطان العثمانى مع كسوة الشرف - قفطان - لامير الناحية

والجزائر يومئذ هي احدي الولايات الثلاث بالامبراطورية العثمانية التى كان يطلق على رئيسها هذا اللقب مثل ولاية الاناضول والرومىلى بتركية اوروبا وابيلرباى الجزائر التصرف المطلق بالمملكة الجزائرية وما يليها شرقا الى الحدود المصرية بما فيها من ولاية تونس وطرابلس ثم حد من سلطة حاكم الجزائر واقتصر له فيها على المغرب الاوسط

فقط، وخرجت تونس وطرابلس عن حكمها، وبموجب ذلك تغير لقبه ثلاث مرات، فحول أولا الى الباشاوية، ثم الى الاغاوية، ثم الى الداياوية حسب الترتيب التالي :

- ا عصر الفتح التركي من سنة ٩٢٠ الى ٩٥٠ هـ (١٥١٤-١٥٤٤م)
- ب عصر البيلرباي من سنة ٩٥٠ - ٩٩٥ هـ (١٥٤٤-١٥٨٧م)
- ج عصر الباشاوات من سنة ٩٩٥ - ١٠٦٩ هـ (١٥٨٧-١٦٥٩م)
- د عصر الاغاوات من سنة ١٠٦٩ - ١٠٨١ هـ (١٦٥٩-١٦٧١م)
- ه عصر الدايات من سنة ١٠٨١ - ١٢٤٦ هـ (١٦٧١-١٨٣٠م)

وكان حكام بلاد الجزائر وولاياتها في عهد البيلرباي والباشاوات مخلصين لحكومة الباب العالي باستانبول ممثلين للسultan العثماني الى ان حدث خلال القرن الثاني عشر الهجري (١٧م) ما كان سببا في تضعف دعائم الصلة الادبية التي كانت تربط ما بين حكومة الجزائر والباب العالي باستانبول حيث شعر الولاة هنا بضعف السلطنة العثمانية وقصورها عن اتخاذ اسطول قوى للدفاع بها عن نفسها وعن ممالكها النائية فجاهروا بقطع صلتهم بالباب العالي ووهت يومئذ العلائق السياسية بينهما واستبدت السلطة العسكرية المحلية بالامر واحتكرت لنفسها تولية حاكم الجزائر الاعلى بانتخابه من بين افرادها او من طائفة الرؤساء وقرصان البحر وتارة من بين اعضاء مجلس الديوان الاتراك من غير مراعاة لنسبه او حبه او منبته انما هو تركي وكفى ولم يبق للباب العالي حيثئذ سوى الموافقة على من ينتخب لهذا المنصب من بين هؤلاء، ويومئذ اصبح نظام الحكم التركي بالجزائر انتخابيا مستقلا وللاحكامر الجزائري الحرية المطلقة فيما يفعله قله فتح باب المجادلات والمجادات السياسية مع الاجانب ولم حل المشيا كل الخارجية بنفسه، ولم اعلان الحرب والسلام وامضاء المعاهدات وابرار العقود الدولية وقبول الممثلين الديبلوماسيين الخ... مستمدا قوته هذه من ديوانه

واستمر مركز ادارة الحكومة العليا بالجزائر بحى «الجنيّة» باسفل المدينة تجاه ساحة الحكومة اليوم. ومن بقايا دور الحكومة بهذا الحى «قصر الشتاء» الذى اصبح اليوم معهدا للدراسة ودار الاسقف وغيرهما. وهكذا الى اواسط القرن الثالث عشر الهجرى - اوائل ١٩ م - انتقل داي الجزائر «على خوجة» من سكنى الجنيّة الى اعلى المدينة بحى «الباب الجديد» حيث ابنتى قصر القصبة المعروف الى اليوم ونقل اليه مركز الحكومة ولم يزل ولاه الاتراك ينزلون بهذا القصر الى نهايتة دولتهم بالجزائر

وللحكومة الجزائرية مجلسان استشاريان لا يقطع الحاكم امرا بدون استشارتهما اولهما مجلس الشورى وهو يتألف من اربعة افراد :

١ وكيل الخرج وهو المتصرف فى جميع شؤون الدولة العسكرية والمدنية برا وبحرا

٢ خوجة الخيل؛ وهو بمنزلة وزير البحرية وله التصرف فى املاك الدولة

٣ خزنة دار، او الخزانجى - وزير المالية -

٤ الاغا، وهو القائد العام لقوات الجيوش البرية

والمجلس الثانى هو المعبر عنه بمجلس «الديوان» وينعقد ثلاث مرات فى

الاسبوع خارج القصر وواحدة بالقصر، وهو يتألف من سبعة اعضاء وهم:

١ الخليفة وهو نائب الحاكم الاعلى، ويلقب بالسيد الدولاتى، والقائم

مقام

٢ دفتر دار، اى رئيس ديوان الانشاء وهو كاتب الدولة العام، والكتابة

يومئذ باللسانين : التركى والعربى؛ مما يدل على احترام القوم للغة الدين

والوطن

٣ الباش سيار، مدير ادارة البريد

٤ قبودان رئيس - امير البحر -

٥ الترجمان

٦ شاوش الكرسي

٧ بيت المالحي - قاضي بيت المال -

ومن هذا المجلس ينتخب اغلب كبار الضباط واعيان الوزراء

وهناك غير هذين من المجالس التي تعتبر كالروافد لهذين المجلسين الكبيرين منها مجلس الكراسي؛ ومجلس طائفة الرياس - رؤساء البحر - من قراصنة ورؤساء المراكب الحربية، وكلها تعمل على مساعدة ذينك المجلسين من غير ان يكون لها كبير تأثير على مجرى سير حركة السياسة العامة بالبلاد وليس لهؤلاء الافراد من اعضاء المجالس الحكومية الآنف الذكر اتصال مباشر بالامير الا عن طريق الترجمان او بواسطة شاوش الكرسي؛ وقد يجتمع بهم الامير فرادى ان شاء او جماعات حسب ما يرتبه مقتضى المصلحة،

ويشترط في هؤلاء الاعضاء وجميع الحكم ان يكونوا من العنصر التركي ليست فيهم ولا شائبة الكرغلية (١) إذ ليس في تاريخ هذه الدولة لغير الاتراك حفظ في مباشرة الحكم او تسيير دفة السياسة العامة بالبلاد، الا في عهد الحاج شعبان باشا فاتح القرن الثاني عشر الهجري (آخر ١٧ م) فانه سمح بضم طائفة من ابناء البلاد - اندراغلة - الى الجيش بصفة معاونين لكثيرا لسواد قومه؛ وكل ما كان هناك من بعض الاهالي في منصب شيخ او قائد الخ... انما هو كمساعد فقط ولكل من ذكرنا من اعضاء المجالس مرتب ورزق يتقاضاه من خزينة الحكومة الجزائرية

وفي القطر الجزائري ولاية وقادة ومشائخ، منهم ثلاث بايات - بمنزلة العمال -

(١) الكرغلي وجمعه كراغلة هو الذي امة غير تركيه مثل الهجين عند العرب

يتصرفون في مناطق محدودة من الارض تسمى «بايلك» : باى الشرق ومقره بمدينة قسنطينة، وباى الغرب كان مقره اولاً بمازونة ثم تحول الى معسكر واخيراً استقر بوهران، وباى تيطرى وكان مقره بمدينة المدية، ولكل من هؤلاء الالباء الثلاثة نظامه الداخلى وترتيب الادارية، وكلهم يدين بالطاعة والولاء للحكومة المركزية بالعاصمة،

كما انه كان لمعظم العشائر والقبائل المنتشرة في انحاء القطر الجزائرى مثل الحناشمة شرقى قسنطينة، والدواودة (١) بالزاب الجنوبى، وبني مصاب (٢) بجنوب مدينة الاغواط، وبني عباس وولاية تقرت، وواد ربيع الخ.... فلكل منها رئيس: قائد او شيخ يتصرف فى ولايته المعبر عنها بالوطن، تصرف الامراء الاقطاعيين على مقتضى النظام السائد فى القرون الوسطى، والحكومة يومئذ مكتفية منهم بما يمدونها به من الاموال والافس ولا حق لهم فى الخوض فى اغراضها والتدخل فى مقاصدها السياسية كيفما كان شأنها، وبذلك انضح ان شكل الحكومة كان استبدادياً

ومنذ سنة ٩٢٧هـ [١٥٢٠م] اى يوم ان اذن السلطان سليم الاول لبيلى باى خير الدين باستقلال الجزائر فى ميزانيتها واتخاذ السكة الجزائرية وطبع النقود اصبحت الخزينة الجزائرية غنية ثرية بمداخيها الكثيرة المجلوبة من السبى والمغنم والزكاة والعشر والخزينة والفقى والمغرم والخراج وما يقوم به الولاة والبايات ورؤساء القبائل والعشائر من دفع العوائد واللزمة والذنوش والحكر - كراء املاك الدولة - بله الهدايا المتنوعة من الناض والرقيق

«١» هم عرب من اولاد داود بن مرداس بن رباح نزحوا الى المغرب الاوسط ايام الحملة الهلالية فى اواسط القرن الخامس الهجرى - اواسط ١١م -

«٢» رسمها ابن خلدون فى تاريخه بصورة صاد وسطها زاي، كرسه اهل المصحف حروف الاشمام كالنطق بالصاد فى قراءة خلف اى انها مشمه بالزاي ومعنى ذلك انه ينبغى ان يتوسط الناطق بهذا الحرف بين حرفي الصاد والزاي

والخمس من المغامر البحرية المختلفة الخ...

ويقدر مبلغ ما كان بالجزينة الجزائرية من الاموال بنحو مائتي مليون فرنك واضحت العملة الجزائرية يومئذ رائجة معترفا بها رسميا لدى دول العالم اجمع

والمعروف من انواع النقود الجزائرية الذهبية هو السلطاني والمحبوب وهناك نصف السلطاني وربعه كما هو كذلك لنوع المحبوب ايضا، واما الفضية منها فهو الدورو الجزائري، والسكته وهي نصف دورو جزائري، والريال بوجه، وريال بسيطة، والموزونة، وريال درهم، وثمان بوجه، ومن النحاس الصائمه والدراهم الصغيرة. وتقدير قيمتها اليوم يختلف بحسب اختلاف الزمان والمكان تسعير العملة في البلاد يزيد وينقص

ومن مصادر ثروة الجزينة الجزائرية ما كانت تدفعه اشهر ممالك اوروبا ودول الولايات المتحدة بامريكا من الاتاوة اموالا واسلحة وذخائر اذعانوا وخضوعا لسلطان الجزائر وسيادتها البحرية ورغبة في كسب عطف ومودة حكماها للتعامل التجاري مع سكان سواحل هذه الضفة الجنوبية من البحر الابيض المتوسط، فمن ذلك آلات واعتدة حربية كانت تقدمها دول الولايات المتحدة الامريكية في صورة هدايا لحكومة الجزائر وذلك ما كان يقدر بنحو اربعة آلاف ريال شينكو وهذا علاوة على ما كان يحضره معهم القناصل والمفوضون من الهدايا والتحف التي تبلغ في بعض الاحيان العشرة آلاف ريال، ويذكر ان مقبوضات الجزائر من امريكا بلغت ايام رئاستي «واشنطن وادمز» الى مليوني دولار؛ وكان على الدولة الانكليزية ستمائة ليرة سنويا وهناك من قدرها بنحو اربعين الف فرنك، وعلى دولة فرانس سبعة آلاف ليرة في كل سبع او عشر سنين، وتارة يقدم هذا المبلغ سلعا وبضائع متنوعة مع هدايا خصوصية نفيسة وفي كل سنتين تدفع دولة هولاندة عشرة آلاف سكه - نصف دورو جزائري - او ستمائة ليرة فرنسية؛

وقدر ذلك بنحو ستين ومائة الف فرنك مع هدايا نفيسة تبلغ نحو الثلاثين الف سكة جزائرية، وكان على دولة النمسا مائتا الف فرنك؛ وعلى مملكة صقلية اربعة وعشرون الف ريال شينكو، مع هدايا تقدر بمبلغ اربعة آلاف ريال شينكو، وعلى مملكة سردانيا ستة آلاف ليرة فرنسية، وكان على دولة الدانمارك اجهزة واعتدة حربية وسلاح وآلات عديدة، وذلك ما كان يقدر بمبلغ اربعة آلاف ريال شينكو، ومعها هدايا تقدمها قناصل هذه الدولة الى الحكومة الجزائرية في كل سنتين تقدر بثلاثين الف سكة، وكان على دولة السويد والنرويج مثل ما على الدنمارك، وعلى مملكة نابل الايطالية ما يقدر بمائة وعشرين الف فرنك سنويا وكذلك مثلها دولة البرتغال، اما مملكة سيليزيا فكان عليها اربعة وعشرون الف ريال شينكو، وعلى هانبور - بألمانيا - اسلحة لا غير، اما مملكة هانوفر وبريم الالمانيتين ايضا فكان عليهما ما يقدر بنحو الستمائة ليرة انكليزية وعلى الدولة الاسبانية ما يقدر بثمانية واربعين الف فرنك مع هدايا وتحف نفيسة، واما الجمهورية البندقية فكان عليها ثلاثون الف سكة سنويا

وهناك غير هذه من الدويلات الاروية الصغيرة التي كانت تدفع الى الخزينة الجزائرية من العشرة الى الخمسة عشر الف فرنك سنويا. اما دولة استراليا والمجر وروسيا فانها كانت معقوة من هذا المغمم برخصة خاصة من طرف الباب العالي، ولعل ذلك كان مراعاة لحسن الجوار؟....

واما مملكة تونس فانها كانت تقدم ذلك بضائع الى الجزائر : مائتان وخمسون جرة زيت، وخمسون جرة من السمك؛ وعشرون جرة صابون مائم، مع هدايا ومنح تمنح بها اعضاء الدولة وسادة الحكومة ورؤساء الجندية، واما نظام الجندية وهو ما يعبر عنه في اصطلاحهم باه الوحاج فهو اعظم ما تعتمد عليه الحكومة في تطويد اركان ملكها ونشر نفوذها بهذه البلاد.

فان الجندية التركية كانت كغيرها مؤلفة من عدة وحدات وفالق مختلفة الالقاب

اشهرها لفيف الينكشارية (١) المدلل والسباهية - الفرسان - والبولداش؛ وهي ذات مراتب ودرجات يرتقى اليها الجندي حسب اقدميته في السلك العسكري وحسب ما تدعو اليه اهليته وكفاءته الحربية

واشهر مراتب الضباط في الجيش اربعة : اوضة باشي؛ وبولو كباشي؛

(١) الينكشارية والانكشارية هي كلمة محرفة عن اصلها التركي «يني تشاري» وترسم بالقلم التركي هكذا «يكيجاري» ومعناها : الجيش الجديد، كان تاسيس هذا اللفيف من الجيش بأشارة خليل جندرلى وامر الوزير الاكبر علاء الدين بن السلطان عثمان الاول سنة ٧٢٦هـ (١٣٢٦م) وباركه يومئذ شيخ الطريقة الصوفية الحاج بكتاش، وان الغرض الوحيد من انشاء هذه الفرقة هو خشية الانحياز والتعصب القبلى والتحزب الطائفى في الجيش التركى فتسقط بذلك الامبراطورية العثمانية، وكان يومئذ هذا اللفيف اول جند نظامي باوروبا لذلك العهد

وجيش الانكشارية هذا مؤلف من شتى الشعوب وخاصة من الاسرى ابتداء النصرارى على اختلاف اجناسهم ومللهم، فكانت الحكومة التركية تبت فيههم الاسلام والولاء والتعلق بالدولة العثمانية مع قطع جميع العلائق والعلات التي تربطهم باوطانهم واديانهم وماضيهم، فكانوا ينشأون نشأة اسلامية عثمانية محضة، من غير ان يلتفتوا الى شىء اخر

ولقد اخذ الاتراك هذه الفكرة عن تقليد؛ فانهم قلدوا فيها غزاة البزنطينيين الذين كانوا يؤسرون السبايا من المسلمين وينصرونهم ثم يدفعون بهم الى مقاتلة المسلمين في عقر ديارهم مثل ما فعل البطريق (ميشال بورتسبريس) حينما استولى على انطاكية سنة ٣٥٨هـ [٩٦٩م] فانه سبي عشرة آلاف غلام من أبناء المسلمين فحملهم معالي القسطنطينية ونصرهم هناك ثم دفع بهم الى الجندي وجعلهم يحاربون قومهم وآباءهم المسلمين؛ ولذلك فعل «نيقو فور فوقاس» لما استولى على حلب وسبى منها عشر آلاف ولد فنصرهم وعمدهم وصيرهم من اعز جنده، فما كان عمل العثمانيين حينئذ الا رد فعل وانعكاس لعمل النصرارى المسيحيين مع المسلمين - جزاء وفاقا - نشأ هذا الصنف من الجيش على نظام الحطة المقررة المرسومه وتقدم في درجات الجندي الى ان اصبح عمدة الدولة في غزواتها وفتوحاتها العديدة في البر والبحر واستمر على ذلك الى ان ظهر فيه الصلف والجور وخرج اكثر ضباطه ورؤسائه عن حدود اللياقة والادب فتعدى القوم طورهم وعتوا في الارض عتوا كبيرا : ويومئذ أصدر السلطان محمود الثانى امره في ٩ ذي القعدة ١٢٤١هـ (١٦ جوان ١٨٢٦م) بحل نظام هذا الصنف من الجيش وإبطاله تماما وكانت اقامه جيش الينكشارية بالجزائر في ثكنات خاصة به اشتهر بالعاصمة منها سبع قلاع،

وآغا باشي. واهية؛ وهي لا تختلف كثيرا عن الدرجات المعهودة في الجيش بالعالم؛ وليس هناك ما يجعل الرعية ملزمة بالانخراط في سلك الجيش ولا في النظام الحربي الا ما كان منها عن طيب خاطر وطوعية وفي حالة الاضطرار توفد الحكومة الجزائرية الى آسيا من ينشرها هناك المنشير ويدعو الناس فيها الى التجنيد المأجور؛ وكل انواع طوائف الجيش التركي بالجزائر مأجور سوى فرقة المخزن الاهلية فانها ملحقه في نفقاتها بخرج الحكومة العام؛ فهي لا تتقاضى على اعمالها المخزنية اجرا معلوما وانما هي محشورة ضمن نفقات الحكومة العامة؛ ويمتاز رجال الوجاق واصناف الجند عن بعضهم بما تخصهم به الحكومة من الملابس المتنوعة المختلفة الالوان والاشكال

وفي اواخر ايام هذه الدولة بالجزائر اضطرت الحكومة المركزية الى مضاعفة عدد رجال الجيش فاضافت اليها فيالق جديدة كفيلق الدوائر والزمول؛ والقوم والمخازنية؛ والجند الزواوي؛ وجيش العبيد من الزنوج؛ ومرجع قيادة هؤلاء جميعا الى الضابط التركي الاعلى الحائز على لقب « آغا » فهو المتصرف المطابق والأمر الناهي في الجيش؛ ومدة نفوذه حسب تراتيبهم لا تزيد عن شهرين فقط ثم يخلفه آخر « السكاهية » .

ولقد بلغ عدد جيش المشاة بالجزائر - في بعض الوقائع - الى ستين الف جندي ولم يزد على ذلك

منها هذه التكنة الباقية الى اليوم بقرب المسرح البلدي - الاويرا - المعروفة باسم «دار الكشائية» وهي منتدى المسكر اليوم وتكنة الخراطين بناحية باب عزون، وقشلة العريش، وقشلة مافارون قرب الجامع الكبير، هدمت اخيرا عند النشاء هذه العمارات الجديدة بجنوب الجامعين - باسفل المدينة، وقشلة باب الجزيرة، وقشلة التماقين - وهم صانعي الخفاف - والتماق بالقاف المعقودة كلمة تركيه معناها الحُف، وقشلة باب البحر. وكلها كانت وفقا على هذا اللفيف من الجيش تحت ادارة واشراف رئيسهم الاعلى (القبجي) وكان عدد الجند الانكشاري بالجزائر في اول أمره لا يزيد عن الف عسكري، ثم تكاثر عدده وتزايد الى اضعاف ذلك

وفيما يرجع الى الاسطول التركي الرابض بسواحل افريقية فان الحديث عنه من اعجب ما يرويه رواة الاخبار ومؤرخي البحرية فانه قد بلغ في عدده وعدده وجهازه ونظامه وحروبه ومغامراته الحد القياسي وفيه من اشكال السفن الحربية ارقى واحكم ما عرفه تاريخ البحرية في ذلك العصر ولقد بلغت وحداته في بعض السنين الى ٢١٢ قطعة مختلفة الاشكال مجهزة بالمدافع والرجال وكل اعتدة الحرب تجهيزا جيدا وكلها تسير كما هو معلوم بالشراع والمجاديف وفيها ما هو معروف باسمه كمفتاح الجهاد والانتصار الاسلامي والغزال وهلم جرا.... وكان عدد الجيوش بها يتراوح ما بين الثلاثين والاربعين الف نسمة. ويترأس القوم ضباط من نفس الطائفة : الوردبان ورئيس العمة والباشا ريس ورئيس الطريق والكل تحت اشراف « قبطان ريس » امير البحر ويلاحظ انه كان بين طائفة رجال البحرية ورجال الجيش المشاة الينكشايرية تنافس ومشاحة منشأهما تاهز فرصة الامارة والقبض على ازمة الحكم والاستئثار بخيرات البلاد

واما النظام المدني فانه كان يجري تحت تصرف جماعة الاعيان وهم الرؤساء المعبر عنهم بالامناء فلكل صنعة تجارية كانت او حرفة يدوية امين ولكل فرقة من الناس عريف يتضمنهم كلهم مجلس شيخ المدينة ولهذا المجلس حق الرقابة المطلقة والاشراف على جميع ما يجري بين الناس وفي اسواق المدينة من عدل او حيف وهناك « المحتسب » الذي ياخذ على يد الظالم و « المزوار » الذي يسهر على نشر الامن ومحاربة الدعارة والبغى

اما السلطة القضائية فهي بايدي القضاة الشرعيين وكان بالعاصمة منهم قاضيان حنفى ومالكى والحنفية هي مذهب الحكومة الرسمي ولكل قاض اثنا عشر عدلا وهناك المجلس العلمي - الشرعي - الاعلى الذي يتألف من قاضيين ومفتيين على المذهبين ايضا وشيخ النظر في الاوقاف وممثل الحكومة فالى هذا المجلس يرفع النزاع في النوازل والمشاكل العويصة وفيه تراجع احكامر القضاة وينظر

في القضايا الكبرى فهو بمنزلة محكمة استئناف عليا، ومقر انعقاده في العاصمة بالجامع الكبير وقد يحضره الحاكم وبراؤه هو بنفسه احيانا ولقد استمر هذا المجلس على عمله هذا الى حوالى سنة ١٢٨٩هـ (١٨٧٣م) بقديل ففسخته السلطة الفرنسية المحتلة بمثله ولكن بهيئة اوروبية محضه اجنبية عن الاسلام تماما ومجلسها اليوم بقصر العدالة وفيما يرجع الى الفصل في الخصومات الجنائية والجنح واحكام الدماء والحدود فان القصاص في ذلك مفوض الى « حانوت الكاهية » وهو المحل او المكان المأذون له في النظر في مثل هذه القضايا الاجرامية والنوازل التى تجرى حوادثها بين المدنيين - لا العسكريين - فان لهؤلاء العسكر هيئة خاصة بهم تفصل فيما بينهم لا يحضرها اجنبى عنهم

والذى يرأس مجلس « حانوت الكاهية » بالعاصمة هو الحاكم نفسه او خليفته كخوجة الخيل مثلا او الاغا وبقسطنطينة قائد الداروفي وهران الباي نفسه او نائبه كقائد البلد ويجرى تنفيذ احكام العقوبات معجلا و احيانا يكون فيه من انواع العذاب والتمثيل بالمحكوم عليه والتنكيل به قريبا مما كان يعامل به المحاكمون في اوروبا (١) ولقد كان بالعاصمة من نوع هذه المحاكم الجزرية ثلاثة احداها بناحية باب عزون والثانية بدار الصابون والثالثة بالزنجوج

واما راية الحكومة ولواؤها الرسمية بالجزائر فحمرراء لاشية فيها مجردة عن كل رمز اعلانا بخروجها عن سلطة خلفاء القسطنطينية المحتوى علمهم على النجم والهلال

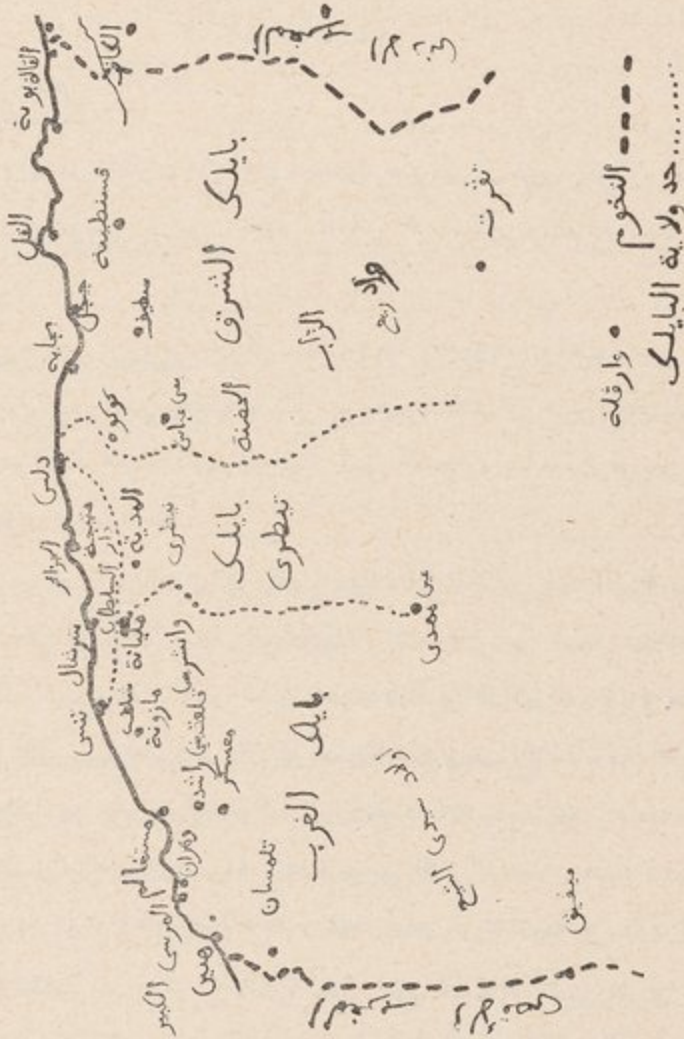
وهكذا استمر نظام الحكم التركى قائما بالجزائر حسبما وضعه الاخوان بابا عروج وخير الدين ومن لف لفهما من رؤساء الدولة التركية الاوائل بهذه البلاد مقصورا على الاتراك وحدهم لا يشاركهم فيه احد من ابناء البلاد الجزائرية الى الاحتلال الفرنسى سنة ١٢٤٦هـ (١٨٣٠م) من غير ان يتغير منه شىء وهو

كما ترى نظام استعماري محض لا يمتاز عن سواه من الاستعمار الاجنبى الا بمظهره الاسلامى فقط او ما كان من الصلوة الدينية بين اهلها وبين سكان البلاد

حدود الجزائر التركية

اما كون البلاد الجزائرية بحدودها المعروفة اليوم هى ما كانت بتماها على عهد الاتراك مستسلمة لنفوذهم منقادة لطاعتهم العامة فهذا مما لا شك فيه بل ما كانت هذه الحدود السياسية الشرقية والغربية مضبوطة واضحة جلية هكذا كما هي عليه الحال الآن الا منذ العهد التركى فقط غير ان الكثير من مساحة الجزائر الجنوبية كان خاضعا لنظام الاقطاع وان سلطة الاتراك العملية عهدئذ لا تشمل من اديم ارض الجزائر الفسيحة سوى محيط من الارض يحتوى على خمسة وسبعين الف كيلو مترا مربعا، ينتهى شرقا بمدينة طبرقة وغربا بوادى ملوية، وفي الجنوب بجبال العمور المتاخمة لعين ماضى، وهو نحو سدس التراب الجزائري اليوم. اما الباقي من جبال اوراس مثلا فهى لاهلها من زناتة، وبلاد الشاوية والزاب والحضنة لاسرة بوعكاز من الدواودة وبلاد تقرت وملحقاتها فى اقصى الجنوب القسنطيني لبنى جلاب، الخ....

البحر الأبيض المتوسط



الجزائر التركية

النفوس • وارقله
حد ولاية البايك

«ا» عصر الفتح التركي

٩٢٠ - ٩٥٠ هـ

١٥١٤ - ١٥٤٤ م

عروج وخير الدين

هما اخوان تركيان من اهل احدي جزائر أرخبيل اليونان «مديلي»
او ميتيلان - ليسبوس - التي فتحها السلطان محمد «الثاني» الفاتح سنة ٨٦١ هـ
(١٤٥٧ م)

ولد عروج او - اوروج - حوالى سنة ٨٧٨ هـ (١٤٧٣ م) واخوه خير الدين
بعده بسنة من اب يسمى يعقوب بن يوسف كان يصنع الفخار بهذه
الجزيرة، وهو احد الجند الذين صحبوا جيش الفتح، واصل من قرية «آجى
آباد» بالروميلي وامهما ذمية

نشأ عروج وهو ثاني اخوته الاربعة على هواية الحياة البحرية وذلك ما يقتضيه
موقع بلده الجغرافى فأنشأ جفنا - مركبا - للتجارة واخذ يعمل به للارتزاق
فوقع في محنة العبودية والاسر حيث اخذه الطليان البناقمة فعذبوه وكمكوا
به وانالوه من العسف والجور ما اثار في نفسه الحقد وحب الانتقام من القراصنة
الاجانب، وهذا يعد من حكمة الطليان خيانتهم حسبما تنص عليه معاهدة
الصدقة واحترام الجوار المبرمة بينهم وبين الاتراك سنة ٨٥٨ هـ (١٤٥٤ م)
ولكن اين الوفاء؟... فكان هذا فاتحة عهد حذر تركيا من دول اوروبا
ويوم ان تخلص عروج من اسرة سعسى من حينه الى تغيير مجرى حياته
وكرس نفسه للجهاد والغزو في البحر للقضاء على القرصنة الارويسية فنزل هو
واخوه خير الدين ميدان الكفاح بهذا البحر الابيض المتوسط وعملا على ربط
صلتهما بالسلطان سليم «الاول» ودخلا في خدمة السلطنة العثمانية فامدهما الملك

بالمراكب والسلاح واخذوا حينئذ في التجول بعرض البحار وطولها فطار صيتهما وذاق ذكرهما في الآفاق واصبحا على راس اسطول ضخم واشتهر عروج يومئذ بلقب «بارباروس» ثم اخوة بعده ببارباروس الثاني، ولا ادري اكان ذلك تحريفا لاسم الاول «بابا عروج»... ام هو تشبيه له بأمبراطور المانيا «فريدريك» الذي حاز الشهرة ايام الحروب الصليبية وعرف بهذا الاسم... ام لشجرة كانت بهما... ويومئذ تشوف الاخوان «بارباروس» الى الفتح والتقدم الى مقارعة الطغاة المعتدين على الثغور الاسلامية ومراكب المسلمين فتوجه للدفاع عن سواحل المغرب الاسلامي وحماية اهله فاتصلا بسultan تونس ابي عبد الله محمد السادس «الحفصي ونزلا بجزيرة جربة ثم بحلق الوادي بتونس فانتشرت سمعتهم وسارت بذكرهما الركبمان وصار يخشى من ذكر اسمهما من بوغاز الدار دانيال الى مطلق جبل طارق

اضطرار المسلمين الى شن الغارات البحرية

اتتهى امر المسلمين بالاندلس كما هو معلوم في القرن ٩ هـ (١٥٠ م) واصبح امر البلاد بيد الاسبان والبرتغاليين النصارى فاقفلوا الثغور على من بقى هناك من المسلمين واخذوا يذيقونهم من العذاب الوانا!

ولقد اشتد الامر على المسلمين في ذلك شدة لا يأتي عليها الوصف ولم يقتصر العدو على ذلك فحسب، بل تتبع اثر الاسلام والمسلمين حيثما كانوا واخذ يجوب البحار مهاجما لسواحل بلاد المغرب العربي مخربا ناهبا مدمرا ومتخطفا لكل ما يظفر به من الاموال والانس والارزاق وقد امتس بذلك بعض الاماكن من سواحل المغرب موطننا لعصابات من قراصنة الدول الاربوية على اختلافها، وبذلك نرى انتقال الحروب الصليبية من المشرق الى المغرب، فلقد كانت اولا نيرانها مشتعلة ومستعيرة بالشام ومصر ثم انتقلت الى تونس ثم الى الجزائر والمغرب الاقصى، فلم يكن حينئذ الى السلم سبيل بين الطرفين واصبح النهوض لاستنقاذ المسلمين وحماية سواحلهم المهتدة امرا

واجبا يتحتم على كل مسلم القيام به، مهما استطاع وكيفما استطاع الى ذلك سبيلا واضحي
لزما على الدول الاسلامية ان تقابل اعمال العدو بالمثل وان ترد عاديته وتقف
في البحر رسدا لتوقع به وترد عليه اذاه وكيدته وتدرك ثأرها منه، وبذلك
تراجعت قوى الاعداء قليلا عن طموحها واطماعها في البلاد الاسلامية، وليس
هذا في الواقع بقصرنة او لصوصية بحرية وانما هو لون من الحروب الدينية
ودفاع عن الاوطان ولقد اقر بهذه الحقيقة معترفا بها الكاتب المسيحي « دوماس
لاطري » وبعض كتاب الانكليز من رواد الحقيقة (١)

فتح مدينة جيجل

كان من اوليات المدن الجزائرية التي سقطت بيد الاجانب مدينة جيجل،
احتلها الجنويز (٢) سنة ١٥٠٨ هـ [١١٦٠ م] وجعلها مركزا تجاريا عظيما، ولما
ارسى الاخوان عروج وخير الدين بالسواحل الجزائرية لقضاء بعض مآرب لهما
اتصل بهما اهالي هذه النواحي ملتجئين منهما دفع الاجنبي عنهم واتقاذ نفورهم
من تسلطه عليها، فلبت الحامية التركية نداءهم وكان اول ما شرعت في انقاذه
من البلاد الجزائرية مدينة جيجل فاحتلتها سنة ١٥٢٠ هـ [١٥١٤ م] واتخذتها مركزا
لعمارتها البحرية بهذا الحوض .

وبذكر ابن احمد دوش الجزائري في جدول ولاية الاتراك على الجزائر ان اتصال عروج
بالجزائر كان سنة ٩١٦ هـ (١٥١٠ م) ثم اخوه خير الدين سنة ٩٢٢ هـ [١٥١٦ م]
وليس هذا ممسا يضر في ضبط تاريخ اتصال الاتراك بالجزائر اذا عرفنا وان هذه
مدينة وقع فتحها على يد الاتراك مرتين

(١) راجع الشرق الاسلامي ج ١ ص ٢٩١ و Demas Latrie - Relation et commerce de l'Afrique septentrionale avec les nations chrétiennes du moyen-âge (Paris 1866)

(٢) اهل مدينة جنوة بايطاليا

فتح حصون بجاية

ولما اشتهرت اعمال الاخوين التركيين في غزو العدو وقهره واستيلائهما على جيجل استقبلهما سكان ثغور الجزائر وموانئها بكامل البشر واتجهت الانظار اليهما اتجاء المستغيث الملهوف الى الغوث فيكاتبهما اهل بجاية مستنجدين بهما لقمع عادية دولة الاسبان والدفاع عن دار الاسلام، وكان الاخوان يومئذ متجهين الى سبتة من بلاد المغرب الاقصى فعدلا عن وجهتهما الاولى وغيرا خطة سيرهما الى الشرق فاشرفا على بجاية في شهر جمادى الثانية ٩١٨ هـ (اوط ١٥١٢) واحتلا منها حصنها القائم على ساحل البحر، وبعد ان مر عليهما حولان اعادا غارتهما على المدينة ودخلا باسطولهما في الوادي الكبير وحملتا من هناك على الاسبان حملة شعواء استأصلا فيها الاسبان قتلا واسرا ودامت المعركة اياما فانصر بها الاتراك والتحقت بهم جيوش الجزائر المتطوعة فبلغت نحو العشرين الف مقاتل ويومئذ اخذ النصارى في استعمال الحيلة والدهاء الحربي فتمكنوا بذلك من الاحاطة بالجيوش الاسلامية فحاصروها مدة اربعة وعشرين يوما فصبر لها المسلمون مستميتين في الدفاع عن اوطانهم حتى نفذ ما عندهم من البارود ، فالتجأوا حينئذ الى طلب المعونة من صاحب تونس الحفصى فامتنع واطهر عداوته للاتراك واغرى عامله على قلعة بنى عباس من بلاد القبائل بمعاداة الاتراك ايضا والسعى في نصرته الاسبان وذلك لما كان بين جده عبد الرحمن واحمد بن القاضى - بوقطوش - الموالى للاتراك من العداوة وجاءت الامداد الى الاسبان من جهات عديدة فتقوى العدو ضد الفاتحين فانسحب القوم صحبة نحو ستمائة اسير وانصرفوا بما معهم من الذخائر، وفي هذه الواقعة أصيب عروج في ذراعه الايسر فسقط منه كما أصيب بجراحات بليغة في كتفه .

ثم في سنة ٩٢١ هـ (١٥١٥ م) اتحدت قوات المسلمين وجاءت جيوش الفلعة

العباسية يقودها الامير عبد العزيز الحفصى منتصرة للفاتحين الاتراك والتحقت بهم جيوش احمد بن القاضى من جرجرة وتقدم الجميع للقضاء على قوات الاسبان بجاية فاحققوا ولكل اجل كتاب

الاستيلاء على مدينتى الجزائر وشرشال

كان لعدم استقامة امر ملوك الجزائر الزيانيين واضطراب امر الحفصيين اثر قوى في خروج بعض المدن الجزائرية عن طاعتهم واستقلالها بامرها تحت رعاية جماعة من اهلها، ومنها مدينة الجزائر هذه فانها بقيت محافظة على حريتها تحكمها هيئة من الثعالبية تحت رئاسة شيخ من شيوخهم، وكان فيمن تعاقب على رأس هذه الهيئة العلامة « سيدى عبد الرحمن الثعالبي » ثم انتقلت رئاستها الى اولاد سالم من بنى علان الهواري ، وكان آخر الرؤساء من هؤلاء « سالم السالمى التومى » (١)

احتل الاسبان صخرة المرسى العظيمة مكان برج الفنار اليوم وبنوا عليها حصنهم الشهير باسم «البينيون» Penion سنة ٩١٦ هـ [١٥١٠م] ونزلوا فيه واخذوا يومئذ في ارهاق الجزائريين والتضييق عليهم بفرض الضرائب والمغارم الباهضة

(١) كان مقر حكمه ومركزه بالجزائر بحى باب الوادي في دار هناك كانت تعرف بـ «دار الطنجية» ويقال انه سكن بالدار الحمراء قرب ضريح سيدي على الفاسى بنهج فيليب Philippe ولقد هدمت مباني هذه الاناحية اخيرا بقصد التوسيع في انهج المدينة ودورها وتعميرها على شكل بناء العصر الحديث ولكن الجزائر خسرت بذلك اجل عماراتها واحياؤها التاريخيه الاسلاميه، ففقدت بذلك طابعها الشرقى الاسلامى ورونقها الساحر الخاص

كانت هذه الناحية من الماصمه بمطابه الدرة من التاج مزدخرة بثروة طائله من الدور والقصور الفسيحة هي اجمل ما فى المدينه من بناء وعمارة وناهيك بها انها كانت مسكن ذى الوجاهه من رجال السلك السياسى والعسكرى ورجال القضاء والفتيا ورؤساء البحريه الخ فالبنائات بها كلها رخام ومرمر ملون وزاييج فارسى مزخرف ونقوش على الخشب وقباب مرتفعه واقواس فى اشكال هندسيه جليله على نموذج دار الاسقف والمكتبه الوطنيه الباقيتين الى اليوم

على مكاسبهم التي تأتيهم عن طريق البحر كما فعلوا كذلك بسائر السواحل الجزائرية فضاقت الجزائر يون بهؤلاء الاسبان ذرعا وسموا من هذه الاهانة والذل القتال وحاولوا التخلص من هذا الحصن الاسباني الذي حل ببلدهم محل الشوكة باللهة وفي ذات يوم ارسى خير الدين باسطول في مرسى الجزائر لقضاء بعض مآرب له منها وقد علم الجزائريون يومئذ ان ملك اسبانيا « فيرديناند المسيحي » المتعصب قد توفي فانتهزوا هذه الفرصة واستمسكوا بخير الدين فرغب اليه شيخ مدينة الجزائر « سالم التومي » وشيخ بلاد قبائل - جرجرة - « احمد بن القاضي » حماية بلادهم من خطر الاسبان ومبايعته كامير على بلاد الجزائر، فحماهم مدة ثم سخط عليهم فغادرهم سنة كاملة ثم الحوا في عودته اليهم واكدوا عليه في قبول بيعتهم فأظهر امتناعا ثم لبى دعوتهم على ان يشاركه اخوه عروج - اوروج - في هذه الغزوة وهو يومئذ مقيم بجيجل فاستصرخوه فاجابهم وجاء معه بحملة فيها ثمانمائة تركي وثلاثة آلاف جزائري، فخرج اولا على مدينة شرشال فاحتلها ٩٢٢ هـ [١٥١٦م] وتقدم بعدها الى مدينة الجزائر في نفس التاريخ فانقذها من بين برائن الاسبان وغرز بها علم المثلث الالوان : اخضر واصفر واحمر، وكان اخوه خير الدين يومئذ مشغولا بفتح مدينة مستغانم

نزل عروج بالجزائر وحاول من يومه القضاء على حصن « البينيون » فلم ينجح، ولم ينشب ان عملت الدسائس عملها فانقلب ضده حاكم الجزائر وبيت له العداوة مع الاسبان وكانهم بذلك استضعفوه او حسدوه فنشط عروج للانتقام من مشيخة مدينة الجزائر فقضى على رئيسها سالم التومي واعلن انتصابه بنفسه ملكا على عرشها ولم يلق في ذلك من الاهالي كبير عنف وذلك لما يجمع بينهم جميعا من اخوة الاسلام ورابطة الخلافة والدفاع عن الاوطان الاسلامية، وكان لسالم هذا ولد اسمه يحيى فر بعد مقتل ابيه الى وهران مستنجدا ومستغيثا بالاسبان فجهز له هؤلاء اسطولا ضخما وجعلوه تحت قيادة « فرانسيسكو

خيمة حملة دون ديقو دوفيرا على الجزائر

جاءت هذه الحملة الاسبانية في ثمانين مراكبا تحمل كمية عظيمة من السلاح والجنود اذ فيها من المقاتلين نحو الثمانية آلاف نسمة، يرأسها القائد الاسباني « ديقو دوفيرا » Diégo-de-véra فارست العمارة بناحية باب الوادي غربي العاصمة وقيل بشرقيها بناحية «حسين داي»... وذلك في اليوم الثالث من رمضان ٩٢٢هـ [آخر سبتمبر ١٥١٦ م] وما كادت جنود الحملة تتصل بالارض حتى فاجأها الاهالي ومعهم الحامية التركية فقتلوا عليها وكان ذلك في يوم عاصف حيث اشتدت الزوابع في البحر فاضطربت لهما سفن العدو وتقاذفتها الزعازع الهوج فتحطم اكثرها فكان ذلك مما زاد في انكسار الاسبان وخيبتهم ولم ينجو يومئذ منهم الا القليل

ويقال ان الاهالي الجزائريين يومئذ توجسوا خيفة من تسلط الاتراك عليهم وخروج الامر من ايديهم فاجتمعوا بحاكم مدينة تنس حميد العبيد من بني مهل فأدركهم عروج في خمسة عشر الف جندي تركي وائف فارس من الجالية الاندلسية فقتل على حركتهم هنالك

تقدم الفتح التركي

ويومئذ اخذ عروج في توسيع نطاق مملكته بالجزائر فاستولى على متيجة بعد ان فر حاكمها منها الى الصحراء، ثم نزل المدينة واحتل بعدها مليانة واستولى على بلاد القبائل فنصب عليها اخاه خير الدين واقامه بدلس، وكان مما مهد له السبيل الى احتلالها هو ما كان قائما بين بني عباس واهل جبل كوكو من التنازع والخلاف؛ ثم هاجم تنس واحتلها في جمادى الثانية ٩٢٣هـ [جوان ١٥١٧ م] وقتل صاحبها الموالي للاسبان ونشر سلطانه عليها وعلى ما اتصل بها من قراها ومداشرها المحيطة بها، واقتسم حينئذ إدارة البلاد بينه وبين اخيه فاضطلع هو بغربيها وجعل لاخيه ناحيتها الشرقية

فتح تلمسان

لقد كان لهذه الفتوحات التركية المتوالية دوى عظيم في انحاء المملكة الجزائرية واثار باهر كبير في نفوس التلمسانيين الذين كانوا يرسفون تحت نير ابي حمو الثالث وجور خلطائهم الاسبان فبمجرد ما تتحقق لديهم انتصار الاتراك على الاسبان في بجاية والجزائر وتقدمهم في الفتح التف اهل تلمسان حول ملكهم ابي زيان المخلوع والتجأوا الى عروج فادر كههم بحاميتهم وفتح تلمسان سنة ٩٢٣ هـ [١٥١٧ م] وفر أبو حمو الى وهران محتفيا بحلفائه الاسبان؛ فعاد اذ ذاك ابو زيان الى عرشه

وقعة هـ-وارة

هوارة هي قلعة او بلدة صغيرة من اعمال وهران تبعد عن مدينة معسكر بنحو ٢٥ كم ، وعن مستغانم بنحو ٥٥ كم وهى المعروفة قديما بقلعة بنى راشد واول من استعمل عليها من الاتراك هو اسحاق بن يعقوب اخ عروج، استعمله اخواه على هذه الناحية واكداعليه في تشديد الضغط على الاسبان المقيمين بوهران وقطع الميرة عنهم، وكان يومئذ ابو حمو الثالث معهم فجاء الى القلعة مقاتلا مع الاسبان واشتدت المعارك هناك وكان الظهور فيها للاتراك، ثم أعاد ابو حمو كرتة في جيشيه ومعه الاسبان فحاصر القلعة وضيق عليها الحناق مدة ستة عشر شهرا ثم افرج عنها وكانت الهدنة وعقد الصلح

ثم لاح لائح الحياة من طرف الاسبان فانقضوا على القلعة وقضوا على اهلها غدرا وقتلوا الحامية التركية وكان فيها استشهاد الامير التركي اسحاق (١) ونشبت

[١] ذكره عبد الرزاق بن احمدوش الجزائري في مجمعه المطبوع بالجزائر سنة ١٨٨٦ م على انه اول باشا قدم الى الجزائر سنة ٩١٥ هـ (١٥٠٩ م) وفي تقييدات او مفكرة ابن رجب الجزائري بخطوطه - انه تولى امارة الجزائر سنة ٩١٠ هـ [١٥٠٤ م] ٠٠٠٠٤

هنالك وقائم وحوادث دامية بين حميد العبد رئيس تلك النواحي وبين الجيوش التركية، وسرعان ما انتصر الاتراك واحتل عروج نواحي شلف والظهرة ووأنشريس وتيطري ومتيجة

استشهاد عروج وعودة أبي حمو الى العرش

انتقل ميدان القتال بعد ذلك الى تلمسان وعاد اليها أبو حمو الثالث في اشياعه وحلفائه الاسبان فحاصروها ستة اشهر وهنالك وقف في وجهه عروج فقاتله وقتل من اهله نحو الستين شخصا كان فيهم سبعة من المترشحين للملك، وقضى على نحو الف من سكان المدينة المعارضين ثم خرج بنفسه لملاقات عدوه أبي حمو ومن معه من الاسبان فقاتلهم ولم يعقه في ذلك انفصال ذراعه واستمر يخوض غمار الحرب بشجاعة نادرة الى ان استشهد وجماعته معه في الميدان قرب مقطع الوادي الملح Rio Salado وذلك في شهر جمادى الاولى سنة ٩٢٤ هـ (ماي ١٥١٨ م) وعمره يومئذ نيف واربعون سنة، فسر لسقوطه الاسبان فاحتزوا رأسه وسلبوه ملبسه واخذوا ذلك معهم الى بلادهم يطوفون به الشوارع والانهج تطمينا لافئدة شعبهم المضطربة حقدا وغيضا، ووضعت ملبسه تلك في دير - موناستير سان جيروم - بقرطبة ويروى ان جثمانه جيء به الى العاصمة فدفن بجوار ضريح سيدي رمضان وقبرة عن يمين الداخل متصلا بجدار المسجد؟ ... وأعاد الاسبان باحمو الثالث الى عرشه المجتضر على ان يكون حليفهم ضد الاتراك ويدفع لهم سنويا اثني عشر الف دوكتا او بياستر - نقد اسباني - و ١٢ فرسا و ٦٠ صقور رمز الخضوعه واستخذائه للاسبان وفي هذه السنة جدد خير الدين سور مدينة الجزائر الذي انشأه بلكين ملك صنهاجة من قبل

انهزام الاسبان عن الجزائر

كان لاستشهاد عروج وانتصار الاسبان على المسلمين في وقعة الوادي الملح ارتياح

عظيم لدى الاوساط المعادية وكان الدولة الاسبانية يومئذ استيقنت النصر النهائي لهما فعزم الامبراطور شارلكان على القضاء نهائيا على دولة الاتراك بالجزائر فجمع يومئذ جمعه واخذ في تعبئة حملة عنيفة ضد الجزائر مجهزة باضخم اجهزة الحرب فخرجت العماراة من مرسى جنوة سنة ٩٢٦ هـ (١٥١٩ م) مشتملة على اربعين قطعة بحرية وفيها من الجند خمسة آلاف مقاتل يرأسها والى صقلية « هو كودو ونكاد » فخرجت اولا على وهران فاستكملت عدتها هنالك ثم جاءت الجزائر فارست بناحية الحراش وهناك اشتبكت المعارك بين الفريقين فانتصر الجزائريون على هذه الحملة واسروا منها ثلاثة آلاف مقاتل وفيهم اكثرية من الضباط ومن بينهم رئيس الحملة

وفي هذه السنة كان استيلاء خير الدين على مدينة القل الساحلية، وشرع يومئذ في توزيع الاعمال على الموظفين وتعيين الولاة على النواحي ومن بينهم احمد بن القاضي فأقره شيخا او خليفة على الناحية الشرقية، ومحمد بن علي على الناحية الغربية

الحاق الجزائر بالامبراطورية العثمانية

ولما اطمأن الجزائريون على بلادهم وتحققوا من بأس العدو منها اظهر بعضهم الاستغناء عن الاتراك، وفيهم من حول نظره الى الاسبان مستنصرين بهم ويومئذ جمع خير الدين طائفة عظيمة من نخبة اهل البلاد واعيانها وعرض عليهم تخليه عنها، واظهر لهم عزمه الاكيد على الانتقال من بلادهم والعودة الى خطته البحرية لمجاهدة قرصان النصرانية بغربي هذا البحر الذي كان مسكونا بشعوب من القرابين التي تمارس الغزو والقرصنة وتعتمد عليها في معاشها، فابى عليه مجلس الاعيان ذلك واعلن تعلقه الشديد به وبرهن على ولائه واخلاصه باظهار رغبته ورضاه فيما يقترحه ويشترطه عليهم خير الدين، وبعد المناقشة والجدال الطويل

في ذلك طرح عليهم خير الدين فكرة الحاق الجزائر بالباب العالي والاحتواء بالسلطنة العثمانية فاستصوبوا رايه واستسلموا له في انقياد تام، وكان مما جعل شأن التحاق بلاد الجزائر بالمملكة العثمانية امرا ميسورا لديهم هو ما يجمع بينهم من رابطة الدين والخلافة مع توجس الاهالي وخوفهم من مفاجآت العدو وغاراته الطارئة ويومئذ كتب خير الدين محضرا اشتمل على تفاصيل الحوادث الجزائرية وذكر البيعة للسلطان العثماني وبعث بذلك مع احد اتباعه - الحاج حسين - الى استانبول فقبله السلطان سليم الاول واذن في ضم الجزائر الى مملكته وخلف على خير الدين لقب «بيرباي» وجعله حاكما على الجزائر وامده بالفيين من الجند المسلح ومدفعية قوية واربعة آلاف من المتطوعة وجند الانكشارية وجاء معهم كثير من المهاجرين الاتراك، واذن له السلطان كذلك في سك النقود؛ واصبحت الجزائر منذ سنة ٩٢٤هـ (١٥١٨م) ولاية تركية مرتبطة بالامبراطورية العثمانية ملحقة بها خاضعة لحكام اقليميين يحملون لقب بيلرباي والباشا والداى يتمتعون بفسط وافر من الاستقلال عن الحكومة المركزية باستانبول

ويبدو ان خير الدين هذا لم يكن يعمل لمجرد الكسب والغنيمة وانما كانت تسيره عاطفة دينية صادقة فلقد عجل هذا الرجل في ساعة نصره وظففره فوضع نفسه في خدمة السلطان وقدم الى الخلافة بلاده في الوقت الذي كان عمال الدولة ينتهزون فيه فرصة استقوائهم لينفصلوا عنها وقد كان الرجل موقفا فيما راي اذ وقع تصرفه في نفس السلطان سليم موقعا طيبا (١)

انبعاث الاضطراب والفتن بالجزائر

لقد كان التحاق الجزائر بالباب العالي باعنا قويا في اضطراب بلاط بنى زيان بتلمسان وبنى ابي حفص بتونس والوطاسيين ايضا بالمغرب الاقصى وذلك خشية

امتداد القوى التركية الى بلادهم ونشر جناح السلطنة العثمانية على كامل المغرب العربي، فاجتهد الحفصيون والزريانيون يومئذ في العمل على قطع العلائق بين الجزائر واستانبول وسعوا في ايقاد الفتن والشبورات الوطنية ضد السلطة التركية، وانفقت في ذلك اموال طائلة وفيهم من استجاش بالاسبان وملوك المغرب الاقصى من بني وطاس ولكن ذلك كله لم يثبت امام قوة الجيوش التركية النظامية فخاب سعى بني زيان وتنكر الشعب الجزائري للمولى عبد الله الزباني فانزله عن عرشه وفر الملك الى حلفائه الاسبان وتولى مكانه اخوه المسعود سنة ٩٢٥هـ (١٥١٩م) تحت نفوذ الاتراك

غزو ولاية تلمسان

ماكاد يطمئن خير الدين على ولاية تلمسان حتى فاجاه ملكها المسعود باظهار عداوته وبغضائه للاتراك وانقلابه على الحكم العثماني وعلان ثورته الصماء على خير الدين، فتقدم اليبيلر باى والى الى مستغانم فحاصرها بجيوشه المشاة برا وغزاها بحرا بشمان وعشرين سفينة حربية فانفتحت له ثم تقدمت مراكبه الى سواحل الاندلس فانقذت منها عددا وافرا من المحصورين ثم كانت وقعة هواراة - قلعة بني راشد - فاستولى عليها ايضا يومئذ تصدى لحصار تلمسان فاحاط بها وضيق عليها الحناق مدة عشرين يوما ففتحها وفر امامه المسعود طالبا للنجاة بنفسه، فجاء الاتراك يومئذ بالمولى عبد الله فأعادوه الى العرش الزباني تحت سطوتهم ورعايتهم وخلعوا عليه الخلعة الملكية على ان يدفع للخزينة الجزائرية عشرين الف دينار سنويا

حركة احمد بن القاضي

هو رجل من اعيان بيوتات الجزائر الساكنة بناحية بلاد القبائل، ولاء خير الدين رئاسة تلك الناحية فاستقر بجبل لوكو - سوق الاربعاء - من بلاد

زواوة ونظرا لقوميته وغيرته على وطنه عملت فيه دسائس صاحب تونس في رفض الحكم التركي والنهوض لقتال الاتراك فشن غاراته عليهم بتلك النواحي الشرقية؛ ويومئذ خرجت الحامية التركية لاختاد ثورته فواجهتها هناك جيوش الحفصيين وانتشبت الحرب بينهما في الحدود وكانت المعركة شديدة انتصر فيها قوم خير الدين، فعاد ابن القاضى حيثئذ الى المراوغة والتظاهر بالتودد للاتراك فصانعهم ودلهم على عورات العدو وسالمهم تقيّة الى أن شعر من نفسه بالقدرة على مقاومتهم فانقلب عليهم مرة اخرى واستجاش الحفصيين فانهجده واستعان بهم في الاستيلاء على كثير من القرى والمدن الجزائرية التي هي ببلاد القبائل، وغزا مدينة الجزائر فانهزم عنها وعقد الهدنة مع خير الدين ثم نكث عهده وجدد هجومه على العاصمة فانهزم عنها ثانيا

خيانة قارة حسن واستيلاء ابن القاضى على الجزائر

وبعد ان يقن خير الدين من القضاء على ثورة ابن القاضى وانهزامه عن الجزائر نهض لاسترداد الاماكن التي خرجت عن طاعة الحكومة التركية بتلك الجهات الشرقية فجهز لذلك جيشا منظما جعله تحت قيادة وتصرف قارة حسن فخرج الجيش من مكمنه وقام بواجبه احسن قيام فانتقل ابن القاضى حيثئذ من مركزه واعتصم بالفرار وذهب الى بونة «عنابة» فاستقر بها محتفيا وهناك استعمل الحيلة والدهاء السياسى فاستمال اليه قائد الجيش التركي: قارة حسن، واتفقا على اقتسام الحكم وتوزيع الاقاليم بينهما واخذوا في بث روح الشقاق والخلاف في الرعية، ودفعوا بها الى اعلان الثورة والعصيان في وجه الحكومة المركزية بالجزائر فاضطرب لذلك الوطن الجزائري وحدث فيه من القلق والتشعب ما حمل خير الدين على ترك العاصمة والخروج منها الى حيجل متماديا في غزواته البحرية تاركا الجبل على الغارب فخلا الجو حيثئذ لابن القاضى فاتتهزها فرصة

واحتل العاصمة فامتلكها مدة حولين كاملين وكان عدد سكانها يومئذ زهاء عشرين ألف نسمة ٠٠٠.

عودة خير الدين الى الجزائر

وبعد مضي ثلاث سنوات قضاه خير الدين كلها في قهر قرصنة الغرب، اتفق ان يبعث بمراكب له الى غزو بعض سواحل الافرنج يقودها احد رجاله القرصان المشهورين فعاشت الزوابع الجوية هذه القافلة البحرية فالتجأت الى ميناء الجزائر فصرقها ابن القاضي عن مرادها فعدت العمارة بخبيتها الى خير الدين واخبره رئيسها الخبير، فعظم ذلك عليه واستنكره ونهض من حينه الى نواحي الجزائر مشيراً لانصاره واشياعه ومن بينهم عبد العزيز الحفصي امير قلعة بنى عباس، فلبى الجوع وجاءت اليه سرعة محتشدة تحت لوائه فاحتل خير الدين يومئذ ٩٣٤هـ (١٥٣٧م) مدينة القل وبونة وامتلك قسنطينة ودخل العاصمة منصورا، ثم نهض الى ابن القاضي فظهر عليه وقتله بنية بنى عائشة بجوز الجزائر، وظفر بقارة حسن قسيم ابن القاضي في الثورة فقتله ايضا فimen معه من خاصة انصاره بشرشال وعفى عن الاتباع الآخرين ثم عاد الى العاصمة منهمكا في وضع اساس حكومته التركمية ونشر نفوذه على بقية البلاد

فتح قلعة البينيون Penon

«البينيون» هو اسم القلعة التي انشأها «بيدرو دونافار» الاسباني فوق وسطى الصخور او قل الجزر العظيمة بشعر مدينة الجزائر سنة ٩١٦هـ (١٥١٠م) وشجعها بالجيوش والسلاح الثقيل وذلك لفرض رقابة الاسبان على الجزائر وتفتيش الصادرات والواردات وقطع صلة الجزائريين بالبحرية فكان هذا الحصن او قل المعقل الاسباني الحصين بمنزلة الشوكة في ظهر الجزائريين ولكنهم صبروا حتى اعياهم الصبر وتعددت اذايمة الاسبان وتكرر عدوانهم

ضد الاهالي، فانذرهم خير الدين لينتهوا عن عملهم هذا فلم يقلعوا، وبعد ما اخفق خير الدين في انذاره وتهديده للاسبان ويئس من المعالجة السلمية تجهز لمنازلة القلعة بانواع السلاح الثقيل وحمل عليها في شهر رمضان المعظم ٩٣٦هـ (ماي ١٥٣٠) وكان يرأس حاميتها الاسبانية يومئذ الوالي [مارتان دى فارقاص] وأوقدها عليهم خير الدين نارا تاضى واقتحم الحصن ففتح في منتصف الشهر - ١٦ ماي - وقضى على جميع من بالحصن من الاسبان ثم امر بتحطيم الثكنة ودكها حتى لا يبق لاهلها مطعم في العودة اليها مرة اخرى واستعملت انقاضها في ضم تلك الصخور التي بميناء المدينة الى بعضها وبناء الجسر وهو الرصيف الممتد ما بين المدينة و[برج الفنار] حيث دارقبطان رايس وهى مقر امير البحرية المعروف الى اليوم (١) وجاء يومئذ مركب حربى اسباني لانقاذ قومه فاسره خير الدين وتم للاتراك يومئذ الاستيلاء النهائي على الجزائر وتمكنوا بذلك من انقاذها من بين محالب الكفر والطاغوت واصبحت الضفة الغربية من هذا البحر الابيض المتوسط بحيرة عثمانية

انكسار اندري دوربا

اشتد غيظ الاسبان على دولة الجزائر التركية الفتاة وعز عليهم ما لحقهم منها من تحطيم حصنهم «البيينون» فلم يستسيغوا انهزامهم بهذه الواقعة التي يشعروا معها من تحقيق مطامعهم بالسواحل الجزائرية فآمروا يومئذ مع دولة فرنسا والجنويز - بايطاليا - على مهاجمة الجزائر وتحطيم السلطة التركية القائمة بها ثم سعوا في ربط صلتهم كذلك بسلطان تلمسان مولاي عبد الله وتحالفوا معه على ذلك، ويومئذ خرج اسطولهم الثلاثونى في شهر ذى الحجة ٩٣٧هـ (جوليت ١٥٣١م) مشتملا على اربعين مركب حربى يقوده امير البحر الجنويزى المشهور

(١) انشئت هذه الدار سنة ١٢٤١هـ (١٨٢٦م) اى على عهد حسين بن على آخر دايات

(اندرى دوريا) الى السواحل الجزائرية فاستولى على ميناء هنين ومكث الاسبان بها يومئذ اربع سنوات ثم خرجوا منها واندفع سلطان تلمسان حينئذ في جيشه لحصار الجزائر فتسرع خير الدين اولا لقتال سفن الحلفاء وخرج بنفسه في خمس وثلاثين قطعة بحرية فغزا الجزائر الشرقية - الباليار - فحطم حصونها وغنم ذخائرها وفي عودته ظفر في طريقه الى الجزائر بسفن الاعداء فاستولى على خيراتها وفي هذه البرهة التي تغيب فيها خير الدين عن العاصمة اعتدى اندرى دوريا على مدينة شرشال فهاجمها بدون جدوى وادركه الاسطول التركى ففر دوريا امامه ومنى اسطولهم هنالك بالانكسار الشنيع والحياة المريرة، ولكنهم تحين فرصة غفلت خير الدين وانشغاله بتدبير ملكه فهاجم الاسطول التركى ليلا واسر منه اربعة مراكب.

نزوح الاندلسيين الى الجزائر

بعد ما وقعت الكارثة الكبرى ببلاد الاندلس واحتلها الاسبان وافتكوا من اهلها معقلهم الاخير غرناطة سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢ م) التجأ من بقى هنالك من المضطهدين الى غربى الاندلس معتصمين ثمة بجبال شاذة منيعة ورغم ذلك فان العدو قد لحق بهم وضيق عليهم الخناق هنالك فانزلهم من معقلهم الطبيعى على شروط وعهود اخذها كل من الجانبين على نفسه ملتزما بها امام صاحبها، ثم لم ينشب الاسبان بعد ذلك ان اخذوا في نقض عهودهم وحل موافيقهم فجددوا حملة صليبية شنيعة ضد المسلمين وفتحوا امامهم ابواب محاكم التفتيش على مصاريحها وبالغوا في ارغامهم على التنصر وخلع ربة الاسلام من اعناقهم ولم تكتف هذه المحاكم الغاشمة منهم بكتمان ايمانهم بل الزمتهم بالتلبس بشعار الكفر وذهبت في التنكيل بهم الى اشد العذاب فمزقتهم شر ممزق واحرقتهم وفعلت بهم الافاعيل مما لم يعهد مثله ولا عند الامم المتوحشة القاندية !

وحينئذ استغاثت بقية الباقية من المسلمين المشردين بخير الدين وفاوضته في انقاذها من العدو ونقلها الى عدوة المغرب فانجدها بستة وثلاثين مركب ذهبت كلها سنة ٩٣٥ هـ [١٥٢٩م] الى مياه الاندلس تحت رئاسة وقيادة نائبيه : ايدن ريس، وصالح ريس فارس ليل عند اوليف امام مصب نهر «التيا» على مقربة من دانية ونزلت منها الى البر عصاة استطاعت ان تجمع من الانحاء المجاورة نحو ستمائة من الموريسكيين الراغبين في الهجرة وهنا فوجئت السفن المغيرة بعدة من السفن الاسبانية الكبيرة وطاردتها حتى مياة الجزائر الشرقية - البليار - ولكن سفن القرصان انقلبت فجأة من الدفاع الى الهجوم، واتقضت على السفن الاسبانية واغرقت بعضها واسرت البعض الآخر وسارت سالمة الى الجزائر تحمل الموريسكيين المهاجرين وعددا من اكابر الاسبان اخذوا اسرى مع عدة من السفن الاسبانية الضخمة ايضا وتوالت بعوث خير الدين وغاراته على الشواطىء الاسبانية وتابعت الفرص لدى الموريسكيين للفرار والهجرة رفقة السفن المغيرة حتى بلغ ما نقلته سفن خير الدين منهم الى شواطىء المغرب الاسلامى نحو سبعين الف نسمة (١) وكثيرا ما كان عدد السفن لا يكفي لحمل اللاجئين فتضطر الحامية الى النزول بساحل العدو تاركها مكانها للمهاجرين وتبقى هناك في حراسة المتخلفين من اهل الاندلس ريثما تعود اليهم قافلة الاتراك البحرية فتخلصهم من نكبتهم؛ واستمرت مراكب الاتراك ذاهبة آية تعبر هذا البحر بين الجزائر والاندلس سبع مرات واوسع لهم خير الدين في ارض الجزائر واكرم مشواهم وتركهم لانفسهم في اختيار البقاء والامكنة الصالحة لسكنائهم الموافقة لاغراضهم ومقاصدهم في القيام باعمالهم وصناعاتهم المتعددة فكان منهم من اختار النزول بالعاصمة ومنهم من سكن سهل متيجة بنواحي البليدة ومنهم من نزل تدلس - دلس -

ومنهم من استوطن تلمسان (١) ووهران، ومنهم من نزل المغرب الأقصى وتونس واغتبط بهم الناس وتعلموا حرفهم وقلدوا ترفهم

وما اهل الاندلس هؤلاء باجانب او غرباء عن اهل المغرب ولا هم يبعداء عن وطنهم الجديد هذا ، بل ما هم الا اصالة منها واليه ومن رجاله وذويهم تربطهم باهلهم اوشاج وارحام منذ احقاب واعقاب، اذ طالما حدثنا التاريخ عن جيوش المغرب البربرية التي صجبت حنبعل والرومان الى اسبانيا واستقرت بها، واما فتحت الاندلس الاسلامية الاعلى يد الجيوش البربرية التي راقت البطل البربري الفاتح طارق بن زياد، وما قامت دولة المرابطين ودعوة الموحدين بالاندلس الا بالمغاربة من البربر، وما حكومت دولة بنى زيري بغرناطة الا من صنهاجة وما حاميتها ابن ابي عامر الا من زناتة وكنانة

واستمرت الهجرة الاندلسية مطردة نحو المغرب منذ حلت الكارثة بذلك الفردوس المفقود الى سنة ١٠١٧ هـ (١٦٠٩ م) حيث نزل منهم بوهران يومئذ نحو ٢٨٠٠٠ نسمة، ولم يبق هنالك من المسلمين آنذاك الا من حبسهم اهلهم. قال ريناخ : لم تكن اسبانيا بما قامت بها من المظالم باسم الدين واخرق البشر وقتلهم وتعذيبهم بل رأت ان توهم الناس انه لا سبيل الى قيام وحدتها الا بنفى اليهود سنة ١٤٩٢ م ونفى العرب (١٦٠٩ م) فسار مئات الالوف منهم يهجرون بلادهم وهلك منهم في الطرق عشرات الالوف فحرمت اسبانيا من

(١) كان فيمن نزل هذه المدينة الجزائرية من كبار رجالات الاندلس الامير ابو عبد الله محمد بن سعد ملك غرناطة الملقب بالزغل — ومعناه الفتى الغض الشباب — وهو عم ابي عبد الله آخر ملوك دولة بنى الاحمر النصرية بغرناطة دفن في مدينة فاس
نزل الزغل بتلمسان وبها قضى بقية حياته في غمر الحسرات والعدم وبها كانت نهايته ووفاته في شهر شعبان سنة ٨٩٩ هـ [جوان ١٤٩٤ م] كما يدل على ذلك شاهد قبره الذي طالما استعمل عتبة لباب منزل حقيير بتلمسان عدة قرون وقد ظفر به العالم بروسيلارد C. Brosselard فانتشله ووضعه في محله اليوم بمتحف تلمسان

احسن العاملين فيها وفقدت تجارها الماهرين واطباءها الحاذقين، وقد قتل في اسبانيا وحدها بفعل ديوان التفتيش الدينى نحو مائتى الف انسان على الاقل ونفي منها مليون ونصف؛ وقد كان ذلك من موجبات تأخر البلاد كما وقع لمدينة نانت يوم طرد منها من كان مخالفا للكنيسة فأضر ذلك بالصناعة الفرنسية كما قال سيدو، وقد تمكن الكاردينال كسيمس من تعوير جميع آثار المسلمين وامر بحرق ثمانين الف مخطوط عربي في ساحات غرناطة ...!

وتقل المؤرخ الاسبانى الكبير «نافریتی» ان عدداً من المنفيين من الاندلس العرب من متصرة وغيرهم خمسة ملايين نسمة منهم مليونان من اليهود، وقد كان مجموع عدد سكان اسبانيا كلها يومئذ لا يتجاوز الثمانية ملايين ...!

وبان من فضل هذه الجالية الاندلسية على الجزائر ان اتعشت بها حياة البلاد الاقتصادية والاجتماعية بما جاءت به معها من صناعات وفنون وآداب مما هو معروف في تاريخ الحضارة الاندلسية الزاخرة

استخلاف محمد حسن آغا الطواشي

وفي سنة ١٩٤٠ هـ (١٥٣٤ م) انعم السلطان سليمان القانوني على خير الدين بترقيته الى رتبة قبودان باشا يعني (امير البحر) وهو منصب القيادة العليا لاسطول آل عثمان باستانبول، وذلك جزاء براعته في الحروب واتصاراته العديدة التي احرز عليها في البحار وما كاد يتصل خير الدين بفرمان التولية حتى بادى الى استخلاف محمد حسن آغا على الجزائر وخف بالرحيل الى استانبول ليستامر مقاليد هذه الرئاسة التي كان هو فاتحة ولايتها وغادر الجزائر تاركا لها اخص رجاله حسن آغا المشهور بالبطولة الحربية والدهاء السياسي، وتمكن الاغا المذكور

بعد سنة من لايته من اخضاع مدينة قسنطينة نهائيا ٩٤١هـ (١٥٣٥ م) (١)

اغارة الاسبان على تلمسان

دفعت المطامع اهل النصرانية الاكبر «شارلكان» وبعثت به احلامه اللذيذة الى نشر نفوذه على المغرب العربي وقهر دوله الاسلاميه واخضاعها لسلطانه، وخصوصا لما شعر بشغور مكان خير الدين من اسطول الجزائر الذي كان يهدد به شواطئ البحر الابيض محاولا الاستيلاء على موانيه قاضيا على سطوة الملاحه الاسبانية بهذا البحر والبحر الاطلس ايضا، فاسرع العاهل الى اختيار ابرز ماعنده من ابطال رجال العسكرية الاسبانية ليقوم له بعملية الغزو فوقم اختياره عن «الدون مارتين دى قرطبة» الملقب بالكوندى دا الكوديلى، وعينه في ذى القعدة ٩٤٠هـ (جوان ١٥٣٤م) حاكما عاما على وهران برتبة «جنيرال» ولكن هذا لم يتصل بعمله الا بعد سنة من تاريخ تعيينه بسبب مرض عاقه عن مباشرة العمل وكان على عرش تلمسان يومئذ السلطان محمد بن عبد الله «الثانى» ولم اخ اسمه عبد الله يعرف فى التاريخ بكنيته «ابى محمد» وكان لا يزال يومئذ طفلا صغيرا محتضنا تحت كفالة جده لاه عبد الرحمن بن رضوان كبير شيوخ قبيلة بنى عامر وكان هذا الشيخ حريصا اشد الحرص على اىصال حفيده الى العرش الزباني وكان يعلم انه لا بد له فى تحقيق غايته هذه من الاتصال بالاسبان فعمل على ذلك وكتبهم فى مرادة واتصل بهم وتعهد لهم باسم حفيده بالاعتراف لهم بالتبعية واعطائهم الجزية كمثل تلك التى كان يقدمها لهم جده ابو حمو «الثالث»

(١) وفى هذه السنة كان اتمام بناء جامع القائد عبد الله صفر — سفير — بالعاصمه وقد كان الشروع فى بنائه فى شهر رجب سنة ٩٤٠هـ والفراغ منه يوم تانى ربيع الاول ٩٤١هـ (١٥٣٤م) ثم وقع ترميمه على عهد بابا حسن سنة ١١٨٥ هـ - ١٧٧١م ثم جدد واعيد تشييده على عهد حسين بن على آخر دايات الجزائر سنة ١٢٤٢ هـ - ١٨٢٧م وهو لا يزال على شكاه ووضعه التركى الجميل الى الآن

ثم جاء ابن رضوان بحفيدة الى حيث السلطة الاسبانية ماثلة بوهران فاقتبله رجالها بكل تجلة واحترام وذلك يوم الاربعاء ٢٩ رجب ٩٤١ هـ (٣ فيفري ١٥٣٥ م) وحادث المسؤولين من الاسبان في شؤون سياسته وشرح لهم اغراضه وتدبيره في كيفية انتزاع الملك من السلطان الحالى واسناده الى حفيدة واقنعهم بصلاحيته حفيدة ابى محمد بدل اخيه فاقتنع الاسبان بوجاهة آرائه وبعثوا معه بفرقة من الجيش تحتوى على ستمائة او سبعمائة مقاتل يرأسها القائد الاسبانى « الوانسو مارتين دى انكولو » وكان مع ابن رضوان يومئذ اربعمائة فارس وتقدم الجميع الى مهاجمة تليسان، وفي اثناء سير الحملة ادرك الاسبان خبية مسعاهم ومسعى حليفهم وذلك بما تحقق لديهم من القرائن الدالة على خلاف ما وعدهم ومناهم به ابن رضوان

ويومئذ وجد التليسانيون انفسهم امام الامر الواقع فتناسوا كل ما كان بينهم وبين ملكهم من الخلاف والنزاع فوحدوا صفوفهم وجمعوا قواتهم وفتح السلطان خزائن بيت المال واستنفر الخيل والرجال وبذل لهم الاموال الطائلة فانفتحت كلها في مجاهدة العدو المهاجم ورد عاديته عنهم وجعل السلطان قيادة جيشه يومئذ للمزوار المنصور بن البوجاني زعيم قبيلة بني راشد الذي كان رهن السجن فعفا عنه وقدمه على قومه تجالا بنى عامر

وفي يوم الاربعاء ٢٨ ذى الحجة ٩٤١ هـ (فاتح جوان ١٥٣٥ م) اتصلت حملة ابن رضوان مع حلفائه الاسبان بقربة «ابى سكران» المسماة ايضا بد (قنطرة يسر) وابتدات الهجومات صبيحة الغد وانتشبت المعارك هناك بين الطرفين مات فيها عدد قليل من الجانبين.

ثم بعد مضي ثلاثة ايام من المعركة تبين للاسبان عجزهم عن احتراز النصر وتحققوا خيبتهم في نيل مرغوبهم الذى اطمعهم فيما ابن رضوان: من الاستيلاء على مملكة الجزائر وفتح العاصمة التليسانية فتحول جيشهم لئلا يسلمهم الوانسو مارتين عن خطته

الحرىة الهجوىمة الى استعمال الدهاء والتدبىر السىاسى وشرع فى المفاوضه مع جيش السلطان محاولا ضمها الى ابن رضوان وحفیده ابى محمد عبد الله المطالب بالعرش فلم ینجح فى سىاسته هذه ثم حاول الانسحاب والفرار بالنفس فى جنح اللیل فاحقق ایضا وانهمت یومئذ جنوده شر هزیمه ومحقت جمیع قواته الثقیلة والخفیفه وهكذا انتهت حملة الاسبان على تلمسان عند وادى یسر یوم الاثنين ٤ المحرم ٩٤٢ هـ (٥ جوان ١٥٣٥ م) بالخیمه والحرمین

وابتدات یومئذ المفاوضات السیاسیة بین الكونت دى الكودیطى وملىك بنى زیان حول اطلاق سراح الاسرى من الاسبان، واشیع فى الوقت نفسه ان خیر الدین التركى یغادر الجزائر حیث لا رجوع الیهـا بعد فاحزن ذلك سلطان تلمسان وذلك خشية انتصار الاسبان علیهـا فاتهز الكونت فرصة هذه الاشاعة واكد على السلطان فى مقاطعة الاتراك ومقاومتهم اذا هم عادوا الى الجزائر او حاولوا التحكك على سواحلها، وبعد اخذ ورد ومقاولات ومحاولات ادت بهم جمیعا الى حرب انتصر فیها المسلمون على الاسبان واتفق الجميع على تحضير مشروع معاهدة صلح بین الطرفين ینتظم به سیر العلائق التجاریة والسیاسیة بین الدولتین وتم تحریر المشروع یوم الاثنين ١٥ ربیع الاول ٩٤٢ هـ (١٣ سبتمبر ١٥٣٥ م) مشتملا على واحد وعشرین بندا كلها جاءت فى مصالح الاسبان، والیک اهم ما جاء فیہ :

١ « اطلاق سراح الاسرى من الاسبان - وهو بیت القصید من المعاهدة -

كلها

٢ « مسالة الاسبانیین وحسن التعامل معهم

٣ « انضمام جيش بنى زیان الى جیوش الاسبان، یتحتم على السلطان الخروج

بجیشه یقوده هو بنفسه الى جانب ملك اسبانيا

٤ « یتعهد السلطان بتقدیم المیرة والعلف الى الجیش الاسبانى

٥ « یجب معاملة الاتراك والقراصنة منهم وخیر الدین على الخصوص معاملة الاعداء

٥٦ ضمان الحرية الدينية للجميع

٥٧ لا يسوغ للحكومة التلمسانية استعمال اى مرسى من مراسى الجزائر في شؤونها الاقتصادية سوى مرسى وهران فقط اصدارا وايرادا، وللسلطان الحق في استخلاص واجب الجرك بوهران ولما ان يبعث [مشرفين] لاستلام ذلك بوهران

٥٨ لا تحجز بضائع رعية السلطان في مقابل ديون الحكومة التى تدان بها الا اذا كان الدين مرتبا بذمه اثنين من [المشرفين] ويعتبر السلطان ضامنا للديون التى يدان بها تجار مملكته

٥٩ يباح لكل من رعية السلطان من مسلمين ويهود التجول والسكنى بمنطقة وهران المحتلة، كما يباح ذلك للاسبان بالنسبة لتلمسان

٥١٠ على السلطان اعتقال عبد الرحمن بن رضوان وحفيده المطالب بالعرش مهما عادا الى وهران او اتصلا بها وذلك خلال مدة خمس سنوات التى تنتهى بها ايام المعاهدة. مع الزام اتباعهما بالخضوع ومعاملتهم بالاحسان.

٥١١ يتعهد ملك الاسبان بوضع خمسمائة جندى من جيشه تحت تصرف سلطان تلمسان عند الحاجة

٥١٢ يتعهد ملك تلمسان بدفع اربعة آلاف [ضبلون] زيانى مع اشياء اخرى يقدمها لملك الاسبان كمغرم سنوى

٥١٣ لملك الاسبان نقض هذه المعاهدة متى شاء مع اخبار حكومة تلمسان قبل ذلك بمدة لا تقل عن ستة اشهر

٥١٤ لا تعتبر هذه المعاهدة نافذة معمولا بها الا متى امضاها وصادق عليها الطرفان.

وهذه المعاهدة كما تراها ايها القارى الكريم كلها كانت فى صالح الدولة الاسبانية رغم ما يظهر عليها من مسحة حب السلام ونشر الامن بالبلاد فما ذلك الا

خداع ومغالطة دبلوماسية حسبما اجمع عليه المؤرخون، فان غرضهم الوحيد منها كلها كان يرمى يومئذ الى تحرير اسراهم فقط؛ ومتى تحقق لهم ذلك ضربوا بتلك النصوص جميعها عرض الحائط

وما كان رضوخ دولة بنى زيان في بادىء الامر لهذه الشروط الاخشية تحقيق ما قد شاء يومئذ من خبر انتقال خير الدين عن الجزائر وذهاب الاسطول التركي المجاهد معه فيخلو الجو للاسبان

ورغم ذلك فان المعاهدة بقيت موقوفة لم تنفذ بعد وبقدر ما ضل الكونت الكود يطى حربا كل الحرص على تنفيذها فان السلطان تباطأ وتمهل في ذلك محتجاً بما جاء في نص المعاهدة نفسه من انها لا تصبح نافذة رسمية الا بعد مصادقة الطرفين عليها وبما انها خالية من امضاء ملك الاسبان وموافقته عليها حيث كان آنئذ غائبا عن وطنه مشتغلاً بالغزو فلم يمضها فانهاتعتبر مرفوضة مالم تمض او تختم بخاتم الملك نفسه، وبعد محاولة الكونت التأثير على السلطان في اطلاق الاسرى على الاقل - وهو كل شىء عنده - وخيتمه في ذلك سعى حينئذ في شن غارته على الحدود والتخوم بقصد التشويش فكاتبه السلطان برسائل اضطرم لها غيظ الكونت وامتعض منها امتعاضاً شديداً ادى به الى الغدر بالمبعوثين السلطانيين فاعتقلها وقطعت المفاوضات

فتح بونة ومستغانم وبسكرة وتأسيس البلدية

ولما استوثق خير الدين من امتلاك ناصية القيادة العليا للاسطول التركي باستانبول وتمكن من منصبه البحري الجديد، عزم على الرجوع الى المغرب ليتم فتوحاته بشمال افريقية وليوحد بين اقطاره الثلاثة المتماسكة ببعضها بعض فعاد في اسطوله الضخم الى غربي هذا البحر مبتدئاً بغزو تونس حيث نزل بها يومئذ ١٥٤١ هـ (١٥٣٤ م) عاهل النصرانية الامبراطور شارل كان فيمن معه من

امم الافرنج المحالفة لبني ابي حفص ، فكانت هنالك وقائع وحروب عظيمة... ثم عدل عنها خير الدين الى بونة - عنابة - فأطرد منها « المريكس مندخار » عامل شارلسكان بها وازعج من بقصبتها من جنود الافرنج وكانوا يومئذ زهاء ستمائة نسمة ، فانهزموا عنها وخرجوا منها مدحورين بعد ان مكشوا بها نحو الخمس سنوات .

وفي هذه الآونة اخذ خير الدين في تأسيس مدينة البليدة قرب عاصمة سهل متيجة « قزرونة » المعروف مكانها اليوم باسم « خزرونة » وقد كان ذلك باعانة اهلها ومساعدة الجالية الاندلسية المهاجرة اليها .

وكان اول ما وضع بها خير الدين من المنشآت ان اسس بها مسجدا جامعيا (٩٤٢هـ - ١٥٣٥م) وحماما وفرنا ، فاندرس الاخيران وبقي الاول ، وبنا الناس حول ذلك مساكنهم ودورهم الجميلة التي تمتاز بشكلها الاندلسي الانيق ، وانشأوا حولها بساتين ومزارع يانعة الثمار زاهية الازهار والنوار ، فكانت مدينة جامعة شاملة لانواع الفواكه والرياحين الشذيه ، والجو العبق الاريج ، ممتازة بتدفق مياهها العذبة الباردة وطيب هوائها النقي ، وذلك ما جعل هذه المدينة - البليدة - تدعى ما بين البلاد الجزائرية باسم « الوريدة »

وبفحصها المعروف بوادي ابي عرفة كان مسكن اسرتنا الجيلانية الاموية المتصل نسبها بالخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، مشغلة هناك تعمل بحقولها الزراعية الى ان انتقل منها والدى محمد الثالث رحمه الله مهاجرا الى سكنى العاصمة مع اخوته الثلاثة : يوسف ومحمد الاول والثاني ، وذلك خلال اواخر القرن الثالث عشر الهجري - اواخر ١١٩م - محترفين مهنة التجارة ، وشغل عمنا محمد الاول خطة العدالة بالمحكمة الشرعية .

وعاد خير الدين الى استانبول معتكفا على تسيير دفة ادارة شؤون امارة البحر الى ان وافاه اجله بها في اليوم السادس من شهر جمادى الاولى سنة ٩٥٣هـ

(اوط ١٥٤٦م) ولا يزال قبره معروفا بجامعة باشكطاش من هذه المدينة الى الآن .

وفي سنة ٩٤٦هـ (١٥٣٩م) فتح حسين آغا مدينة مستغانم واخضعها نهائيا لدولته ، ثم بعد سنة من ذلك تقدم نحو الجنوب الشرقي فاستولى على عاصمتها الزاب « بسكرة » وملحقاتها .

اندحار حملة شارلكان الكبرى

استمر حسن باشا في منصبه المستخلف عليه يعمل على قهر الق. سنة الاروية بهذا البحر قابلي في ذلك البلاء الحسن واصبح شخصه في الجزائر مثلا بارزا في البطولة والتضحية الاسلامية في سبيل الله والدفاع عن شرف الاسلام بهذا الشمال الافريقي ، فاكتمت الجزائر بموقفه هذا مهابة وجلالا . وجعلت امم النصرانية يومئذ تهرع الى عاقلها الاكبر الامبراطور شارلكان (١) مستنجدة بسلطانها منصوبة تحت لوائها ، ومن بينها البابابول « الثالث » فأتهم الجميع بينهم يومئذ لشدة حيازيمهم في تنظيم حملة عنيفة ضد الجزائر ، واخذ شارلكان يستعد للغزو باختيار الاقوياء من الجند المدرب على الحرب ، فجاء بجيش خليط من الالمان والاسبان والاطليان الجنوبيين ، وشارك بالتطوع في هذه الحملة المدشير من اشرف النصاري واعيانهم ، وتطوع لهذا الغرض نفسه الف ومائة محارب من رجال الرهبنة الفرنسية « سان جان » القديس مار يوحنا الاروشليمي (٢) المقيمين بجزيرة مالطة

« ١ » كارلوس الخامس اعظم ملوك اسبانيا وامبراطور المانيا (١٥٠٠-١٥٥٨م)

« ٢ » انشئت هذه الرهبنة خصيصا لمقاومة الاسلام ومحاربة اهلها ، وقد كان لها ذكر وصيت دائم بين امم النصرانية ايام الحروب الصليبية ، وتسميها العرب « الاسبتارية » كان مركزها اولا بجزيرة رودس ولما احتلها الاتراك سنة ٩٢٩هـ - ١٥٢٢م خرجت هذه الرهبنة منها فاستقرت بجزيرة مالطة تعمل على خطتها الحربية المرسومة وكانت هذه الجزيرة تابعة لدولة شارلكان فتخلى عنها العاهل النصراني لهذه الرهبنة فمكنت بها سيادة الجزيرة الى زمن نابوليون حيث احتلها في

وجاء الامبراطور غازيا بنفسه الجزائر على رأس عمارة بحرية تحتوي على ٦٥ بارجة و ٤٥١ سفينة نقل تحمل ٢٤٠٠ مقاتل، منها ٢٠٠ فارس و ١٣٠٠٠ نوتي بحار؛ جاعلا قيادة حملته هذه لاندرى دوريا، وكان اتصال الحملة بالجزائر عصر يوم الخميس ٢٨ جمادى الثانية سنة ٩٤٨ هـ (٢٣ اكتوبر ١٥٤١ م) فارست العمارة بناحية « حسين داي » والقت بائقالتها هنالك، فنزات الجيوش من حينها مصعدة نحو ضاحية (كندية الصابون) - سيدى يعقوب - وهو المكان المعروف اليوم ببرج مولاي حسن او : Fort l'Empereur فاحتلتها واخذت من هنالك تعمل على حصار العاصمة والتدبير في كيفية الانقضاض عليها دفعة واحدة، ولم يكن بالجزائر يومئذ من الجند سوى ثمانمائة نسمة، وفيها من السكان ما يقدر بنحو خمسة آلاف رجل قادر على حمل السلاح.

ونشبت الحرب بين الطرفين وكان من المقدور ان احتدم غضب الطبيعة يومئذ فاكفهر الجو وتلبدت السحب فتهاطلت الامطار وثار الزوابع البحرية وهاجت العواصف الجوية واضطربت الامواج فهلك اثناس عشر الف جندي من جيش العدو وتشتت شمل الباقين وتفرق الجميع شذر مذر وتحطم الاسطول المهاجم فتفرقت اوصاله حتى كاد ان يعدم بتمامه فانعطب منه يومئذ ٢٥٠ مركبا من بينها ١٥ بارجة و ١٤٠ سفينة نقل؛ وغرق من اصحابه ثمانية آلاف نوتي وانهزمت بقية الباقية منهم في الشوانى والمراكب المعطوبة الى بعض المراسي المجاورة، وما كاد الامبراطور ينجو بنفسه الى مركبه الا بعد ما اقتحمر الشدائد وكابد من العناء والنصب ما تقوضت به نفسه؛ فالتحق اولا ببجاية ثم غادرها الى اسبانيا وقد لفظ لجأه. (انظر خريطة رسم هذه الحملة في الصفحة التالية).

ولما رأى ذلك سلطان تليسان المولى محمد هاله الامر واسرع الى الازعان لدولة الجزائر التركية فتخلى لها عن مشوره

طريقه الى مصر سنة ١٢١٣ هـ — ١٧٩٨ م ثم سقطت الجزيرة بيد الانكليز سنة ١٢١٥ هـ ١٨٠٠ م فاتخذها مركزا عظيما لبحريته وقد استولى من قبل على جبل طارق فاستكمل بذلك سيادته على البحر الابيض المتوسط

وكان من المحقق ان لا تذهب هذه الحادثة سدى بدون ان تتبعها جرائر لما تركتها في نفوس المنهزمين من الضعائين والاحقاد فأخذ القوم في تعبئة الجيوش لتجديد حملتهم على المغرب الاوسط واخذت لواقح النزاع والخلاف تدب الى صدور ماوك دول الافرنج المجاورة بضاف هذا البحر الايض المتوسط وكانت هنالك حروب ووقائع القرصنة الرهيبة التي جعلت من قرصان الجزائر ابطلا مغاوير وصناديد بهاليل أذاقوا العدو بأسهم في معارك بحرية متعددة فكف عنهم حيثئذ ورجم القهقري خاسئا وهو حسير

ولم يهدأ روع شارلكان حتى اعاد تحريكه على الجزائر وسعى في تحطيم كيانه سالكا في ذلك مسلك الدهاء والمكر ، فاتصل أولا بالسلطان مولاي عبدالله الزباني فحالقه وامده بالمال والرجال ثم اخذ بعد ذلك في اغرائه ضداخيه المولى احمد الموالى للاتراك فاوقد بينهما العداوة والبغضاء وتسرب ذلك الى الرعية فبادر حيثئذ حسن آغا خليفة خير الدين الى انقاذ الموقف وشمر على ساعده ونهض للقضاء على فتنة شارلكان هذه (١٥٥٠هـ - ١٥٤٣م) فانهمزت جيوش مولاي عبدالله بشعبة اللحم في ناحية عين تموشنت ،

ثم في السنة التالية أعاد الاسبان غارتهم على تلمسان فازعجوا اهلها وعائوا في انحاءها فاضطرب لذلك اهالى تلمسان واندلعت بينهم نار الثورة فسقطت المدينة بيد الاسبان وعمت الفوضى وانقلب اهلها ضد الملك وحاولوا اغتيالها فانفلت من بين ايديهم وتخلص الى قبيلة آنكاد - على نحو ٣٠ كيلو مترا من وجدة - ولكنه رغم ذلك وقع في الفخ فاغتيل هنالك وجلس مكانه اخوه مولاي احمد (للمرة الثانية) وفي هذه السنة اي (١٥٥١هـ - ١٥٤٤م) توفي حسن آغا، وبموته انتهى عصر

الفتح التركي ومن آثاره العمرانية بالعاصمة : برج الفنار المشرف على المرسى القديم اسسه سنة (١٥٤٨هـ - ١٥٤١م) وقلعة سلطان قلاسى القائمة بكدية الصابون وهو المكان المعروف اليوم باسم برج مولاي حسن او (برج بوليلة) Fort l'Empereur

ولاية عصر الفتح التركى

تاريخ التولية

١٥١٤ - ٩٢٠ هـ

١٥١٨ - ٩٢٤ هـ

١٥٣٤ - ٩٤٠ هـ

عروج بارباروس - الاول -

خير الدين بارباروس - الثانى - ييلرباي

محمد حسن آغا الطواشى

سلاطين آل عثمان

تاريخ التولية

١٥١٢ - ٩١٨ هـ

١٥٢٠ - ٩٢٦ هـ

السلطان الغازى سليم خان الاول

السلطان الغازى سليمان خان الاول

مشاهير الجزائريين

محمد النقاوسي

كان فيمن اشتهر من بيوتات الجزائر بالعلم والفضل خلال النصف الثاني من القرن التاسع واولئل العاشر من الهجرة جماعة توارثت العلم والادب والمجد ابا عن جد ، منهم العقبايون والمقاريون بلمسان وآل ابن قنفذ الخطيب وآل الفككون بقسنطينة وغيرهم كثير ممن امتلات بهم كتب التراجم وجاب بريد ذكرهم الآفاق ، ومن بينهم مترجما هذا ابو عبد الله محمد النقاوسي .

فهو محمد بن محمد بن محمد بن يحيى بن ابي علي ابو الطيب بن ابي عبد الله المغربي النقاوسي - بالقاف المعقودة - القسنطيني المالكي ، هكذا ترجم له السخاوي في ضوئه وقال : انه ولد في يوم الاربعاء ثامن عشر جمادى الثانية سنة ثمان واربعين - اى من القرن التاسع الهجرى - ٢ اكتوبر ١٤٤٤ م) بمدينة نقاوس من غربي قسنطينة ، وكان والده قاضيا بها ، ثم تحول المترجم في حياة والده بعد قراءة القرآن واشتغاله قليلا بالعلم الى مدينة قسنطينة للطلب ، ثم الى تونس فأخذ الفقه عن ابراهيم الاخذري واصوله مع المنطق والعربية والمعاني عن احمد النخلي ومحمد الواصلي ، وتوفي والده فارتحل الى الديار المصرية في سنة تسع وستين وعمره يومئذ احدى وعشرون سنة . فجد في الاشتغال واختص بخطيب مكة ابي الفضل رفيقا للخطيب الوزيري ، واخذ عن الشمي في حاشيته وغيرها كشرح نظم ابيه للنخبة وتكرر له عنه ، والتقى الحصني في المنطق وغيره والشرواني في شرح الطوالع وغيرها من طبعي والاهي ورياضي ، ولزم علماء آخرين كالكافاجي والامين الاقصرائي ويحيى العلوي والسخاوي وغيرهم ، فأخذ عنهم التفسير والفقه والتاريخ والادب .

قال السخاوي : وحضر عندي بعض مجالس الاملاء ، وكان يكثر مراجعتي

مع عقل وسكون وفضيلة،

وفي غضون اقامته بالقاهرة حج ثم رجع الى بلاده واستقر قاضى العسكر
لخفيد مولاي مسعود، ثم اعرض عنه لاختياره سكنى تونس وصار احدا عدولها
ودام سنين وامتدح صاحبها بعد اخراج عبد المؤمن بن ابراهيم بن عثمان عنها
زكرياء بن يحيى بن مسعود بقصيدة طالعها :

ضحك الربيع وجاء سعد مقبل ولك الهنا ذهب الزمان الممحل
فارفل فديتك في ميادين المنى هذا لواء النصر وافي يرقل
وارح جواد الجند في اثر العدى فسهم سعدك في الاعادى انبل

قال وسمعها منه بعض الفضلاء المغاربة ولم يسمح بعود نسخة بها اليه، وقال

ان زكرياء امتدح بكثير ولم يطابق الواقع في مدحه غيرك

ثم تحول المترجم بعياله وجماعته قاصدا استيطان الحجاز فدخل الديار المصرية
فكانت اقامته بها نحو ثلاثة اشهر وركب البحر من الطور صحبة نائب جدة
فدخل مكة في اثناء رجب ولقيه السخاوى فقال : ودام الشيخ بها على طريقة
حسنه في الانجماء والعبادة الى ان سافر مع المدنيين الى طيبة فقدمها في اواخر
سنة سبع وتسعين وثمانمائة فدام بها قال ولقيته حينئذ بها وكتبلى بخطه ماعمله
اجابة لصاحبه الخطيب الوزيرى واقرا هناك بعض الطلبة. وذكرلى ان عزمه
استيطانها. اه

محمد بن عبد الكريم المغيلي

(٩٠٩ هـ (١٥٠٤ م)

هو ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني احد اعلام الجزائر في فاتحة القرن العاشر الهجري، ترجم له احمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج فقال : خانمة المحققين الامام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح السني احد الاذكياء ممن له بسطة في الفهم والتقدم، اخذ عن الامام عبد الرحمن الثعالبي والشيخ يحيى بن يدير وغيرهما، كان رجلا مقداما على الامور جسورا جرى القلب فصيح اللسان جدليا نظارا محققا متصليا في الدين متمسكا بالسنة مبغضا لاعداء الدين ولقد وقع له بسبب ذلك امور وحوادث كبيرة مع فقهاء وقته حين قام على يهود توات بالمغرب والزمهم الذل بل قتلهم وهدم كنائسهم (١) ونازعهم في ذلك الفقيه عبد الله العصونى قاضى توات؛ فراسلوا في ذلك علماء فاس وتونس وتلمسان، فكان ممن كتب في الموضوع الشيخ السنوسى ومحمد بن عبد الحليم التنسى، والرصاع مفتى تونس؛ وابو مهدي الماواسى مفتى فاس، وابن زكري مفتى تلمسان والقاضى ابو زكرياء يحيى بن ابي البركات الغمارى وعبد الرحمن بن سبع التلمسانيان .

ومما جاء في كتابته الشيخ السنوسى قوله : «من عبيد الله محمد بن يوسف السنوسى الى الاخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر التى القيام بها لا سيما في هذا الوقت علم على الاتسام بالذكورة العلمية والغيرة الاسلامية وعمارة القلب بالايمان السيد ابي عبد الله بن عبد الكريم المغيلي حفظ الله حياته وبارك في دينه ودينه وختم لنا وله ولسائر المسلمين بالسعادة والمغفرة بلا محنة يوم نلقاه، بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقد بلغنى ايها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الايمانية والشجاعة العلمية من

(١) راجع تفاصيل هذه الحادثة في كتاب المعيار للونشريسي

تغيير احداث اليهود اذ لهم الله كنيسة في بلاد الاسلام وحرصكم على هدمها وتوقف اهل تمنطيطه فيها من جهة من عارضكم فيه من اهل الاهواء فبعثم الينا مستنهضين همم العلماء فيه فلم ار ممن وفق لاجابة المقصد وبذل وسعه في تحقيق الحق وشفاء الغلة ولم يلتفت لقوة ايمانه ونصوح ايقانه لما يشير اليه الوهم الشيطاني من مdahنة من يتقى شوكتهم سوى الشيخ الامام القدوة الحافظ المحقق علم الاعلام ابي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي امتنع الله به .. جزاء الله خيرا قد امد لابانة الحق ونشر اعلامه النفس، وحقق نقلا وفهما وبالغ فابدى من نور ايمانه الماحي ظلمة الفقر اعظم قبس الخ

وحين وصل جواب التنسي ومعه كلام السنوسي هذا لتوات حيث يقيم الشيخ المغيلي، جمع صاحب الترجمة طائفة من اتباعه وجماعته فلبسوا آلات الحرب وقصدوا كنائس اليهود وامر الشيخ بقتل من عارضهم دونها فهدموها عن آخرها ولم يتناطح في ذلك عنزان، ثم قبال لهم من قتل يهوديا قلما على سبع مشاقيل وجرت يومئذ في ذلك امور؛ فنظم الشيخ آنذاك في القضية هذه قصائد ومدح النبي صلى الله عليه وسلم وذم اليهود فيها ومن نصرهم،

ودخل المترجم بلاد اهر وتكدة واجتمع بصاحبها واقرا اهلها واتفقوا به ثم دخل بلاد كنو وكش من بلاد السودان واجتمع بصاحب كنو واستفاد عليه وكتب رسالة في امور السلطنة تحت عنوان «تاج الدين فيما يجب على المملوك والساطين» وهي مطبوعة بمصر في ثمانية عشر صفحة بدون تاريخ حضهم فيها على اتباع الشرع الخفيف والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقرر لهم احكام الدين وقواعده ثم رحل لبلاد التكرور فوصل الى بلدة كاغو واجتمع بسلطانها ساسكي محمد الحاج وجرى الشيخ على طريقته هنالك من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والى له تأليفا اجابه فيه عن مسائل،

وفي كاغو هذه باغه مقتل ولده على يد اليهود بتوات، فانزعج الشيخ لذلك

وطالب من السلطان القاء القبض على اهل توات المقيمين بسكاغو فقبض عليهم السلطان، وانكر عليهم ذلك ابو المحاسن محمود بن عمر اذ لم يفعلوا شيئا فرجع عن رايه وامر باطلاقهم ورحل الى توات وهناك ادر كته منيته فتوفي رحمه الله سنة ٩٠٩ هـ (١٥٠٤ - ١٥٠٥م) ومن نظمه ما جاء في مراسلة جرت بينه وبين جلال الدين السيوطي ملاحظا عليه قوله بتجريم علم المنطق :

سمعت بامر ماسمعت بمثله	وكل حديث حكمه حكم اصله
ايمن ان المرء في العلم حجة	وينهى عن الفرقان في بعض قوله؟
هل المنطق المعنى الا عبارة	عن الحق او تحقيقه حين جهله
معانيه في كل الكلام وهل ترى	دليلا صحيحا لا يرد لشكله؟
اريني هداك الله منه قضية	على غير هذا تنفها عن محله
ودع عنك ابداه كفور وذمه	رجال وان اثبت صحة نقله
خذ الحق حتى من كفور ولا تقم	دليلا على شخص بمذهب مثله
عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن	به لابهيم اذهم هداة لاجله
لئن صح عنهم ما ذكرت فكهم هم	وكم عالم بالشرع باح بفضله
في ابيات لم نعر على بقيتها ؛ فاجابه	الجلال السيوطي بقصيدة وهي :
حدث الى العرش شكرا لفضله	واهدي صلاة للنبي واهله
عجبت لنظم ماسمعت بمثله	اتاني عن حبر اقر ببثله
تعجب مني حين الفت مبدعا	كتابا جموعا فيه جمر بنقله
اقرر فيه النهى عن علم منطق	وما قاله الاعلام من ذم شكله
وسماه بالفرقان ياليت امر يقل	فذا وصف قرآن كريم لفضله
وقال به فيما يقرر رايه	مقالا عجيبا نائيا عن محله
ودع عنك ابداه كفور وبعد ذا	خذ الحق حتى من كفور بختله
وقد جاءت الآثار في ذم من حوى	علوم يهود او نصارى لاجله

يعزز به علما لديه وانه يعذب تعذبا يليق بفعله
وقد منع المختار فاروق صحبه وقد خط لوحا بعد توراة اهله
وقد جاء من نهى اتباع لكافر وان كان ذاك الامر حقا باصله
اقمت دليلا بالحديث ولم اقم دليلا على شخص بمذهب مثله
سلام على هذا الامام فكم له لدى ثناء واعتراف بفضله

وللمترجم من التأليف كثير، اشتهر منها ما رايناه مطبوعا من تلك الرسالة
المسمى اليها وما ذكره الشيخ بابا التبتكى من اسمائها وهي : البدر المنير في علوم
التفسير ومصباح الارواح في اصول الفلاح، وهو كتاب عجيب في كراسين
ارسله الى السنوسى وابن غازى فقرضاه، ومعني النبيل في شرح مختصر خليل
وهو شرح مختصر جدا سلك فيه مسلك المزج بين المتن والشرح ليم يكمل
بلغ فيه الى القسم بين الزوجات، وله عليه قطع اخرى من البيوعات وغيرها، بل
قيل انه شرح ثلاثة ارباع المختصر وله حاشية عليها سماها إكليل المعنى، قال
الشيخ بابا وقفت منها الى التيمم، وشرح بيوع الآجال من ابن الحاجب بحث
فيه مع ابن عبدالسلام و خليل، وتأليف في المنهيات، ومختصر تلخيص المفتاح وشرحه
ومفتاح النظر في علم الحديث فيه ابحاث مع النووي في تقريره، وشرح الجمل
في المنطق، وله مقدمة فيه ومنظومة ايضا سماها منح الوهاب وثلاثة شروح
عليها قال الشيخ بابا وقد شرحها والدى بشرح حسن استوفي فيه، وله ايضا تنبيه
الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين وشرح خطبة المختصر ومقدمة
في العربية، وكتاب الفتح المبين، وفهرسة مروياته؛ وعدة قصائد منها الميمية على
وزن البردة ورويتها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم؛

وكان فيمن اخذ عنه الفقيه ايد احمد والشيخ العقاب الاصمعي؛ ومحمد بن
عبد الجبار الفجيجي في جماعة كثيرة... رحم الله الجميع .

أحمد الونشريسي

١٥٠٨ هـ - ١٩١٤ م

هو حامل لواء المذهب المالكي على عاتقه بالمغرب العربي على راس القرن العاشر الهجري، الاستاذ العلامة الشيخ أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي، نسبة الى مرتفع ارض ونشريس بمقاطعة الجزائر، وهو صاحب المدونة والمعلقة الفقهية الكبرى الشهيرة باسم: المعيار المغرب، عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب وهو كتاب حافل جامع لمعنى اسمه طبع لأول مرة بفاس سنة ١٣١٤ هـ في اثني عشر مجلدا، وحسبه مجدا وفخرا هذا المؤلف الجليل

ولد رحمه الله حوالي سنة ٨٣٤ هـ واخذ عليه عن مشائخ بلده تلمسان كالامام ابي الفضل قاسم العقباني وولده القاضي ابي سالم وحفيده الامام محمد العقباني والامام محمد بن العباس، وابي عبد الله الجلاب وابن مرزوق الكفيف، والغرابلي والمري والمازوني في آخرين من فطاحل علماء الجزائر النابهين، وكان رحمه الله فصيحا بديعا يقول من حضر درسه انه لو رآه سيويه لآخذ النجس ومن فيه، متخصصا في علوم الشريعة والاصول ملازما لتدريس المدونة ومختصرا ابن الحاجب الفرعي؛ وكل من سمعه فيهما يقول انه لا يحسن غيرهما مع مشاركة حسنة في الفنون،

واودى رحمه الله بكائنة حدثت من طرف السلطان فنهبت داره بتلمسان في اوائل المحرم ٨٧٤ هـ (جولييط ١٤٦٩ م) فشد رحله الى المغرب الاقصى مستوطنا مدينة فاس وانقطع فيها للتدريس فتخرج على يده جماعة من كبار العلماء واعيان المغرب، منهم ولده عبد الواحد وابو عباد بن مليح اللمطي والاستاذ ابو زكرياء السوسي، والفقيه المحدث محمد بن عبد الجبار الوردغيري، وعبد السميع المصمودي وقاضي فاس محمد بن الغرديسي التغلبي، وبخزانة هذا القاضي انتفع الشيخ في تأليف

كتاب المعيار لاسيما فيما يرجع الى فتاوى علماء فاس والاندرلس؛ اما فتاوى اهل فريقية - تونس - والجزائر وتلمسان فقد اعتمد في ذلك على نوازل البرزلى والمازوني

وللشيخ من التأليف غير هذا كثير منها كتاب الولايات في مناصب الحكومة الاسلامية والخطط الشرعية؛ طبع مع الترجمة الفرنسية برباط الفتح سنة ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م، وكتاب في الفروق الفقهية، وآخر في القواعد الشرعية صغير الحجم وغنية المعاصر والتالى في شرح وثائق الفشتالى، وتعليق على مختصر ابن الحاجب الفرعى في ثلاثة اسفار، وكتاب الفائق في احكام الوثائق لم يكمل، وكتاب في الوفيات، وفهرست، وايضاح المسالك الى قواعد الامام مالك.

وكانت وفاته رحمه الله يوم الثلاثاء المو في عشرين من شهر صفر سنة ٩١٤هـ (١٤ جوان ١٥٠٨م) وعمره يومئذ نحو الثمانين سنة. وذكر الشيخ احمد بابا التنبكتى عن الشيخ القصار ان سقوط وهران بيد الاسبان كان في هذه السنة

عبد الرحمن الاخضري

٩٥٣ هـ - ١٥٤٦ م

هو العلامة الامام المحقق الشيخ عبد الرحمن بن الصغير - بالصغير - بن محمد الاخضري نسبة الى بطن من بطون الدواودة من اولاد رياح يعرف بالاخضر وهم يسمون كذلك لسوادهم والعرب تسمى الاخضر وهي تعني الاسود؛ يتصل نسبه رحمه الله بالصحابي الجليل العباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه ولد المترجم حوالى سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م) ونبغ فذا عبقرى في جميع العلوم الاسلامية معقولها ومنقولها ورزق العلم بها واليف فيها فتى صغيرا كما تدل على ذلك عباراته في تأليفه العديدة من نظم ونثر فهو القائل في سلمه المروني في علم المنطق معتذرا ومتواضعا

وقل لمن لم ينتصف لمقصدي	العذر حق واجب للمبتدى
ولبنى احدى وعشرين سنة	معذرة مقبولة مستحسنة
لاسيما في عاشر القرون	ذى الجهل والفساد والقون
وكان في اوائل المحرم	تأليف هذا الرجز المنظم
من سنة احدى واربعين	من بعد تسعة من المئتين

وفي ختام نظم الجواهر المكنون في فنون البلاغة يقول انه وضعه سنة خمسين من القرن العاشر اى بعد سنة من وضع السلم :

تم بشهر الحجة الميمون متم نصف عاشر القرون
فيكان بذلك من المبكرين في التأليف و كل من وقف على تأليفه علم ان اثره
كان متضلعا من العلم وانه ذا خبرة تامة بفن التعليم (بيد اكوجي)،
ولقد جمع الله ما بين تحفى دماغ هذا الرجل فنونا من العلم فكتب رحمه
الله في علوم الحكمة والتصوف والفقه والمنطق والبيان واللام والحساب والهيئة

الخ... ولسهولة عبارته وحسن سبكه ورشاقة أسلوبه في بسطه لمسائل العلم
 اقبل الناس في مشارق الارض ومغاربها على مؤلفاته يدرسونها ويشرحونها في كل
 مدرسة او معهد من معاهد العلم بهذا المغرب العربي وفي المشرق أيضا
 وكان مما عرفناه واتصلنا به منها نظمه الجوهر المكنون في عاوم البلاغة وهو
 مطبوع بمصر وله عليه شرح مخطوط يوجد بالمكتبة الوطنية الجزائرية ونظم
 الدرة البيضاء في الحساب والفرائض وهي مطبوعة بشرحها في مصر ونظم السلم
 المروني في علم المنطق وله عليه شرح مختصر وكلاهما مطبوع بمصر ونظم
 السراج في الفلك مع شرحه طبع بالجزائر ومصر وله منظومة في العمل بالاسطرلاب
 مخطوطة والفريادة الغراء في التوحيد مخطوطة عندنا منها نسخة بخزانتنا والمنظومة
 المسماة بالقدسية في التصوف وآداب السالك واتقاد البدع مخطوطة ومختصر في
 فقه العبادات على مذهب مالك مطبوع بالجزائر وعليه شرح لابن المسبح القسنطيني
 طبع بمصر، ولما غير هذا من متون وشروح وتأليف مستقلة في كثير من
 فروع العلم والمعرفة ضاع اكثرها بلهيب النيران وفيها الذي سطت عليها يد الحدنان
 وفيما ذكرنا منها كفاية في الاستدلال بها على مقدرة الشيخ وكفاءته العلمية وعلو
 كعبه في التأليف مع صغر سنه

توفي رحمه الله سنة ١٢٥٣ هـ ١٨٤٦ م ودفن بضريحه المشهور به الى الان
 بقرية بنطيوس احدى قرى الزاب الشهيرة بالقرب من بسكرة

جدول تاريخي

٩٢٠ - ٩٥٠ هـ

١٥١٤ - ١٥٤٤ م

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
١٥١٤ هـ ٩٢٠	اتصال دولة الاتراك العثمانيين بالجزائر وفتح مدينة جيجل
١٥١٦ هـ ٩٢٢	احتلال مدينة الجزائر وشرشال وخيبة حملة الاسبان على الجزائر
١٥١٧ هـ ٩٢٣	توسم الاتراك في فتح غربي الجزائر الى تلمسان
١٥١٨ هـ ٩٢٤	استشهاد عروج والحاق الجزائر بالامبراطورية العثمانية
١٥١٩ هـ ٩٢٦	انهزام حملة شارلكان الاولى عن الجزائر
١٥٢٣ هـ ٩٢٩	حرکت ابن القاضي الثورية ضد الاتراك واستيلاءه على مدينة الجزائر
١٥٢٧ هـ ٩٣٤	الاستيلاء على اعمال قسنطينة وبوثة وقمع ابن القاضي وقتله
١٥٣٠ هـ ٩٣٦	فتح قلعة «البيينون» Penion بثغر مدينة الجزائر
١٥٣١ هـ ٩٣٧	انكسار اندري دوريا وانهزامه عن الجزائر وشرشال. وفيها كان
	الشروع في انقاذ مضطهدي الاندلس والمجبيء بهم الى الجزائر
	واتسارهم بالمغرب العربي
١٥٣٤ هـ ٩٤٠	انتقال خير الدين الى ولاية امارة البحر باستانبول واستخلافه
	لحسن آغا على الجزائر
١٥٣٤ هـ ٩٤١	حملة خير الدين على تونس والاستيلاء على بوثة . وفيها كان
	تأسيس جامع القائد صفر - سفير - عبدالله بالعاصمة
١٥٣٥ هـ ٩٤٢	تأسيس مدينة البليدة
١٥٣٩ هـ ٩٤٦	الاستيلاء على مدينة مستغانم وبسكرة وارض الزاب
١٥٤١ هـ ٩٤٨	اندحار حملة شارلكان على الجزائر وتأسيس عمارة برج القنار بالميناء
١٥٤٣ هـ ٩٥٠	انتصار حسن آغا على ملك تلمسان ووفاته

عصر البيلرباي

«ب»

٩٥٠ - ٩٩٥ هـ

١٥٤٤ - ١٥٧٨ م

ولاية حسن باشا بن خير الدين

اجمع اهل الديوان يوم ان توفي اميرهم محمد حسن آغا الطيواشى على تولية الحاج بكير مكانه موقتا ريشما يتصل بهم الحاكم التركي المولى من طرف البساب العالى باستانبول فمكث الحاج بكير على راس الادارة الجزائرية مدة الى ان قدم عليهم حسن باشا بن خير الدين سنة ٩٥٠ هـ (١٥٤٤م) يحمل لقب بيلرباي ويكتب بالقلم التركي هكذا : «بيجر باجى او بكربك» اى امير الامراء. ارخه عبد الرزاق بن احمدوش في معجمه بجمادى الثانية سنة ٩٥٢ هـ (اوط ١٥٤٥م) ..؟

رسوخ قدم الاتراك بآلمسان

ويوم ان انتقض اهل آلمسان على سلطانهم مولاى احمد وحاول هذا الانتصار عليهم بحلفائهم الاسبان، بادر حسن باشا الى حامية الاهالى فغزا آلمسان واحتلها في اواسط شعبان ٩٥٢ هـ (اكتوبر ١٥٤٥م) وقضى على حامية مولاى احمد وحلفائه ونصب على عرش آلمسان مولاى الحسن تحت اشراف دولة الاتراك بالجزائر. وخرج يومئذ مولاى احمد صحبة وزيره المنصور بن ابى غانم فالتحقا بنساحية دبدو، وهناك اغر بهم صاحب تلك النواحي عمر بن يحيى الوطاسي فاستصفى جميع ما معهم من الاموال فصادرها واعتقلهما عنده مدة ثم اطلق وفاق المنصور في المحرم ٩٥٣ هـ (مارس ١٥٤٦م) وهنا اغفلت الرواية التاريخية ما آل اليه امر مولاى احمد فلا ندرى امات بمعتقله ام اطلق عقاله ...؟

وكان من المؤسسات الادارية التى انشأها حسن باشا بن خير الدين بالجزائر

في هذه الفترة ان حدث سنة ١٥٤٨ هـ ١٥٤٨ م مقاطعة تطرى واقام عليها رئيسا يحمل لقب «الباي» ثم بعد سنتين من ذلك ابرم حلف الصداقة ومعاهدة الود بين حكومة الاشراف السعديين بالمغرب الاقصى وحكومة الجزائر . وكان من المقرر قمع حركة الاسبان بالايالة الوهرانية وتطهير تلك النواحي منهم ؛ وفعلا نهضت حكومة مراكش بذلك وحاصرت تلمسان وضيق على اهلها الحناق مدة تسعة اشهر ثم احتلتها في يوم الاثنين ٢٣ جمادى الاولى سنة ٩٥٧ هـ (جوان ١٥٥٠ م) وبسطت نفوذها على تلك النواحي ونشرت اعلامها على مستغانم واحوازاها وجميع اعمال تلمسان الى حدود شلف، ويومئذ تحرك داعي التنافس بين الحكومتين المتجاورتين مراكش والجزائر وحمل الاتراك على تلمسان بقيادة حسن باشا فتقهقر المغاربة عنها الى التخوم وتمكن قدم الاتراك يومئذ بالعاصمة الزيرية فالحقوها بحكومتهم الجزائرية مباشرة وولوا عليها من طرفهم حسن قورصو، ثم عاد البيلر باي الى العاصمة مشغلا باتمام تنظيم الادارة التركية والقيام باصلاح شان البلاد الجزائرية فأشأ الحصون والمجارس بها، منها ذلك الحصن الشامخ الذرى القائم فوق كدية الصابون بجنوب العاصمة؛ وهو المعروف الى اليوم ببرج مولاي حسن او برج بوليلة، وقد كان يسمى ببرج الطاوس وبرج سلطان قالاسي ايضا؛ ومنها مدينة القليعة الساحلية انشأها سنة ٩٥٧ هـ (١٥٥٠ م)

رسم حدود الجزائر وتخطيط تخومها الغربية

ولما استقر الحكم التركي بتلمسان وخضعت لسلطانه جميع اعمالها وتقرر رسم الحدود السياسية بين المملكتين الجزائر ومراكش ، انتدب لذلك العلامة الهمام ابو عبد الله محمد الخروبي الجزائري فوفد على سلطان المغرب فاقتبله البلاط بما هو جدير به من التجلة والاکرام ، وعقدت للشيخ هنالك مجالس ومحافل ناظر فيها علماء المغرب وساجلهم في مباحث شتى من العلم ، وجري له كلام في

التصوف والطرق الصوفية انفرد به وحده وتم على يده تخطيط الحُد الغربي الذي بقي محترماً معروفاً الى اليوم بين حكومة الجزائر والمغرب الأقصى ولم يحدث فيه كبير تغيير جوهري الا ما حدث في بعض الجهات الجنوبية من تحويل طفيف حسبما اوجت به سياسة الاستعمار الفرنسي في الاخير .

انتقال البيلارباي الى استانبول

اتفق ان نشأ خلاف بين بيلارباي الجزائر ومفوض دولة فرنسا ، فسعى المفوض بامير الجزائر التركي ووشي بهلدى الباب العالي باستانبول واحاطه بطائفة من التهم والشبه ولطخ سمعته بالريب فاستدعى السلطان اذ ذاك والى الجزائر الى حضرته ، فغادرها حسن باشا سنة ٩٥٨هـ (١٥٥١م) وذهب الى استانبول مستخلفاً في مكانه حسن آغا .

وفي هذا التاريخ اهتمل الاسبان فرصة غياب الوالي التركي فغزوا تلمسان واحتلوها ومكثوا بها ثلاثة عشر يوماً ثم هزموا واخرجوا منها .



ولاية صالح رايس

انتصب على اريكة الجزائر في شهر جمادى الاولى سنة ٩٥٩هـ (افريل ١٥٥٢م) فكان لتوليته ارتياح عظيم لدى الاوساط الجزائرية : واهم ما ابتدأ به من الاعمال وباشرها بنفسه في صدر ولايته ان تصدى لاختضاع الثائرين والمتمردين على حكومته من سكان الجنوب الجزائري كبنى الجلاب المستبدين بنواحي بسكرة وتقرت ، وبنى وارجلان - وارجلة - فان هؤلاء جميعاً امتنعوا من اداء الجباية والمغرم ، فتصدى لاختضاعهم صالح رايس مستعيناً على حركته هذه بصديقه عبد العزيز امير قلعة بنى عباس حيث اتصل به في محبنة ومعه يومئذ ثمانية آلاف جندي فخضعت له قبائل الجنوب واستولى على عاصمة الزاب

الجزائري - بسكرة - وأحوازا

ويذكر عن حسن قورصو عامل تلمسان يومئذانه تحرك لمقاتلته عبد العزيز امير القلعة في سنة ٩٥٩ هـ (١٥٥٢م) وكان اللقاء بينهما في نواحي بوغني والمسيلة، وكان لصالح رايس وولده محمد ضلع في هذه الحرب التي كتب النصر فيها لعبد العزيز

الاستيلاء على فاس

كان مما اشتهر به صالح رايس في مدة امارته على الجزائر الولوع بغزو سواحل امم النصرانية بهذا البحر والزحف نحو اساطيل العدو الراسية بموانئ هذه الشواطىء وكان مما ظفر به بمياه الاندلس في سنة ٩٦٠ هـ - ١٥٥٣ م عشرة مراكب اسبانية فساقتها الى الجزائر وكان من بين اهلها يومئذ الامير ابو حسون - ابو الحسن على بن محمد الشيخ - الوطاسي؛ وجد هناك على ظهر مركب منها مختفيا فارا بنفسه من الدولة السعدية القابضة يومئذ على زمام المغرب الاقصى، فتعرف ابو حسون الى صالح رايس وكانت بينهما مودة ومصافاة جعات من الامير الجزائري الصديق الوفي لاسيرة الامير الوطاسي وتواطأ على غزو مراكش واسترداد مملكة بني وطاس المرينيين من يد السعديين،

وفعلا خرج الاسطول التركي الجزائري من العاصمة محتويا على ٢٢ مركبا حربيا فغزا سواحل مليلة والريف المغربي وبادر الجيش الى السير برا نحو المغرب بقيادة صالح رايس نفسه فاحتل تلمسان وتقدم الى فاس فاحتلها ايضا يوم ثالث صفر ٩٦١ هـ (٨ جانفي ١٥٥٤ م) ونصب على عرشها ابا حسون مرتبطا بالباب العالي، ونفى السلطان السعدي، وفي عودة الاتراك الى الجزائر نهض الملك السعدي مغتتما هذه الفرصة فقصى على ابي حسون واعاد الامر الى دولته

الحاق ولاية تلمسان بالجزائر

كان مما قام به بيلرباي الجزائر صالح راييس ايام وجوده بتلمسان ان درس
الوضعية السياسية هنالك فعرف ما كانت عليه البلاد يومئذ من الضعف وسوء
التحصين امام جيش الاسبان الجانم بوهران وانكشفت له بها علائق سرية واتصالات
مربية مخيفة بين مولاى الحسن حاكم تلمسان والاسبان ، فكتمر صالح امرة ريشما
انتهى من عملية الحرب بمراكش وفاس ، وفي منصرفه من تلمسان اعلن عزل
حاكمها المذكور والحقها راسا باعمال الجزائر .

تمكن الاتراك من فتح قسنطينة وبجاية ووهران

من المحقق تاريخيا ان الاتراك تمكنوا من قسنطينة اثر وقعة وادي
القطن - بين ميلة وقسنطينة - حيث احتلها اتراك بونة وتونس سنة ٩٦٢هـ - ١٥٥٥م
والحال انهم قد وجدوا بها منذ سنة ٩٤١ هـ (١٥٣٥ م) ولكننا لا نعلم صفة ذلك
ولا كيفية الغزو ونوع الفتح والاحتلال ، وانما الذى نعلمه من حوادثهم
بهذه النواحي الشرقية انهم فتحوا بجاية بعد حرب طاحنة ومقاتلة للاسبان برا
وبحرا وكان احتلالهم لها يوم السبت ١٢ ذى القعدة سنة ٩٦٢ هـ (٢٨ سبتمبر
١٥٥٥ م) وفي نفس هذه السنة استنجد الفرنسيون بالاسطول الجزائري لتعزيز
قواتهم الحربية ضد الاسبان .

وبعد ان فرغ بيلرباي الجزائر من فتح الجهات الشرقية غدا يستعد لفتح
وهران واخذ في تعبئة نحو السبعين سفينة لغزوها واجتمع لديه من الجند ما
يقرب من اربعين الف نسمة ، وكان ينوى اتمام زحفه هذا بالسير الى مراكش
للقضاء على ما نشب هنالك بين الاهالى من فتن واضطرابات واخضاعها
لسلطانه ، ولان القدر لم يمهلها واجاله لم يرجئه فتوفي بالطاعون في شهر
رجب سنة ٩٦٣ هـ (ماي ١٥٥٦ م) وعمره سبعون سنة ، فخلفه يومئذ طرغود

بك في فتح وهران فغزاها على رأس أسطولها الضخم فاحتلها وانهزم عنها الأسبان وكان من منشآت صالح رايس وآثاره المعمارية بالعاصمة دار السلطان أو قصر الجنيّة بأسفل المدينة، مكث في بنائه نحو خمس سنوات ٩٥٩-٩٦٣ هـ (١٥٥٢ - ١٥٥٦ م) ولقد دام هذا البناء الشامخ نيفا وثلاثة قرون، أي طيلة تاريخ أيام الحكم التركي بالجزائر إلى أن هدمته السلطة الفرنسية سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٦ م) وأقامت مكانه هذه الدار الموجودة اليوم شرقي دار عزبة بنت الباي - الاسقفية - حيث يوجد بالطابق الأول منها مركز نادي الترقّي



ولاية حسن قورصو

انتصب بنفسه على عرش الجزائر يوم وفاة سلفه صالح رايس ٩٦٣ هـ (١٥٥٦ م) وفرض طاعته على الرعية ولم يراع في ذلك جانب الباب العالي باستانبول معتمدا في ذلك على ما أوتيته من البطولة الحربية والشجاعة الأدبية، وأصله من مدينة كورسيكا التي اشتهر بنسبتها إليها ودعى لذلك «قورصو»

وفي أول برهة من ولاية قورصو توجه بنفسه على رأس حملة شديدة إلى وهران فشدد عليها الحصار برا وبحرا وضايق الأسبان بها حتى كاد أن يدركه النصر أو يكون منه قاب قوسين أو أدنى فناداه حينئذ السلطان العثماني باستانبول مستنجدا بأسطول الجزائر لتعزز قوات المجاهدين ببحر الأرخيل ورد حملة اندرى دوريا عن البوسفور، فعدل يومئذ حسن قورصو عن وهران وعاد بأسطوله نحو بلاد الامبراطورية العثمانية بالمشرق

وفي ذي القعدة ٩٦٣ هـ - سبتمبر ١٥٥٦ م حل بالجزائر من قبل الباب العالي أميرها الشرعي اليلرباي محمد تشلبى كرد أوغلى - طككرلى - فاعترضه حسن قورصو وبذل في منعه من الاتصال بالجزائر غاية وسعه ولكن طككرلى اجتهد حتى تمكن من الحلول بجون «تامد فوس» شرقي العاصمة

وهناك اصطدم بقوات حسن قورصو فناشبه الحرب وذهب ضحيتها الوالي السابق وقتل بعده الوالي الجديد ايضا وحكم الجزائر يومئذ والي تلمسان الامير يوسف صديق حسن قورصو ولم يلبث ان توفي بالطاعون فخلفه يحيى باشا مدة ستة اشهر ابتداء من شهر ربيع الاول الى شعبان ٩٦٤ هـ (من جانفي الى آخر ماي ١٥٥٧ م)

وكانت دولة الاشراف السعديين بمراكش تتحين الفرص للانقضاض على مملكة تلمسان فساعدتها الظروف في هذه الفترة من الزمن فاستولت عليها الى ان جاء عصر حسن باشا بن خير الدين وعاد الى منصبه الاول .



ولاية حسن باشا بن خير الدين (ثانيا)

تقلد منصبه هذا للمرة الثانية في شهر شعبان ٩٦٤ هـ (جوان ١٥٥٧ م) فابتهج لولايته اهل الجزائر لما عرفوه قبل وتحققوا منه من حسن الادارة وحزمه الشديد في تسيير شؤون الدولة وكونه ايضا ولداً جزائرياً فهو اذاً منهم بالحوالة كل ذلك كان من دواعي الاقبال عليه في هذه المرة ، والحق انه كان من رجال الاتراك الممتازين في وضع أسس النظم الادارية لهذه الدولة التركية الناشئة بهذه البلاد .

أهم اعمال حسن باشا بن خير الدين

كان من اهم اعمال البيلرباي حسن التي شرع في القيام بها في هذه المرة اخذه في جمع كافة الجند الثائر من فريق الانكشارية فسل منه السخائم واطفاً نار غضبه المنصب على الوجاق كما هي عادته في كل مناسبة تحدث عند تولية وال جديد ؛ وذلك رغبة في زيادة المرتبات ورفع اجور الجيش المرتزق ، فعامله البيلرباي يومئذ بما يرضيه ، ثم اشتغل بتنظيم المخزن ، والتفت كذلك الى محاربة دولة

الإشراف السعديين الحالة بتلمسان فأجلاها عنها ، وتشوف الى تتبع هذه الدولة المراكشيه الى عقر دارها بسبب ما بلغه عن ملكها ابي عبدالله محمد المهدي من تصرفه بكلمات اهتظم فيها جناب السلطان سليمان العثماني فنبزه بسلطان (الحواتة) وتوعده مهددا بعزمه على فتح مصر وطرده الاتراك عنها . . . وبلغ خبره هذا الى الباب العالي فبعث السلطان من هنالك اثنا عشر فدائيا حلو بالمغرب وقضوا على حياة سلطان مراكش يوم ٢٩ ذى الحجة ٩٦٤ هـ ٢٣هـ اكتوبر ١٥٥٧ م . ولقد ادى ذلك الى اعتراف حكومة المغرب الاقصى بسيادة الباب العالي على بلادها ٩٨٨ هـ (١٥٨٠ م)

وفي نفس التاريخ الذى هلك فيه سلطان المغرب (٩٦٤ هـ - ١٥٥٧ م) قضى حسن بن خير الدين على الجيوش الاسبانية المقيمة بماغرران - قرب مستغانم - فأسر منها ١٢ الف نسمة ، وانضم اليه يومئذ الجند التلمساني فاحاط الجميع بالاسبان واوقدت النيران في مخازن البارود فانفجرت وكان من اثر انفجارها سقوط اسوار المدينة وموت الاكثرية من جيش الاسبان وفيهم الجنيرال ماجور الكونت الكوديظ ، وعند غروب الشمس من يوم الجمعة ١٢ ذى القعدة ٩٦٥ هـ (٣٦ اوط ١٥٥٨ م) احتل الاتراك نواحي مازغرران .

ثم في السنة بعدها « ٩٦٦ هـ - ١٥٥٩ م » حول البيلرباي نظره من المغرب الى المشرق وتحرك في جنوده الى غزو النواحي الشرقية التي يملكها عبد العزيز امير قلعة بنى عباس ، فاستولى منها على مدينة المسيلة وبنى حصنا ببرج بوعريريج وآخر بزمورة وذلك للمحافظة على سطوة الاتراك بتلك النواحي الشرقية وتثبيتا لقدمهم هنالك ورتب بهما الحامية التي بلغ عددها اربعمائة جندي ثم غادرها متوجها الى بلاد حمزة - نواحي بويرة -

وفي منصرف حسن من نواحي زمورة والبرج وثب عبد العزيز على الحصنين المذكورين فأسر ما بهما من الجنود ونشبت هنالك معارك كان فيها

حتف ، وحيى براسه الى الجزائر ، وخلفه يومئذ في مقامه اخوه احمد امقران وهو جد الاسرة المقرانية الشهيرة المقيمة بمجانة التي حاربت الاستعمار الفرنسي سنة ١٢٨٨ هـ - ١٨٧١ م ، وحينئذ ٩٦٨ هـ (١٥٦١ م) تملك احمد امقران نواحي كوكو من بلاد القبائل واضطر الاتراك الى مصالحته .

وكان من اجل احداث السياسة بهذا العصر في الجزائر ظهور شركة صيد المرحان الفرنسية المعروفة باسم لانش Lenche حيث ابرمت مع الحكومة الجزائرية عقدة تجارية احرزت بها على رخصة لانشاء مراكز لها بكامل السواحل الجزائرية الشرقية ، منها ما كان بالقرب من غربى القالة ومنها ما كان بشرقى بونة السخ ، وكل ما اشترطته الدولة الجزائرية على هذه الشركة هو ان لا يكون بهذه المراكز التجارية سلاح وان لا تظهر بمظهر الحصون الحربية ابدا ، فكانت الحال اولا على ذلك الى ما بعد اربع سنوات حيث نزل بها اول قنصل فرنسي ويومئذ ابتداء دور العاب اروبا الدبلوماسية يظهر في مجال السياسة الاستعمارية ، فكانت هذه المراكز خير عون للاستعمار مهد بها لاحتلال البلاد وسقوطها بين محالبه فيما بعد ، ثم بعد خمس سنوات جاء دور الانكليز فتدخل في اقتصاديات البلاد بطريق نصب ممثلين معتمدين للتجارة بالجزائر .

وسقطت يومئذ جزيرة جربة بيد الاتراك الجزائريين وانجلي عنها الاسبان ٩٦٧ هـ (١٥٦١ م) فحولوا انظارهم حينئذ الى وهران فانتصروا على بعض حصونها واستولوا على بعض المراكب الاسلامية ، ويومئذ اندفع السلطان العثماني الى اعلان الجهاد وتقدم الى فتح جزيرة مالطة مقر رهبنة القديس يوحنا الاورشليمي . وكان من الضروري فتح هذه الجزيرة لمريد السيادة بهذا البحر الابيض المتوسط ، ذلك لما وهبتها الطبيعة من اهمية موقعها الجغرافي ومركزها الاستراتيجي ، وكان انهزام الاسبان هذا في جربة وانتصار الاتراك بها باعشا قويا وسيبا مباشرا في جلاء حلفائهم السعديين عن تلمسان وتركها للاتراك

وتصدى البيلرباي في السنة التالية لادخال بعض الاصلاحات والتنظيمات في الادارة التركية بالجزائر فقصى على ثورة بلاد الزاوة واصهر الى قبيلة جبل كوكو بتزوجه بنت شيخها واشرك اهلها في الادارة ؛ وباتفاقية كانت بينه وبين الوطاسيين غزا جيشه دولة السعديين بفاس ، ثم انسحب عنها في مقابلة تعويضات عن نفقات الحملة ، وكان لهذه الغزاة اثر كبير في ادخال بعض التقاليد والنظم العسكرية التركية في الجيش المغربي وبالقصر السلطاني ايضا كآداب الاستقبال وحدوث فرقة الانكشارية الخ .

واحاطت الدسائس يومئذ بالبيلرباي وسعى به حسدته ومنافسوه لدى الباب العالي فأخذ مكبلا الى استانبول ثانيا مرة ، وتعين مكانه حسن آغا للمرة الثانية ايضا ثم عزل بقوصة محمد ريشما حضر من الاستانة احمد باشا باستانجي في المحرم ٩٦٩ هـ (١٥٦٢م) ولم تطل مدته فتوفي اثر ثلاثة اشهر من ولايته ، فخلفه يومئذ القائد يحيى الى ان اعادت الدولة العثمانية حسن باشا بن خير الدين الى منصبه



ولاية حسن بن خير الدين (ثالثا)

لقد عاد البيلرباي حسن بن خير الدين هذه المرة لولاية الجزائر معززا بعشر سفن حربية ومزودا بقوات عسكرية مسلحة ، وكان تاريخ مجيئه هذا سنة ٩٦٩ هـ (١٥٦٢م) وان اول عمل جدى قام به في ولايته هذه هو ان غزا في ربيع السنة التالية قوات الاسبان الرابضة بوهران فشن عليها غاراته برا وبحرا وكاد ان يقر انتصاره عليها لولا ما لحقتها من النجرات ، فانهزم عندئذ حسن الى الجزائر منقطعا الى اتمام اصلاحاته وتنظيماته الادارية فاحدث اذ ذلك بالقطر الجزائري اربعة بشالك - مقاطعات - : بايلك الجزائر المبر عنها بدار السلطان وقاعدته العاصمة ؛ وبايلك تطرى ومركزه بالمدية ؛ وبايلك الشرق وقاعدته

قسنطينة ؛ وبايلك الغرب بـمازونة (١) ثم تحول مركز بايلك الغرب الى مدينة معسكر واخيرا الى وهران ، وجعل لكل ولاية من هذه المقاطعات الاربع من غير دار السلطان رئيسا يحمل لقب الباي ، واول من عرفناه من بايات هذا الدور هو باي الغرب بوخديجة بـمازونة ٩٧٠ هـ (١٥٦٣ م)

ولقد حاول الفرنسيون بعد ذلك بستتين (٩ صفر ٩٧٢ هـ - ١٧ سبتمبر ١٥٦٤ م) تنصيب سفيرهم بالجزائر فرفضت الحكومة ذلك ، واستمر البيلرباي حسن على خطته الهجومية ضد الاسبان في فترات متفرقة ، كما انه شارك بنفسه في هجوم الاتراك العثمانيين على مالطة سنة ٩٧٣ هـ (١٥٦٥ م) ثم لم يلبث بعد ذلك ان استدعاه الباب العالي ليتولى منصب قيادة الاسطول العثماني باستانبول فانتقل الى منصبه الجديد هنالك سنة ٩٧٤ هـ (١٥٦٧ م)



ولاية محمد بن صالح رايس

اتصل البيلرباي محمد بن صالح رايس بالجزائر في ذي الحجة سنة ٩٧٤ هـ [جوان ١٥٦٧ م] فصادف بها اوبئة ومجاعات رهبة صاحبها هيجان في الجند واضطراب في الشعب ، فاضطر الى صرف اغلب اوقاته في مواساة الضعفاء والمصابين وتسكين الفتن ، وما فتى يعمل على ذلك اذ فاجأته ثورة عامل قسنطينة المتأثر بولاية تونس الحفصيين ، فعزل البيلرباي وقضى على الثورة هناك وولى على قسنطينة القائد رمضان بن تشولاقي . وفي ربيع الاول ٩٧٥ هـ « سبتمبر ١٥٦٧ م » هاجم الاسباني جان جاسكون مدينة الجزائر فرد عنها مهزوما .

ثم لم تطل ايام البيلرباي بعد ذلك بالجزائر اذ تعين نقله الى ولاية اخرى بانحاء الامبراطورية العثمانية فانتقل من عاصمة المغرب الاوسط في رمضان سنة ٩٧٥ هـ « مارس ١٥٦٨ » ولا يعلم من آثاره المعمارية بالجزائر سوى حصن باب الوادي غربي العاصمة .

[١] انظر خريطة الجزائر التركية ص ٢٨٩ من هذا الجزء

ولاية عليج علي

ذكرته بعض المصادر هكذا «اولوج علي» وكان يلقب بالفرطاس - الاقرع -
 واصل من اسرى نصارى «كلابر» الايطاليين بصقلية ، نشأ في احضان القرصنة
 التركية وسبق ان حاز في حياته البحرية مراتب عسكرية خولته درجة الرئاسة
 فيخلف درغوث باشا بطرابلس ، وتولى ولاية تلمسان فحارب بها الاسبان
 ثم صدر الامر العالى بتوليته بيلرباي على الجزائر فنزل بها يوم ١٤ صفر
 ٩٧٦ هـ (٨ اوط ١٥٦٨ م) ، واشتهر في ولايته هذه بالعزم في تسيير الادارة
 والبطولة الحربية والشجاعة الادبية وسجلت له انتصارات عديدة في البر والبحر ومن
 اشهرها انقاذ بعض المتخلفين من المسلمين بسواحل الاندلس وتحطيم موانئ
 الاعداء هناك وانتصاره الباهر في وقعة «ليانت» الشهيرة ٩٧٨ هـ (١٥٧١ م)
 التي منى فيها الاسطول العثماني لأول مرة في تاريخه بالانهزام بينما والى
 الجزائر عليج علي نجا بسفنه الاربعين واحرز على مغنم كثيرة كان من
 بينها اللواء الباباوى المقدس... ولقد شارك بنفسه في انشاء الاسطول العثماني وتكوينه
 من جديد بعد وقعة ليانت المذكورة

وفي صدر امارته على الجزائر انتزع من الفرنسيين حق احتكار تجارة
 المرجان بمركز القالة بسبب تماطلهم وتخلفهم عن دفع الضريبة لثلاث سنوات
 مضت ، وابع ذلك للانكليز ويومئذ ٩٧٧ هـ (١٥٦٩ م) اعادت الدولة الفرنسية
 مفاوضات مع حكومة الجزائر حول تنصيب القناصل وتنظيم سير الحركة التجارية
 ومما يؤثر عن هذا الحاكم الجزائري انه كان اول من فكر في فتح قناة
 السويس قبل وجود فيرديناند ليسبس بما يزيد على ثلاثة قرون

فتح تونس

انك على بصيرة مما آلت اليه الدولة الحفصية في اواخر ايامها - حسبما اسلفنا - من الانحلال السياسى وضعف قواتها الحربية ووهن اخلاق ولايتها واتسار فتن الاعراب ونشوب الخلاف وافتراق الكلمة بسبب نزوع بعض امراء البيت الحفصى الى العرش وتنازعهم على ذلك واستنجد بعضهم بالاجانب الخ... (١) فحاققت بهم يومئذ ضربات الاسبان حيث استحوذوا على بعض المدن الهامة والمراكز الاستراتيجية من القطر التونسي وبسطوا نفوذهم على مملكة بنى ابي حفص، وكان ظهور الاتراك يومئذ بهذا البحر واستيلائهم على بعض ثغوره ضربة قاسية على مطامع الاسبان والبرتغال المتجهة نحو سواحل المغرب الاسلامى، فاستولى اذاك خير الدين بارباروس على ثغر بنزرت ثم جرت هنالك وقائع بين الترك والاسبان في مختلف انحاء المملكة الحفصية ومنها هذه الحملة التى كانت على يد والي الجزائر عروج على فى هذه السنة ٩٧٧هـ (١٥٦٩ م)

كان عروج على يراقب احوال مملكة تونس حين وفد عليه احد وزرائها ابو الطيب الخضار محرضا على امتلاكها ، فجهز والى الجزائر حيشا وزحف به نحو تونس فلقبها اميرها ابو العباس احمد الحفصى بباجية ، ثم بعد قتال عنيف انهزم الامير الحفصى وتقدم والى الجزائر بجموعه الى الحاضرة فامتلكتها واخذ بيعة اهلها للسلطان سليم الثانى وقتل ابن الخضار ورتب حامية لحراسة البلاد تحت رعاية حيدر باشا ثم انكفأ راجعا الى مقره بعاصمة الجزائر. وبعد سنة من هذه الواقعة دعى عروج على الى القسطنطينية ليتولى بها رئاسة القيادة العليا للاسطول العثمانى فغادر الجزائر وخلفه عليها موقتا قبطان باشا

(١) راجع ص ٤٥ من هذا الجزء وخلاصه تاريخ تونس ص ١٣١-١٣٤

تعصب أوروبا المسيحية

انعقد الحلف الاروبي المسيحي الثالث عشر سرا بين قداسة البابا بيوس الخامس وفيليب الثاني ملك الاسبان وجمهورية البندقية بتاريخ فاتح المحرم ٩٧٩ هـ (٢٥ ماي ١٥٧١ م) ، وبعد حين من تاريخ انعقاد هذه المؤامرة وتديرها تقرر اعلان الحرب الهجومية والدفاعية ايضا من طرف الحلفاء ضد تركية لاسترداد جميع الاماكن التي فتحها الاتراك ومن بينها الجزائر وتونس وطرابلس عملا بقاعدتهم التعصبية التي تنص على ان ما استأثر به الصليب واغتصبه من الهلال لا يرد؛ وان كل ما حازه الهلال او ضمه اليه منه تتحتم عليه اعادته

وعن هذا الحلف المسيحي الاروبي نشأت وقعة معركة ليبانت الشهيرة بجنوب بلاد اليونان بتاريخ ١٧ جمادى الاولى سنة ٩٧٩ هـ (٧ اكتوبر ١٥٧١ م) ولا يزال اهل ايطاليا الى اليوم يحتفلون بذكرى هذه الوقعة التي كانت سببا في درى امتداد السلطة التركية عن بلادهم

مطامع فرانس في الجزائر

كانت وقعة ليبانت هذه فرصة مواتية لاطهار رغائب فرانس نحو المغرب الاسلامي ، فانه بمجرد ما اشتهر انهزام الاسطول التركي في وقعة ليبانت قدم ملك فرانس «شارل التاسع» مشروعا الى الدولة العثمانية بواسطة السفير المفوض باستانبول الراهب «فرانصوا دونواي» يتضمن طلب الترخيص لحكومته في بسط نفوذها على القطر الجزائري وحماية الاسلام والمسلمين به، وانها مستعدة في مقابل ذلك لدفع المغرب او الجزية للباب العالي ؟ فاعرض عنه السلطان ولم يعره بالا ولكن رغم ذلك فان دولة فرانس اوغلت في طموحها والحت واكدت في الحاحها وسلكت للتوصل لغرضها هذا مسالك دبلوماسية غريبة ، واخيرا حصلت على الرخصة لها في نيل امتيازات خاصة وتصريح من السلطان باقامة محارس تجارية

بالقالة وغيرها من الساحل الجزائري ، فاكتفت اوليا بذلك، على انها كانت اول خطوة استعمارية خطتها فرنسا نحو هذه البلاد المغربية قبل احتلالها السياسي بما يزيد على قرنين ونصف ، الامر الذي يدلنا دلالة واضحة على ان انفجار شرارة نار الحرب ضد الجزائر سنة ١٨٣٠ لم يكن هكذا فلتة عن مجرد حركة المنشئة المصطنعة المزعومة ...!

والحق اننا قد عرفنا اتجاه همة فرنسا الى اخضاع المغرب الاسلامي منذ ايام الصليبيات وحملة الملك لويس التاسع عشر على تونس التي انتهت هنالك بموته وهزيمة جيشه سنة ١٢٦٩ هـ - ١٢٧٠ م .



ولاية احمد عراب

تولى الحكم بالجزائر في شهر ذى الحجة ٩٧٩ هـ (افريل ١٥٧٢ م) واشتهر في مدة ولايته كلها بالاجتهاد في نشر الامن وتطمين السابلة وتنظيم الادارة ، ومن اشهر مواقفه قضاؤه على ثورة اهالي قسنطينة ومشاركته في الدفاع عن تونس ومناصرة اميرها العاج على ضد الاسبان في جمادى الثانية ٩٨١ هـ (سبتمبر ١٥٧٤ م) ويومئذ نزع الاسبان عن تونس وانجلوا عنها نهائيا وتمحض الحكم بها للاتراك وفي نفس التاريخ استولى بعض القرصان الجزائريين على سفن فرنسية كانت تتجول بمياه الجزائر ، فاحتجت دولة فرنسا على هذا الصنيع لدى الباب العالي ، وذلك بناء على ما كان امضاه السلطان من المعاهدة التي تنص على عدم المباغئات البحرية ، وجاء حينئذ امر الباب العالي الى الجزائر برد ما استحوذ عليه القرصان من المراكب الفرنسية وحاول احمد عراب استخلاص السفن من يد القرصان فلم ينجح ، ثم عزل من ولايته .

ولاية القائد رمضان

ولى رئاسة حكومة الجزائر سنة ٩٨١ هـ - ١٥٧٤ م ، ولم يكن لتاريخ ايامه بالجزائر شأن كبير يذكر به سوى مشاركته في تأييد العاج علي لعبد الملك بن الشيخ واخيه احمد الاميرين السعديين على اتزاع الملك من اخيهما الغالب بالله ، فغزا الاثراك فاسا سنة ٩٨٣ هـ - ١٥٧٥ م وحققوا لعبد الملك منيته ثم عادوا من مراكش بمبلغ عظيم من الهدايا المغدقة عليهم .

وفي اواخر ايام حكومة القائد رمضان بعث الفرانسيون بقنصلهم الى الجزائر فردده البيلرباي ورفض قبوله ما لم يؤد إتاوة ، ولم يتمكن السفير الفرنسى من النزول بالعاصمة الا بعد ان جاء الالتزام الحتمى من طرف الباب العالي ؛ ثم لم تطل ايام الوالي هذا فنقل من الجزائر الى ولاية تونس سنة ٩٨٥ هـ - ١٥٧٧ م .



ولاية حسن فنزيانو

جلس على سرير الحكم بالجزائر في شهر ربيع الثاني سنة ٩٨٥ هـ (جوان ١٥٧٧ م) واصله من ايطاليا ؛ نشأ محترفا مهنة الكتابة بمدينة البندقية Venise ولذلك دعى بفنزيانو ، اسره درغوث باشا فباعه لعلج على ؛ وأسلم وكان ينسب اليه فيقال له ابن القبطان علي .

اشتهر حسن بشدة الشكيمة والنشاط والحزم ومضاء العزيمة ، هاجم الاسبان في عقر دارهم مرارا فافلق راحتهم في عدة مرات ؛ ومن بينها حركته الهجومية ضدهم سنة ٩٨٦ هـ - ١٥٧٨ م . وكانت له عناية واجتهاد في تحصين مدينة الجزائر على الخصوص بجعلها في مناعة ووقاية من هجمات العدو ، وفي هذه السنة انتضمت مملكة مراكش ضمن دائرة نفوذ الدولة العثمانية ، وصار شمال افريقية باجمعه تابعا لها تماما او خاضعا لنفوذها على الاقل .

والامير فنزيانو هذا هو اول من عقد معاهدة تجارية بين دولة الجزائر وانكلتيرا ، وذلك سنة ٩٨٧ هـ - ١٥٧٩ م ، وبعد ان قضى نحو مدة ثلاث سنوات من ولايته بالجزائر دعي الى استانبول فسافر اليها سنة ٩٨٨ هـ - ١٥٨٠ م .



ولاية جعفر باشا

يقال ان اصله من اسرى المجر ، وانه بعد ان ظهرت كفاءته ومقدرته الحربية للباب العالي ولته الحكومة العثمانية باداراتها فباشر هنالك بالمشرق عدة وظائف ومناصب عسكرية واخيرا عينته السلطة العليا باستانبول حاكما عاما بالجزائر في رجب سنة ٩٨٨ هـ (اوط ١٥٨٠ م)

وان ابرز عمل قام به هذا الوالي الجديد في ولايته الجديدة ، هو صرف عنايته وبذل مجهوداته في ادخال بعض الاصلاحات والتحسينات في الادارة العسكرية بالجزائر ، ومنها انشاء لقلعة الكيفان الموجودة بناحية حصن الماء Fort de l'Eau شرقي العاصمة ، اسسها سنة (٩٨٩ هـ - ١٥٨١ م) وفي هذه السنة اتصلت العلاقات بين السلطان مراد الثالث وبين حكومة فرنسا .

وبذكر مؤرخوا الافرنج ان في صدر ولاية هذا الباشا كان تعيين اول قنصل فرنسي بالجزائر ، وهو م . بيونو : كما ان القنصل في توحيد الوجهة السياسية لبلاد المغرب الاسلامي وضمه الى الامبراطورية العثمانية يرجع الى هذا الوالي نفسه مع رفيقه في العمل عليج علي .

وبينما الرجال يعملان بمراكش على تحقيق خطة هذه الوحدة السياسية اذ فوجئا بأمر الباب العالي يامرهما بالتخلي عن العمل بالمغرب والانتقال الى الحجاز لاختاد ثورة نشأت هناك ، فتخلياعن عملهما هذا سنة ٩٩٠ هـ - ١٥٨٢ م (١)

(١) في اليوم الخامس من شهر اكتوبر من هذه السنة الميلادية ١٥٨٢ م كان ابتداء تطبيق الحساب بالتقويم الغريغوري المعتبر اليوم في ضبط التاريخ المسيحي وهو المتعارف عند الفلكيين بالزيج الجديد والجاري به العمل عند اغلب الامم وفي معظم بلدان العالم الان

وذهبا الى المشرق

وبومئذ تولى قيادة الجزائر للمرة الثانية القائد رمضان فحاول من اول مرة الزام قرصان الجزائر برد المركبين الفرنسيين الذين استولى القرصان عليهما منذ سنة ٩٨١ هـ ١٥٧٣ م فلم ينجح في ذلك بل احدث صنيعة هذا ضجة وثورة عنيفة ضده فاضطر الى التخلي عن منصبه وذهب الى طرابلس حيث اغتيل هناك وتولى مكانه في هذه الفترة بالجزائر مامي الارناؤوط مؤسر المركب الذي كان يحمل الكاتب الاسباني الكبير ميكال سيرفانطيس في سنة (٩٨٨ هـ ١٥٨٠ م)

□

ولاية حسن فنزيانو (ثانيا)

ثم بعد انتقال القائد رمضان الى طرابلس اتخذ القوم المسمى يونس ريشما حضر من غزواته البحرية الرئيس حسن فنزيانو الذي بادر الى عودته للجزائر حينما بلغه انتشار الفوضى واضطراب الجند لحادثة المركبين الفرنسيين فنصب نفسه على عرش الجزائر للمرة الثانية وفرض طاعته على الرعية وذلك في شهر ربيع الثاني سنة ٩٩١ هـ (أفريل ١٥٨٣ م) ولم يعارض الباب العالي في توليته هذه ذلك لما كان له من الفضل في حسم الخلاف واطفاء لهيب نار الفتن واستتباب الامن بالجزائر

ولقد باشر الوالى دفعة تسير الادارة الجزائرية هذه المرة بما عهد منه من النشاط والحزم ، فانه لم يترك قط قيادة الاسطول الجزائرى لغيره ولم يكن ليثق في المهمات بغيره ابدا، وكثرت في ايامه المغانم بما كانت تجلبه السفن والمراكب الجزائرية من سواحل اسبانيا والجزر الشرقية وصقلية وسردانية من النفائس وبما كان يستولى عليه هو بنفسه من الاسرى وخيرات البلاد في غزواته وزحوفه على الاعداء

ومن أشهر غاراته وأهمها حملته العنيفة على ثغر بلنسية (١٥٨٤ هـ ١٥٩٢ هـ) حيث أبحر بأسطوله إلى هنالك وحمل من الموريسكيين (١) ألفي وثلاثمائة نسمة جاء بها إلى الجزائر فأنقذها من اضطهاد الأسبان وفي السنة التالية استطاعت سفنه المغيرة أيضا أن تحمل إلى الجزائر جميع سكان كالوسا. ولقد بلغت غارات المسلمين البحرية التي وقعت على الشواطئ الإسبانية ما بين سنتي ٩٣٣ و ٩٩٢ هـ (١٥٢٨ - ١٥٨٤ م) ثلاثا وثلاثين غزوة ما عدا الغارات المحلية التي كانت تقوم بها سفن صغيرة لحمل جماعات من العرب المتنصرين المهاجرين.

وبقى حسن فنزيانو على رأس الحكومة الجزائرية إلى أن استدعاه السلطان إلى استانبول ليتولى منصب إمارة البحر في مكان عالج على المتوفى سنة ٩٩٥ هـ (١٥٨٧ م) عن ثمانين سنة؛ فانتقل الحاكم فنزيانو إلى استانبول في شعبان سنة ٩٩٣ هـ «أوط ١٥٨٥» وترك من آثاره بالعاصمة حصن باب عزون أنشأه حوالي سنة ٩٨٩ - ٩٩٣ هـ «١٥٨١ - ١٥٨٤ م» وتولى مكانه موقتا محمد مامي عتيق المعروف بقارج علي، وبانتقال حسن فنزيانو انتهى دور حكومة البيلرباي وهو الدور الثاني من عصر الاتراك بالجزائر.

(١) أصلها Moriscos وهي تصغير لكلمة Moors الإسبانية ومعناها المسلمون أو العرب الأصغر المتنصرون رمزا إلى ما انتهت إليه الأمة الاندلسية من السقوط والانحلال. انظر نهاية الاندلس لمحمد عبد الله عذان ط القاهرة ١٩٤٩ م

بيلربايات الجزائر

تاريخ التولية

١٥٤٤ هـ - ١٥٥٠ هـ	بيلرباى	حسن باشا بن خير الدين
١٥٥١ هـ - ١٥٥٨ هـ	»	حسن آغا - موقتا -
١٥٥٢ هـ - ١٥٥٩ هـ	»	صالح رايس
١٥٥٦ هـ - ١٥٦٣ هـ	»	حسن قورصو
١٥٥٧ هـ - ١٥٦٤ هـ	»	حسن باشا بن خير الدين (ثانيا)
١٥٦٢ هـ - ١٥٦٩ هـ	»	احمد باشا بستانجى
»	»	القائد يحيى - موقتا -
»	»	حسن باشا بن خير الدين (ثالثا) بيلرباى
١٥٦٧ هـ - ١٥٧٤ هـ	»	محمد بن صالح رايس
١٥٦٨ هـ - ١٥٧٦ هـ	»	عليج علي
١٥٧٢ هـ - ١٥٧٩ هـ	»	احمد عراب
١٥٧٤ هـ - ١٥٨١ هـ	»	القائد رمضان
١٥٧٧ هـ - ١٥٨٥ هـ	»	حسن فنزيانو
١٥٨٠ هـ - ١٥٨٨ هـ	»	جعفر باشا
١٥٨٢ هـ - ١٥٩٠ هـ	»	القائد رمضان - موقتا -
»	»	مامي الارناؤوط
١٥٨٣ هـ - ١٥٩١ هـ	»	حسن فنزيانو (ثانيا)
١٥٨٥ هـ - ١٥٩٣ هـ	»	محمد مامي عتيق - موقتا -

سلطنة آل عثمان

تاريخ التولية

١٥٢٠م - ٩٢٦هـ

١٥٦٦م - ٩٧٤هـ

١٥٧٤م - ٩٨٢هـ

السلطان الغازي سليمان خان

السلطان الغازي سليم خان - الثاني -

السلطان الغازي مراد خان - الثالث -

مشاهير الجزائريين

عمر بن الكمام

٩٦٠ هـ - ١٥٥٣ م

هو العالم المحقق الشيخ ابو حفص عمر بن محمد الكمام الانصارى القسنطينى المعروف بالوزان اشتهر رحمه الله بتحرير المسائل والتحقيق في دروسه عند الالتقاء وبان جامعا مشاركا في العلوم الاسلامية معقولها ومنقولها ذكره صاحب نيل الابتهاج نقلا عن فهرست المنجور فائى عليه وقال : انه كان من عباد الله الصالحين ، رحل اليه الشيخ ابو زكرياء يحيى بن عمر الزواوى وسمعه يقرر الفقه بنقل اللخمي وغيره ويقرىء الفنون فكان اذا ذكره يعجب به ويعجب ويرجحه على كل علماء عصره وسأله عن مسائل كثيرة في الفقه والكلام فاجابه الشيخ عنها بتأليف خاص

وبان فيمن اخذ عنه جماعة منها اليسيتى ، وعبد الكريم الفكون ، وابو الطيب البسكرى ويحيى بن سليمان ،

ولقد عرض عليه حاكم الجزائر حسن آغا خطة القضاء فاعتذر اليه برسالة طويلة فأعفاه . وله من المؤلفات كتاب «البضاعة المزجاة» كتبه على اسلوب طوالم البضاوي ومواقف العصد ، وهو فى غاية التحقيق والايضاح ، وله تعليق على قول خليل «وخصصت نية الحالف» وشرح لصغرى السنوسى وتأليف فى الرد على المرابط عرفة القيروانى وصحبه قال فى نيل الابتهاج : واخبرني بعض اصحابنا ان وفاته رحمه الله كانت سنة ٩٦٠ هـ «١٥٥٣» ، وذكر غيره ان وفاة ابن الكمام كانت يوم ٢١ شعبان ٩٦٥ هـ ٨ جوان ١٥٥٨ م ودفن بمدرسة صهرة الشيخ ابن افونس على يمين البناهب الى باب الوادى من مدينة قسنطينة ، ولا وجود اليوم لهذه المدرسة حيث حطمت بعد الاحتلال

محمد الخروبي

٩٦٣ هـ - ١٥٥٦ م

هو الامام المتضلع ابو عبد الله محمد بن علي الخروبي صدر علماء الجزائر في الدور الثاني من العهد التركي ، اصله من طرابلس الغرب كان رحمه الله متمكنا من علوم الشريعة والتصوف متبحرا في معرفة احوال الدول والممالك ذا دراية واسعة بسياسة الملوك وخبرة تامة بشؤون الحكومات عالما اديبا بليغ القلم واللسان خطيبا مصقعا ، شجاعا هماما شديد النكير على اهل البدع والضلالات لا تأخذه في الله لومة لائم ، ذاجلا ووجهة عظيمة عند الملوك والسلاطين اوفدته حكومة الجزائر مرتين الى المغرب الاقصى لتسوية قضية الحدود السياسية بين المملكتين الاولى سنة ٩٥٩ هـ والثانية سنة ٩٦١ هـ «١٥٥٢-١٥٥٤م» فاقبلت بحكومة مراكش بما يليق بجلال فضله واكرمت وفادته وجرت له هنالك مع علماء المغرب مساجلات ومناظرات واستجازه بعضهم فأجازه بسنده وكان رحمه الله ذا ولوع خاص بجمع الكتب النفيسة حتى اصبحت مكتبته العامرة مضرب الامثال بين العلماء وله من التأليف تفسير القرآن الكريم وشرح الحكم العطائية ورسالة في الرد على ابن عمر القسطلي وغير ذلك توفي بعاصمة الجزائر سنة ٩٦٣ هـ «١٥٥٦م» ودفن خارج سور المدينة وقبره الآن مجهول.

على بن يحيى الجاديري

١٩٧٢ هـ - ١٥٦٥ م

هو العلامة الفقيه الخطيب أبو الحسن علي بن يحيى السلكسيني الجاديري التلمساني كان رحمه الله اماما محققا ذا دراية فائقة في علوم الحساب والفرائض وعلم الكلام والفقه وفن الرسم وضبط القرآن وتفسيره : اخذ عن جماعة منهم الشيخ احمد بن ملوكمة الندرومي وشقرون بن ابي جمعة ومحمد بن موسى الوجدجي والشيخ عيسى الخ....

كان رحمه الله متبلا خاشعا يضل نهاره صائما منقطعا لنشر العلم وتدريسه بجامع اجادير في تلمسان حيث كان اماما خطيبا به فكان لا يفتر عن الدرس ابدا فهو في الصباح يقرئ في المسجد المذكور الى الضحى الا على ثم يخرج من المسجد راكبا دابته الى حقله بوادي الصفصيف فيرافقونه الطلبة الى الحقل وهم في طريقهم ذلك يستفيدون منه ما يملئهم عليهم من مسائل العلم والحكمة ثم اذا وصل الى الحقل نزل عن دابته وافرج السرحين بنفسه ونزع البرذعة عن دابته ويربطها بيده ولا يترك ذلك لاحد ابدا ثم ياخذ القاس ويباشر اعمال الفلاحة والزراعة وهو مع ذلك مشغول بتقرير مسائل العلم للطلبة وشرح ما يقرأه عليه القاريء من المتون وهكذا دأبه دائما وابدا فسادا عاد من حقله فكذلك يصنع وهو يمشي معهم راكبا او راجلا قائما او قاعدا فلا يفتر عن الدرس اصلا واذا حضر وقت الصلاة قام الى الاذان وفي طريقه اليه يذهب معه القاريء ويطلع معه في الصومعة فيقرئه في طريقه ذهابا وايابا ويؤذن الشيخ بنفسه ليخرج من الحلاف في اجرة الامام

تخرج عنه جماعة منهم ولده عاشور، ومحمد الادغم، واحمد ابركان الزكوطي وعلي العطافي، واحمد بن الحاج البيدرى؛ واحمد اعراب بن سهلة الراشدي،

ومحمد بن العباس العبادي، وموسى بن ابي عمران، ومحمد بن جوهرة الوجدى
وسعيد المقرئ، وعبد الرحمن بن موسى، في آخرين.
توفي رحمه الله في اليوم الثانى والعشرين من شهر رجب سنة ٩٧٢هـ
(٢٣ فيفرى ١٥٦٥م)

مصطفى باش تارزى

٩٨٠هـ - ١٥٧٢م

هو العالم الفقيه الشيخ مصطفى بن العارف بالله سيدى عبد الرحمن باش تارزى
القسنطينى، كان رحمه الله اعجوبة زمانه فى الفقه والحفظ والورع والتدين
وحيدا فى معرفة الفلك شاعرا مجيدا ولى فتوى الحنفية بقسنطينة ثم القضاء
ثم الخطابة بجامع سوق الغزل ثم بجامع القصبة ثم بسيدى الكتانى لما تأليف
نفسه منها تحرير المقال فى جواز الانتقال ورسالة فى وقف الحنفية. وشرح
منظومة الشيخ عبد الرحمن فى الحساب مقتصرا فيها على العمل دون تعرض لشرح
كلام المتن، توفي رحمه الله سنة ٩٨٠هـ [١٥٧٢م] ترجم له بليديه الشيخ عبد
الكريم الفكون فى كتابه منشور الهداية فى كشف حال من ادعى العلم والولاية
وخلاصة ترجمته هو ما قدمناه .

جدول تاريخي

٩٥٠ - ٩٩٥ هـ

١٥٤٤ - ١٥٨٧ م

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
١٥٤٤ هـ ٩٥٠	ولاية حسن باشا بن خير الدين يارباي على الجزائر
١٥٤٥ هـ ٩٥٢	غزو تلمسان والقضاء على السلطان مولاي احمد وحاميته من الاسبان
١٥٤٨ هـ ٩٥٥	احداث بايلك - مقاطعة - تيطرى وتولية اول البايات بها
١٥٥٠ هـ ٩٥٧	استيلاء دولة السعديين على تلمسان واحوازها ؛ وانشاء مدينة القليعة بالساحل الجزائري - غربا -
١٥٥٤ هـ ٩٦١	غزو الاتراك لمدينة فاس وتولية ابي حسون الوطاسي عليها والحاق تلمسان بالجزائر
١٥٥٥ هـ ٩٦٢	تمكن الاتراك من الاستيلاء على اهم مدن عمالة قسنطينة وبجاية
١٥٥٦ هـ ٩٦٣	استيلاء الدولة السعدية على تلمسان ثانيا وانتشار الوباء بالجزائر
١٥٥٧ هـ ٩٦٤	انتصار حسن بن خير الدين على السعديين وايقاعه بالاسبان في وقعة مازجران
١٥٥٩ هـ ٩٦٦	غزو حسن باشا لنواحي قلعة بنى عباس والمسيلمة
١٥٦١ هـ ٩٦٨	تملك احمد امقران على نواحي جبل كوكو من بلاد القبائل
١٥٦١ هـ ٩٦٨	ظهور شركة لانش Lenche الفرنسية لتأسيس مراكز صيد المرجان بالسواحل الجزائرية
١٥٦٢ هـ ٩٦٩	تقسيم القطر الجزائري الى اربع مقاطعات
١٥٦٧ هـ ٩٧٥	انهزام جان جاسكون الاسباني عن مدينة الجزائر وخيبتها

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
١٥٦٨ هـ ١٩٧٦ م	مزا حمة الانكليز لشركة صيد المرجان الفرنسية بالساحل الجزائري
١٥٦٩ هـ ١٩٧٧ م	مفاوضة فرانسى للحكومة الجزائرية حول فتح قنصلية لها بالجزائر وامتلاك تونس
١٥٧٥ هـ ١٩٨٣ م	سير الحامية التركية الى حماية عبد الملك بن الشيخ بفاس
١٥٧٨ هـ ١٩٨٦ م	انضمام مملكة مراکش الى الامبراطورية العثمانية
١٥٧٩ هـ ١٩٨٧ م	اول تعاقد تجارى وقع بين حكومة الجزائر والانكليز
١٥٨٠ هـ ١٩٨٨ م	تعيين اول قنصل فرانسى بالجزائر
١٥٨٤ هـ ١٩٩٢ م	مجيء الجالية الاندلسية المهاجرة من بلنسية والوسالى الجزائر

عصر الباشاوات «ج»

٩٩٥ - ١٠٦٩ هـ

١٥٨٧ - ١٦٥٦ م

وقع في هذه السنة تغيير في سياسة الدولة العثمانية نحو ولاية الجزائر فاقتضى لذلك حذف لقب البيلرباي الذي كان يحملها حاكم الجزائر وصار يلقب بالباشا (١) وحددت مدة ولايته بثلاث سنوات وشاركه في نفوذه الوجاق ، او قوة الجيش مع الديوان، وكان اول باشاوات الجزائر دالي احمد باشا

ولاية دالي احمد باشا

تولى سنة ٩٩٥ هـ - ١٥٨٧ م ولا نكاد نعلم عن تاريخ ايام حكمه شيئا سوى انه ذهب على رأس بعثة عسكرية الى طرابلس الغرب لاختصاص شوكة الثائرين هناك فكان فيها حثيفا وذلك بعد سنتين من ولايته ٩٩٨ هـ - ١٥٨٩ م

ولاية خضر باشا

استلم منصب باشا الجزائر في شهر شوال ٩٩٧ هـ اوط ١٥٨٩ م ، وكان من كبار رجال القرصنة الجزائرية؛ نشاطا في سائر حركاته وغزواته البحرية عاملا على تنشيط غيرها في ذلك، ولم يؤثر عنه - فيما علمناه - كبير عمل في ولايته هذه المرة سوى غزوة لاعمال حجة الخاضعة لاحد امقران فقضى على الثائرين هناك واحتل المدينة سنة ٩٩٨ هـ - ١٥٩٠ م ثم اندفع بامر السلطان العثماني لغزو اسطول مرسيليا المتمرد على ملكك فرانسوا حليف تركية اذ ذاك

(١) اصل هذه الكلمة جزء من باش آغا ومعناها رئيس الرؤساء ويطلق على ارباب الافلام والسيف في مراتب معينة من نظام الجندبة ثم توسعوا فيه بعد ذلك وصار يمنح صلقب شرقي للمدنيين

وفي نفس السنة هذه تحركت زوبعة بحرية هوجاء فتحطم لهبوبها اسطول الجزائر الراسي بشعر العاصمة ؛
واحيط الباشا بتهم سياسية لاندرى مكانها من الصحة فقصت على سمعته لدى الباب العالي فاستدعاه السلطان الى استانبول فحمل اليها مكبلا في الاغلال سنة ١٥٩٩ هـ - ١٥٩١ م



ولاية الحاج شعبان باشا

هو شعبان بن يحيى تأمر على الجزائر في ذى القعدة سنة ١٥٩٩ هـ - اوط ١٥٩١ م، وفي ايامه اشتد لهيب الثورة ببلاد زواوة فانتشر اوارها غربا وجنوبا الى ان كاد يتصل بقاعدة ولاية تيطرى، واجتهد الباشا في اخادها فلم يحصل على طائل،
وفي ايامه عين القنصل الفرنسي دوفياس بالعاصمة ثم جاء دور الانكليزي بعده



ولاية مصطفى باشا

هو مصطفى بن قية باشا تولى الحكم بالجزائر في شهر ربيع الاول سنة ١٠٠٣ هـ - نوفمبر ١٥٩٤ م حاول اطفاء هيجان الثورة القبائلية التي نشبت على عهد سلفه شعبان باشا فلم ينجح بل انتشر لهيبها واندلع لسانها الى متيجة غربا وما وسعه في ذلك سوى اقامة حصن بسورالغزلان (١) لمقاومة من هنالك من العصاة وقمع الحركة الثورية بتلك النواحي ويومئذ دعى الى استانبول فغادر الجزائر ثم اعيد اليها فتحكم بها ثلاثة اشهر ثم تخلى عنها

[١] اصل الكلمة هذه لاتينية وينطق بها هكذا «اورزا» ثم حرفت الى ما هي عليه الآن

ولاية خضر باشا (ثانيا)

تولى على رأس الحكومة الجزائرية للمرة الثانية في ذي الحجة سنة ١٠٠٣ هـ
أوط ١٥٩٥م وكانت أيامه كلها فتن وثورات وكثر حوله الاضداد والخصوم ؛
فجمع اليه الباشا الكراغلة والاعراب ويومئذ نشأ التنافس بين هؤلاء والأتراك
واشتد هيجان الشعب واضطرابه وتصدى الباشا لمقاومة المنشقين والمتمردين وكثر
الشغب فعزل الباشا خضر من سنته وحيء بسالفه مصطفى فمكث أياما قليلة ثم
انعزل

L

ولاية دالى حسن باشا

تولى باشوية الجزائر سنة ١٠٠٧ هـ - ١٥٩٩م وكان يكنى ابا ريشة وذكر
بعضهم ان المتولى يومئذ على عرش الجزائر هو مصطفى جاقرجى باشى ثم جاء
بعده ابو رشيد ؟... والصحيح هو ما ذكرناه بدليل ما اورده صاحب البستان في
ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن موسى التلمساني المتوفى سنة ١٠١١ هـ حيث قال : وهذه
الآيات الآتية نظمها - المترجم - عند هدم الباشا حسن حصن المرسى الاعلى
- بوهران - وهروب النصارى دمرهم الله للحصن الاسفل وهى هذه :

هنيئا لك باشا الجزائر والغرب	بفتح اساس الكفر مرسى قرى الكلب
ستفتح وهرانا ومرساتها التي	اضرت بذالاقليم طرا بلا ريب
فتق بالاله واستعن به واصبرن	يندك المراد يا اميري ومطلبى
وقد وعد الرحمن جل جلاله	مع العسر يسر قد اتى ذاك في الكتب

وبعد ان اتى على القصيدة برمتها قال : وكان دخول المسلمين هذا الحصن ليلة
السبت خمسة عشر من رمضان عام ١٠٠٧ هـ (١٣ افريل ١٥٩٩م) وذلك هو نفس
تاريخ ولاية دالى حسن باشا على الجزائر

طموح الغرب نحو المغرب العربي

جاء في مشروع م لوتسيو الايطالى الذى حرره او قرره على رأس القرن السادس عشر الميلادى ان ملك الاسبان يمكنه ان يصلى الحرب فى افريقية ويطرد الترك منها ، وله الحق فى الاستيلاء عليها ، وانما يجب على البابا ان يجهز الاساطيل لمحاربة الترك فى البحر . ولا ادري والله من اين اكتسب الكاتب هذه السطوة او السلطة التى اوحى اليه باصدار امره الى الملوك والباباوات بالغزو وشن الغارات والحروب ضد المسلمين ؟ ولا كيف اعطى لهم الحق فى ذلك ؟... اللهم الا ان يقال ان ذلك عن تعصب وحمية فيحتمل !....

ولاية سليمان باشا

هو سليمان بن قاطانيا ويعرف بالعديج ، تولى على الجزائر سنة ١٠٠٩ هـ ١٦٠١ م وظهر الاحداث فى دولته هو ذلك الانقلاب العسكرى الناشئ عن طغيان جيش الانكشارية ومحاولتهم الاستبداد بتعيين رئيس الحكومة الجزائرية من بينهم فاصبحت عندئذ سطوة السلطان العثمانى ضئيلة جدا بهذه الديار ، وذلك ما يشبه عصر الفوضى فى التاريخ الرومانى (١٩٢ - ٢٧٠ م) حيث تدخل الجند فى اسناد الامبراطورية الرومانية لمن وافق هواه ؛ والتاريخ يعيد نفسه.

ومما كان فى ايام هذا الباشا اخفاق الاسبان فى حملتهم على الجزائر (١٠٠٩ هـ ١٦٠١ م) وهم فى سبعين سفينة وعشرة آلاف جندى . أو ما وقع كذلك من تكرار المحاربة بين احمد امقران سيد مجانة وجيوش الباشا بنواحي حمزة والساحل الجزائرى وفيها كانت وفاة احمد امقران بجمعة الصهريج من بلاد زواوة فخلفه ولده ناصر

ولقد حدث خلال السنتين التاليتين من تاريخ ولاية الباشا سليمان زلازال وطواعين اعقبها جفاف ومسغبة شديدة وابلغ ما كان ذلك فى اعمال قسنطينة

ولاية خضر باشا (ثالثا)

عاد الخضر لمنصبه هذا بالجزائر للمرة الثالثة سنة ١٠١١هـ - ١٦٠٣م ويؤرخه الافرنج بشهر ماي عام ١٦٠٤م واستعمل الشدة والقسوة في معاملته للرعية ، وكانت بينه وبين الحكومة الفرنسية عداوة منشأها تخلف فرانسوا عن دفع ماترب بدمتها من الاتاوة والواجبات في مقابلة مراكزها التجارية بالسواحل الجزائرية وما ارتكبه كذلك من المخالفة لنصوص المعاهدة السابقة الذكر، فاظلم الجو بينهما وحدثت عن ذلك مشا كل واحداث سياسية فعمد الباشا الى تحطيم المركز الفرنسي بالقالة والقاء القبض على القنصل الفرنسي المتصرف هناك ولم يكن يسمح الباشا بالعفو عنه الا بعد قبضه لضمان مالي جسيم.

ويومئذ سعت فرانسوا في اخذ تعويضات عن ذلك من طرف الباب العالي باستانبول، واتصل الباشا بالمبلغ فصرفه الى القرصنة، فعزله السلطان من ستنه وبعث مكانه محمد قوصة - او كوصة - باشا



ولاية محمد قوصة باشا

كانت ولايته سنة ١٠١١هـ - ١٦٠٣م واول ما قام به من الاعمال هو ان قبض على سلفه الباشا خضر فقتله خنقا (١) وصادر جميع امواله وممتلكاته وابرهم مع الحكومة الفرنسية معاهدة يتلخص مضمونها في هذه البنود الاربعة :

البند الاول : تأمين المراكب الفرنسية من القرصنة الجزائريين في كامل البحر الابيض المتوسط

البند الثاني : تحمل الحكومة الجزائرية لضمان ما عسى ان يقع لهذه المراكب من العطب والخسائر من قبل القرصنة

« ١ » لا يزال قبره ظاهرا معروفا بمقبرة سيدي عبد الرحمن التعالبي بالعاصمة

البند الثالث : عتق جميع الاسرى الفرنسيين

البند الرابع : اقامة مركز القالة واعادته من جديد

ولكن هذه المعاهدة لم يرض عنها الديوان فحدث لذلك ضجة في الاوساط الجزائرية المسؤولة وامتنع اعضاء الحكومة وابرز الشخصيات الحاكمة من المصادقة عليها وهدد الباشا بالقتل وبأن ذلك آذان السلطان بالاستانة فأوفد من طرفه مأذونا لحماية الباشا وتنجيز المعاهدة فاصر الديوان على الرض ولم يلبث الباشا ان توفي ولم يبلغنا عن تاريخ هذا الباشا بالجزائر سوى ما قدمناه او ما كان من رده لغارة الاسبان عن مدينة زفون بالساحل



ولاية قوصة مصطفى القابجي

تولى باشوية الجزائر في شهر ذي الحجة سنة ١٠١٣ هـ - افريل ١٦٠٥ م وسعى بكل مجهوداته في تطبيق نص المعاهدة السالفة الذكر فعارضه الديوان بسبب مظهره على حكومة فرانس يومئذ من التهاون بالشروط التي هي في مصالح الجزائر واخيرا رضخ الديوان لرأى الباشا الجديد امثالا لامر السلطان وقبل تنفيذ المعاهدة وتطبيقها على ان يكون الاعتراف بها ودخولها في حيز التنفيذ بعد ان لا يبقى من اسرى المسلمين الذين هم بمرسيليا تحت تصرف الفرنسيين احد فكان ما اراد

وحدث في السنة التالية من ولاية القابجي هذا (١٠١٤ هـ ١٦٠٦ م) (١)

« ١ » ان من اعظم احداث هذا العصر وارهاساته المتقدما بين يدي تهمقر آل عثمان ان انعقدت في هذه السنة بين الدولة العثمانية والنمسا معاهدة ثوروك « Sitvolorok » فنزلت تركية بحسبها عن قبض الجزية او الاتاوة السنوية التي كانت تدفعها لها النمسا ، وهي ثلاثون ألف دوكة واكتفت بقبض مائتي الف ريال غرامه حربيه وكان من خصائص هذه المعاهدة ان الدول المسيحية امكنها ان تناقش الدولة العثمانية في كيفية تحرير الصكوك والمعاهدات وقبل ذلك كانت الدولة تملئ مثل هذه المعاهدات باللغة التركية وتبلغها اعداءها وكان عليهم ان لا يرجعوا فيها

ان حارب الاسبان اهالي عمالقوهر ان فاستنجد هؤلاء بباشا الجزائر فانجدهم بالحامية فاحققت وضاع من الجيش نحو الثلاثة ارباع، ولدن الباشا نجح في اخضاع من هناك من الثوار، ويذكر ان عاقبته كانت في السجن بسبب تصلبه في تنجيز المعاهدة مع فرنسا؛ وفي السنة هذه ظهر الوباء بالعاصمة



ولاية رضوان باشا

كنيته ابو نعيم رضوان بن عبد الله وهو من ممالك رمضان باشا، تقلد منصبه هذا بالجزائر في شهر صفر سنة ١٠١٦ هـ - ماي ١٦٠٧ م

واشهر الاحداث في ايامه غزوة الطوسكان (١) وحملتهم على مدينة بوننة انتقاما لما قام به الاتراك من قبل في ليفورنيا فنزلوا بميناء عنابة فنهبوها وسلبوا ارزاقها واحتلوا المدينة ايضا فغنموا ما بها من مغام كثيرة ثم ادبروا عنها، وفي هذه الواقعة كان استشهاد والي قسنطينة محمد بن فرحات الذي جاء منجدا

كما انه حدث في ايام هذا الباشا وحشة بين الحكومة الجزائرية وفرنسا بسبب مدفعين من الفولاذ كانا تحت القرصان المفلنكي المدعو سيمون دانزير يعمل بهما لفائدة الجزائر ففر بهما يوما الى فرنسا وقدمهما امامه هدية لاحد كبار ولاية فرنسا وهو الدوك دو كيز، فغضب لذلك ديوان الجزائر ورفع قضيته الى حكام فرنسا مطالبين باسترجاع المدفعين المذكورين، فأهملت القضية ورفض النصارى الاصغاء الى هذه الدعوى ويومئذ اعلنت حكومة الجزائر قطع العلائق بينها وبين فرنسا والغت معاهدة احترام مراكبها في البحار وشرعت حينئذ في شن غاراتها ضد السواحل الفرنسية فظفرت منها بغنائم اربت على نحو مليون ليرة

وثارت فرنسا من الجزائر بتنظيم غزاة شنتها على ميناء مدينة برشك -- بين شرشال وتنس -- فجحطمتها ثم ذهبت شرقا الى شواطئ جيجل وهناك

قدفتها المدافع الجزائرية بقنايلها فانسحبت الحملة الفرنسية الى ليفورنيا



ولاية قوصة مصطفى « ثانيا »

عاد هذا الباشا الى منصبه للمرة الثانية بظهير من الدولة العالية مؤرخ في جمادى الثانية سنة ١٠١٩ هـ - اوط ١٦١٠ م، وفي ايامه هذه اشتهرت البحرية الجزائرية بشدة الشكيمة وقوة الباس، فجاء يومئذ الانكليز ومعهم الهولنديون والاسبان فغزا الجميع تونس ثم عرجوا على السواحل الجزائرية فدمروا منها نواحي حيجل وخربوها

ثم بعد سنة من ولاية هذا الباشا ظهر الوباء بالجزائر ففتك بعدد وافر من الانفس، وفيها كان تأسيس المسجد الجامع بمدينة القليعة الساحلية (١٠٢٠ هـ ١٦١١ م) ثم اننا لا نعلم بعد هذا من مهام حوادث هذا الباشا سوى وقوفه في وجه ثوار زواوة فأخضعهم ونشره الامن في البلاد واخيرا تخلى عن منصبه لابن اخيه مصطفى باشا فتولى مكانه يوم ٢٦ جمادى الثانية عام ١٠٢٠ هـ ٦ سبتمبر ١٦١١ م



ولاية حسين الشيخ باشا

كانت ولايته سنة ١٠٢٢ هـ - ١٦١٣ م وعلى عهده كان ذلك الخلاف المشهور بين حكومة تونس والجزائر في شان الحدود فكان هناك قتال بين الطرفين انتصر فيه الجزائريون ثم وقع الاتفاق من الجانبين على جعل نهر سراط هو الحد الفاصل للتخوم الجزائرية الشرقية

وبسعى هذا الباشا وقع عتق كثير من الاسرى المسلمين الذين هم بفرانسا، واطهرت الدولة الفرنسية يومئذ تقريبا من الحكومة الجزائرية فاستجابت لعتق الاسرى ولم تشترط في مقابلة ذلك سوى تامين مراكبها

واحترام اهلها، ثم نقضت غزلها واخلفت وعودها فأبطلت المفاوضات وتعطل المشروع وجاء اسطول الدوك دو كيز فاتهب من الجزائر مائتي اسير وتخلى الباشا المذكور عن منصبه فتولى مكانه مصطفى خزناسي حسين سنة ١٠٢٥ هـ ١٦١٦ م ولكن لا يعلم عن سيرته شيء



ولاية سليمان قاطانيا باشا

الظاهر ان اصله من مدينة «قاطانيا» بصقلية وكان تعيينه لمنصبه هذا بالجزائر في اليوم الثاني من شهر رمضان المعظم سنة ١٠٢٦ هـ - ٣ سبتمبر ١٦١٧ م وفي ايامه تظاهرت الدولة الغرانية بمظهر الصداقة للجزائر واخذت في مصانعة الباشا وجاءت بعق طائفة من الاسرى كتكفير لما سلف منها من المخالفات فصانعها الباشا بالمثل، والحرب خدعة...

حتى اذا اكتمل نزول الاسرى بمدينة الجزائر انبرى الاتراك حينئذ الى مهاجمة مركز القالة الفرنسي فهدموه انتقاما لما سبق من فرانسا حتى لم يبقوا فيها حجرا على حجر واستعبدوا اهله

وفي ايام سليمان هذا بلغت اساطيل الجزائر بقيادة مراد راييس الى جزيرة مادير بالمحيط الاطلسيكي بل والى شواطئ جزيرة ايزلاندة باعلى الشمال ثم كانت وفاة الباشا يوم الاربعاء ودفن يوم الخميس ١ جمادى الثانية سنة ١٠٢٧ هـ - فاتح جوان ١٦١٨ م



ولاية حسين الشيخ باشا (ثانيا)

اعيد اليه زمام الحكومة الجزائرية للمرة الثانية عصر يوم الاربعاء ٢٩ رمضان سنة ١٠٢٧ هـ ٢٠ سبتمبر ١٦١٧ م فاشتغل اولا باخماد نار الفتن والاضطرابات الداخلية واعادة الهدوء والدعة للبلاد، وبعد سنتين من ولايته كانت حادثة تحطيم الاسطول

الجزائري المرباط بثغر العاصمة بسبب زوبعة بحرية شديدة ذهبت ضحيتها الميناء وفي أوائل رمضان سنة ١٠٢٩ هـ - ٨ اوط ١٦٢٠ م ظهر في الميدان السياسي من سعى من تجار فرانس في رأب الصدع ونشر الوئام بين الحكومتين الجزائرية والفرنسية وعمل على استرجاع المدفعين السالفي الذكر الى الجزائر مع من وجد هنالك في بلاد الثغور الفرنسية من اسرى المسلمين فانشرح لذلك صدر الباشا واخذ هو بدوره يعمل على تحرير اسرى الفرنسيين واوفد سنان اغا مبعوثا مفوضا الى فرانس وكمثل لحكومة الجزائر لدى البلاط الملكي هناك، وما كادت الاتفاقات تتم بين الطرفين حتى احاط بها الرب والشك وداهمتها اشاعات وقلاقل زائفة مضمونها ان احد قرصان الجزائر - رجب ريس - قد استحوذ على سفينة فرنسية بخليج مدينة ليون فحطمها وقتك باصحابها؟.

ورغم بطلان هذه الاشاعة المزورة فان الجو الفرنسي تكهرب واظهر اهل مرسيليا عداوتهم للجزائريين بتخطيط مفوضية الدولة التركية بمرسيليا وتقتيل اهلها بما فيهم من السفير سنان آغا نفسه، ولكن العدالة الفرنسية ساءها ذلك فلم تكن لترضى عن هذا الاعتداء الشنيع فحاكت شرذمة ممن شاركوا في هذه العملية الاثيمة وساقط اربعة عشر منهم الى المشنقة، غير ان الجزائريين راعهم ما فعله اهل مرسيليا بالمفوضية التركية وعظم عليهم موت ممثل حكومة الجزائر هكذا غدرا لمجرد فرية وبهتان فاعلنوا حرب القرصنة ضد المراكب الفرنسية واطلقوا العنان للقرصان في القاء القبض عليها اينما حلت وارتحلت واسر يومئذ جميع الفرنسيين الذين وجدوا بالجزائر . وعادت العداوة جذعة وانقطعت العلائق بين الطرفين .

ثم اعتزل الباشا حسن الحكم سنة ١٠٢٨ هـ - ١٦١٩ م وحل محله موقتا الباشا سليمان ويقال ان المستخفاف هو خسرف باشا تأمر يوم الاحد ٢٦ شعبان ١٠ اوط من هذه السنة؟ ... وكلاهما لانعلم عنه شيئا؟

ولاية خضر باشا

قيل انه هو نفسه خضر باشا السالف الذكر وانه تولى الحكم بالجزائر اربع مرات ...؟ فان صح ذلك فيكون تاريخ موته غير ما ذكرناه سلفا ...؟

وايا ما كان فان الخضر هذا تولى عرش الجزائر سنة ١٠٢٩ هـ - ١٦٢٠ م فناهضته دولة فرانسفاقاومها وكسر شوكتها ، ثم اعادت عليه الكرة حتى تمكنت من رغبها باقامة وانشاء مركز تجاري لها بالقالة وانزلت به الحامية ، ولم يكن ليستقر به الفرنسيون حتى حمل عليه الاتراك فحطموه وقضوا على من كان به من الجند والحامية.

وفي صفر ١٠٣٠ هـ - ديسمبر ١٦٢٠ م جاء الاميرال الانكليزي «مانصيل» الى الجزائر يحمل امر ملكه جاك الاول الناطق بتخليص اسرى الانكليز وفدائهم فرفض الديوان قبوله ثم حاول الاميرال يومئذ التوصل الى غرضه بالمقاومة الحربية فلم ينجح

التزاحم الهولاندى الانكليزي بالجزائر

لقد اثارت هذه المراكز التجارية التى يحتلها الفرنسيون بالساحل الشرقى من الشواطىء الجزائرية امتعاضا شديدا واضطرابا فى صدور المنافسين الغربيين ، وخاصة منهم الهولانديين والانكليز واهل جنوة ، فهم كانوا من اسبق الناس ركضا بهذا الميدان كل ذلك طمعا وحرصا على احتكار تجارة الرقيق والمرجان واستئثارا بخيرات البلاد وتركيزا لسلطوتهم القرصانية على ضفاف غربى هذا البحر ...

ففيما بين سنتى ١٠٢٩ - ١٠٣٣ هـ (١٦٢٠ - ١٦٢٤ م) حلت قافلة هولاندية بحرية بمياه الجزائر تشتمل على ست وحدات حربية واتصل اهلها بالديوان فاظهروا له رغبتهم فى النزول بمراكز المرجان المنبثة بالشواطىء فلم يعرهم الديوان بالا ويومئذ كشف هؤلاء الهولانديون عن عداوتهم فجاءوا بطائفة من

الاسرى المسلمين فاعدموهم شنقا امام الجزائر وعلى مرأى ومسمع من السكان ويومئذ استجاب الديوان لهولاندة فعقد معها معاهدة سلم

وفي نفس هذه الآونة من التاريخ غزا الانكليز عاصمة الجزائر محاولا هو بدوره ايضا احتكار التجارة والاستقرار بالمراكز المذكورة فرمى المدينة بالقنابل واستقر حيث اراد بشواطئ الجزائر ومكث بها عدة سنوات يزاحم الهولانديين بدون جدوى ، ثم ضمت المجهودات الى بعضها بعض وتعاقدت الشركتان على العمل معا فلم يكتب لها النجاح

ويذكر الاخباريون ممن عني بتدوين احداث هذا العصر انه حدث خلال سنة ١٠٣٠ هـ - ١٦٢١ م وباء رهيب بولاية تونس وانتشر منها الى الجزائر فهلك منه نحو الخمسين الف نسمة ويعرف هذا الحادث بالوباء الكبير وباتر كان انهزام الاتراك امام الاسبان بسهولة الهبة من اعمال وهران

وهذا تذكر لنا الرواية التاريخية عدة باشاوات اعقبوا خضر باشا من غير ان تعطينا تفاصيل عنهم ولا يسعنا نحن الاسرداسمائهم هكذا مجردة تأدية لامانة التاريخ: اولهم مصطفى حافظ كوسته او قوصة؟ سنة ١٠٣٠ هـ - ١٦٢١ م ثم حسين باشا قائد سوسة تولى يوم السبت ثاني شوال من هذه السنة نفسه؛ وبعده حسين بن الياس باي عام ١٠٣٢ هـ - ١٦٢٣ ، ثم في نفس السنة مراد باشا الاعمى ٢٢ رمضان - جويليت - ثم ابراهيم باشا يوم ١٤ جمادى الثانية ١٠٣٣ هـ افريل ١٦٢٤ م



ولاية خسرف باشا

تولى منصب الباشاوية بالجزائر يوم ٢٢ ذى الحجة ١٠٣٤ هـ - ٢٥ سبتمبر ١٦٢٥ م ويذكر ان اسمه اسراف...٢

كثرت في ايامه الثورات وانتشرت بنواحي جبل كوكو شرقا الى اعمال تلمسان غربا ولج الانكشارية بالعاصمة في عتوهم وطغيانهم فبعث بهم الى نواحي الثوار فاختدوا حركاتهم وسكنت العاصمة

وفي اليوم الثالث من شعبان ١٠٣٤ هـ - ١١ جوان ١٦٢٥ م اوفدت فرانسسا سفيرها لدى الباب العالي باستانبول لاسترضاء السلطان وطلب العفو عن الاسرى والحصول منه على تصريح بعودتها الى فتح باب المعاملة مع الجزائر والنزول بتلك المراكز التجارية المنبثة بالساحل الجزائري فاذن لها السلطان في ذلك وامر الباشا بالعفو عن الماسورين وجاء القنصل الفرنسي الى الجزائر فنزل بهذه المؤسسات وتولى بنفسه ادارة حركتها التجارية

ولقد بلغت المراكب التركية الجزائرية في اعمالها القرصانية ايام هذا الباشا مبلغا عظيما فانها بلغت الى ايزلاند بعا على الشمال واسرت منها اربعمائة اسير، وبلغت كذلك الى سواحل اكادى Acadie بامريكا الشمالية ، ثم كانت وفاة الباشا خسرف يوم ٢٢ رجب ١٠٣٥ هـ - ١٩ افريل ١٦٢٦ م

حسين باشا

وبعد فترة تولى الحكم بالجزائر حسين باشا سنة ١٠٣٦ هـ ١٦٢٦ م وفي ايامه اتصلت الجزائر بمائتي اسير ممن كان بمرسيليا من الجزائريين كما انها حصلت على المدفعين المغصوبين منها الموجودين بفرانسا منذ ولاية رضوان باشا ١٠١٦ هـ - ١٦٠٧ م وبذلك فتحت فرانسا طريقا لتمر كرها بالجزائر وبذلك

في ذلك اموالا شتى بعضها رشى لولاية الامر وبعضها الآخر قروضا واموالا باسم الدولة، واستطاع بذلك سانصون نابولون المفوض الفرنسي ان يحصل من الدولة التركية بتاريخ ٢٩ المحرم ١٠٣٨ هـ - ٢٨ سبتمبر ١٦٢٨ م على تصريح باقامة محرس تجارى حصين عرف باسم Bastion على الساحل الشرقى واحتكار صيد المرجان بالسواحل الافريقية نظير دفع ستة عشر مليون فرنك سنويا وتمت المعاهدة بين الحكومتين الجزائرية والفرنسية على الشروط الآتية

ا تبادل الاسرى

ب احترام مراكب الطرفين

ج رقع الاسرى بين المتعاهدين

د حماية المحارس والقنصلية الفرنسية ورجالها

ولم يكن مصرحا للمفوض الفرنسي سانصون نابولون كما ترى بهذه المعاهدة ان يجعل من هذه المحارس التجارية حصونا او يتخذها وسيلة للتدخل في شؤون البلاد ولكن استعملها مراكز للاستطلاع والتجسس واتخذ منها محطة لتعوين اعداء الجزائر ومحاربها من الدول الاجنبية والتجسس لهم ثم تناول تصدير القمح وامتدت يده الى متاجر شتى من بلاد المغرب.

وقعة السطارة

السطارة او الستارة هى اسم مكان قرب الكاف من اعمال تونس وبها كانت هذه الوقعة الشهيرة بين التونسيين والجزائريين في ١٣ رمضان ١٠٣٧ هـ - ١٧ ماي ١٦٢٨ م بسبب تجدد الخلاف بين اهل هذين الولايتين حول التخوم والحدود المقررة بينهم منذ سنة ١٠٢٣ هـ - ١٦١٤ م فانتصر فيها اهل الجزائر وغنموا من سلاح تونس اثنين وعشرين مدفعا ويومئذ بادر والى تونس يوسف داي الى حقن الدماء فتم الصلح بينهما بعقد معاهدة السلام وجعل الحدود هكذا .

يمتد خط الحد من البحر الى راس جبل الهفا، ومنه الى قلوب الثيران؛ ومنه الى الكرش، ثم الى وادى ملاق، ومن هناك الى وادى السيرات في الجنوب، وتنص المعاهدة في مادتها الرابعة على ان قوانين الدولة المحلية بتونس والجزائر تعم جميع من يوجد داخل الحدود من رعايا الجانبين ولا يمكن بحال تعقب احكامهما

وهنا كذلك تسوق لنا الرواية التاريخية طائفة من اسماء الباشاوات معن حكم الجزائر بعد حسين ولا نعلم عن تاريخهم سوى ذكر اسمائهم حسبما يلي : اولهم حسن خوجة سنة ١٠٣٨ هـ - ١٦٢٨ م، وفي هذا التاريخ كان سقوط مدينة تلمسان بيد دولة مراكش السعدية ثم انتزعت منها. وفي السنة بعدها اتحد الكراغلة مع طائفة الرياس ضد الحكومة المركزية ابتغاء المزاومة في الحكم فاقعدوا النار في خزينة البارود فانفجرت ومات يومئذ ستة آلاف نسمة وتهدم بالمدينة ما يقرب من خمسمائة منزل، ولم تسجل لهم مع ذلك نتيجة، ثم تولى يونس باشا بتاريخ اليوم الرابع من ذى الحجة سنة ١٠٣٩ هـ - ١٥ جويلية ١٦٣٠ م، ثم حسن باشا سنة ١٠٤١ هـ - ١٦٣١ م

وتقص علينا الرواية التاريخية ان البحرية الجزائرية بلغت في هذا العصر الى ايرلاندة شمال بلاد الانكليز وجات فيما حولها من بحار الجزر البريطانية وصافحت قناة القديس جورج وان الحسائر التي منيت بها دولة فرانسا في البحر تجاه الاسطول الاسلامي ما بين سنتي ١٠٣٧ - ١٠٤٤ هـ (١٦٢٨ - ١٦٣٤ م) بلغت الى ثمانين مركب مشحونة بمختلف البضائع وان قيمتها تقدر بعملة ذلك العصر : ٤٠٧٥٢٠٠٠ ليرة

ثم تولى حسين باشا الشيخ للمرة الثالثة وذلك يوم ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٠٤٢ هـ - ٨ نوفمبر ١٦٣٢ م، وفي ايامه حدث زلزال هائل اندك له اكثر دور العاصمة ومات من جرائه عدد وافر من الناس ولا يبعد ان يكون هذا

الحادث هو نفسه تلك الكارثة التي زلزلت لها الجزائر في حركة الكراغلة اثر انفجار خزينه البارود التي اشرفنا اليها فيما تقدم ...؟
ويذكر عن هذا الباشا انه اختلف مع اعضاء الديوان فنشأت عن ذلك ثورة الانكشائية والقي القبض على الباشا فاودع السجن



ولاية يوسف باشا

تدخل الجند في تولية الولاية هذه المرة وكانت يومئذ فترة انقطاع اضطرب لها جبل الحكومة الجزائرية وحصل تشويش اعقبه انحلال وفتور في الادارة الى ان بادرت حكومة استانبول الى انقاذ الموقف هذا فقضت على الفوضى الشائعة يومئذ بتعيين يوسف باشا يوم ٢١ المحرم سنة ١٠٤٤ هـ (جويليت ١٦٣٤ م)
ولكن الديوان تصلب في وجهه معاكسا لسلطته ومقاوما لسياسته المعتدلة وكان مما حاول هذا الباشا السعى في حسم الخلاف بين الجزائر وفرنسا واستمر الديوان على اظهار عداوته للفرنسيين المقيمين بالمحارس التجارية واخيرا رضخ الباشا للديوان والقي القبض على القنصل الفرنسي م بيون ، ويومئذ هوجمت الجزائر من طرف الفرنسيين بحملة بحرية فخابت وكان هناك غلاء في الاسعار وازمة في التجارة.



ولاية علي باشا

اتصل بمنصبه هذا في فاتح صفر سنة ١٠٤٧ هـ - ٢٥ جوان ١٦٣٧ م وصادف ان كان الصراع والخلاف قائمان بين الفرنسيين والجنوبيين حول المنشآت والمتاجر الساحلية ولقد بلغ التزاحم والتنافس بين شركات هذين الامتين اشده فاشتد النزاع وتفاقم امر الخلاف حتى ازعج حكام الجزائر واقلق بالهم فاصدر

الديوان يومئذ امره للرئيس على بتشني (١) بالقضاء على هاتيك المراكز ومصادرة اموالها وما احتوت عليه من ارزاق فخرج الرئيس في مراكب القرصانية يوم ٢٤ رجب ١٠٤٧ هـ - ١٣ ديسمبر ١٦٣٧ م فدمرها وجاءهم بما فيها من الغنائم منها ٣١٧ اسير ومعلوم ان هذه المحارس كانت قائمة بناحية القالة وبونة من العمالة القسنطينية وكان سكان تلك النواحي منتفعين بما يجرى بينهم وبين اصحابها من المعاملات التجارية فكانت الحركة الاقتصادية يومئذ رائجة بين الاهالي والاجانب ولما نضب ذلك الميعين بعملية التدمير التي قامت بها الحكومة المركزية نقص عن السكان ما كانوا يستغلونه من الموارد والمداخل، فكان من الضروري ان يعلن هؤلاء استيائهم وتذمرهم امام الحكومة وفعلا قطع القوم صلتهم بالدولة وامتنعوا من دفع الزمة - المغرم - لحاكم المقاطعة - مراد باي - واعلنوا ثورتهم فحملوا السلاح برئاسة شيخ العرب ابي عكاز ابن الصخرى وقاتلوا الحامية التركية فقتلوا عليها فاستنجد الباي يومئذ بحاكم الجزائر فانجده باربعمائة جندي وجاءت النجدة الى قسنطينة برئاسة القائدين يوسف وشعبان وحمى هنالك وطيس الحرب فانهمز الاتراك بالمكان المعروف باسم قجال - بالقاف المعقودة - قرب ميله وذلك يوم ١٢ جمادى الاولى سنة ١٠٤٨ هـ - ٢٠ سبتمبر ١٦٣٨ م

ولم تلبث الحكومة الجزائرية حينئذ ان منحت امتيازات جديدة لشركة فرنسية مرسلية صرحت فيها للشركة بان تقيم هذه منشآت لحماية اموالها وارواح اصحابها (٢)

واثر هذه الحادثة تحركت النعرة... التعصبية في الاتراك - وهم المباشرون

«١» ايطالى الاصل من البندقية ويكتب اسمه هكذا Piccini او Picenino كان امير البحر فاسلم واسس ذلك المسجد الاثني القائم الى اليوم بجى باب الوادي بالعاصمة بناء سنة ١٠٣٢ هـ - ١٦٢٢ م ثم حوله الاستعمار الى كنيسة مسيحية سنة ١٢٥٩ هـ - ١٨٤٣ م كما حول غيره كذلك من المعاهد الاسلاميه بالجزائر الى كنائس ومراكز عسكرية ومصحات الخ....

«٢» انظر E. Vayssettes : Histoire de Constantine sous les Beys p. 94-110 Alger 1869

والمسيطرون طبعاً على الحكم فقاوموا الكراغلة واجلوههم العاصمة (١٠٣٩ هـ ١٦٢٩ م) وصادروا اموالهم مخافة استقوائهم وتطلعهم بعد ذلك الى مناصب الحكم



ولاية الشيخ حسين باشا

كانت ولاية سنة ١٠٤٩ هـ ١٦٣٩ م ولا نعلم عن تاريخ ايامه القليلة التي قاضاها على العرش سوى النكبة التي اصابت الاسطول الجزائري بغير فالونا Valona من بلاد البانيا، وذلك ان الدولة العثمانية كانت في حرب مع اهل البندقية فحمتها مراكب الجزائر برئاسة علي بيشني في بحر الادرياتيک، وفي ثغر فالونا هذه خسر الاسطول الجزائري ثمانية عشر قطعة، حيث غرق منه اربع سفن واسرت اربعة عشر ومات من الجند الف وخمسائة نسمة وحصلت الجزائر على تصريح من الباب العالي بدفع تعويضات عن هذه الخسائر كلها ولم يلبث الباشا ان توفي من سنته بالطاعون



ولاية ابى جمال يوسف باشا (ثانياً)

تقلد منصب الحكم بالجزائر للمرة الثانية في ٢١ من المحرم سنة ١٠٥٠ هـ (ماي ١٦٤٠ م) وكان يعرف بلقب قرطاليج او قرطالجي؛ واهم ما علمناه من الحوادث على عهده هو عقده للمعاهدة التجارية بين الجزائر وفرنسا بتاريخ ١٧ ربيع الاول - ٧ جويليت من هذه السنة وتصريحه للشركة الفرنسية باسترجاع مراكزها الجزائرية او ما كان كذلك من اندلاع لسان نار الثورة الاهلية التي لم ينطفئ لبيبها ضد الحاکم الاجنبى منذ خلق الله الجزائرى وولدت له امه حراً الى اليوم وتمكن الباشا من اخماد هذه الثورة المنتشرة يومئذ باعمال قسنطينة وغيرها ثم اعقبها تمرد الجنود الانكشارية بسبب تخلف الحكومة عن دفع مرتباتهم فتغلبوا على الباشا وقبضوا عليه فاودعوه السجن ثم افرجوا عنه واعادوه الى منصبه.

ولاية محمد برصالي باشا

تولى زمام الامر بالجزائر سنة ١٠٥٢هـ - ١٦٤٢م وكان يلقب بسر قوشلى وهو الذى اكمل فتح اعمال قسنطينة واتم الاستيلاء التركى على تلك الجهات الشرقية من القطر الجزائري

وحدث في ايامه ان كان الاسطول العثمانى متوجها الى غزو جزيرة مالطة فاراد السلطان تعصيد هذه الحملة بمرافقة اسطول الجزائر الذى كان يرأسه يومئذ على بتشنى فرفض الديوان ذلك بحجة تخلف الباب العالى عن انجاز وعده السابق من دفع التعويضات عن الخسائر التى منى بها الاسطول الجزائرى في وقعة ليفورنيا من بلاد إيطاليا فأوفد السلطان الى الجزائر مندوبين للنظر في القضية فاشاع الناس وارجفوا بان ما جاء المندوبان الا لقتل الرئيس على بتشنى وكثر القال والقال وكاد الناس ان يصدقوا بذلك وخشى الباشا من اغتيال الوفد فانزله بزواية سيدى عبد الرحمن الثعالبي ومكث معه الباشا نفسه الى ان دخل عليهم الرئيس على بتشنى فأمن خيفتهم واذهب عنهم السروع وخرج الجميع من الزاوية آمنا وعند ذلك منح على بتشنى منصب الامارة العليا على الاسطول العثمانى باستانبول وماكاد يتصل بقرمان التولية حتى اودت به المنيمة رحمها الله

ولاية احمد دغانجي باشا

انتصب على عرش الجزائر يوم السبت ٤ جمادى الاولى سنة ١٠٥٤هـ ٩ جويليت ١٦٤٤م وكانت ايامه كلها ايام قلق واضطراب بسبب اشتداد وطأة القرصنة من كلا المعسكرين وامتلات العاصمة على عهده بالاسرى وشارك الاسطول الجزائرى بخمسين قطعة في وقعة كريت بجزار خييل اليونان (١٠٥٥هـ - ١٦٤٥م)

ثم تضععت قواته بعد ذلك في وقعة مالطة فاستشهد فيها يومئذ مائتان وخمسون نسمة واسر نحو المائة والخمسين جزائري
وفي ايام هذا الحاكم تأسست الارسالية المسيحية بالجزائر على يد القديس فانسان
دوبول (١٠٥٦هـ - ١٦٤٦م)



ولاية يوسف باشا (ثالثا)

كان جلوسه على سرير الباشارية للمرة الثالثة بالجزائر يوم الثلاثاء ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٠٥٧هـ - ٢٨ ماي ١٦٤٧م وكان هنالك خلاف قائم بين الديوان وحكومة فرانسفا فأتقم الباشا من شخص القنصل الفرنسي فاودعه السجن ترضية للرأي العام الجزائري وحيث جاءت الحملة الفرنسية يقودها الاميرال دو كين ولم تزل تقذف بقنايلها العاصمة فامطرتها وابلا من المقذوفات النارية حتى اضطر اهلها الى الافئدة فنزلوا عن جميع الاسرى الفرنسيين ودفعوا للحملة مليون ومائتي قرش فكف عنهم الاميرال وصرف اسطولهم عن الجزائر.

وفي شعبان - سبتمبر - من هذه السنة خرج الباشا بنفسه الى اخضاع العصاة المنشقين من الدواودة وغيرهم من اهل الارحاء الشرقية الجزائرية

استشراف الدولة الشريفية العلوية للجزائر

صرف المولى محمد بن الشريف العلوى سلطان المغرب الاقصى - جد الاسرة المالكة اليوم - عنايته لاهياء ما اندرس من عهد ملوك المغرب في دولة الموحدين والمرابطين وعصر الفاتحين الاولين فحاول ضم الجزائر الى مملكته وبذلك يتم توحيد المغربين الاقصى والاوسط تحت سلطانه فخرج في قومه سنة ١٠٦٠هـ ١٦٥٠م الى التخوم الشرقية من حدود مملكته فبلغ الى انكاد واخذ البيعة لنفسه من اولائك الاقوام ثم حملهم معه الى منازل قبيلة بنى يزناسن - سناسن - فاستولى

عليها وقصد وجدة فاحتلها وشن غاراته على ما جاورها من القرى والقبائل
كولاد زكري وبني سنوس فخضع الجميع لطاعته وتقدم سائرا بجيوشه الى ندرومة
ثم عاد الى وجدة فمكث بها مدة ومنها توجه الى تلمسان فنازل احوازها واحاط
بقرائها وواقع هنالك بالحامية التركية فاذاقها قوارعه ثم ادركم فصل الشتاء فعاد
الى وجدة يستجم

ثم بعد انصرام فصل الشتاء خرج السلطان العلوي الى الصحراء الغربية فآغار
على الجعافرة وبايعته هنالك قبيلة حيان ثم جاء من دله على مدينة الاغواط وعين
ماضي والغسول فتوجه اليها السلطان واحتلها فاحدث ذلك قلقا عاما بالقطر
الجزائري اضطرب له حبل الحكومة التركية وكادت الرعية ان تنقض على حكومتها

تعجز الاتراك للقتال

وعم الخطر بلاد الجزائر فاخذت الحكومة التركية تعمل على اخذ
احتياطاتها في الدفاع والتأهب للحرب ضد الدولة الشريفة فشمزت عن ذيلها
وشرعت في حفر الخنادق حول ايلة معسكر وبادر حاكم الناحية - الباي - الى
استنصار باشا الجزائر فخرجت الحامية من العاصمة يقودها نائب الباشا الى نواحي
تلمسان فاستقرت هناك ويومئذ انكفأ مولاي محمد بن الشريف متقهقرا الى وجدة
عن غير قتال وهناك اخذ في تقسيم الغنائم واقتسام الاسلاب ثم قفل الى سبجلماسة
- تافيلالت -

وائر مغادرة سلطان المغرب للجزائر اوفد الاتراك الى حضرته لجنة من
العلماء للمفاوضة في شأن الحدود بين القطرين وتوثيق عرى الصداقة بين المملكتين
وتقرر جعل وادي التافنا هو الخط الفاصل بين الحكومتين وتاكّد ذلك بابرار
معاهدة مؤرخة سنة ١٠٦٤هـ - ١٦٥٤م

وفي عهد هذا الباشا يوسف تحصّلت الجزائر على تعويضات الدولة العثمانية

الموعد بها من قبل في مقابلة الحسائر التي تكبدتها الجزائر في حماية الاسطول العثماني ببحر الادرياتيك ايام الشيخ حسين باشا سنة ١٠٤٩هـ - ١٦٣٩م فاتصل الديوان بمبلغ ستين الف سلطاني وهو ما يقدر بنحو مليون ونصف فرنك بعملته ذلك الزمن،

وبعد مهلك الباشا يوسف خلفه المسمى مراد فاتح ربيع الاول عام ١٠٦٠هـ ٤ مارس ١٦٥٠م ولا يعلم من حوادث تاريخ ايامه في الجزائر الا ما يذكر من هيجان الاسرى الاروبيين واضطرابهم في السجون



ولاية:وشناق محمد باشا

تراس على حكومة الجزائر بلقب باشا يوم ٢٢ جمادى الاولى سنة ١٠٦١هـ منتصف ماي ١٦٥١م واشتهر امره بنشر الامن في الرعية وحماية شعبه واهتمامه براحته ورفعته

ولا يعلم من تاريخ الحوادث الجديرة بالذكر على عهده سوى انهزام الاسطول الجزائري مرتين امام مدينة البندقية وفي بحر الارخبيل، او ما كان من هجوم بريطانيا العظمى على الجزائر وخيبتها

ثم تولى بعده طوبال محرم باشا يوم ١٧ محرم ١٠٦٤هـ - ٩ ديسمبر ١٦٥٣م ولم يحفظ لنا التاريخ فيما علمناه عن هذا الباشا شيئا



ولاية احمد طوشان باشا

كانت ولايته يوم ٢٢ رمضان سنة ١٠٦٥هـ - ٢٦ جويلية ١٦٥٥م وابرز حادثة كانت في ايامه القصيرة بالجزائر هي حملة بريطانيا على العاصمة ورميها بالقنابل فاحترقت بعض المراكب الراسية ولم يكن بالثغر من رؤساء البحر يومئذ احد اذ كان كلهم بالغزو فتخطفت الحملة كل من ظفرت به من اسراها والاسرى

الهولانديين من غير فداء ثم انصرفت
ولم تطل ايام هذا الباشا فعزل من سنته وخلفه البكباشي عبدالله باشا وكذلك
هذا لم تطل ايامه ولا يعلم من شأنه شيء سوى انعقاد الصلح في هذه الآونة
بين الجزائر وبريطانيا



ولاية ابراهيم باشا

تقلد زمام الحكم بالجزائر يوم ١٢ ربيع الثاني سنة ١٠٦٦ هـ (٩ فيفري
١٦٥٦م) فغزا الاسبان وحاربهم بوهران، وكانت ايامه هادئة مطمئة لم يرعها
غير حادث القنصل الفرنسي حيث توهم معاداة الجزائر لحكومته فبادر الى القاء
القبض على نحو الخمسين نسمة من الجزائريين فاسرهم وخف الى حمل متاعه
وكل ما استطاع نقله من مستودعات المحارس فاستصحب ذلك كله معه الى فرansa
فاشماز من ذلك اهل الديوان فاجعوا على عزل الباشا حيث لم يعجل بحجز القنصل
ونصبوا مكانه الحاج احمد باشا الذي كان سجيناً باحدى الحصون الجزائرية، وذلك
عصر يوم الجمعة ٢٤ رجب - ماي - من هذه السنة وفيها ايضا كان استيلاء
الاميرال الهولاندي ليتير على ثمانية عشر سفينة جزائرية بجبل طارق
ثم ادركت فرansa خطأ القنصل في عمله هذا فجاءت مسترضية، واعيد
ابراهيم باشا الى منصبه عصر يوم السبت ٢٢ ذي القعدة ١٠٦٧ هـ فاتح سبتمبر
١٦٥٧م، وكان هذا آخر العهد بحكام الجزائر وباشاوتها اصحاب السلطة الفعلية
التابعة للباب العالي باستانبول .

نهاية حكومة الباشاوات

هناك قسط وافر من المسؤولية في سقوط سمعة حكومة الباشاوات واضمحلال
سيادتهم بالجزائر ملقى على عواتق هؤلاء الحكام - الباشاوات انفسهم - ذلك ان

الباشا قد شعر بالاستقلال في هذه المدة واخذ في الاشتغال بنفسه منصرفاً عن الادارة مجتهداً في التمول بطرق الرشى والسرققات فلم تلبث هيئته ان سقطت واجترأ عليه الانكشارية

والى هؤلاء الباشاوات ايضا ترجع مسؤولية الاسراف في التعدى على السفن واثغور فقد كان هنالك من الباشاوات من يدفع اهل البلاد الى ذلك دفعا بل كلفون بعض القرصان بان يقوموا بعملية القرصنة لحسابهم ومن ثم لم يعن الباشا بان يحسن تمثيل السلطان او يقوم بالمهمة الملقاة على عاتقه فلم يكن الجند او الاهلون ليحسون بوجوده بينهم الا في الاحتفال العظيم الذى يقام لاستقباله يوم يصل من القسطنطينية والا في هذه الاجتماعات التى كان يجلس الشورى يعقدها للنظر فى شؤون البلاد من حين الى حين

وربما حاول الباشا ان يخضع شوكة الانكشارية بالاستعانة عليهم بقبائل من اهل البلاد فنشأت، عن ذلك حروب وويلات شتى

وقد حاول احدهم ان يستولى على المنحة التى كان السلطان يبعثها كل عام لاعانة الاسطول الجزائرى فكانت النتيجة ان قرر الديوان - وكانت السلطة فيه للانكشارية - ان يسحب من الباشا آخر ما بقى له من مظاهر السلطان وهو القيام على الاموال والاحتفاظ بالحزينة فتولاها يومئذ الآغا يعاونه الديوان، واصبحت السلطة الفعلية بيد الاغوات (١)

باشاوات الجزائر

تاريخ التولية

١٥٧٨ هـ - ١٥٩٥ هـ	باشا	دالى احمد
١٥٨٩ هـ - ١٥٩٧ هـ	»	خضر
١٥٩١ هـ - ١٥٩٩ هـ	»	الحاج شعبان
١٥٩٤ هـ - ١٦٠٣ هـ	»	مصطفى
١٥٩٥ هـ - ١٦٠٣ هـ	»	خضر «ثانيا»
١٥٩٩ هـ - ١٦٠٧ هـ	»	دالى حسن
»	»	مصطفى جاقرجى
١٦٠١ هـ - ١٦٠٩ هـ	»	سليمان
١٦٠٣ هـ - ١٦١١ هـ	»	خضر «ثالثا»
»	»	محمد قوصة
١٦٠٥ هـ - ١٦١٣ هـ	»	كوسة مصطفى القابجى
١٦٠٧ هـ - ١٦١٦ هـ	»	رضوان
١٦١٠ هـ - ١٦١٩ هـ	»	كوسة مصطفى «ثانيا»
١٦١١ هـ - ١٦٢٠ هـ	»	مصطفى
١٦١٣ هـ - ١٦٢٢ هـ	»	حسين الشيخ
١٦١٦ هـ - ١٦٢٥ هـ	»	مصطفى خزناحى
١٦١٧ هـ - ١٦٢٦ هـ	»	سليمان قاطانيا
١٦١٨ هـ - ١٦٢٧ هـ	»	حسين الشيخ «ثانيا»
١٦١٩ هـ - ١٦٢٨ هـ	»	سليمان
»	»	خسرف

١٦٢٠هـ - ١٠٢٩هـ	باشا	خضر
١٦٢١هـ - ١٠٣٠هـ	»	مصطفى حافظ كوسة
« «	»	حسين
١٦٢٣هـ - ١٠٣٢هـ	»	حسين بن الياس
« «	»	مراد
١٦٢٤هـ - ١٠٣٣هـ	»	ابراهيم
١٦٢٥هـ - ١٠٣٤هـ	»	خسرف
١٦٢٦هـ - ١٠٣٦هـ	»	حسين
١٦٣٤هـ - ١٠٤٤هـ	»	يوسف
١٦٣٧هـ - ١٠٤٧هـ	»	على
١٦٣٩هـ - ١٠٤٩هـ	»	الشيخ حسين
١٦٤٠هـ - ١٠٥٠هـ	»	ابو جمال يوسف - ثانيا -
١٦٤٢هـ - ١٠٥٢هـ	»	محمد برصالى
١٦٤٤هـ - ١٠٥٤هـ	»	احمد دغانجى
١٦٤٧هـ - ١٠٥٧هـ	»	ابو جمال يوسف - ثالثا -
١٦٥٠هـ - ١٠٦٠هـ	»	مراد
١٦٥١هـ - ١٠٦١هـ	»	بوشناق محمد
١٦٥٣هـ - ١٠٦٤هـ	»	طوبال محرم
١٦٥٥هـ - ١٠٦٥هـ	»	احمد طوشان
« «	»	عبد الله بلكباشى
١٦٥٦هـ - ١٠٦٦هـ	»	ابراهيم
« «	»	الحاج احمد
١٦٥٧هـ - ١٠٦٧هـ	»	ابراهيم - ثانيا -

سلاطين آل عثمان

تاريخ التولية

١٥٦٦ هـ - ١٥٧٤ م	السلطان الغازي سليم خان «الثاني»
١٥٧٤ هـ - ١٥٨٢ م	السلطان الغازي مراد خان «الثالث»
١٥٩٥ هـ - ١٦٠٣ م	السلطان الغازي محمد خان «الثالث»
١٦٠٣ هـ - ١٦٠٤ م	السلطان الغازي احمد خان
١٦٠٤ هـ - ١٦١٧ م	السلطان مصطفى خان
١٦١٧ هـ - ١٦٢٦ م	السلطان عثمان خان «الثاني» (١)
١٦٢٦ هـ - ١٦٣١ م	السلطان مصطفى خان «ثانيا»
١٦٣١ هـ - ١٦٣٢ م	السلطان الغازي مراد خان «الرابع»
١٦٣٢ هـ - ١٦٤٠ م	السلطان ابراهيم خان
١٦٤٠ هـ - ١٦٤٨ م	السلطان الغازي محمد خان «الرابع»

(١) في ثامن رجب سنة ١٠٣١ هـ — ٢٠ ماي ١٦٢٢ م كان قتل السلطان عثمان الثاني بالابراج السبعة في استانبول ، وهو اول سلطان قتل في الدولة العثمانية .

مشاهير الجزائريين

ابو العباس احمد المقرئ

١٠٤١هـ - ١٦٣٢م

علامة الجزائر ومفخرة المغرب العربي الامام الحافظ الحجة والمؤرخ الاديب الكبير ابو العباس شهاب الدين احمد بن محمد بن احمد المقرئ (١) التلمساني اشتهر بيت المقرئ هذا بتلمسان منذ ان انتقل اليها اعضاء هذه الاسرة الاولون من مقرة في اواخر القرن السادس الهجري اعني حين استقرت دولة بنى زيان على عرش الجزائر، وبها ولد المترجم حوالى سنة ٩٨٦هـ - ١٥٧٨م وفيها درج ونشأ وبها حفظ القرآن الكريم وتأدب وأخذ علمه عن مشائخها المشهورين في التاريخ واخصهم عمه ابو عثمان سعيد مفتى تلمسان ستين سنة،

ارتحل الشيخ الى المغرب الاقصى فدخل مدينة فاس سنة ١٠٠٩هـ ولقى بها المشيخة فاخذ عن امثال الشيخ احمد بابا التنبوكتي وغيره من علماء العدوتين، ثم عاد الى بلاده فمكث ستين ثم غادرها الى فاس ثانيا سنة ١٠١٣هـ وبها القى عصاه منقطعا الى العلم والتعمق في البحث والدرس حتى برع في علوم الشريعة والادب والتاريخ فكان آية في الحفظ وسعة الاطلاع واستحضار ابواب الفقه ونوازله راسخ القدم حديد القريحة قوى البديهة مترسلا بليغا وكاتباً محيذا وشاعراً متفتناً ومحاضراً ظريفاً

(١) نسبة الى قرية (مقرة) احدى قرى الزاب الجزائري المشهوره بجنوب جبال الحضنة وشرقي المسيلة - المحمدية - ضبطها المترجم نفسه في ازهار الرياض ج ١ ص ٣ بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحه، وهى كذلك عند التعالبي في «العلوم الفاخرة» والوانشريسي ايضا، وضبطها ابن مرزوق الحفيد في شرحه على الالفية بفتح الميم وسكون القاف وقال فى النسبه اليها مقرئ كبدري، وهى كذلك عند ابن الاحمر فى فهرسته والشيخ زروق

ولاه السلطان احمد المنصور الامامة والخطابة بجامعة القرويين بفاس سنة ١٠٢٢ هـ ثم صارت اليه الفتوى في ايامه

ولما اختلت احوال مملكة المغرب السياسية اثر وفاة السلطان المذكور وكثرت الفتن وانقسمت الدولة السعدية الى مملكتين الخ... ازمع المقرئ على الرحيل الى المشرق تاركا المنصب والاهل والوطن والالف، فهاجر المغرب في اواخر رمضان سنة ١٠٢٧ هـ - سبتمبر ١٦١٨ م فركب البحر الى مصر فعمكث بها قليلا ثم توجه الى الحجاز فحج وطاف بالاماكن المقدسة واملى بتلك المعاهد والاماكن المشهودة علومه ومعارفه الغزيرة فظهر هنالك فضله ونبله، ثم عاد الى مصر فدخل القاهرة في شهر رجب سنة ١٠٢٨ هـ - جوان ١٦١٩ م فتزوج بها من اسرة السادة الوفاة وبقي يتردد على الحجاز خمس مرات ثم استقر الشيخ بالازهر الشريف متجردا للعلم، فاشتهر يومئذ علمه بين الناس وطار صيته في الآفاق؛ فعلت منزلته وتمكنت محبته وتبارى الادباء والشعراء في مدحه بقصائد ورسائل بلغة وجرت لهم معه مساجلات شعرية ومطارحات علمية نفيسة بعضها مذكور في كتب السير والتراجم (١) وفي نقح الطيب.

وبعد ان تبوأ الشيخ مكانه في المجتمع الاسلامي بالمشرق واصبح به كقطب من اقطاب العلم وامام من ائمة الاسلام عقد اثناء ذلك رحلات في ربوع الشرق الادنى ومنها رحلته المشهورة الى بيت المقدس سنة ١٠٣٧ هـ حيث القى هنالك بالمسجد الأقصى دروسا قيمة كانت سببا في اتصاله بكثير من علماء وادباء فاسطين والتفات الاعيان اليه، ثم دخل دمشق فابتهج لمقدمه علماء الشام وفاضلهم ونزل فيها بالمدسة الحنبلية فباله اهلها في الكرامه وهنالك اقترحوا عليه تدريس صحيح البخاري فابى اقتراحهم وشرع في اقراءهم الكتاب دراية فاحتشد الناس لدروسه وضاعت رحاب مجالسه بالجامع الاموي وتسابق الفضلاء والاعيان الى لثم يده والجثو بين يديه...

(١) انظر خلاصة الاثر للمحبي ج ١ ص ٣٠٢ ط القاهرة ١٢٨٤ هـ

ذكر من ترجم له من علماء المشرق انه تكلم يوم ختمه للصحيح بكلام في العقائد وعلم الحديث لم يسمع له نظير قط، وكان فيما ساقه في درسه المشهود ان تعرض لترجمة الامام البخاري بافاضة وانشد له هذين البيتين وافاد ان ليس للبخاري غيرهما :

اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى ان يكون موتك بغتة
كـم صحيح قد مات قبل سقيم ذهبـت نفسه النفيسة فلتـه

واستغرق مجلس الختم هذا من شروق الشمس الى قرب صلاة الظهر وبالشام اقترح عليه العلماء تصنيف كتاب جامع لتاريخ الاندلس فجاءهم بهذا الاثر الجليل والصنيع النفيس العجيب والسجل العظيم الخالد : نفح الطيب بغصن الاندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب. فرغ من تأليفه واملائه سنة ١٠٣٩هـ اى نحو سنتين قبل وفاته وطبع كتابه هذا بمصر مرارا في اجزاء كما طبع منه الجزءان الاولان بليدن سنة ١٨٥٥ - ١٨٦١م وترجم الى الانكليزية ونشر بلندن سنة ١٨٤٠ - ١٨٤٣م وهو خزانة علم وادب وفن وتاريخ، انفرد فيه مؤلفه بجمع وتدوين اخبار ذلك الفردوس المفقود

ولم رحمه الله ثبت حافل بالمؤلفات النفيسة يزيد عددها على ثمان وعشرين مؤلفا، منها المطبوع ومنها غير المطبوع عرفنا منها كتابه ازهار الرياض في اخبار عياض طبع منه بمصر ثلاثة اجزاء ولا يزال الرابع تحت الطبع، وطبع بعضه في تونس ايضا واطاعة الدجنة في عقائد اهل السنة مطبوع بمصر اقراه مرارا واملاه دروسا بنفسه على طلاب مصر والشام والحجاز، وفتح المتعال في اوصاف النعال - النبوية - وقفت على نسخة مخطوطة منه بمكتبة الجزائر الوطنية، وحسن الثنا في العفو عمن جنى، وشرح على مقدمة ابن خلدون وحاشية على مختصر خليل في فقه المالكية وازهار الكمامة في العمامة، الفقه بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان تصنيفه بالحجرة النبوية الطاهرة تجاه السراس الشريف،

ولا يخفى حسن المناسبة في ذلك، وقطف المهتصر من افنان المختصر، واتحاف
المغربي في تكميل شرح الصغرى - للسنوسي في العقائد - وعرف النشيق في
اخبار دمشق وروض الآس العاطر الانفاس في ذكر من لقينته من اعلام مراكش
وفلس، والدار الثمين في اسماء الهادي الامين، والغث والسمين، والراث والثمين،
وكتاب البداية والنشأة، كاه ادب وفن، وحاشية على ام البراهين في علم الكلام،
ومزدوجات شعر مطبوعة بمصر الى غير ذلك مما لا يتسع ذكره في هذا الموجز
وهو مع ذلك يعد من فحول الشعراء المطبوعين فشعرة جيد رشيق ليس فيه
تكلف ولا تصف فانصت الى قوله في الحنين الى الجزائر :

بلد الجزائر ما امر نواها كلف الفؤاد بحبها وهوها
يا عادلى في حبا كن عاذرى يكفيك منها ماؤها وهوها
وقوله ايضا :

قطر كان نسيمه نفحات كافور ومسك
وكان زهر رياضه در هوى من نظم سلك
وفيه يقول ايضا :

اضواؤه طبق المنى وهوؤه يشتاقه الولهان في الاسحار
والطبع معتدل فقل ما شئت في الظل والازهار والانهار
واستمع الى هذه القطعة الشائقة الرقيقة في الحنين الى وطنه ايضا :

واربع احباب اذا ما ذكرتها بكيت وقد يبكيك ما انت ذاكر
بطاح وادواح يروقك حسنهما بكل خليج نعمته الازاهر
فما هو الافضة في زبرجد تساقط فيه اللؤلؤ المتناثر
بحيث الصبا والترب والماء والهوى عبير وكافور وراح وعاطر (١)
وما جنة الدنيا سوى ما وصفته وما ضم منه الحسن نجد وحاجز

[١] ذكر اربعة اشياء وشبهها باربعة اشياء على سبيل اللف والنشر المرتب

بلادى التى اهلى بها واحبتى وروحى وقلبى والمنى والخواطر
 تذكرنى انجادهها ووهادهها عهد دامضت لى وهى خضر نواضر
 اذ العيش صاف والزمان مساعد فلا العيش مملول ولا الدهر جائر
 بحيث ليالىنا كغض شبابنا وايماننا سلك ونحن جواهر
 ليالى كانت للشيبية دولة بها ملك الالذات ناه وآمر
 سلام على تلك العهد وفانها موارد افراح تلتها مصادر
 واستمر اديننا العالم الكبير متناقلا فى ربوع المشرق مترددا بين معالم
 مصر ومعاهد الشام متجولا بين ضفتى بردى والنيل الى ان اصطفاه الله لجواره
 فى شهر جمادى الثانية سنة ١٠٤١ هـ - جانفي ١٦٣٢ م ودفن بقرافة المجاورين
 بمصر وقيل بالشام تغمده الله برحمته

عبد الكريم بن الفكون

١٠٧٣هـ - ١٦٦٣م

بيت ابن الفكون بقسنطينة مستطير الشهرة منتشر السمعة، فهو بيت علم وادب ورئاسة ودين؛ توارث ابناؤه المجد والسؤدد منذ دهر طويل وقرون متتابعة بالجزائر ولا يزال هذا البيت المجاهد ملحوظاً بعين الوقار والاحلال الى اليوم.

وكان ممن اشتهر وذاع صيته في الآفاق من اعضاء هذه الاسرة الجزائرية المجادة في القديم ابو علي الحسن بن الفكون اكبر شعراء الجزائر وابرع كتابها وفي الحديث - اي العصر الذي نؤرخه - الشيخان العالمان عبد الكريم بن الفكون وولده محمد

قال الشيخ العياشي في رحلته : وممن لقيته بطرابلس الشيخ الفقيه المشارك النبيه سيدى محمد بن العلامة الفهامة الناسك الخاشع الجامع بين علمي الظاهر والباطن سيدى عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني رضى الله عنه ونفعنا به، قدمها حاجا وهو امير ركب اهل الجزائر وقسنطينة وتلك النواحي على نهج ابيه وعادته في ذلك محافظا على سلوك سيرة والده من التؤدة والوقار فاجبتهم القلوب ومالت اليه النفوس ولم يطلع اميرا الا في هذه السنة وقبل ذلك انما كان يطلع بالركب والده - عبد الكريم - رضى الله عنه، فلما توفي الوالد قام ولده مقامه في ذلك اعانه الله وسدده،

..... قال وكانت لنا به - اي بالشيخ عبد الكريم - رضى الله عنه وصلة واتسباب بالخدمة والولاء والاعتقاد الصالح لما حججت معه في سنة اربع وستين (والف) وقد قال لي رضى الله عنه لما طلبت منه الاتصال بحضرته والانخراط في سلك اهل خدمته : اني اقول لك كما قال الامام الشاذلي رضى الله عنه لك مالنا من الخدمة وعليك ما علينا من الرحمة

.... قال وكان في غاية الانقباض والانزواء عن الخلق ومجانبة علوم اهل الرسوم بعد ما كان اماما يقتدى به فيها وله في كثير منها تأليف شهد له فيها بالتقدم اهل عصره فالقى في قلبه ترك ذلك والعكوف على حضرته بالقلب والقلب والتزود الى الحرمين الشريفين مع كبر السن، وكان يقول اذا ذكر له شيء من هذه العلوم : قراتها لله وتركتها لله....

قال العياشي : وقعت منه رضى الله عنه باللمعة التي قالها لى لما علمت حاله وخشيت ان اثقل عليه واكلفه مالا تطيب به نفسه فانه رضى الله عنه من اهل القلوب، ومروياته رضى الله عنه مستوفاة في فهرسة شيخنا ابي مهدي عيسى الثعالبي فمنحن نروى عنه جميعها بواسطته؛ قال فلما لقيت ولده - محمدا - تقربت له واتسبت له بمعرفة والدته فوجدت عنده بعض علم بى وقال اما انت الذى وصل كتابك المبعوث الى والدى من وادي ريغ قبل موته بعام ؟... فقلت نعم ورحب بى وهش وبش وانس، ووجدت عنده عدة من مؤلفات والده وبعضها بخطه رضى الله عنه فأعارها لى مدة اقامتها هناك، فمنها شرحه على ارجوزة الماكودى في التصريف وهو مجلد اجاد فيه غاية الاجادة.... فرغ من تأليفه اوائل صفر من عام ثمانية واربعين والف،... ومنها ديوانه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المرتب على حروف المعجم وكتب عليه «مما يمدح به عند الغمة وساعة الغياب المدلهمة» والتزم ان جعل مبدأ كل شطر حرفا من حروف «الاهى بحق الممدوح اشفنى ءامين» وجملة ذلك خمس وعشرون حرفا، ففى كل قصيدة مثلها ابياتا وهنا اورد العياشى نماذج من قصائد هذا الديوان، ثم قال «وبآخرها بخطه تم بحمد الله وحسن عونه هذا المديح في المصطفى الملبح الفصيح في ليلة الجمعة وقت العشاء منها ليلة ثلاثة وعشرين من جمادى الآخرة من سنة واحد وثلاثين والف...» ومن تأليفه ايضا جزء في تحرير الدخان سماه «محدد السنان في تحوُّر اخوان الدخان» وهو في عدة كراريس مشتمل على اجوبة عدة من الايمة وقد لخصنا

بعضه بحسب ضيق الوقت ولنذكر ذلك تنميما للفائدة وهنا اورد العياشي ملخص الكتاب (١) وللمترجم شرح على شواهد الشريفة على الاجرومية التزم فيه عقب كل شاهد ذكر حديث مناسب للشاهد، وشرح جمل المجرد ومخارج الحروف من الشاطبية وتأليف في حوادث فقراء الوقت، ولعله هو كتابه المسمى بمنشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية،

وهذه رسالة لطيفة من نوع الاخوانيات كتبها الشيخ عبد الكريم بن الفكون الى صديقه بالمشرق ابي العباس شهاب الدين احمد المقرئ، احبنا ادراجها هنا كنموذج لاسلوب النثر - والشعرايض - المستعمل في المكاتبة بين الادباء والعلماء في ذلك العصر قال :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على من انزل عليه في القرآن «وانك لعلى خلق عظيم» وآله وصحبه وسلم افضل التسليم، من مدنس الازرار المتسربل بسرايل الخطايا والاوزار، الراجي للتوصل منه رحمة العزيز الغفار، عبد الله - سبحانه عبد الكريم بن محمد الفكون اصلح الله بالتقوى حاله، وابلغ من متابعة السنة النبوية آماله، الى الشيخ الشهير؛ الصدر النحرير، ذى الفهم الثاقب والحفظ الغزير الاحب في الله، المؤاخي من اجله سيدي ابي العباس احمد المقرئ، احمد الله عاقبتى وعاقبتى واسبل على الجميع عافيته. اما بعد فاني احمد الله اليك واصلى على نبيي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا اريد الاصلاح الدعاء وطلبه منكم، فاني احوج الناس اليه واشدهم في ظني الحاحا عليه لما تحققت من احوال نفسى الامارة، واستبطنت من دخلائها المثابرة على حب الدنيا الغرارة كانها عميت عن الاهوال التى اشابت رؤوس الاطفال وقطعت اعناق كمل الرجال، فتراها في لحج هواها خائضة وفي ميدان شهواتها راكضة طغت في غيها وما لانت وججت فما انقادت ولا استقامت فويلي ثم ويلي من يوم تبرز فيه القبائح وتنشر الفضائح

ومنادى العدل قائم بين العالمين «وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين» فالله اسأل حسن الاطاف؛ والستر عما ارتكبناه من التعدي والاسراف وان يجعلنا من اهل الحمى العظيم وممن يحشر تحت لواء خلاصته الكريم، سيدنا ومولانا وشفيعنا النبي الرؤوف الرحيم ولنكف من القلم عنانه، لما ارجو من اجله ثواب الله سبحانه. وقد اتصل بيدي جوابكم اطال الله في العلم بقاءكم فرايت من عذوبة الفاظكم وبلاغه خطابكم ما يذهل من العلماء فحولها وبنيها لدى الجثو لسماعه سؤالها ومأمولها بيد مافيه من اوصاف من امره قاصر وعن الطاعة والاجتهاد فاتر وأصدق قول فيه عند مخبره ومرآه ان تسمع بالمعيدي خير من ان تراه، لكن يجازيكم الله بحسن النية البلوغ في بجوحة الجنان غاية الامنية وقد ذيلتم ذلك بايات انا اقل من ان اوصف بمثلها على اني غير قائم بفرضها ونقلها فالله تعالى يمدكم بمعونته ويجعلكم من اهل مناجاته في حضرته ويسقينا من كاسات القرب ما تتمتع منه بلذيذ منادته وقد ساعد البنان الجنان في اجابتم بوزنها وقافيتها والعذر لى اننى لست من اهل هذا الشأن والاعتراف بانني جبان واي جبان والكمال لكم في الرضا والقبول؛ والكريم يفضى عن عوارث الاحق والجهول وظننا - حققه الله تعالى - ان نجعل على منظومتكم الكلامية - يعنى اضاءة الدجئة - تقييدا، ارجو من الله توفيقا وتسديدا بحسب قدرى لاعلى قدركم وعالى مثل فكرى القاصر لا على عظيم فكركم، وان ساعد الاوان وقضى بتيسيره رب الزمان فاتى به ان شاء الله الاءجل معى لانتى بالاشواق الى حضرة راكب البراق ومخترق السبع الطباق وكنت عازما على ان ابعث لكم من الايات اكثر من الواقع الا ان الرقعة اعجلت وصادقتنى ايام موت قعيدة البيت فلم يتيسر عاجلا الا ما ذكر وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل

عليها تعاضده الرواية

يروى به الطالبون غاية

يا نخبة الدهر في الدراية

لا زلت بحرا بكل فن

لقد تصدرت في المعالي
من فيك تستنظم المعاني
رقاك مولاك كل مرقي
اعجوبة ما لها نظير
يا احمد المقرى دامت
بجاء خير العباد طرا
صلي عليه الاله تسرى

واختم كتابي بالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وكتب بغاية عجلة يوم السبت سابع اوثامن رجب من عام ثمانية وثلاثين والفس
للهجرة على صاحبها الصلاة والسلام (١)
وقد توفاه الله اليه عشية الخميس ٢٧ ذى الحجة سنة ١٠٧٣ هـ - ٣ اوط
١٦٦٣ م سقي الله ضريحه

جدول تاريخي

٩٩٥ - ١٠٦٩ هـ

١٥٨٧ - ١٦٥٩ م

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
١٥٨٧ هـ ٩٩٥ م	ابتداء عصر حكومة الباشاوات
١٥٩٠ هـ ٩٩٨ م	قمع حركة الثورة الوطنية بمجانة
١٥٩١ هـ ٩٩٩ م	اشتداد لهيب الثورة الوطنية بناحية زواوة
١٥٩٤ هـ ١٠٠٣ م	قمع الحركة الثورية بناحية «سورالغزلان» وانشاء مركز للحراسة
١٥٩٩ هـ ١٠٠٧ م	استيلاء الاتراك على حصن المرسى الاعلى بوهران وانهزام الاسبان الى الحصن الاسفل
١٦٠١ هـ ١٠٠٩ م	حدوث الاضطراب السياسى والعسكرى حول منصب الامارة واخلق الاسبان في حملتهم الشعواء ضد العاصمة
١٦٠٣ هـ ١٠١١ م	نشاء الحلاف السياسى والاقتصادى بين حكومة الجزائر وفرنسا ورد غارة الاسبان البحرية عن مرسى ازفون
١٦٠٦ هـ ١٠١٤ م	انتصار الاسبان بوهران
١٦٠٧ هـ ١٠١٦ م	اغارة الطوسكان على بونة - عنابه - وقطع العلائق بين الجزائر وفرنسا وتحطيم مرسى برشك
١٦١٠ هـ ١٠١٩ م	حملة الانكليز والهولانديين والاسبان على سواحل جيجل
١٦١٣ هـ ١٠٢٢ م	تسوية الحلاف الناشئ بين حكومة الجزائر وتونس حول تخطيط الحدود السياسية بين القطرين.
١٦١٧ هـ ١٠٢٦ م	تحطيم السلطة المركزية للمحرس الفرنسى بالقالة

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
١٦٢٠هـ ١٠٢٩م	تجدد الخلاف بين الجزائر وفرنسا وشن الغارات البحرية الجزائرية ضد المراكب الفرنسية
١٦٢٠هـ ١٠٣٠م	خيبة حملة الاميرال الانكليزي «مانفيل» على الجزائر
١٦٢٣هـ ١٠٣٣م	تقدم البحرية الجزائرية واتصالها باعلى جزر بحر الشمال
١٦٢٣هـ ١٠٣٣م	التزاحم الهولاندي الانكليزي بالجزائر
١٦٢٨هـ ١٠٣٧م	نشوب الخلاف بين الجزائر وتونس حول قضية الحدود وانفجار وقعة السطارة
١٦٣٢هـ ١٠٤٢م	تدمير الزلزال الهائل لاكثر دور العاصمة وموت الاكثرية من السكان
١٦٣٤هـ ١٠٤٤م	انكسار الاسطول الفرنسي بمياه الجزائر
١٦٣٧هـ ١٠٤٦م	تحطيم مركز القالة الفرنسي وعلان الحرب ضد فرنسا
١٦٤٠هـ ١٠٥٥م	انكسار الاسطول الجزائري في حرب البندقية ببحر الادرياتيك
١٦٤٢هـ ١٠٥٢م	الاستيلاء النهائي على اعمال قسنطينة
١٦٤٤هـ ١٠٥٤م	انكسار اسطول الجزائر امام قرصان مالطة
١٦٤٦هـ ١٠٥٦م	تأسيس ارسالية القديس «فانسان دوبول» بالجزائر
١٦٤٨هـ ١٠٥٨م	هجوم الاميرال الفرنسي دو كين على مدينة الجزائر
١٦٥٠هـ ١٠٦٠م	محاولة الدولة الشريفة العلوية الاستيلاء على الجزائر
١٦٥٥هـ ١٠٦٤م	اتخاذ وادي التافنا حدا فاصلا بين حكومتى الجزائر ومراكش
١٦٥٦هـ ١٠٦٦م	تسرع القنصل الفرنسي الى مغادرة المحرس التجاري وتاسير لطائفة من المسلمين
١٦٥٩هـ ١٠٦٩م	نهاية عصر حكومة الباشاوات

الفهرست

صفحة :

٦ استهلال الجزء الثانى

الدولة الحفصية ٧-٦٨

- | | |
|--------------------------------------|-------------------------------------|
| ٢١ اماره بنى مزنى بسكرة | ٧ نشأتها |
| ٢٢ حزب السنية وابن مزنى | ٩ نظامها الحكومى |
| ٢٤ الجزائر بين الحفصيين والمرينيين | ١١ حدود الجزائر الحفصية |
| ٢٧ خريطة المغرب الاسلامى | ١٢ كيف كان استيلاء الحفصيين على |
| ٢٨ حركة السلطان الى بسكرة | الجزائر |
| ... تنازع امراء بنى ابى حفص على | ... فتح ولاية تلمسان |
| ولاية قسنطينة وبجاية | ١٣ المبايعه بالخلافة |
| ٢٩ مشاركتها الجزائر فى هزم الصليبيين | ١٥ تربص يغمراسن وانتصاره |
| ٣٠ مقاومة القرصنة الاروية | ١٦ اضطرابات وفتن |
| ٣٢ الاسلام والنصرانية بالمغرب | ١٧ مقاومة العصاة المنشقين |
| ٣٣ المعتقدات والمذاهب الدينية | ١٨ انتفاض مدينة الجزائر وفتحها |
| ٣٥ احصاء اتباع المذاهب الاسلامية | ... ظهور ابن ابى عمارة الدعوى |
| المشهورة (هامش) | ١٩ انفصال الجزائر عن الحكومة |
| ٤ الثقافة والحضارة والعمران | المركزية |
| ٤٥ انهيار الجزائر الحفصية | ٢٠ اعتداء الافرنج على مدينة الجزائر |
| ٤٦ ولاية الجزائر وزعمائها | |

صفحة :

٥٨ ✓ عبد الله بن السكات

٥٣ ملوك الدولة الحفصية

٥٩ ✓ محمد بن منداس

مشاهير الجزائريين

٦٠ ✓ محمد بن الحسن القلعي

٦٣ ابو زيان ناصر بن مزني

٥٥ ✓ يحيى بن عبد المعطي

٦٤ ✓ احمد بن ابي القاسم الحلو

٥٧ ✓ عبد الرحمن بن السطاح

٦٧ جدول تاريخي

٥٠ ✓ احمد بن هلال العروضي

الدولة المرينية ٦٩—١١٣

٨٠ ثورة بني عبد الواد

٦٩ بنو مرين

٨١ عودة الجزائر لبني عبد الواد

٧٠ نظامها الحكومي

٨٢ استيلاء السلطان ابي عنان على

٧١ حدود الجزائر المرينية

اعمال تلمسان

٥٠ المرينيون وبنو عبد الواد

٥٠ تملك بجاية

٧٢ الزحف على مملكة تلمسان

٨٣ انتفاض بجاية وفتح فسنطينة وبونة

٧٤ وقعة وادي اسلي

٨٤ الجزائر بن بني عبد الواد وبني

٧٥ وقعة وادي تافنة

مرين

٧٦ تأسيس حاضرة المنصورة

٨٥ انقسام بني مرين وملك بني عبد

٧٧ معركة مرسى الرؤوس

الواد

٥٠ تنازل بني مرين عن ولاية تلمسان

٨٦ المذاهب والمعتقدات

٧٨ نقض الصلح

٨٧ فخامة بلاط بني مرين

٥٠ تحالف بني مرين والحفصيين

٨٩ الثقافة والحضارة والعمران

ضد تلمسان

٩٦ انهيار الجزائر المرينية

٧٩ الوثوب على عمالة الجزائر ووهران

٩٧ ولاية الجزائر وزعمائها

٥٠ القضاء على امارة بني مزني

١٠٠ ملوك الدولة المرينية

٥٠ فتح الاعمال الشرقية

صفحة:

- ١٠٩ ابراهيم بن فائد الزواوى مشاهير الجزائريين
- ١١٠ سالم بن ابراهيم الصنهاجى ١٠٢ ابو الحسن على الخزاعى التلمسانى
- ١١١ محمد بن عمر المليكىشى ١٠٤ ابن مرزوق الخطيب
- ١١٣ جدول تاريخى ١٠٨ احمد المقرائى
- ٢٦٩ - ١١٤ - الزيانىة - الدولة العبد الوادىة
- ١٢٧ ولاية السلطان ابى سعيد عثمان ١١٤ منشأها ونشأتها
- ٠٠ اشهر فتوحاته ووقائعه ١١٦ وصف ما بالمصحف العثمانى من
- ١٢٨ محاصرة تلمسان ووفاة ابى سعيد الزخرقة (هامش)
- ١٣٠ ولاية السلطان ابى زيان (الاول) ١١٩ نظامها الحكومى
- ١٣٢ مقاومة القبائل المشاقة ١٢١ حدود الجزائر الزيانىة
- ١٣٣ ولاية السلطان ابى حمو (الاول) ٠٠ ولاية السلطان يغمراسن
- ٠٠ غارات ابى حمو وفتوحاته ١٢٢ اغارة الحفصيين على تلمسان
- ١٣٤ القضاء على امارة الثعالبة بمتيجة ٠٠ اخفاق الموحدىن فى حملتهم على
- ٠٠ اغارة بنى مرين وثورة الاعراب تلمسان
- ١٣٥ مصرع السلطان ابى حمو (الاول) ١٢٣ منشأ الخلاف بين بنى عبد الواد
- ٠٠ ولاية السلطان ابى تاشفين عبد وبنى مرين
- الرحمن (الاول) ٠٠ طموح يغمراسن نحو المغرب
- ١٣٦ القضاء على سلطة مغراوة الاقصى وخبثته
- ٠٠ فتح اعمال قسنطينة وبجاية ١٢٤ المنافسة وحب الاستئثار
- ١٣٧ ظهور الدعوة الموحدية بوهران ١٢٥ حزم يغمراسن ونشاطه
- ٠٠ نهاية الدور الزيانى الاول ١٢٦ غدر الفرقة الافرنجية بالسلطان
- ٠٠ وفاة يغمراسن

صفحة :

١٣٩ ملوك الدولة الزيانية - في الدور الاول -

١٦٤ ولاية الساطان ابي تاشفين عبد الرحمن (الثاني)

٠٠ محاربة الاخوين ابي زيان و ابي

تاشفين

١٦٥ تنكرومرين لابي تاشفين (الثاني)

٠٠ تقوض عرش بني زيان

١٦٦ ولاية السلطان ابي زيان محمد

(الثاني)

٠٠ التعريف ببني عامر ومواطنهم

(هامش)

١٧٠ ولاية السلطان ابي محمد عبدالله

(الاول)

٠٠ ولاية السلطان ابي عبد الله محمد

(الثالث)

١٧١ ولاية السلطان عبد الرحمن

(الثالث)

٠٠ ولاية السلطان السعيد بن ابي حمو

١٧٢ ولاية السلطان ابي مالك

عبد الواحد

٠٠ اغارة الحفصيين على تلمسان

١٧٣ ولاية السلطان محمد (الرابع)

١٧٤ السلطان ابو مالك (للمرة الثانية)

مشاهير الجزائريين

١٤٠ ابن الامام : عبد الرحمن وعيسى

١٤٤ محمد بن ابراهيم الآلي

١٤٦ محمد بن خميس

١٥٠ جدول تاريخي

١٥٢ سيادة بني مرين

٠٠ نهضة بني عبد الواد

١٥٤ انبعاث الدولة الزيانية

١٥٦ ولاية السلطان ابي حمو موسى

(الثاني)

١٥٧ فتح مدينة وهران

٠٠ مقاطعات ومشاعات بني مرين

١٥٨ التنافس على العرش

١٥٩ وقعة بجاية وتبعاتها

١٦٠ اعتداء قراصنة الافرنج

٠٠ حصار مدينة الجزائر

١٦١ الزحف المريني على تلمسان

١٦٢ مبايعة تدلس والمجاعة العامة

٠٠ عصيان ابي تاشفين واستشهاد

ابي حمو (الثاني)

صفحة :

- ١٧٤ ثورة (ابن الحمرة) ونهايتها
١٧٥ ولاية السلطان ابى العباس احمد
المعتصم
٠٠ ثورة ابى يحيى واستيلاؤه على
وهران
٠٠ ظهور المستعين بالله وقتله
١٧٦ انهزام ابى يحيى عن وهران
٠٠ ثورة محمد المتوكل ونهاية العقاب
١٧٧ الزحف الحفصى
١٧٨ ابتداء الهجرة الاندلسية وسقوط
بونة
٠٠ ولاية السلطان ابى ثبات محمد.
(الرابع)
٠٠ رفض الدعوة الحفصية
١٧٩ ولاية السلطان تاشفين بن ابى
ثبات
١٧٩ ولاية السلطان محمد (السادس)
١٨٠ ولاية السلطان محمد (السابع)
١٨١ ولاية السلطان ابى حمو موسى
(الثالث)
٠٠ احتلال الاسبان لوهران والسواحل
الجزائرية
١٨٥ ثورة الامير يحيى بن الثابتى
١٨٦ ثغور الجزائر تحت نير الاسبان
١٨٨ ملوك الدولة الزيانية - للدور
الثانى -

مشاهير الجزائريين

- ١٩٠ الشريف النلمسانى
١٩٤ احمد بن على الملىانى
١٩٥ ابن مرزوق الحفيد
١٩٩ محمد بن يوسف الثغري
٢٠١ جدول تاريخى
٠٠ ولاية السلطان ابى ثبات محمد.
(الرابع)
٠٠ رفض الدعوة الحفصية
١٧٩ ولاية السلطان تاشفين بن ابى
ثبات

القسم الثالث

الجزائر المكافحة

- ٢٠٥ الحملة الاسبانية والاتراك
٢٠٦ ولاية السلطان ابى زيان احمد
(الثانى)
٢٠٦ زحف ابى حمو واستشهاد عروج
٠٠ ولاية السلطان ابى محمد عبد الله
(الثانى)

صفحة :

- ٢٠٧ ثورة الامير ابي سرحان وتملكه
 .. عودة ابي محمد الى الملك
 ٢٠٨ نقض معاهدة الاتراك
 .. ولاية السلطان محمد (السابع)
 - ثانيا -
 ٢١١ ولاية السلطان ابي زيان احمد
 (الثاني) - ثانيا -
 ٢١٢ زحف السلطان المخاضوع الى
 تلمسان
 .. خيبة ابي عبد الله وعودة ابي زيان
 .. استشراف الدولة السعدية
 ٢١٣ ولاية السلطان مولاي الحسن
 .. خلاصة حوادث الاسبان على عهد
 بني زيان
 ٢١٥ المجتمع الجزائري
 ٢١٦ الاقتصاد والاتاج الصناعى

- ٢٣٣ المذاهب والمعتقدات
 ٢٣٤ المذهب الشيعى بالجزائر (هامش)
 ٢٣٦ الثقافة والحضارة والعمران
 ٢٤٤ انهيار دولة بني عبد الواد
 الزيانية
 ٢٤٥ ولاية الجزائر وزعمائها
 ٢٥١ ملوك الدولة الزيانية - فى الدور
 الثالث والاخير -

مشاهير الجزائريين

- ٢٥٢ ابو الفضل محمد المشدالى
 ٢٦٢ ابو زيد عبد الرحمن الثعالبي
 ٢٦٦ احمد بن يونس القسنطيني
 ٢٦٨ يحيى بن ابي عمران المازوني
 ٢٦٩ جدول تاريخي

الدولة التركية - العثمانية -

- ٢٧٠ الترك
 ٢٧٥ اتصال الاتراك بالجزائر
 ٢٧٧ نظامها الحكومى
 ٢٨٤ جيش الينكشايرية (هامش)
 ٢٨٨ حدود الجزائر التركية
 ٢٨٩ خريطة الجزائر التركية
 «ا» عصر الفتح التركى
 ٢٩٠ عروج وخير الدين
 ٢٩١ اضطرار المسلمين الى شن
 الغارات البحرية

صفحة :

- ٢٩٢ فتح مدينة جيجل
٢٩٣ فتح حصون بجاية
٢٩٤ الاستيلاء على مدينتي الجزائر
وشرشال
٢٩٦ خيمة حملة دون ديقو دوفيرا
على الجزائر
.. تقدم الفتح التركي
٢٩٧ فتح تلمسان
.. وقعة هوار
٢٩٨ استشهاد عروج وعودة ابي حمو
الى العرش
.. انهزام الاسبان عن الجزائر
٢٩٩ الحاق الجزائر بالامبراطورية
العثمانية
٣٠٠ انبعاث الاضطراب والفتن
بالجزائر
٣٠١ غزو ولاية تلمسان
.. حركة احمد بن القاضي
٣٠٢ خيانة قارة حسن واستيلاء
ابن القاضي على الجزائر
٣٠٣ عودة خير الدين الى الجزائر
.. فتح قلعة البينون Penon
٣٠٤ انكسار اندري دوريا
٣٠٥ نزوح الاتدلسيين الى الجزائر
٣٠٧ ملك غرناطة بتلمسان (هامش)
٣٠٨ استخلاف محمد حسن آغا الطواشي
٣٠٩ اغارة الاسبان على تلمسان
.. تاريخ بناء جامع سفير بالعاصمة
(هامش)
٣١٣ فتح بوننة ومستغانم وبسكرة
وتأسيس مدينة البليدة
٣١٥ اندحار حملة شارلكان الكبرى
٣١٧ مخطط حملة شارلكان على مدينة
الجزائر
٣١٩ ولادة عصر الفتح التركي
.. سلاطين آل عثمان
مشاهير الجزائريين
٣٢٠ محمد النقاوسي
٣٢٢ محمد بن عبد الكريم المغيلى
٣٢٦ احمد الوانشريسى
٣٢٨ عبد الرحمن الاخضرى
٣٣٠ جدول تاريخي

صفحة :

- ٣٤٧ ولاية جعفر باشا
٣٤٨ ولاية حسن فنزيانو (ثانيا)
٣٥٠ بيلربايات الجزائر
٣٥١ سلاطين آل عثمان
مشاهير الجزائريين
٣٥٢ عمر بن الكماد
٣٥٣ محمد الخروبي
٣٥٤ محمد بن يحيى الجاديري
٣٥٥ مصطفى باش تارزي
٣٥٦ جدول تاريخي
«ج» عصر الباشاوات
٣٥٨ ولاية دالي احمد باشا
٠٠ ولاية خضر باشا
٣٥٩ ولاية الحاج شعبان باشا
٠٠ ولاية مصطفى باشا
٣٦٠ ولاية خضر باشا (ثانيا)
٠٠ ولاية دالي حسن باشا
٣٦١ طموح الغرب نحو المغرب العربي
٠٠ ولاية سليمان باشا
٣٦٢ ولاية خضر باشا (ثالثا)
- «ب» عصر البيلرباى
٣٣١ ولاية حسن باشا بن خير الدين
٠٠ رسوخ قدم الاتراك بتلمسان
٣٣٢ رسم حدود الجزائر وتخطيط
تخومها الغربية
٣٣٣ انتقال البيلرباى الى استانبول
٠٠ ولاية صالح رايس
٣٣٤ الاستيلاء على فلس
٣٣٥ الحاق ولاية تلمسان بالجزائر
٠٠ تمكن الاتراك من فتح قسنطينة
وبجاية ووهران
٣٣٦ ولاية حسن قورصو
٣٣٧ ولاية حسن باشا بن خير الدين «ثانيا»
٣٤١ ولاية محمد بن صالح رايس
٣٤٢ ولاية علج على
٣٤٣ فتح تونس
٣٤٤ تعصب اوروبا المسيحية
٠٠ مطاعم فرansa في الجزائر
٣٤٥ ولاية احمد عراب
٣٤٦ ولاية القائد رمضان
٠٠ ولاية حسن فنزيانو

صفحة :

- ٣٦٢ ولاية محمد قوصة باشا
٣٦٣ ولاية قوصه مصطفى القصابجي باشا
٣٦٤ ولاية رضوان باشا
٣٦٥ ولاية قوصة مصطفى (ثانيا)
٣٦٦ ولاية سليمان قاطانيا باشا
٣٦٧ ولاية خضر باشا
٣٦٨ التزاحم الهولاندي الانكليزي بالجزائر
٣٧٠ ولاية خسرف باشا
٣٧١ وقعة السطارة
٣٧٣ ولاية يوسف باشا
٣٧٥ ولاية الشيخ حسين باشا
٣٧٦ ولاية ابي جمال يوسف باشا
٣٧٧ ولاية محمد برصالي باشا
٣٧٨ ولاية احمد دغانجي باشا
٣٧٩ ولاية يوسف باشا (ثالثا)
٣٨٠ اشترايف الدولة الشريفة العلوية للجزائر
٣٨١ تجهز الاتراك للقتال
٣٨٢ ولاية بوشناق محمد باشا
٣٨٣ ولاية احمد طوشان باشا
٣٨٤ ولاية ابراهيم باشا
٣٨٥ نهاية حكومة الباشاوات بالجزائر
٣٨٦ باشاوات الجزائر
٣٨٧ سلاطين آل عثمان
٣٨٨ مشاهير الجزائريين
٣٨٩ احمد المقرئ
٣٩٠ عبد الكريم بن الفكون وولده محمد
٣٩١ جدول تاريخي
٣٩٢ الفهرست
٣٩٣ «ثاننا»

فهرس الخرائط والصور

صفحة :

- ٢٧ خريطة المغرب الاسلامي منذ القرن السابع الهجرى الى العاشر
 ٨٨-٨٩ صورة باب المسجد الجامع بربض العباد بتلمسان
 ٢١٤-٢١٥ بقية من بناية قصر القصبة الاسباني بوهران
 ٢٦٥ محراب مسجد سيدى عبد الرحمن الثعالبي بالعاصمة
 ٢٨٩ خريطة الجزائر التركية
 ٣١٧ مخطط حملة شارلكان على مدينة الجزائر

تصويبات واستدراكات

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٦ سقط من السطر الاول ذكر الآل			
١١	١٤	الخوم	التخوم
بالحامش	١	دولنا	دولنا
١٣	١٦	التر	التمر
١٨	٥	نوقلو	نقلوا
١٩	٨	غازا	غازيا
٢١	١٥	تارة	وتارة
٢١	١٦	از	آن
٢٢	١٧	واذهم	وآذهم
٢٥	٥	بنى حفص	بنى ابي حفص
٢٩	١٢	يستفزهم	يستفزهر
٣١ بالحامش	١	٣١	٤١
٣٢	٤	ن	ان
٣٣	١٦	تقى	تاج
٣٨	٣	مذهب السنة	مذهب اهل السنة
٤٠	٤	فان	فلا تزال
٥٠	٢٣	منظما	منتظما
٤١	٢٣	القاسى	النقاسى
٤٤	١٤	او كسفور	او كسفورد

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٤٦	٨	يبي	يحيى
...	١٥	لم يزالو	ولم يزالوا
٤٧	١٩	الداعى	البدعى
٥٠	١	اصتجب	استصحب
...	٧	لمكان صغيرة	لصغره
٥٢	١٧	راحح	راحج
٥٥	٥	من قبلية	الى قبيله
٦٣	١٢	٣٠٨	٨٠٣
٦٤	١٤	الولد	الوالد
٦٥	٨	كتب	كتبت
٧٠	١٢	لكتابه	الكتابة
٧٩	١٥	لاعما	الاعمال
٨٢	١٦	شكواه	لشكواه
٨٣	١٩	بقصبتها	بقصبتها
٨٩	٨	حالا	حلا
٩٠	١٩	خلدوى	خلدون
٩٤	١	مايفتخر	يفتخر
...	٤	فيه جملة مكررة تدرك بادننى تامل	
٩٥	١٨	زرباب	زرباب
...	١٩	الغناء	الالحان
٩٦	١٩	زبر	زير
٩٧	٢٣	والي	الى

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٩٩	١٢	نسبة	نسبة
١٠٦	١٧	تواريخ	تواريخ
١١٢	١٣	١٣٠	٧٣٠
١٢١	٨	يغمراسن بن ثابت	يغمراسن بن زيان
١٢٦	٢١	وعمره	عمره
«	٢٢	لولده ابي	ولده ابا
١٢٨	١٢	في هذه	وفي هذه
١٣٣	٢	ابو حمو بن السلطان	ابو حمو بن موسى
			« الاول » الخ
١٣٤	١٤	سبب	بسبب
١٣٧	٥	الدولة استيلاء	استيلاء الدولة
«	٩	عودة	دعوة
١٤٥	١٠	ذكره	ذكر
١٥١	١	٨٠٦	٧٠٦
١٥٦	١٦	يضاف الى اول السطر :	توج يوم الخميس ٨ ربيع
		الاول ٧٦٠ هـ - ٧ فيفري ١٣٥٩ م	
١٥٩	٣	بـ	تحتـ
«	٩	العامرين	العامرين
«	١٥	احمال	الاحمال
١٦٣	١٤	اللقاء	اللقاء
١٦٤	١٤	عند	عند

صفحة	سطر	خطاً	صواب
١٧٠	١٢	توجهت	ثم توجهت
«	٢١	ورحمه	رحمه
١٧١	١٦	فاضهت	فاظهت
١٧٦	١٥	انئذ	آنئذ
١٨٠	٢ تعليق	هسيانيا	هسبانيا
١٨٢	١	طورزلاس	طورد يسيلاس
١٨٤	١٣	عشر	عشرة
١٨٨	«	الوثق	الوائق
١٩٠	٣	١١٠	٧١٠
«	٥	العلوين	العلوين
١٩١	١٦	مدرسته	المدرسة
١٩٢	٣	اذ	اذا
١٩٣	١٠	لم يسهه	فلم يتسع له
«	١١	فانه لم يبلغنا	فلم يبلغنا عنه
٢٠٠	٢٢	غرار	غرر
٢٠٥	٧	سنه	منه
«	١٩	الانجاد	الامجاد
«	٢٢	ابا زيان الثالث	ابا زيان احمد الثاني
٢٠٨	٩	« السابع »	« الثامن »
«	١٠	« السابع »	« الثامن »
»	٢٠	يضاف الى الجلباءة : المرفعة الاصلية ؛ وتبدل	

كلمة الحسيبة بالمكرمة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٠٨	٢١	تُحذف الاصلية ويجب	
٢١٢	١	الخبانة	الخبانة
«	٩	خبة	خيبة
١١٣	٣	الحسين	الحسن
٢١٤	٥	تليها	تلتها
«	٢٠	الغاضبين	الغاصبين
٢١٥	٨	يضاف الى كلمة شعب : كان	
٢١٦	١٠	يضاف الى كلمة الانتاج :	
		الصناعى	
٢١٧	١	على ناحية	على اى ناحية
«	١٦	يتجهز	يتجهز
٢١٩	٩	يتجهز	يتجهز
٢٣٥	٢	نوحى	نواحي
«	٣	واصلية	واصلية
٢٣٦	٢١	والفتيان	والفتيا
٢٣٧	١	وأضحت	وبذلك اضحت
٢٤٠	١ هامش	الصحيح	الصحيح
٢٤٣	١٤	والخوانيت	والخوانيت
٢٤٨	١٦	بمدية	بالمدية
٢٥٣	٥	الشاطبيتان	الشاطبيتين
«	٦ تعليق	احمد العديم	احمد بن العديم
٢٥٤	١٤	بقانونه	بقانونه

صواب	خطأ	سطر	صفحة
أبى	ابن	٦	٢٥٥
رواه	روا	١١	«
تلامذتهما	تلامهذتما	١٨	»
بهما	بها	٢١	»
صوريا	صورة	٤ تعليق	٢٧٣
وجه	وجهه	٥	٢٧٤
حدد	حد	٢٢	٢٧٧
لهؤلاء	لهؤلاء	١٠	٢٨٠
مقتضى	مقتضى	١٠	٢٨١
وتسعر	تسعر	١٠	٢٨٢
توطيد	تطويد	٢٢	٢٨٣
ونكلوا	وكلوا	١٤	٢٩٠
المدينة	مدينة	١٩	٢٩٢
الامدادات	الامداد	١٨	٢٩٣
جاءت	جات	٢	٢٩٦
معجمة	مجعة	١ تعليق	٢٩٧
رمزاً	رمز	١٩	٢٩٨
أوما	واما	٦	٣٠٧
بقريّة	بقربة	١٨	٣١٠
فاعتقلهما	فاعتقلها	١٦	٣١٣
الرهينة	الرهبة	٤	٣١٥
	يضاف الاوسط الى المغرب	١٠	٣٢١

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٢٨	٨	الفق	التأليف
٣٣٧	٢١	رغبة في	رغبة منه في
٣٤٢	١٠	٩٧٨	٩٧٩
٣٥٨	١٥	نشاطا	نشاطا
٣٦٠	٣	ثرات	ثورات
٣٧٥	١	اجلوهم العاصمة	اجلوهم عن العاصمة

اتمنى طبع الجزء الثانى من تاريخ الجزائر العام ؛ ويتاوه الجزء الثالث اوله
الدور الرابع من عصر الدولة التركية العثمانية : حكومة الاغوات .



الجيلاني، عبد الرحمن بن محمد
تاريخ الجزائر العام
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



